دكتورة علية عبد السميع الجنزورى

أستاذ تاريخ العصور الوسطى
بكلية البنات جامعة عين شمس

إمارة الرها الصليبية

صفحة لها خطورتها فى تاريخ الجهاد الاسلامى والمحاولات العديدة التى بذلها الصليبيون فى امارة الرها لتمزيق وحدة المسلمين واقامة حاجز بين بلاد العراق من ناحية وبلاد الشام ومصر من ناحية أخرى .

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠١

الإهـــداء

" إلى زوجي العزيز الذي كان لتشجيعه
المستمر لي أكبر الأثر في إتمام هذا البحث "

تقديم

يسرنى أن أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب المهم عن «إمارة الرها الصليبية» للأستاذة الدكتورة علية عبدالسميع الجنزورى، أستاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس.

وقد صدر الكتاب فى طبعته الأولى سنة ١٩٨٦، ونفدت طبعته. ونظراً لأهميته أعدنا نشره فى هذه السلسلة.

وقد سبق لنا أن نشرنا للدكتورة علية الجنزورى بعض أعمالها العلمية، مثل: «هجمات الروم البحرية على سواحل مصر الشمالية»، «والحروب الصليبية، المقدمات السياسية».

والكتاب الحالى يتناول تاريخ إمارة الرها فى عصر الحروب الصليبية، وهى أولى الإمارات التى أسسها

الصليبيون فى العالم العربى فى عام ١٠٩٨ ، فكان ذلك بداية مرحلة جديدة فى تاريخ تلك المنطقة، حتى سقطت هذه الإمارة فى عام ١١٤٤م.

فبحكم وقوع تلك الإمارة على الطريق الرئيسى بين الموصل وحلب، وهما أكبر قوتين إسلاميتين فى شمال العراق والشام، فإنها لعبت دوراً مهماً فى الحروب الصليبية، إذ أصبحت عقبة فى طريق قيام أية وحدة إسلامية بين شمال العراق والشام، وفى الوقت نفسه فسبب ما اتصفت به هذه المنطقة من اختلاط عنصرى وتعقيد دينى ومذهبى وتداخل حضارى، فإن دراسة هذه الإمارة كانت من الصعوبة بمكان حتى تصدت لها الدكتورة علية الجنزورى، فأمكن تقديم هذه الدراسة الممتازة التى تسد فراغاً كبيراً فى المكتبة العربية.

وأملى أن ينتفع بهذه الدراسة الباحث المتخصص والقارئ المثقف.

والله الموفق ،،

رئيس التحرير

د. عبدالعظيم رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

((تقــــديم))

مازالت الحركة الصليبية بدوافعها الحقيقية واحداثها المثيرة ونتائجها المتباينة ، تستأثر بجهود كثير من الباحثين فى ميدان التــاريخ وخاصــة تاريخ العصور الوسطى . واذا كان معظم هذه الجهود قد انصب على نشاط الصليبيين فى بلاد الشام بوصفها الهدف الأول للحملات الصــليبية — فان هناك من بلاد الشرق الأدنى مثل مصر والعراق وآسيا الصغرى واطراف شبه الجزيرة العربية — ما تأثر تأثرا مباشرا بتلك الحركة ، بل لقد كان بعضها ميدانا كبيرا لنشــاط صليبى واسع المدى ، لا يقــل فى بعض مراحله عن النشاط الصليبى بالشام .

من ذلك ما شهده اقليم الجــزيرة فى بلاد العراق من نشاط صليبى واسع النطاق فى النصف الأول من القرن الثانى عشر . ذلك أن الظروف شــاءت ان تقوم اولى الامارات الصليبية التى اسسها الصــليبيون فى الشرق الأدنى فى الرها وما حولها من أراض وبلاد ، وهى منطقة ذات طبيعة معقدة من ناحية التركيب البشرى فى ذلك العصر . وجاء قيــام امارة الرها الصليبية سنة ١٠٩٨ ايذانا ببداية مرحلة جديدة فى تــاريخ تلك المنطقة ، وهى مرحلة شهدت صراعا عنيفا — يظهر حينــا ويستتر أحيانا — بين مختلف العناصر والأجناس على اختلاف مللها ونحلها ، من ارمن وسريان ، واتراك وتركمان وعرب ، فضلا عن الوافدين الجدد من الصليبيين الغربيين الكاثوليك وهم الذين جعلوا من انفسهم ارستقراطية حاكمة تتمتع بكثير من الحقوق مقابل نهوضها بعبء وحمــاية الكيــان المسيحى وسط المحيط الاسلامى الكبير .

ولا شك فى ان الموقع الجغرافى لامارة الرهــا الصليبية اســهم الى حــد كبير فى اضــفاء قــدر من الأهميــة على الدور الذى قــدر لتلك الامارة ان تلعبه على مسرح الأحــداث حتى ســقوطها ســنة ١١٤٤ . وحسب هذه الامارة انها تقع على الطريق الرئيسى بين الموصــل وحلب

وهما أكبر قوتين اسلاميتين فى شمال العراق والشام فى ذلك الدور - مما جعل منها عقبة فى طريق قيام اية وحدة اسلامية تربط بين شمال العراق والشام . هذا الى ان تطرف موقعها فى الشمال الشرقى بالنسبة لبقية الامارات التى اسسها الصليبيون فى الشرق الأدنى جعل منها حاجزا وخطا دفاعيا يحمى البناء الصليبى فى ذلك الاتجاه . فاذا اضفنا الى ذلك قربها من المجتمع المسيحى فى أرمينية وشرق الأناضول من ناحية ومن بغداد مركز الخلافة العباسية من ناحية ثانية ، أدركنا خطورة الدور الذى نهضت به امارة الرها الصليبية فى النصف الأول من القرن الثانى عشر للميلاد .

ومن الواضح انه ليس من السهل علاج هذا الدور بسبب ما اتصفت به المنطقة التى قامت فيها امارة الرها من اختلاط عنصرى وتعقيد دينى ومذهبى وتداخل حضارى . على ان حسن الحظ شاء أن تتصدى لعلاج هذا الموضوع الدكتورة عليه الجنزورى ، فوضعت هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم للباحثين فى حقل تاريخ العصور الوسطى . ذلك ان الدكتورة عليه الجنزورى — التى تتلمذت علينا فى الحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه — اتصفت بكل ما يمكن ان يتصف به باحث ناجح ، من حيث الجرأة فى التصدى لمختلف الآراء ومناقشتها وتفنيدها ، مع التحلى بروح الصبر والمثابرة فى تقصى الحقائق واستخلاصها وتنقيتها ، والمقدرة على حسن عرض المادة التاريخية وترتيبها وتنسيقها . ولعلنى لست بحاجة الى التنويه بالجهد الذى بذلته الدكتورة عليه الجنزورى فى تاليف هذا الكتاب تحت اشرافنا ، وهو جهد استغرق سنوات طويلة من الكفاح الصامت ، قضتها الباحثة بين صفحات الوثائق والمصادر والمراجع .

ولا يسعنى اليوم سوى أن ابارك هذا الانتاج العلمى الثمين داعيا للدكتورة عليه الجنزورى بالتوفيق فى مواصلة طريق البحث . وانى لعلى يقين من انها — بفضل ما توافر لها من عزم وذكاء وخلق متين — ستقدم للمكتبة التاريخية الكثير من الزاد الأصيل ان شاء الله .

دكتور
سعيد عبد الفتاح عاشور
استاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب — جامعة القاهرة

مقـــــدمة

اجمع المؤرخون على أن الحروب الصليبية كانت حدثا هاما فى تاريخ العصور الوسطى وخاصة منطقة الشرق الأدنى . فبالنسبة للعالم الاسلامى كانت هذه الحروب بمثـــابة زلزال مروع حل ببنـــاء قديم ، فأصابه بشرخ عميق . ذلك أن الحملة الصليبية الأولى وصلت الى الشرق فى وقت اشتدت فيه المنازعات بين حكامه حتى بلغت حد الشقاق بسبب الخلافات المذهبية والسياسية والعنصرية ، مما يسر للصليبيين أن ينشبوا مخالبهم فى الأرض العربية ويقيموا عليها فترة من الوقت .

وقد تمخضت الحملة الصليبية الأولى عن اقـــامة اربع امارات صليبية فى كل من الرهـــا وأنطاكية وبيت المقدس وطرابلس . لعبت كل منـــها دورا كبيرا فى الصراع الذى دار بين المســـلمين والصليبيين على مسرح الشرق الادنى فى عصر الحركة الصليبية ، حتى انتهى الأمر فى نهاية القرن الثـــالث عشر للميلاد بطرد الغزاة الدخلاء وتطهير الأرض العربية منهم .

واذا كانت الامارات الثلاث الأخيرة الســـالفة الذكر تقـــع فى أرض الشـــام ، فان امارة الرها تميزت بوقوعها فى أرض الجزيرة بين النهرين ، مما جعلها تشكل خطا دفاعيـــا بالغ الأهمية بالنسبة للجبهة الشرقية للكيان الصليبى فى الشرق الأدنى . ومعنى هذا أن امارة الرها صارت بالنسبة لبـــاقى الامـــارات الصليبية بالشـــام بمثابة درعها الواقى من ناحيتى الشرق والشمال الشرقى ، ويشبهها من بعض النواحى فى هـــذه الصفة امارة انطاكية فى شمال بلاد الشام مع ملاحظة ان الخطر البيزنطى الذى تصدت له امارة انطاكية كان لا يقـــارن بخطر السلاجقة والتركمان الذى كان على امـــارة الرها أن تتصدى له .

ولا يخفى علينا إن جزء كبيرا من تاريخ الحروب الصليبية فى الشرق الأدنى انما يدور حول نشـــاط تلك الامارات . ولكن علينا فى الوقت نفسه أن نذكر ان هذا النشاط لا يقف عند حد الحروب ضد المسلمين فحسب ، وانما امتد ليشمل آفاق مجتمع صليبى قـــدر له أن يعيش عدة أجيـــال وسط أرض غريبة لها أوضاعها التاريخية والحضارية البعيدة كل البعد عن اوضـاع المجتمع الصليبى . مما يتطلب منا دراسة كل من هذه الامارات

دراسة مستفيضة . واذا كانت مملكة بيت المقدس الصليبية قد حظيت - بحكم مكانتها - بالقسط الاكبر من جهود الباحثين ، فان امارتى انطاكية وطرابلس مازالتا تحت اضواء البحث ، وظهرت فعلا بعض الدراسات العلمية عنهما .

اما « امارة الرها الصليبية » موضوع هذا البحث فالملاحظ ان نصيبها كان ضئيلا من عناية الباحثين ، وان ظهرت بعض الدراسات المحدودة التي تعرضت لجوانب من تاريخ هذه الامارة انصب اغلبها على النواحى السياسية والحربية دون الاهتمام كثيرا بالنواحي الحضارية ، ولعل هذا هو الذى اثار احساسنا بحاجة امارة الرها الى مزيد من الضوء على تاريخها ، مما دفعنا الى دراستها دراسة متكاملة متخصصة فى هذا البحث .

وربما كان من الاسباب التى لم تشجع الباحثين على الخوض كثيرا فى تاريخ امارة الرها الصليبية هو ان هذه الامارة كانت بمثابة جزيرة ارمينية وسط بحر اسلامى بيزنطى واسع ، مما جعل مصادر الدراسة الأصلية لها لا تقتصر فقط على مصادر صليبية لاتينية ، بل ايضا تتطلب الرجوع الى مصادر عربية اسلامية ويونانية بيزنطية ، هذا فضلا عن المصادر الأرمينية والسريانيـة .

وقد حاولت فى هذه الدراسة ان استقى المعلومات التاريخية الخاصة بامارة الرها من كافة المصادر الأصلية المتنوعة السابقة الذكر ، فضلا عن الاستفادة من آراء المؤرخين المحدثين الذين كتبوا فى تاريخ الحروب الصليبية بالفرنسية والانجليزية ، وبذلت فى ذلك جهدا كبيرا لرسم صورة تاريخية واضحة لامارة الرها من كل جوانبها السياسية والحربية ، الداخلية والخارجية ، الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، مع الاشارة الى الدور الحيوى الذى قامت به هذه الامارة القصيرة الأجل (١٠٩٨ - ١١٤٤ - ١١٤٦م/٤٩٢ - ٥٣٩ - ٥٤١هـ) فى الصراع الاسلامى الصليبى طوال مدة تقرب من نصف قرن .

والحقيقة ان موضوع « امارة الرها الصليبية » كان موضوع رسالتى فى الدكتوراه . ولما وفقت بعون الله فى الحصول عليها ، رأيت ان من أولى واجباتى تجاه حقل تاريخ العصور الوسطى ، ان افكر جديا فى نشر هذا الموضوع حتى يتسنى للمهتمين بهذا الفرع التاريخى الوقوف

على حلقة هامة من حلقات تاريخ العصور الوسطى فى فترة الحروب الصليبية . وبذلك أكون قد أسهمت بقدر - هو أقصى ما سمحت به طاقتى وجهدى - فى سد احدى الثغرات التى كانت بحاجة الى دراسة علمية متكاملة .

ولا يسعنى الآن قبل البدء فى طبع هذا البحث العلمى المتواضع ، الا ان ابدا برفع اسمى آيات الشكر للعالم الجليل الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ كرسى تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة القاهرة ورئيس قسم التاريخ بها ، الذى اشرف على هذا البحث وساعدنى فى اختيار موضوعه . ولا يخفى أن الأستاذ الدكتور سعيد عاشور من رواد الدراسات التاريخية فى العصور الوسطى فى مصر والعالم العربى . وكان لى الشرف أن احظى باشرافه وأن انهل من علمه وأدبه وتوجيهاته فى المنهج العلمى وفى الرجوع الى المصادر الأصلية ، وأن قلمى ليعجز عن اظهار مدى تقديرى لسيادته . والحقيقة انه كان باستمرار مخلصا فى نصيحته ، عالما فى نقده ، والدا فى حلمه ، قويا فى صبره ، مؤمنا صالحا فى علاقاته ، قاسيا امام الخطأ ، رحيما عند المقدرة .

كذلك لا انسى ايضا فى هذا المجال أن اتقدم بخالص شكرى وعرفانى بالجميل الى استاذتى الفاضلة وامى الروحية الأستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف استاذة كرسى التاريخ الاسلامى والوسيط ورئيسة قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس - والتى اشتركت فى الاشراف على بحثى هذا - لما قدمته لى أيضا من توجيهات كثيرة وارشادات جمة ولما ذللته لى من صعاب واجهتنى خلال اعداد هذا البحث بالاضافة الى رعايتها الكاملة لى مما شجعنى كثيرا فى اتمام هذا البحث .

وفى النهاية لا يفوتنى أيضا أن أتقدم بشكرى الوافر الى بعض من كان لهم الفضل فى تذليل الكثير من الصعوبات التى واجهتنى اثناء جمع مادة هذا البحث واخص منهم بالذكر الزميل الدكتور حلمى عبد الواحد خضره مدرس اللغة اللاتينية بالكلية الذى تفضل مشكورا بمساعدتى فى ترجمة النصوص اللاتينية الجديدة القيمة المعاصرة لهذا البحث والتى افادتنى فائدة جمة فى سد الكثير من الثغرات اثناء كتابة هذا الموضوع . كذلك اقدم شكرى الجزيل لسيادة الأب منصور مستريح - عضو معهد الدراسات الشرقية المسيحية بالقاهرة والمتخصص فى الدراسات الأرمينية - الذى تفضل مشكورا بترجمة قصيدة رثاء الرها عن الاصل الارمنى الى اللغة العربية

وهذه القصيدة تعتبر من النقاط الجديدة المعاصرة لموضوع البحث والتى تنشر لأول مرة ، حيث اننى قد أوردتها بالكامل كملحق فى نهاية هذا الكتاب ، فقد كنت شرعت فعلا عند عثورى على هذه القصيدة — ضمن مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية .

— (Documents Arméniens, T.I.)

فى ترجمتها بنفسى عن الترجمة الفرنسية الموجودة الى جانب الأصل الأرمينى . ولكن الأب ديصان — أحد آباء معهد الدراسات الشرقية للدومنيكان — أشار على بأنه من المستحسن الاتصال بالأب منصور مستريح ليقوم بترجمة القصيدة عن الأصل الأرمينى حتى لا تغير الترجمة الفرنسية بعض معانى والفاظ النص الأصلى ، وبالفعل تولى سيادته مشكورا مهمة تقديمى للأب منصور مرحب بتلك المهمة . لذلك نقلت لسيادته نسخة من القصيدة كميكروفيلم حتى تسهل مهمة الترجمة . وهكذا استطعنا فى النهاية الحصول على ترجمة سليمة لهذه القصيدة الجديدة الهامة فى هذا البحث .

ولا أنسى ايضا ان أتقدم بشكرى الجزيل الى السادة العاملين بمكتبة الآباء الدومنيكان الذين أفادتنى مكتبتهم افادة كبرى واخص بالذكر الابجورج شحاته قنواتى مدير الدراسات الشرقية للدومينيكان والأب ديصان والأب كورتلياريه . كما أتقدم شكرى الى العاملين بمعهد المخطوطات وعلى راسهم الأستاذ رشاد عبد المطلب ، هذا الى جانب العاملين بدار الكتب المصرية . كما اشكر ايضا العاملين بمكتبات جامعة القاهرة وعين شمس والاسكندرية .

والله ولى التوفيق "

القاهرة يوليه ١٩٧٤

دكتورة عليه عبد السميع الجنزورى
مدرسة تاريخ العصور الوسطى
بكلية البنات جامعة عين شمس

دراسة تحليلية لمصادر البحث

اعتمدنا فى بحثنا هذا على عدة مصادر ثقه اصلية ، لاتينية وبيزنطية ، وارمينية وسريانية ، وعربية مطبوعة ومخطوطة . هذا الى جانب عـــدة مراجع حديثة عربية وافرنجية استفدنا منــها فى نقل بعض الآراء بل وفى الوصـــول الى بعـــض الحقــائق التى اخذتها عن مصـــادر لم نســـتطع الوصول اليها .

وقد افادتنا بعض هذه المصــــادر فى غالبية اجزاء الرسالة اما البعض الاخر فقد افادتنــــا فى اجزاء محدودة دون غيرها .

ياتى فى مقدمة هذه المصادر مجموعة **المصادر اللاتينيـــة** التى كتبها المؤرخون الغربيون المعاصرون لامارة الرها الصليبية او من نقلوا عنهم مباشرة . وعثرنـــا على غالبيتها فى مجموعة مؤرخى الحروب الصـــليبية Recueil des Historiens des Croisades وسنكتفى هنا بالاشارة الى اهمها :

اولا : Gesta Francorum او (Historia Iherosolymitana, Iherusalem Expugnantium)

للمؤرخ الفرنسى فولشردى شارتر Foulcher de Chartres

وكان فولشر هو القسيس الذى حضر مؤتمر كليرمونت ١٠٩٥م . وصحب روبرت الثانى دوق نورمانديا فى الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٦م .(١) ثم انضم الى بلدوين البولونى ــ مؤسس امارة الرها الصليبية وقد اشار فولشر الى ذلك فى كتابه(٢) ــ واصبح قسيسا لحملته(٣) . ويعتبر كتابه من اهم التواريخ المعاصرة للحمـــلة الصليبية الاولى ــ فهو يغطى الفترة ما بين

---

(١) Encyclopaedia Britannica, V. 9, p. 908. (1960).

(٢) Fulcheri Carnotensis ; Historia ... (R.H.C.), Hist. Occid. T. 3, p. 337.

(٣) Runciman : A History of the Crusades, V. 1, p. 201.

مؤتمر كليرمونت حتى وفاة فولشر ١١٢٧م وبالتالى فقد عاصر قيام امارة الرها وشهد ازهى أيام تاريخها ثم روى فى تاريخه الأحداث التى شاهدها بنفســـه(٤) . والكتاب ينقسم الى ثلاثة اقســـام الاول من ١٠٩٥م الى ١١٠٠م والثانى ينتهى ١١١٨م . والثالث ١١٢٧م(٥) .

اما المصدر اللاتينى الثانى فهو : (Historia Hierosolymitanae Expeditionis , Chronicon Hierosolymitanum de bello Sacro). الذى الفه البرت د/ اكس او الاكسى Albert d'Aix وهــذا المؤلف يقــع فى اثنـــا عشر كتابا . كتبه البرت فى الفترة الممتدة من ١١٢٥ الى ١١٣٠م . وهو يعتبر من أهم مصـــادر الحملة الصليبية الأولى ومملكة بيت المقدس اللاتينيـــة حتى ١١٢١م(٦)

حقيقة ان البرت لم يحضر الى الشرق ؛ لكنه استعان فى تدوين كتابه بالمصـــادر المعروفة فى ذلك الوقت كما نقل عن اصـــول اخرى اندثرت ولم تصل الينا واستمع الى عدد ممن اشتركوا فى الحملة واطلع على بعض المراسلات المتعلقة بها .

وبعد ذلك يأتى المصدر الثالث الذى افادنا بدرجة كبيرة فى كل اجزاء الرســالة تقريبـــا وهو كتاب وليم الصورى (William of Tyre ١١٣٠ ــ ١١٨٦م) واسمه (A History of Deeds Done Beyond the Sea) وهى الترجمة الانجليزية التى رجعنا اليها .

يعتبر كتاب وليم الصورى هذا موسوعة فى تاريخ الحروب الصليبية عامة(٧) . بدأ تدوينـــه من ١١٦٩م ويعتبر مصـــدرا اصليا عن الفترة الممتدة من ١١١٤ حتى ١١٨٤م(٨) .

اما الجزء الأول من الكتاب فقد اعتمد فيه وليم على كتابات الكثيرين

---

(٤) Encyclopaedia Britannica ; V. 9, p. 908.

(٥) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ؛ ص ٧ .

(٦) Encyclopaedia Britannica ; V. 1, p. 524.

(٧) William of Tyre ; A Hist. of Deeds ...... p. 4.

(٨) William ; Ibid., V. 1, p. 37.

من المعاصرين للأحداث التى رواها مثل : كتابات المؤلف المجهول صاحب كتاب (Gesta Francorum.) Raymond d'Aguilers.
Fulcher of Chartres. Albert d'Aix. (٩)

هذا الى جانب اعتماده فى بعض أجزاء الكتاب على الرواية الشفوية وكذلك على الكتابات الاثرية على المبانى (١٠) ونقل كتاب وليم الى الغرب من طريق (Matthew Paris) فى احدى حواشى مخطوطة الأخير المسماه (Historia Minor) ذكر انه نقل مؤلف وليم عن بطرس أسقف ونشستر Winchester الذى احضرهـا من الأرض المقدسة ١٢٢١ م(١١).

كان وليم رئيس أساقفة صور من ١١٧٥ — ١١٨٤ — ١١٨٥م . وكان أصلا مواطنا من مملكة بيت المقدس ؛ ولد حوالى ١١٣٠م ربما فى بيت المقدس نفسها . والراجح ان والديه كانا من الغرب ، وبالرغم من انه قد اسهب فى الكتابة عن انساب الآخرين الا انه قد صمت صمتا تاما عن نسبه هو . وبذلك ظل نسبه دون أى سبيل الى فهمه حتى الوقت الحاضر .

اتقن وليم العديد من اللغات أهمها الفرنسية التى كانت لغة البلاط فى مملكة بيت المقدس الى جانب العربية التى شاركت الفرنسية فى حقل التجارة ، ثم اليونانية التى كانت أيضا تستخدم استخداما واسعا فى الشرق . كذلك اتقن اللغة اللاتينية — لغة الكنيسة والمدارس — وذلك بحكم تربيته الدينية فى الكنيسة . هذا بالاضافة الى المامه السطحى ببعض اللغات الشرقية مثل العبرية والفارسية (١٢) .

اما المصادر البيزنطية فيأتى على رأسها كتاب (الالكسياد Alexiad) للأميرة (انا كومنينا Anna Comnena) وقد اعتمدنا على الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب ؛ والواقع أن هذا الكتاب ظل أمدا طويلا مصدرا لمؤرخى الامبراطورية البيزنطية ولمن كتبوا عن الحملة الصليبية الأولى (١٣) . وقد ذكرت الأميرة (انا) انها الفته كى تذكر فيه الأعمال التى قام بها والدها « كى لا تضيع فى سكون(١٤) » .

---

(٩) William of Tyre : Ibid., V. 1, p. 29
(١٠) William : Ibid., V. 1, p. 30.
(١١) William : Ibid., V. 1 p. 42.
(١٢) William : Ibid., V. 1, p.p. 4 - 9.
(١٣) Anna Comnena : The Alexiad. p. vii.
(١٤) Anna : Ibid., p. 1.

ثم ذكرت سبب تسميتها على كتابة الالكسياد فقالت « كان زوجى هو القيصر نيقفور برنيوس ، وكان جديرا بالاعجاب فى كل شىء ، صحب أخى هنا — الامبراطور — فى عديد من الحملات الحربية . . . ولما كان نقفور غير قادر على ترك عمله الأدبى ، لذلك فقد كتب العديد من المذكرات اليومية الممتازة ، وقد أعجبت الملكة كثيرا بكتاباته وطلبت منه كتابة تاريخ لعصر الأمبراطور الكسيوس — ابى — يوضح فيه الأعمال التى تمت فى عهده . فكانت فرصة طيبة عاد بها نقفور الى الدراسات التاريخية والأدبية التى كان يهواها وبدأ نقفور فعلا فى تدوين هذا التاريخ بداية مبكرة منذ عهد الامبراطور رومانوس الرابع ، ولكن عندما وصل الى عهد والدى واصبحت مسودة لتلك الفترة وعاد بها الينا من الخارج نصف منتهية ، كان للأسف قد عاد ايضا محملا بورم خبيث داخلى كان يعانى منه بشدة ، مما جعله غير قادر على رواية القصة الحزينة لمغامراته (١٥) لذلك قررت (انا) تكملة عمل زوجها ، وبذلك ابرزت اعمال والدها الامبراطور الخالدة بالاضافة الى انتصارات زوجها العظيمة .

والمعروف ان الاميرة (آنا) ولدت ١٠٨٣م وتوفيت ١١٤٨م وكانت ذات معرفة واسعة بالأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافية ، وضعت كتاب الالكسياد باللغة اليونانية وهو يغطى الفترة الممتدة من ١٠٦٩م الى ١١١٨ م بدأت فى تدوينه بعد ١١٣٧م وانتهت حوالى ١١٤٨م (١٦)

وقد افادنا كتاب الالكسياد كثيرا وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات البيزنطية الرهوية .

اما المصادر الأرمينية الهامة التى اعتمدنا عليها ، فكان مركزه فى :

Recueil des Historian des Croisades : Documents Arméniens, T.1

وهى حسب ترتيبها الزمنى : مقتطفات من حولية متى الرهاوى **Extraits de la Chronique de Mattieu d'Edesse.** وحولية الكاهن جريجوار **Chronique de Grégoire Le Prêtre** وقصيدة رثاء الرها للقديس نيرسيس شنورهالى **Elégie sur la prise d'Edesse par Saint Nersès Schnorhali**

---

(١٥) Anna : Ibid, p.p. 2 - 3.

(١٦) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٩
Encyclopaedia Britannica, V. 1, p. 992.

وتعتبر حولية متى الرهاى من أهم المصادر التى خدمتنا فى غالبية أجزاء بحثنا اذ تنقسم تلك الحولية الى ثلاثة اقسام الأول من ٩٥٢م الى ١٠٥١م والثانى ينتهى بعام ١١٠١م والثالث بعام ١١٣٦م(١٧) .

ويتميز تاريخ متى هذا بالدقة فى تقصى الأخبار والأعتماد على المصادر الرئيسية فى استقاء معلوماته (١٨) ولد متى الرهاوى بمدينة الرها(١٩) . كما يظهر ذلك من اسمه ، ولكن يبدو أن حياته لم يعرف عنها الشىء الكثير (٢٠) وقد توفى ١١٤٤م اثناء استيلاء عماد الدين زنكى على الرها(٢١) . ومعنى هذا انه عاصر امارة الرها منذ مولدها حتى سقوطها على يد زنكى .

اما حولية الكاهن جريجوار فقد أكمل بها تاريخ متى الرهاوى وبدات احداثها بسنة ١١٣٧م . ويبدو انه كان تلميذا لمتى بدليل انه حاكاه فى عدائه الشديد للبيزنطيين ، كما سهار على نهجه فى تقييم الاشخاص والاحداث . وهو كاهن أرمنى علمانى كان متزوجا . افادتنا كتاباته كثيرا فى النقاط الخاصة بحملات حنا كومنين ومانويل كومنين على قيليقية وسوريا ، وكذلك فيما يتعلق بالاستيلاء على الرها ونهايتها . والواقع ان قلمه لم يكن اقل نشاطا من استاذه(٢٢) . وقد انتهى جريجوار فى كتابته الى احداث ١١٦٣م(٢٣) .

ومن ناحية قصيدة رثاء الرها فهى من اهم المصادر الارمينية المعاصرة لموضوع بحثنا والتى لم تنشر بعد وقد افادتنا فى غالبية نقاط البحث تقريبا . لذا أوردنا الترجمة العربية لمقتطفات منها ضمن الملاحق

---

(١٧) Mattieu d'Edesse ; (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 63.

(١٨) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ١٦٣ .

(١٩) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢١ .

(٢٠) Chronique de Grégoire Le Prêtre : (R.H.C.) Doc. Arm. T.1, p. 151.

(٢١) Michaud : Histoire des Croisades, V. 2, p. 107.

(٢٢) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 151.

(٢٣) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢١ .

كتب نيرسيس قصيدته هذه على شكل ملحمة ، على طريقة هوميروس — كما ذكر هو بنفسه فى مقدمتها — وسرد فيها أثناء رثائه للمدينة تاريخها القديم وامجادها وغناها الاقتصادى ، ثم اشار فيها الى كل من روما وبيزنطة والاسكندرية وانطاكية وآنى وعلاقة كل منه بالرها . ثم استطرد فى ذكر حصار زنكى للرها بالتفصيل وموقف اهلها منه حتى سقطت فى يده . مع ابراز دور رجال الدين فى ذلك الحصار وموقف زنكى من كنائس المدينة .

وقد نشرت القصيدة التى كتبت اصلا بالارمينية بواسطة دولوريه Dulaurier بالفرنسية ضمن (R.H.C. Doc. Arm. T 1) طبعة ١٨٢٨م .

ولما كانت تلك القصيدة من الأجزاء الجديدة فى بحثنا فان هذا يدفعنا الى التعريف بصورة مفصلة الى حد ما على مؤلفها .

كان سانت نيرسيس رابع البطارقة الارمن الذين حملوا هذا الاسم . وشنور هالى Schnorhali معناها (المهذب) وقد لقب نيرسيس بالمهذب لدماثة اخلاقه وسلاسة شعره ، كما لقب ايضا جلايتسى (Glaietsi) نسبة الى قلعة الروم ، حيث اقام ردحا من الزمن .

ونيرسيس هو الابن الاصغر للأمير (ابيراد Abirad) صاحب حصن (دزوفك Dzovk) فى اقليم خرتبرت . ولد ١١٠٢م ونشأ هو واخوه الاكبر جريجوار — الذى اصبح بعد ذلك Catholicos باسم جريجوار الثالث — فى كنف اخى جده البطريرك جريجوار فجاياسير Vgalacer . وعندما تولى اخوه الكرسى البطريكى ١١١٣ م اشترك معه فى ادارة الشئون البطريكية ، حتى توفى الاخ ١١٦٦ م وعندئذ خلفه نيرسيس على الكرسى البطريركى حتى وفاته ١١٧٢م . ويعتبره الارمن من اعظم قديسيهم فضلا عن انه فى نفس الوقت من اعظم شعرائهم(٢٤) .

ويكمل تلك المصادر الارمينية مجموعة من المراجع الهامة الخاصة بتاريخ الارمن والتى احدثها كتاب Histoire de l'Arménie الذى

---

(٢٤) Dulaurier : (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 223 - 224.

كتبه Hrand Pasdermadjian الذى ولد فى تفليس عام ١٩٠٤ وتوفى فى جنيف ١٩٥٤ عن خمسين سنة . كان أبوه من اسرة عريقة من ارضروم وكان وطنيا كبيرا ظل اسمه يدرج ضمن الابطال الأرمن (٢٥)

اصبح (هراند بازدرمادجيان) استاذا بجامعة جنيف عام ١٩٥٢ وساهم فى كثير من المؤتمرات فيها وفى لندن وباريس وبرلين وكوبنهاجن وواشنطن وبوسطن . بين المؤلف سبب تاليفه اكتابة هذا بقوله « انه باعتباره ماصر جيلين لذا كتب هذا التاريخ ليقدمه للجيل الجديد .. ثم يقول « بهذا التاريخ اكون قد اكملت عمل والدى وانهيت بقلمى ما بداه هو بسيفه » (٢٦) .

وقد اعتمدنا على نسخة من كتابه الطبعة الثانية باريس ١٩٦٤ .

اما المصادر السريانية فاهمها حولية ميخائيل السريانى Chronique de Michel Le Syrien. وقد ترجمها الى الفرنسية J.B. Chabot

كان ميخائيل هو البطريرك اليعقوبى لانطاكية من ١١٦٦م الى ١١٩٩م(٢٧) . ويعتبر تاريخه مصدرا هاما لتاريخ سوريا بصفة عامة فى ذلك الوقت فضلا من تاريخ الكنيسة السريانية . وقد استخدم ميخائيل فى كتابته المصادر الدينية الأصلية للفترة المتقدمة عن عصره(٢٨) . كذلك هناك تاريخ ابن العبرى The Chronography of Bar Hebraeus. كتبه بالسريانية واطلعنا على ترجمته الانجليزية التى قام بها Ernest Wallis Budge الى جانب اطلاعنا على كتابه العربى (تاريخ مختصر الدول) الذى يعتبر اختصارا لتاريخه المطول السريانى(٢٩) .

ويعتبر تاريخه المطول من اهم المصادر السريانية التى خدمت العديد من النقاط فى بحثنا ايضا . والواقع ان تاريخ ابن العبرى يعتبر موسوعة تاريخية مليئة بالتفاصيل التاريخية والدينيه واللغوية وعادات الشعوب وتراجم الكثير من المحاربين والأطباء (٣٠) .

---

(٢٥) H. Pasdermadjian : Hist. de l'Arménie, p. 5.
(٢٦) H. Pasdermadjian : Ibid., p. 6.
(٢٧) Groussot : L'Empire du Levant, p. 312.
(٢٨) Burkitt : Early Eastern Christianity. p. 20 - 30
(٢٩) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص و .
(٣٠) The Chronography of Bar Hebraeus. V. 1. p V

واستخدم ابن العبرى فى كتاباته جولية ميخائيل السريانى . ويبد كتابه بنشـــاة الخليقة وانتهى بوفاته ١٢٨٦م (٣١) .

وابن العبرى هو جريجوريوس ابو الفرج بن هرون . ولد فى ملطية ١٢٢٦م . كان يجيد اليونانية والسريانية والعربيـــة واشتغل بالفلسفة واللاهوت والطب عن ابيه وغيره من مشاهير أطباء زمانه . عمر ابو الفرج ستين سنة وتوفى فى مدينة مراغـــة من اعمال اذربيجان ١٢٨٦م(٣٢) .

اما عن المصـــادر العربية المطبـــوعة فاهمها كتاب « ذيل تـــاريخ دمشق » لابن القلانسى (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) وهو تاريخ لمدينة دمشق من ســـنة ٣٦٣ هـ الى سنة ٥٥٥ هـ وهو ذيل لتاريـــخ هلال الصـــابى . ويذكر ابن القلانسى انه اعتمد فى أجزاء منـــه على الثقات وفى أجزاء اخرى على البحث والتنقيب بنفســـه(٣٣) . والحقيقـــة ان الكتـــاب يعـــتبر مصـــدرا هـــاما لتاريخ الشـــام وليس لدمشق فقط فى عصر امارة الرها الصليبيـــة .

ثم يليـــه كتـــابى ابن الاثير الجزرى (٥٥٥ — ٦٢٠ هـ / ١١٦٠ ١٢٢٣م) وهما :

١ — الكامل فى التـــاريخ .

٢ — التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية (بالموصل) .

امـــا الكتـــاب الاول فهو من اهم الكتب التى خدمتنا فى بحثنا هـــذا فى غالبيـــة النقاط ايضـــا . والواقـــع ان ابن الأثير نال شـهرتـــه عن طريق هـــذا الكتاب ، كمؤرخ من مؤرخى القرن الســـادس باعتبار مولده وباعتبار نصف القرن الذى عاشـــه فيه ، ومن رجال القرن الســـابع باعتبار وفاته وباعتبار مدة ثلث القرن الذى عاشه فيه(٣٤) . وفى كتابه هـــذا جمع اخبار العالم الاســـلامى شرقه وغربه وما بينهما ، وهـــذا مالم يسبقه اليه احد . وقـــد بدا تاريخه منـــذ نشـــاة الخليقة حتى ســـنة ٦٢٨ هـ (٣٥) .

---

(٣١) The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, p. vii.

(٣٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص حـ ، هـ .

(٣٣) ابن لقلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٣ .

(٣٤) مقدمة محقق التاريخ الباهر لابن الأثير : ص ١٤ — ١٥ مقدمه .

(٣٥) نفس المصـــدر ص ١٥ .

واما الكتاب الثانى فهو الذي عاصر المؤلف احداثه . وفى نفس الوقت عاصرت احداث الكتاب احداث بحثنا وكان من اهم المصادر الثقة لنا عند تناولنا للعلاقات بين امارة الرها الصليبية وبين الموصل وعلى وجه الخصوص عند الكلام عن لتابكة الموصل وعلى راسهم عماد الدين زنكى مؤسس « الدولة الأتابكية » ، موضوع كتاب الباهر نفسه(٣٦) — كذلك عند كلامنا عن سقوط امارة الرها سواء فى المرة الأولى ١١٤٤م ٥٣٩هـ او الثانية ١١٤٦م — ٥٤١هـ على يد عماد الدين زنكى ثم على يد ابنه نور الدين .

كذلك كتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لأبن العديم (بت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) الذى عنى بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الدكتور سامى الدهان . اعتمد ابن العديم على الأثار الباقية والسجلات والمخلفات المكتوبة واتخذ النقود سبيلا الى تحديد اسماء الولاه والحكام والقضاة واتخذ الأحجار والنقوش والأبنية مصدرا لمعرفة السنين والشهور . وبسط العادات والألبسه والتقاليد ونقل الكتب والتوقيعات والرسائل ليصل الى الغاية التى أرادها وهو فى هذه الخطة لا يختلف عن مؤرخى العالم الغربى اليوم ، ومن الغريب أن يتبع المنهج الحديث رغم وفاته سنة ٦٦٠هـ (٣٧) .

والواقع أن من اهم النقاط التى افادنا فيها تاريخ ابن العديم ما يتعلق بالعلاقات الرهوية الاسلامية خاصة علاقة الرها بحلب .

هذا الى جانب الاستفادة من بعض اشارات وردت فى كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (٤٨٨ — ٥٨٤هـ / ١٠٩٥م — ١١٨٨ م) (٣٨)

اما اهم المخطوطات العربية التى افادتنا بصورة واسعة ، مخطوطة تاريخ الدول والملوك لابن الفرات . الموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١٩٧ تاريخ . والتى جاء فى مقدمتها انه يرتب الحوادث فى تاريخه على السنين وذكر الوفيات فى آخر كل سنة . بدأ ابن الفرات من أول

---

(٣٦) المصدر السابق ص ١٥ .
(٣٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، مقدمة الناشر ص ١٠ — ١١ .
(٣٨) اسامة بن منقذ : الاعتبار ، مقدمة المحرر فيليب حتى ، طبعة برنستون ١٩٣٠ .

القرن السادس الهجرى اى بسنة ١٠٥هـ وقيل انه وصل فيه الى سنة ٨٠٣هـ . لكن الذى بهذه النسخة ينتهى الى ٧٩٩هـ ، فيبدو أن المجلد الأخير مفقود .

ولد ابن الفرات عام ٧٣٥هـ وتوفى ليلة عيد الفطر ٨٠٧هـ واعتمد فى تاريخه على مجموعة هامة من مؤرخى التاريخ الاسلامى سواء المعروفين للباحثين فى التاريخ أو هؤلاء الذين فقدت مؤلفاتهم ولم تصلنا .

هذا الى جانب مجموعة كبيرة اخرى من المخطوطات اهمها مخطوطة (نهاية الأرب وفنون الادب للنويرى (ت ٧٣٢هـ) ، التاريخ المظفرى لابى الدم الحموى (٦٤٢هـ) وهو ميكرو فيلم بالجامعة العربية وتاريخ ابو الهيجاء (ت ٥٨٩هـ) وهو ميكرو فيلم ايضا .

وبالاضافة الى هذه المصادر فاننا رجعنا الى عدد كبير من المراجع الحديثة الانجليزية والفرنسية والعربية وكلها مذكورة فى ثبت المصادر والمراجع ، فى نهاية البحث ، واستفدنا فائدة كبرى مما فيها من آراء ووجهات نظر .

تمهيد

نعل المدخل الطبيعى لهذا الموضوع هو تفسير اسم الرها واعطاء فكرة موجزة عن تاريخ هذه المدينة القديم واهمية موقعها ودورها فى المسيحية وعلاقتها بالأرمن وبالدولة البيزنطية .. الى غير ذلك من النقاط التى تلقى ضوءا على احوال الرها عند استيلاء الصليبيين عليها سنة ١٠٩٨م/٤٩٢هـ .

اما عن اصل مدينة الرها ، فان ميخائيل السريانى يذكر فى تاريخه نقلا عن باسيليوس (Basilius) مطران تلك المدينة انه « بعد الطوفان الذى حدث فى عهد نوح ، بنى الملك (نمرود بن كنعان) هذه المدينة » (١) يشاركه فى هذا الراى ابن العبرى (٢) وان كان يبدو فى نظرنا ان هذه الرواية لا تعدو اسطورة من الاساطير العبرية القديمة(٣) . كذلك يذكر باسيليوس ان نمرود لما بنى هذه المدينة اسماها (اورهاى Ourhai) وهو اسم سامى للرها فاطلق عليها اولا اسم (Our) اى مدينة ، ولما كان يسكنها الكلدانيون اضاف الى الاسم (hal) لتصبح مدينة الكلدانيين مثل (Our-Salem) اى بيت

---

(١) Chronique de Michel Le Syrien : T 111, F. 11, p. 278.

(٢) Bar Hebraeus : The Chronography of Gregory Abul Faraj, V. 1, p. 8.

فهو يذكر هنا « ان نمرود بنى ثلاثة مدن هى : الرها ونصيبين وسلوقية » .

(٣) Duval : Hist., Politique, Relig. et Litter. d'Edesse, p. 20, E.R. Hayes ، L'Ecole d'Edesse, p. 16.

وهما يذكران ان تلك الاسطورة تتطابق مع سفر التكوين (L'Erek de la Genese) بل ان الاخير يذكر أن ابراهيم قد زارها وهو ما ذكرته ايضا .

Encyclopaedia Britannica. V. 7. p. 969 (1768)

وان العرب قد اعطوا لبئر لايزال موجودا حتى الآن اسم (بئر ابراهيم) .

(م ٢ — الصليبيه)

المقدس (٤) .

أما ابن العبرى فقد ذكر فى مكان آخر من تاريخه : « أن اليونان القدماء قالوا ان (انوش Enoch) أو (هرمس (Hermes هو Harmis Tris Maghistos (٥) هو الذى علم الرجال ان يبنوا المدن ، وفى أيامه بنيت مائة وثمانون مدينة ، منها واصغرها ((Urhai - Edessa) » ويؤيد هذا الرأى آخرون (٦) .

ومهما يكن من أمر ، فان اقدم شكل لاسم الرها هو (Urhái) الآرامى الذى يظهر فى اللاتينى (Orrhei) (٧) وفى اليونانى (Orrhoeme) (٨) والمدينة فى اقليم يسمى (أوسروين Osrhoëné) فى السريانى ((Bet' Urháyé)) الذى نطقه العرب الرها (er - Ruha) (٩) بل قيل ان العرب سموها كذلك تحريفا من الاسم البيزنطى . (Callirrohöe) (١٠) . وهنا يشير دولوربية

---

(٤) Michel Le Syrien : Op. Cit. p. 278.
وهنا يشير احد القواميس الاثرية الى نفس الاسم بقوله (Orrhai) Dictionnaire D'artheologie ... T. 4, Part 2, p. 2064.
وفى القاموس الجغرافى التاريخى الدينى يذكر ان اسم الرها فى السريانية الشرقية (Orhây) وفى السريانية الغربية (Orhoy)
R. Aubert : Dictionnaire d'Hist. et de Geog. Ecclésiastiques T. 14, p. 1424.

(٥) هرمس هو رسول الآلهة عند الأغريق واله الطرق والتجارة والمكر (المنهل ، قاموس فرنسى عربى ص ٥١٥) ويذكر فى نفس القاموس ص ١٠٢٧ أن Trismégiste تعنى عظيم ثلاثا وهو لقب كان اليونان يطلقونه على الههم هرمس .

(٦) القرمانى ; أخبار الدول وآثار الاول ص (٥) ، Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 5, Duval : Op. Cit., p. 20.

(٧) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953.

(٨) Burkitt : Early Eastern Christianity, p. 6. وهو يذكر أن الاسم ليس له معنى معين .

(٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7., p. 953.

(١٠) Le Strange : The Lands of The Eastern Caliphate, p. 103.
أبن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ .

Dulaurier (١١) الى اسم الرهـــا بقوله « أن البطريرك السريانى ديونيسوس Dionysius if Tell Mahré قال فى تاريخه ان الرها تشتق اسمها من (اورهوى) وهو اسم ابن الامير خبيوا Hewyâ اول ملوك الرها والذى بـــدأ ملكه عـــام ١٢٦ ق.م »(١٢) .

ما ياقوت الحموى الجغرافى الأديب الذى عاش فى القرن الســـابع الهجرى ــ الثالث عشر الميلادى (ت ٦٢٦ هـ ــ ١٢٢٨ م) فيذكر أن المدينـــة سميت باسم الذى استحدثها وهو الرهاء بن البلندى ابن مالك ابن دمر . وقال ايضا عن ابن الكلبى فى الانساب ، الرهاء ابن ســـيند بن مالك بن دمر ، كما قال : انهـــا سميت بالرهـــا بن الروم ابن لنطى بن سام بن نوح(١٣). وفى موضع آخر ذكر انها سميت أيضا اذاسا(١٤) .

تعرضت مدينة الرها للخراب بعد بنـــائها الأول ، كما ذكر ميخائيل السريانى ، وظلت مهجورة حتى عهد الاســـكندر الأكبر(١٥). وذكر ابن شداد انه « فى السنة الأولى من تاريخ الاسكندر ملك سبولوقوس على سوريا

---

(١١) هو المترجم الفرنسى لقصـــيدة رثاء الرهـــا للشـــاعر الأرمنى نيرسيس شنور هالى
Nersès Schnorhali : Elegie sur la Prise d'Edesse ; (R.H.C.)
والتى ستأتى مقتد   منها ضمن الملاحق
Doc. Arm., T. 1, p. 227 - 268.

(١٢) حاشية لدولوريبه على البيت رقم (٤٠)
Nersès : Ibid., p. 239.
Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953.
هنا تعلق
...ه لا، هذا الاشتقاق ولا اى اشتقاق آخر يعتبر مرضيا حتى اليوم .
(١٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٩ ص ١٠٦ . وقد سماها (الرهـــاء) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ٢٧٥ .
(١٤) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ص ١٢٧ .
(١٥) Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 278.

ويابل وهذا الرجل بنى سلوقية وافاميه والرهـا وحلب واللاذقية »(١٦)
ويؤكد هذا (دوسو Dussaud) فيقول « تبرز الرهـا بين المدن التي
اسست في سوريا على يد Seleucus Nicator والتي اعطى كلا منها
اسما اغريقيا مثل سلوقية Seleucie ، اللاذقية Laedicée
الرهـا Edesse » (١٧) . والواقع أن سلوقس عندما اعـاد
تشييد مدينة الرهـا سنة ٣٠٤ ق . م اسماها « ادسا الجديدة » تقديرا
لعـاصمة المقدونيين القديمة (١٨) . ويعقب ميخائيل السرياني على ذلك
ويـؤكده بقـوله أن لفظ « ادسـا » الـذي اطلق على المدينـة في ذلك
الوقت كان معنـاه [عزيزتي — Cherie] (١٩) بما يحمل في طياته
روح الاجلال لعاصمة المقـدونيين القديمة .

وقيل ان الرها عرفت باسم انطاكية الكلرونيه في عهد انطيوخس الرابع
Epiphanes — Antiochus IV (١٧٥ — ١٦٤ ق . م) والدليل
على ذلك ما كتب على السكة التي ضربت في الرهـا في عهده (٢٠)
وقد ذكر تلك الاسم ايضـا (Pliny) ولو ان دوفال يذكر ان الذي دفعه
الى ذلك الاعـتقاد التباس اسم عاصمة (Osrhoëne) مع عاصمة
سـوريا (٢١)

---

(١٦) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ،
حـ ١ ق ١ ص ١٤ ذكر ذلك ايضا ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١
ص ١٢٧ من يحيى بن جرير .

(١٧) Dussaud : Topographie de la Syrie, p. 103, Cam. Ancient. Hist. V. XII, p. 493 (1939).

(١٨) E.R. Hayes : L'Ecole d'edesse p. 16, Duval, Op. Cit., p. 23.
ابن الشحنه : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ (حاشيه ليوسف بن اليـاس
سركيس الدمشقي) . وهنا تذكر
Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 993
ان ادسا اليونانية استمدت اسمها من عاصمة مقدونيا (ايجيه Aigai
القديمة والتي اصبحت بعد ذلك فودينا — Vodena . ثم يؤكد هذا
ايضا ما ذكر في Cam. Med. Hist.
Vol. IV, Part 1, p. 178, 185, 317, 318, 319.
ان ادسـا فيما بين النهرين غير ادسا المسماة فودينـا وهي احـدى
بلدان البلقـان .

(١٩) Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 278.

(٢٠) ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ (حاشيه ليوسف بن الياس
سركيس الدمشقي) .

(٢١) Duval : Op. Cit., p. 23.

وقد سميت المدينة ايضا ((Justinopolis)) اى مدينة جستين نسبة الى الامبراطور البيزنطى جستين الاول Justin I (٥١٨ — ٥٢٧ م) الذى اعاد ترميمها بعد فيضان اصابها (٢٢) . اما المؤرخون اللاتين فيعددون اسماءها فمنهم من يذكر ادسا Edessa (٢٣) وهو شائع لدى الكثير منهم . وهو ما ذكره الشاعر الأرمنى نيرسيس فى مرثيته عن الرها بعد سقوطها(٢٤) ، بل هو اسم لا يزال الفرنج يطلقونه عليها الى ايامنا هذه(٢٥) . كذلك بعض المؤرخين اللاتين يسميها Edissa (٢٦) او — Edyessa (٢٧) . والبعض الآخر يسميها (Rages) (٢٨) . ومنهم من يسميها — Callirhoe (٢٩) . او (Rohas) (٣٠) او (Roas) (٣١)

---

(٢٢) Dictionnaire d'Histoire et de Geographie, T. 14 p. 1422
كان ذلك الفيضان سنة ٥٢٥م (Évagre ; Hist. Eccl.) من

(٢٣) Cafari Genuensis : Liberatio Orientis : Hist. Occid. T. 5, part I, p. 71, Documenta Lipsanographica IX Tractatus de reliq. S. Slephani, Hist. Occid. T. 5, Part I, p. 317, 318, Baldrici, Episcopi Dolensis : Historia Jerosolimitana, (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 80. (حاشية).

(٢٤) البيت ٤٠١ (ايه ادسا ، مدينة الرها)
Nersès : Op. Cit., p. 239.

(٢٥) على سبيل المثال لا الحصر
William of Tyre : A Hist. of Deeds, Vol. 2, p. 116, Setton : A Hist. of the Crusades, V. 1, p. 389, Archer ; The Crusades, p. 147.

(٢٦) Theodori Paldensis : Narratio Profectionis Godefridi Ducis : Hist. Occid. T. 5, Part I, p. 194, Historia Gotfridi X - Anonymi Rhen. Hist. Et Gesta Ducis Gotfridi Hist. Occid. T. 5, Part 2, p. 504.

(٢٧) Ad Historiam Gestorum : Viae Nostri Lemporis Hieroso lymitanae, Hist. Occid. T. 5, Part 2, p. 752.
وهو يضيف أيضا أنها كانت تسمى عند تدوينه للكتاب باسم — Rahasia

(٢٨) Baldrici, Episcopi Dolensis : Op. Cit., p. 80 William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 189.

(٢٩) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Francos: (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 165.

(٣٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber V. (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 436, Liber III, p. 352.

(٣١) Theodori Polkdensis : Op. Cit. T. 5, Part I, p. 194.

أما الاسم الحالى للمدينة فهو أورفا Orfa أو Urfa (٣٢) الذى قيل أنه مستمد من اسمها الآرامى المبكر Urhai (٣٣) والواقع انه مهما تعددت الأسماء فالشائع من أسمائها هو الرها العربية وادسا الافرنجية واورفا الحالية .

فاذا انتقلنا الى تاريخ المدينة القديم ، بعد ان اعيد بناؤها بواسطة سلوقس فى القرن الرابع (ق . م) فاننا نجد الرها ظلت بعد ذلك هلينستيه الطابع وعاصمة لمملكة اوسروين (٣٤) التى كانت المعقل الرئيسى بين معاقل الثقافة السريانية فى زمن الامبراطورية الرومانية (٣٥). ثم كان أن انقسمت الدولة التى كانت تخص سلوقس بين الروم والفرس ، ووقعت أوسروين على الحدود بين الامبراطورية الرومانية والفارسية (٣٦) وحتى نهاية القرن الثانى الميلادى كانت الرها خارج الامبراطورية الرومانية وبالتالى داخل النفوذ الفارسى . وفى الحرب التى شنها الامبراطور تراجان Trajain على الفرس قاست الرها كثيرا اذ دمرت ونهبت على يد القائد الرومانى لوكيوس كيوتوس Lucius — Quietus سنة ١١٤م (٣٧) وقيل سنة ١١٦م (٣٨) وفى ذلك يقول جيبون : « صار حكام أوسروين الضعفاء بين شقى الرحى بين

---

(٣٢) : Grousset وحاشيه لدولوربيه (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 239 Hist. des Croisades, V. 1, p. 52, Cam. Anc. Hist. V. XII, p. 493, Le Strange : Op. Cit., p. 104.

(٣٣) Encyclopaedia Britannica, V. 7 p. 968, (1768), Le Strange : Ibid. p. 104 (AR. Ruhâ)

ويذكر الأخير انه تحريف للرها العربية

(٣٤) L.J. Tixeront : Journal Asiatique, T. XII, Paris 1888. p. 519

وكانت هذه المملكة تقع فى شمال غرب الجزيرة يحدها نهر الفرات والخابور وانها استقلت عن مملكة السلوقيين فى القرن الثانى قبل الميلاد وصارت مملكة مستقلة عاصمتها الرها .

(Cam. Anc. Hist., V. XII p. 493).

(٣٥) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969. (1768).

(٣٦) Cam. Anc. Hist., v. XII, p. 493.

Cam. Anc. Hist., V. XI, p. 249.

(٣٧) يذكر ان ذلك القائد الرومانى خرب الرها ونصيبين واحرقهما فى هذه السنة .

(٣٨) Burkitt : Op. Cit., p. 8, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 994 عن (E. Honigmann).

الامبراطوريتين المتنافستين ، وكانوا يميلون الى جانب الفرس ولكن كفة روما كانت أرجح فاكرهتهم على الخضوع لتبعيتها .. وبعد انتهاء الحرب الفارسية على يد ماركوس Marcus تشككت روما فى اخلاصهم وولائهم لها ، فاقامت الحصون فى أجزاء عديدة من البلاد وثبتت حامية رومانية فى بلدة نصيبين القوية ، كما أرسل ابجر التاسع Abgar IX آخر ملوك الرها مقيدا فى الأغلال الى روما ، بعد ان حددت مناطق نفوذه وصارت بلاده ولاية رومانية . وبهذا حصل الرومان على مركز ثابت ودائم فيما وراء الفرات » (٣٩) . وهكذا دخلت الرها تحت الحكم الرومانى سنة ٢١٦ (٤٠) وقد دخلت المدينة لفترة من الزمن ضمن مملكة تدمر (٢٥٧ - ٢٧٣ م) (٤١) تحت حكم اذينه Odainath وزنوبيا — Zenobia — وذلك منذ ٢٦٠ الى ٢٧٣م (٤٢) .

اما عن مكانة الرها فى ظل المسيحية فقد ذكر ابو الهيجاء ان الرها كانت من اشرف المدن عند النصارى واعظمها محلا وهى احدى الكراسى المطرانية (٤٣) . فاشرفها بيت المقدس ثم انطاكية ثم رومية ثم القسطنطينية والرها (٤٤) .

---

(٣٩) Burkitt : Ibid., p. 8, 9.

(٤٠) Burkitt : Ibid., p. 9, Dictionnaire d'Histoire et de Geographie, T. 14, p. 1422.

(٤١) Lammens : La Syrie p. 12. وهى التى سماها اليونان بالميرا — Palmyra وهى تقع أقصى شمال دمشق فى الصحراء الكبرى فى واحة Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 1020. Dictionnaire D'Archeologie, T. 4, Part 2, p. 2087.

(٤٢) Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 994, 995.

(٤٣) أبو الهيجاء : تاريخه ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث ٥٣٩ هـ .

(٤٤) أبو شامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، ابن الأثير : الباهر ، تحقيق طليمات ، ص ٦٦ - ٦٧ ، ابن قاضى شهبه : الدر الثمين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ . (١) البـاب السـابع ٥٣٩ هـ .

ويقال انه من اسباب ارتفاع مكانه مدينة الرهـا الدينية ، انها تضم رفات بعض الحواريين مثل توما وتداوس (٤٥) ، هذا فضلا عما اشار اليه ابو زيب اسقف قيصرية فى كتابه عن تاريخ الكنيسة من خطاب ملكها ابجر الى السيد المسيح (٤٦) .

وقد اشتهرت كنيسة الرهـا الاولى بانها كانت مقر مطران ما بين النهرين (٤٧) وعندما قامت فى الرهـا جالية مسيحية صـارت احد المراكز الاولى لهذه الديانة الجديدة ، واتخـذت المسيحية فيـها طابعا قوميـا حيث انها ظلت تتكلم السريانيـة واحتفظت بحكامها وثقـافتها الوطنيـة (٤٨) .

اما عن الرسائل المتبـادلة بين المسيح عليـه السـلام وابجـر ، وما يرتبط بهـا من صورة المسيح او منـديله ، ثم اشتراك الرهـا فى ترجمة الانجيل فكلها نقـاط جديرة بالاشـارة . ذلك ان ابو زيب اكد ان الملك ابجر — الذى كان مصابا بمرض مزمن لا امل فى الشفاء منه (٤٩) — ارســل الى المسيح خطابا مع حنـان — Hanânyâ او Hannan قال فيـه : « من ابجر حاكم الرهـا الى يسوع المخلص الصالح الذى ظهر فى نواحى اورشليم ، السلام . انتهى الى امرك ومـا تصنعه من

---

(٤٥) الجيل متى الفصل العاشر (٣) ، العهد الجديد طبعة المرسـلين اليسوعيين بيروت ١٩٣٧ .

Gesta Francorum : Op. Cit. (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3 p. 543

(٤٦) William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 144, Archer : Op. Cit., p. 60.

(٤٧) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 241.

(٤٨) Burkitt : Op. Cit., p. 10, 11.

(٤٩) E.R. Hayes : Op. Cit. p. 27, Burkitt : Ibid., p. 11

وابجر هذا هو الذى كانت كنيته الاسود

(Duval : Op. Cit., p. 83)

وهنـا يذكر الدبس : تاريخ سوريا ، ج ٢ م ٣ ص ٥٣ — ٥٤ ، ان الاسود من باب الاضداد لان مرضه كان البرص وجسمه كله ابيض » ويشـير نيرسيس فى مرثيتـه للرهـا الى ابجر على انه مؤسس مدينـة الرهـا (البيتين ١٧٣ — ١٧٤) فهو يقول : اذ ان الملك ابجر قد شادنى هنـاك لكن دولوريه يعلق على ذلك بانه Nersès : Op. Cit., p. 232 ليس المؤسس لكنه من اشهر من اعتنى بتعميرها واصلاحها . والراجح ان ذلك التعليق صحيح لاننـا لم نعثر على ما يؤيد راى نيرسيس ضمن مصـادرنا .

الشفاء دون عقاقير وادوية فقد ذاع انك تبرىء العميان وتشفى البرص وتطرد الشياطين والأرواح الردية وتشفى المرضى امراضا عضالة وتقيم الموتى ، فلما بلغنى هذه الأمور عنك رايت فى نفسى انك اما اله حقيقة هبط من السماء وضع هذه الآيات واما انك ابن الله حقا ، ولذلك كتبت اليك سائلا ان لا تأنف من ان تزورنا وتبرىء أمراضنا ، قد سمعت ان اليهود يشناونك ويحاولون قتلك ولى مدينة جميلة وان صغيرة تكفينى وتكفيك » (٥٠) .

وكان ان رد المسيح قائلا : « طوباك يا ابجر لانك آمنت بى دون ان ترانى فقد كتب عنى أن من يروننى لا يؤمنون بى ومن آمنوا ولم يرونى فلهم الحياة . قد كتبت الى أن آتى اليك ولكن يلزمنى ان اكمل كل ما ارسلت من اجله واذا تممت ذلك صعدت الى من ارسلنى وبعثت اليك حالا واحدا من تلاميذى يبرىء مرضك ويوليك وجميع ذويك الحياة» .(٥١)

بل ان بوركيت يضيف فى آخر رد المسيح — الذى نقله عن ابو زيب — تلك الكلمات « سيحفظ بلدك ولن يسود عليه اى عدو ابدا » (٥٢) . أما المصدر الأرمنى المتمم لتاريخ متى الرهاوى فيشير الى أن خطاب المسيح لابجر انتهى بتلك الكلمات « ان المجاعة والفناء لن يدخلا ابدا تلك المدينة »(٥٣) . وهكذا تضمن خطاب عيسى المسيح الى ابجر بركة منحت خصيصا لمدينة الرها مع الوعد بأن لا يتمكن أحد الأعداء ابدا من التغلب عليها . ويبدو أن هذا الوعد أصبح مادة مألوفة عند الرهويين ، مما ضاعف من شهرة تلك المدينة(٥٤) .

لذلك سميت « الرها المقدسة » او « الرها المباركة » وقد سمى كثير من ملوكها باسم ابجر وعدد ديونيسيوس تسعة وعشرين منهم بهذا الاسم (٥٥) .

اما صورة المسيح التى تعتبر الأثر الثانى المقدس الذى زاد من مكانة

---

(٥٠) الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٢ م ٣ ص ٥٤٤ .
(٥١) نفس المصدر والصفحة .
(٥٢) Burkitt : O.p Cit., p. 14.
(٥٣) Chronique de Grégoire Le Prêtre (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 159.
(٥٤) E.R. Hayes : Op. Cit., p. 29 - 30, Burkitt : Op. Cit., p. 15
(٥٥) الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٢ م ٣ ص ٥٤٥ .

المدينة فنقرأ عنها الكثير من التسميات ،فالبعض يسميها منديل المسيح(٥٦) او منـديل عيسى بن مريم(٥٧) والبعـض يسميها الفيرونيـكا (٥٨) او للورنيقـة (٥٩) وهنـا تختلف الآراء ، هل تلك الصورة كانت بيد بشر ؟ لم أنها رسمت بطريقة الهية ؟

وفقا لراى بن العبرى ، يقـول : « ان أبجر ملك الرهـا أرسـل الى المسيح يطلب منه أن يراه فمسح المسيح وجهه فى منـديل انطبعت فيـه تقاطيعه وارسله اليـه (٦٠) »ويتـفق مع هـذا الـرأى ما ذكره دولوربيه (٦١) و — Ostrogorsky الذى يذكر « انه المنديل المقـدس الذى لم يصنع بأيدى انسان (٦٢) ». والواقع أن هناك تفسيرا آخر يقترب من ذلك الراى وهـو « انه صورة المسيح طبعت على القمـاش الذى قـدمه له القديس فيرونيكا ليمسح حاجبه حينما حمل صليبه وهو فى طريقه الى مكان الصلب (٦٣) فى حين انفرد Bar, Bebraeus, Burkitt براى آخر هو « ان الملك ابجر ارسـل رساما يسمى حنـا لابلاريوس John Labellarius فرسم صـورة لوجـه السيد المسيح على

---

(٥٦) القرمانى : اخبار الدول وآثار الاول ص ٤٥ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب ص ٢٠١ ويذكر لوسترانج ان المسعودى : Le Strange Op. Cit. p. 103. يسميه (منـديل المسيح النـاصرى) اما Gesta Francorum : Op. Cit. ... T. 3, p. 543 فيـذكر أنهـا « صورة المسيح ارسلت مع الرسول تاديوس فى منشفه » .

(٥٧) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٠٤

(٥٨) Haytonus : Flos Historiarum Terre Orientis (R.H.C.) Doc. Arm. T. 2, p. 270 وهنـا يعود (لوسترانج) فيذكر أنها أحد الفيرونيكات العـديدة : لكن هل فيرونيكة الرهـا هى الموجـودة الآن فى روما او جنوا ؟ لم يستقر الراى بعد(Le Strange Op. Cit., p. 104)

(٥٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969 (1768).

(٦٠) ابن الأثير : الكامل, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 162, حـ ٦ ص ٢٩٤ ، ابن الســاعى : اخبـار الخلفاء ، مخطوط تاريخ تيمور رقم ٩٠٢ ص ٨٠ .

(٦١) فى تعليق دولوربيـه على البيت رقم (٤٠) ص ٢٢٧ فى قصيدة نيرسيس يذكر » أن ابجر ملك الرهـا سمع عن المسيح فارسل اليـه رسالة يعبر له فيها عن اعجابه واشتياقه اليـه طالبا فى الوقت نفسه رسمه . ويقـال ان المسيح اتخـذ منديلا وضـغط به على محيـاه فانطبعت فيه ثم ارسله لأبجر » .

(٦٢) Ostrogorsky : History of the Byzantine State, p. 246

(٦٣) The American College Dictionary, p. 1351.

لوحـــة أحضرها لابجر » (٦٤) ولو أن ابن العبرى يشترك فى الراى الأول، فربمـــا نقل الرأيين فى موضعين مختلفين .

ومهما يكن من أمر فقد ظلت تلك الصورة المعجزة ، موجودة فى الرها حيث اعتبرت الحامية للمدينة Palladium (٦٥) . ويقـــال ان ذلك الاثر المقـــدس ظل موجـــودا فى الرهـــا الى سنة ٣٣١ هـ . ٩٤٣ م فى عهد الخليفة المتقى لله العبـــاس حين ارسل ملك الروم يطلب منـــه المنديل الذى كان موجودا فى كنيسة الرهـــا . وقد اغراه ان فعـــل ذلك باطلاق سراح عـــدد كبير من أسرى المســـلمين . فاحضر المتقى لله القضـــاه والفقهاء واستفتاهم فاختلفوا فقـــال بعضهم ان تسلم وراى الآخـــر الا تسلم قائلين : « ان هـــذ المنـــديل لم يزل من قـــديم الدهر فى بلاد الاسلام لم يطلبـــه ملك من ملوك الروم ، وفى دفعه اليهم غضاضة »(٦٦) وكان فى الجماعة على بن عيسى الوزير فقـــال : « ان خلاص المسلمين من الأسر ومن الضر والضنك الذى هم فيه أولى من حفظ ذلك وارســـل الى الملك من يتسلم الاسرى من بلاد الروم فاطلقوا » (٦٧) .

أما دور الرهـــا فى ترجمة الانجيل ، فقد كانت المدينـــة مركزا لجالية

---

(٦٤) Burkitt : Op. Cit., p. 13, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1 ; p. 48

(٦٥) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969, (1768).
وهنـــا يذكر المورد القاموس الانجليزى عربى ص ٦٥٢ تفســـيرا لتلك الكلمة بأنها تمثال (بالاس اثينـــا) آلهة الحكمة عند الاغريق ، وكانوا يعتقدون أن سلامة مدينة طروادة مرهونة به .

(٦٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٦ ص ٢٩٤ ؛ ابن الســامى : أخبـــار الخلفـــاء ، مخطوط ، تاريخ تيمور ، رقم ٩٠٢ ص ٨٠ .

(٦٧) المصدرين السابقين لنفس الصفحات . وهنا يعقب ابن العبرى فى تاريخـــه :
« ان المتقى جمع الكتاب الموثوق فيهم وسالهم ، هل القـــانون يخول لهم مثل تلك الذريعـــة كما هو للمسيحيين أم لا ؟ فاجابوا ؟ « بالرغم من انه افراط فى حق لنـــا للتبرك بهذه الصورة المطبوعة على القماش ، ولكن يجب اعطاؤهـــا لهم لأن المسلمين يقاسون من الجوع والعرى »
(Bar Hebraeus : V. 1, p. 163)

يهودية كبيرة قبل أن تتأثر بالمسيحية (٦٨) . ولما ذهب اليها (آديا(٦٩)) اوتداوس نزل عند احد يهود فلسطين ونجحت مواعظه الدينية بين اليهود (٧٠) . ويروى أن (آديا) ارسل بعض المؤمنين الى بيت المقدس ليترجموا العهد القديم من العبرية الى السريانية (٧١) . وتشير شواهد مختلفة أن هؤلاء المترجمين لم يكونوا يهودا متمسكين بعقيدتهم ولا وثنيين وانما كانوا يهودا تحولوا الى المسيحية Judéo — Chretiens (٧٢) والواقع أن ترجمة العهد القديم الى السريانية عن العبرية وبوجه خاص الاسفار الخمسة الأولى منه توحى بان هذه الترجمة عمل فردى قام به شخص على معرفة طيبة بالعبرية (٧٣) وربما تمت ترجمة العهد القديم إلى السريانية في الرها نفسها وليس عن طريق بعض اهلها اليهود في فلسطين أو القدس . ويؤيد Duval هذا الرأى فيقول : « ان ترجمة العهد القديم تمت حوالى منتصف القرن الثانى في الرها نفسها » (٧٤) .

وفي حوالى سنة ٢٠٠ م اعيد تأسيس كنيسة الرها من جديد على أسس من الاتحاد الوطيد مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية داخل الامبراطورية الرومانية . وتم ذلك تحت رآسة الأسقف بالوت ، ويعنى هذا أن كنيسة الرها اتخذت اتجاها غربيا (٧٥) . بعد أن كانت محافظة على طابعها وكان أن حمل ذلك الاسقف اليها ترجمة من العهد الجديد — أو بمعنى آخر الأناجيل الأربعة الأولى من العهد الجديد

---

(٦٨) Duval : Op. Cit., p. 85 - 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 28, Cam., Anc. Hist. V. XII, p. 494, L.J. Tixeront : Jour. Asiatique, T. XII, Paris, 1888, p. 518.

(٦٩) Duval : Ibid., p. 86, E.R. Hayes : Ibid., p. 28
أما كتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ، جـ ١ ص ٦٣ فيسميه (يهوذا اوثاديوس اوليبادس) .

(٧٠) Burkitt : Op. Cit., p. 72.

(٧١) اما E.R. Hayes : Op. Cit., p. 36, Cam. Anc. Hist. V. XII, p.494 فيذكر أن الجالية اليهودية في الرها وفي نصيبين هم الذين ترجموا العهد القديم الى السريانية .

(٧٢) E.R. Hayes : Ibid., p.p. 36 — 37.

(٧٣) Burkitt : Op. Cit., p. 71.

(٧٤) Duval : Op. Cit., p. 110.

(٧٥) Dictionnaire d'archeologie .. T. 4, Part. 2, p. 2082, 2088, L.J. Tixeront : Journal Asiatique, T. XII, Paris 1888, p. 518, Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953.

=

مع سفر اعمــال الرسل ورسـالات بولس الانجيلية الاربعة عشر ونسخة من العهد القديم نقحت تنقيحا بسيطا عن اليونانية ، ووسمت بترجمات عن اليونانية (٧٦) ويبدو أن هذا الاتجـاه نحو التقـارب من الكنيسـة الشرقية قد أثـار كثيرا من الاضطرابات فى الرها وهى الاضطرابات التى راح ضحيتها بعض الشـهداء ، أشهرهم الأسقف برسوما — Barsamya فى منتصف القرن الثالث لكن الأسقف رابولا — Rabbûla (٤١١ — ٤٣٥م) أنهى تلك الاضطرابات فى الرهـا (٧٧) ■

وهكذا يبدو لنـا من هـذا العرض الموجز اهميـة الرهـا فى تاريخ المسيحية المبـكر .

اما عن دخول الرهـا فى حوزة المسلمين ، فقد تم ذلك سنة ١٨هـ (٧٨) فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم وتم ذلك صلحا ، فعندمـا نزل عياض ببـاب الرهـا واشتبك الجانبـان أرسـل بطرق المدينة يطلب الأمان « فصـالحه عياض على أن أمن جميع أهلها على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم » (٧٩) وفى عهد معـاوية الأول أعيد بنـاء جزء من كنيسة الرهـا القديمة كان قد دمره أحد الزلازل (٨٠) . أما فى عهد عبد الملك ابن مروان فقد بنى هذا الخليفـة الأموى كنيسـة للتعميد بالرهـا (٨١) .

■ هنـا يضيف أغناطيوس افرام الثانى : مقـاله فى سـورية ص ٢٣ (عنى السريان منذ القـديم فنقلوا الى لغتهم الرهاوية جملة من التآليف اليونانيـة الدينيـة والعلميـة والتـاريخية والادبيـة وانتشرت على يدهم تصانيف الاقدمين الى العربيـة . واتصـلت الينـا كتابات شتى بالسريانيـة الرهـاوية منقوشـة بالقـلم الاسطرنجيلى (نشر بعضها العـالم المستشرق يونيون فى جـامع الكتابات السـامية Inscriptions — Sémitiques — فى المـائة الأولى قبل الميلاد على حجر فى جوار الرها .
والخط الاسطرنجيلى هو خط المسيحيين الشرقيين Nastorians.
I.J. Gelb : A Study of Writing, Chicago, 1952, p. 187.

(٧٦) Burkitt : Op. Cit., p. 77.

(٧٧) Burkitt : Ibid., p. 49, Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969, (1768).

(٧٨) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٧ (مطبعة السـعادة بمصر ١٩٥٩) ، الطبرى : تاريخـه حـ ٣ ص ١٩٣ ، ١٩٤ (١٩٣٩م — ١٣٥٧هـ ولو أن الطبرى فى موضع آخر يذكر أن ذلك كان سنة ١٩ هـ (حـ٣ ص١٥٥) ولكن الراجح أن ذلك كان سنة ١٨ هـ .

(٧٩) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٧ .

(٨٠) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954.

(٨١) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 105.

وفى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور هدمت جـدران الرها المتينـة التى كانت قـد بنيت فى عهد سلوقس ومارافريم — Mar Ephrem (٨٢) لكن اهـالى الرهـا إعادوا بناءها على نفقتهم فى عهد الخليفة المـأمون سنة ٨١٤ م (٨٣) .

ظلت الرها تابعة للحكم الاسلامى حتى دخلت تحت نفوذ البيزنطيين فى بداية القرن الحادى عشر الميلادى عندما اعتلت الأسرة المقدونية عرش بيزنطة (٨٦٧م — ١٠٥٦م) فكانت المرحلة الأولى من حكمها وهى التى امتدت حـوالى قرن ونصف من ٨٦٧ حتى ١٠٢٥م المع فترة فى تـاريخ الامبراطورية السياسى والحضارى حتى لقـد اطلق عليها المؤرخون اسم (العصر الذهبى) للامبراطورية البيزنطية (٨٤) .

والواقع ان البيزنطيين تحـولوا فى القـرن العـاشر من نـاحيـة حدودهم مع المسلمين من الدفاع الى الهجوم واعتبر هـذا القرن عصر صحوة بالنسبة لبيزنطة (٨٥) . وكان من أهم العوامل التى أدت الى اتخاذ البيزنطيين سياسـة الهجـوم فى ذلك القـرن هو رغبتهم فى اسـتعادة مستعمراتهم القديمـة فى الشرق الأدنى ؛ تلك المستعمرات التى فقدوها فى القرن السـابع الميلادى عندما قـام العرب بحركة فتوحاتهم الكبرى ، وازدادت شدة تلك الرغبـه نتيجة لمـا شـعر به البيزنطيون من نمو قوتهم فى القرن العـاشر الميلادى (٨٦) .

ففى عهد الامبراطور قسطنطين السابع (٩١٣ — ٩٥٩م) وبالتحديد سنة ٩٤٣ م استولى القـائد حنـا كوركواس — John Curcuas

(٨٢) فهو يذكر انه عندمـا Michel Le Syrien, Op. Cit., p. 279.
اراد الخليفة ابو جعفر المنصـور — الدوانيقى — أن يبنى قصر فى الرقه ، ارسـل الى الرهويين يطلب بعض اعمـدة صغيرة من الرخـام من تلك التى كانت مكدسة فى الكنيسة الكبيرة . فلم يعطوه شيئا وجعلوه يثـور فذهب واقـام الحصـار على تلك المدينـة ودمر هيـكل مارسـرجيوس Mar Sergius وفى اثنـاء الحصار سقط ذلك الجدار العجيب ولم يبق منـه سوى دور واحد .

(٨٣) Michel Le Syrien : Ibid., p. 279, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 125.

(٨٤) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ص ٦ . وهنا يشير Ostrogorsky : Hist. of the Byzantine, p. 187, (1957) ان العصر الذهبى للامبراطورية البيزنطية يمتد من ٨٤٣ — ١٠٢٥م .

(٨٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ ١ ص ٥٨ .

(٨٦) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ٨٨ — ٨٩ .

على ميافارقين وآمد ودارا ونصيبين ثم توجه الى الرها فحاصرها ثم عاد الى القسطنطينية سنة ٩٤٤ م بعد ان اخذ من الرهـــا منديل المسيح الذى كان موجود بها منذ عهد الملك ابجر (٨٧) .

وفى سنة ٩٤٩م استولى البيزنطيون على مرعش وفى ســـنة ٩٥٨م اســـتولوا على سميساط (٨٨) وفى ســـنة ٩٦١ استولوا على عين زربه ومرعش ورعبـــان ودلوك (٨٩) .

اما فى عهد الامبراطور نقفور فوقاس (٩٦٣ — ٩٦٩ م). فقد حاول هـــذا الامبراطور بنفســـه الاستيلاء على انطاكيا ســـنة ٩٦٦م لكنـــه لم يستطع وعـــاد الى القسطنطينية لكن المدينـــة سقطت بيد قـــائدين بيزنطيين فى ٢٨ اكتوبر ٩٦٩ م وهذان القـــائدان همـــا Peter Phocas وميخائيل البرجى — Michael Burtzes (٩٠) .

ثم استنجد قرغويه حاكم حلب بالروم ضد سيده ابى المعالى بن سيف الدولة وذلك فى اواخـــر سنة ٣٥٨هـ(٩١)/٩٦٩م وبالفعل قـــدم الروم فى بداية سنة ٣٥٩ هـ لنجدته وانسحب ابو المعـــالى عن حلب (٩٢) وعقدت هدنة بين قرغويه وبين الروم (صفر ٣٥٩ هـ — يناير ٩٧٠م) (٩٣) كان من اهم شروطها تبعية حلب للبيزنطيين (٩٤) . وهكذا خضع شمال بلاد الشام

---

(٨٧) Ostrogorsky : Ibid., p. 245, Cam. Med. Hist., V. 4, Part 1, p. 718 — 719.

(٨٨) Ostrogorsky : Ibid., p. 250.

(٨٩) Ostrogorsky : Ibid., p. 252.

(٩٠) Ostrogorsky : Ibid., p. 257. كان الاستيلاء على انطاكية فى ذى الحجة سنة ٣٥٨هـ (يحيى بن سعيد الانطاكى : تاريخ الذيل ص١٢٥ (باريس ١٩٢٤)

(٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ١ ص ١٦١ « كان الحاجب قرغوية قد تولى شئون حلب مع ابن استاذه ابو المعالى ســـعد الدولة بن سيف الدولة الحمدانى . وذلك فى ربيع الاول سنة ٣٥٦ هـ بعد وفاة سيف الدولة (ابن العـــديم : حـ ١ ص ١٥٥ ، الغـــزى : نـــهر الذهب ، حـ ٣ ص ٦٤) ثم استولى قرغويه على حلب وطرد منها سعد الدولة وذلك فى المحـــرم سنة ٣٥٨ هـ (الغزى : المصـــدر الســـابق ص ٦٥) .

(٩٢) ابن العديم: المصدر السابق ص ١٦٣ ، يحى بن سعيد الانطاكى : تاريخـــه ص ١٢٥ .

(٩٣) سعيد عاشـــور : الحركة الصليبية حـ ١ ص ٦٣ ، عمر كمال : مقـــدمات العدوان الصليبى ص ١٠٦ .

(٩٤) تناول ابن العديم شروط المعـــاهدة بالتفصيل فى زبدة حلب ، حـ ١

=

فى اواخر الخمسينات من القرن الرابع الهجرى — خاصة انطاكية وحلب — للنفوذ البيزنطى (٩٥)

وفى عهد الامبراطور حنا تزيمسكس (٩٦٩ — ٩٧٦ م) فى خلال الفترة الممتدة من ٩٧٢ — ٩٧٥ م قـام هذا الامبراطور باربع حملات هـامة فى الشرق الادنى ، الثلاثة الأولى منها كانت فى شمال العراق فى اقليم الجزيرة فى الفترة الممتدة من ٩٧٢ الى ٩٧٤ (٩٦) .

أما حملته الرابعـة على بلاد الشـام سنة ٩٧٥ م فقد تميزت بروح صليبية ظاهرة ، برزت من خلال الرسالة التى ارسلها الامبراطور لحليفه آشوت الثـالث (٩٧) .

اما الامبراطور باسيل الثـانى (٩٨٧ — ١٠٢٥ م) فقد توجه مرتين الى شمال الشـام الأولى سنة ٩٩٥ م والثـانية سنة ٩٩٩ م دون أن يحقق اى نجـاح يذكر (٩٨) وفى بداية القرن الحادى عشر الميلادى عقدت معاهدة بين الفاطميين والبيزنطيين (١٠٠١ م) ولم يحدث بين الجانبين اى احتكاكات تذكر حتى نهاية عهد باسيل الثانى (٩٩) .

وفى عهد الامبراطور قسطنطين الثامن (١٠٢٥ — ١٠٢٨ م) يبـدو انه لم يكن هنـاك اى احتكاكات ايضـا اما فى عهد الامبراطور رومانوس الثـالث (١٠٢٨ — ١٠٣٤ م) فقد استولى جورج مانياكس George — Maniaces على الرها سنة ١٠٣١م (١٠٠) أو ١٠٣٢م (١٠١) / ٤٢٣ — ٤٢٤ هـ . فظلت ضمن الممتلكات البيزنطية حتى قدوم الصليبيين فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد (١٠٢) .

= من ص ١٦٣ : ١٦٨ ، تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١٣٦ ،.
Vasiliev : Hist. of the Byzantine, V. 1, p. 309, (1952).

(٩٥) Vasiliev : Ibid., p. 309.

(٩٦) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١١١ وقد تناول تلك الحملات بالتفصيل .

(٩٧) Otrogorsky : Op. Cit., p.p. 263 — 264. (1957).

(٩٨) Ostrogorsky : Ibid., p, 273. (1957).

(٩٩) Vasiliev : Op. Cit., V. 1, p. 311.

(١٠٠) Michel : Op. Cit., p. 280.

(١٠١) Ostrogorsky ; Op. Cit., p. 285, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 193, Cam. Med. Hist., V. 4, Part 1, p.p. 725 726.

(١٠٢) Cam. Med. Hist. : Ibid., p.p. 725 - 726.

ويفهم مما كتبه ميخائيل السريانى مدى الحب الذى كان يكنه اهل الرها للعرب ومدى كرههم للبيزنطيين . وربما يرجع الى اختلاف المذهب الدينى لمسيحيى الرهـا عن مذهب البيزنطيين ، فبينما كان المسيحيون فى الرها يؤمنون بأن للمسيح طبيعة واحدة،اخذ البيزنطيون بمذهب الطبيعتين (١٠٣). وقـد ذكر ميخائيل « انه عندما دخـل البيزنطيون الرهـا ، هجرها العرب الذين كانوا بداخلها ومعهم اطفالهم ، كذلك هجرهـا اهلها من المسيحيين ومعهم اطفالهم مثلما فعل العرب . ذلك ان اهل المدينـة المسيحيين كانوا قد الفوا العرب وعرفوا لغتهم وكتابتهم فى حين كانوا فى رعب من البيزنطيين بسبب هرطقتهم وميلهم للشر . وهكذا اخلى المسيحيون والعرب المدينة بعد ان اشعل احد العرب النار فيها فاحرقت المنـازل والكنائس وظلت المدينـة خاوية فى ايدى البيزنطيين » (١٠٤) .

ويبدو ان الرهـا استعادت حيويتها بعـد ان دخلت فى نطاق دولة فيلاريتوس الارمنى سنة ١٠٧٧م/٤٧٠هـ (١٠٥) .

وهكذا يبدو لنا من هذا العرض السريع لتـاريخ الرهـا حتى عصر الحروب الصليبية ان تلك المدينة لم تكن بمنأى عن التيـارات السياسية والحضـارية فى العصور القديمة والوسطى . ويرجع السر فى ذلك الى موقعها الهـام فى اقليم الجزيرة ، فقد كانت تكون مركزا هـاما فى الهلال الخصيب بحضاراته فى العصور القديمة ، فضلا عن وقوعها على طريق التجارة بين الشرق وبلاد الشام ، وعلى مفترق الطرق بين الامبراطوريات الكبرى التى عرفها العالم القديم مثل الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانيـة . فاذا اضفنا الى ذلك كله خصوبة الأرض التى تقع الرهـا وسـطها بين عـدة انهار شهيرة كالفرات ودجلة والبليخ ، ادركنا السر فى نشـاط تاريخ الرها وحيويته على مر العصور .

وظهرت اهمية هذه العوامل كلها من موقع وثروة طبيعية ، فى عصر

---

(١٠٣) كانت بداية ذلك الخلاف فى مجمع خلقدونيه (٤٥١ م) .
Charles Joseph Hefele : Hist. des Concîles, T. II, Part 2, p.p. 844 - 846, Hubert Jedn : Brève Hist. des Conciles, p.p. 42 - 43, R.P. Janin : Les Eglises Séparées, p.p. 4-5.

(١٠٤) Michel : Op. Cit., p. 280.

(١٠٥) اسد رستم : الروم ، جـ ٢ ص ١١٦ ، سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا الصغرى ص ١٣٨ عن (Brehier ; Vie Et Mort) Cam. Med. Hist : V. IV, Part 1, p. 628.

الحرب الصليبية عندما قامت فى الرها أولى الامارات الصليبية فى الشرق ، وهى الامـــارة التى شكلت خطرا كبيرا على خطوط المواصلات الاسلامية بين الموصـــل وحلب وبين بغداد وسلاجقة الروم فى آسيا الصغرى (١٠٦) ذلك ان امارة الرهـــا الصليبية لم تكن تسيطر على اهم الطرق التى تصل بين الجزيرة والساحل فحسب ، بل كانت أيضـــا اقرب من أية أمـــارة صليبية اخرى الى عاصمة الخلافة العباسية فى بغداد (١٠٧) هذا الى انها قامت بدور الحاجز بين الجزيرة والأتراك السلاجقة فى العراق وفى فارس من ناحية وبين الصليبيين فى بلاد الشـــام من ناحية اخرى(١٠٨) ، وبذلك تحملت الرهـــا شرقى الفرات وتل باشر غربيه مشقة عبء الدفـــاع عن الجبهة الشرقيـــة للوجود الصليبى فى الشرق الأدنى (١٠٩) هذا كله فضلا عن الصدمات التى تعرضت لها من جانب التركمان والأتراك من جهة الشمال وخاصة بنى أرتق الذين حكموا ماردين وحصن كيفا ونصيبين ودياربكر (١١٠)

وارتبط بتوسـع السلاجقة فى آسيا الصغرى فى القرن الحادى عشر ، دخول أعـــداد كبيرة من الأرمن الى الرهـــا . ذلك أن حركة انتشــــار السلاجقة فى آسيا الصغرى اتخـــذت اتجـــاها افقيـــا من الشرق الى الغرب ، عبر ارمينيا وكبادوكيا وفريجيـــا وايونيـــا ، حتى شملت جميع الجهات الشمالية والوسطى من شـــبه الجزيرة . أما الأقاليم الجنوبيـــة والشرقيـــة من آسيا الصـــغرى — حول طوروس وملطيـــة ثم الرهـــا وانطاكية — فلم يتجه اليها السلاجقة فى أول الأمر مما ادى الى عزل تلك

---

(١٠٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 175,
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦٠٤ (عن — Stevenson)
، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٢ (عن — Daussaud) .

(١٠٧) Edward Maslin Hulme : The Middle Ages, p. 478,
وهنا يذكر بريية انها كانت الحد المتطرف للفتوحات اللاتينية
Brehier : L'Eglise et l'Orient, p. 90.

(١٠٨) J. Prawer : Op. Cit. T. 1, p. 209.
(Duval : Op. Cit., p. 279).
هنا يشير دوفال انها حمت مجرى الفرات ومدخل سوريا من القوات التركية

(١٠٩) Vasiliev : Hist. of the Byzantine. V. 2, p.p. 56, 69,
Michaud : Histoire des Croisades, V. 1, p. 248,
Lammens : La Syrie, V. 1, p. 211.

(١١٠) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

المنطقة عن بقية بلاد الامبراطورية البيزنطية ثم وقوعها بين شقي الرحى في الصراع القائم بين البيزنطيين والسلاجقة في آسيا الصغرى . وكانت الامبراطورية قد منحت ملوك أرمينيا وامرائها ضياعا واسعة في اقليم كابادوكيا ، مما ترتب عليه هجرة اعداد كبيرة من الأرمن الى ذلك الاقليم في شرق آسيا الصغرى (١١١) . ولكن توسع الأتراك السلاجقة في كابادوكيا واستقرارهم في ذلك الاقليم ، جعل أولئك الأرمن يبحثون عن ماوى جديد ، فاتجهوا نحو اقليم قيليقية الجبلي في جنوب شرقي آسيا الصغرى ، وتركزوا في الجهات المحيطة بملطية والرها وانطاكية (١١٢) .

ولما كانت الرها قد غدت مدينة ارمينية بحكم الأرمن الذين نزحوا اليها واستقروا فيها ، فان هذا يدفعنا الى التعرف على وضع الأرمن في منطقة الشرق الأدنى في القرن السابق لوصول الصليبيين الى تلك المنطقة اعني القرن العاشر للميلاد .

اما عن موقع ارمينيا الجغرافي فيقول ياقوت : « ارمينيا الكبرى خلاط ونواحيها ، وارمينيه الصغرى تفليس ونواحيها » . ويضيف انها « سميت ارمينية بارمينا بن لنطا بن اومر بن يافث بن نوح عليه السلام وكان أول من نزلها وسكنها (١١٣) » . وهي في العصر الحاضر احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي (١١٤) .

---

(١١١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٩٧ عن (Setton)

(١١٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٩٨ عن (Iorga)

(١١٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، حـ ٢ ص ١٦٠ .

وخلاط هي البلدة العامرة المشهورة ذات الخيرات الواسعة والثمار اليانعة. وهي من فتوح عياض بن غنم وهي قصبة ارمينية الوسطى. وبحيرة خلاط من عجائب الدنيا (ياقوت : معجم البلدان حـ ٧ ص ٣٨٠ — ٣٨١) .

وتفليس بلد بارمينيا الأولى (الأصلية) وبعض يقول باران ، وهي مدينة قديمة ازلية افتتحها المسلمون في أيام عثمان بن عفان ، على يد حبيب بن مسلمة وظلت بايدي المسلمين حتى سنة ٥١٥ هـ ثم اغار عليها جيل من النصارى من جبل ابخاز هم الكرج منتهزين الخلافات بين حكامها السلاجقة فملكوها عنوة . وظلت بأيديهم حتى أخذها منهم الخوارزميون سنة ٦٢٣ هـ ولكن الكرج عادوا مرة أخرى لحكمها عن طريق الأهالي ولكنهم خافوا من عودة الخوارزميين اليها فحرقوها سنة ٦٢٤ هـ (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٣٥ — ٣٦) .

(١١٤) احمد عطية الله : القاموس الاسلامي ، مجلد ١ (١٣٨٣ — ١٩٦٣) ص ٧٣ يذكر انها تحيط ببحيرة فان ومن معالمها الجغرافية جبل =

وللتعرف على احوال ارمينيا الكبرى فى النصف الثانى من القرن العاشر للميلاد ، نذكر انه كانت هناك حوالى ست ممالك مستقلة فى ارمينيا، لكن يبدو ان امرائها كانوا متنافسين باستمرار مما اضعف قوتهم واطمع فيهم كلا من العرب والبيزنطيين (١١٥) وكان ان اصبحت ارمينيا عند نهاية القرن العاشر فى حال شديد من الضعف بسبب الحروب الخارجية والانقسامات الداخلية ، لذلك لم تعد قادرة على القيام باية مقاومة فعالة ضد البيزنطيين او الاتراك السلاجقة وهم العدو الجديد الذى ظهر على حدودها الشرقية (١١٦) .

وقد شجع ذلك الوضع باسل الثانى امبراطور الدولة البيزنطية فى عام ١٠٠٠م/٣٩١هـ على احتلال بعض الاقاليم الارمينية الواقعة على حدود دولته حتى اضطر الملك سنكريم Senek'erim الارمنى الى التنازل عن مملكته عام ١٠٢١ — ١٠٢٢م/٤١٢ — ٤١٣هـ ، للامبراطور وتلقى بدلا عنها مدينة سيواس فى آسيا الصغرى واقاليمها على امتداد الفرات وفى عام ١٠٤٥ م — ٤٣٧هـ اضطر الملك جاجك Gag I الارمنى حاكم آنى الى التنازل عن ملكه للامبرطور البيزنطى ايضا وعوض عنه ارضا فى داخل كابادوكيا . هذا بالاضافة الى جاجك صاحب قرس Kars الذى تنازل هو الاخر عن املاكه للامبراطور البيزنطى عام ١٠٦٤ م/٤٥٧هـ ومنح فى مقابلها منطقة فى كابادوكيا . وبذلك اختفت الممالك الارمنية الصغيرة

= ارارات الذى قيل ان سفينة نوح رست عليه بعد الطوفان ويطلق عليها اسم جمهورية اريفان وعاصمتها اريفان تقرا
Armenia - Armenie - Ecrivain.

(١١٥) Sirarpie Der Nersessian : Armenia and the Byzantine Empire, p. 9.

(١١٦) Sirarpie Der Nersessian : Ibid., p. 10 هنا تذكر دائرة المعارف الاسلامية المجلد الاول ص ٦٤٧ تحت مادة (ارمينية) : فى عهد آشوط الثالث (٩٥٢ — ٩٧٧ م) بنيت قلعة آنى الصغيرة فاصبحت مقر ملكه ، واصبحت درة الشرق . وحكم سمباط الثانى (٩٧٧ — ٩٨٨) واخوه جاجيق الاول (٩٩٠ — ١٠٢٠م) حكما سعيدا موفقا وان كانت سياستهما الداخلية الخرقاء قد دفعتهما الى الاشتباك الدائم مع الامارات النصرانية المجاورة ، كما كان بينهم وبين امراء المسلمين الذين يحكمون الجزء الجنوبي من ارمينيا نزاع مستمر . وفى ٩٨٨م هزم داود المقدام امير تيخ صاحب الجزء الاكبر من بلاد الكرج — مملون احد امراء المسلمين بالقرب من زمبو . ولما توفى جاجيق الاول تنازع العرش وارثه الشرعى يوحنا وخصمه القوى آشوط الرابع وزاد فى تحرج الحالة تدخل اهل الكرج وغارات السلاجقة التى بدأت هجماتها الاولى فى ذلك العهد .

الواحدة تلو الأخرى وامتد النفوذ البيزنطى فى أرمينيا غالبا حتى (دوين) فى الشرق (١١٧) .

ولم يلبث السلاجقة أن انزلوا هزيمة كبرى بالجيوش البيزنطية فى موقعة مانزكرت قرب بحيرة فان سنة ١٠٧١م/٤٦٤هـ وهى الموقعة التى أسر فيها الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع (١٠٦٧ – ١٠٧١م) .

وقد نقل (جروسيه) عن (متى الرهاوى) (١١٨) نصا يبرز لنا مدى كره الأرمن لبيزنطه وشماتتهم لما حل بها على يد الأتراك السلاجقة فى ما نزكرت ، فيقول بعد أن صمد الأرمن أمام المسلمين وعرفوا كيف يدافعون عن استقلالهم أمام الضغط الاسلامى ، اذا بالإمبراطورية البيزنطية اليوم تتصدر لحملة الدفاع ضد الأتراك ولكنها انهارت أمام الضربة الأولى من جانب الأتراك المسلمين ان هؤلاء البيزنطيين لم يعرفوا كيف يدافعون عن الأرمن ، بل لقد اضطروهم الى الهجرة من بلادهم فى أعداد هائلة . . . ان الكوارث التى حلت بالأمة الأرمينية أفدح من أن يستطيع أحد روايتها .. آلامها ودموعها ، كل ما قاسته على يد الأتراك فى وقت ما فقدت فيه مملكتنا سيادتها الشرعية التى انتزعها أولئك البيزنطيون الذين تصدوا للدفاع عنا وهم عاجزون ، مخطئون متخنثون . . . انها الدولة البيزنطية الخسيسة ، تلك التى دمرت عرشنا القومى ، واسقطت ذلك الجدار الواقى الذى كونه جيشنا الشعبى الباسل ومحاربينا الشجعان » (١١٩) .

ولقد رأينا كيف أجبر البيزنطيون أعدادا كبيرة من الأرمن على الهجرة الى كابادوكيا فى آسيا الصغرى . وهناك حاول البيزنطيون أن ينسوا أولئك الأرمن مسألتهم القومية الخاصة بضياع ملكهم الأول ، وأن يسدلوا ستارا على عجزهم عن حمايتهم أمام الأتراك المسلمين ، ولجأوا من أجل ذلك كله الى ادخال الأرمن فى دوامة الخلافات الدينية .

---

(١١٧) عن Sirarpie : Ibid., p. 11, Grousset : L'Empire, p. 173 (Mattieu)

أسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ١١٥ .

(١١٨) لم يرد هذا النص ضمن (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1 فى الجزء الذى كتبه متى الرهاوى واستفدت منه لذا أخذته عن جروسيه .

(١١٩) Grousset : L'Empire ... p. 174.

وهنا يظهر مدى حنق متى الرهاوى من البيزنطيين من الأوصاف التى وصفهم بها والتى أوردنا ترجمتها كما هى .

وهكذا « اقتصرت جهود البيزنطيين على افساد العقيدة الحقيقيه للأرمن وهى العقيدة التى قامت على اســـاس المذهب المونوفيزيتى او الطبيعة الواحدة على قول متى الرهاوى . واخذت الحكومة البيزنطية تبعد من يوجد فى الشرق من الرجال الأرمن الشجعان .. وتجبرهم على البقاء فى الأرض البيزنطية وعلى ذلك فان الهجرة الأرمينية الى كابادوكيا هجرة اصطنعها وفرضها البيزنطيون » (١٢٠) .

هذا الى ان جماعات اخرى من الأرمن اضطرت الى الهجرة الى مناطق اخرى مثل اقليم طوروس وقيليقيـــة ، امـــام ضغط الأتراك السلاجقـــة المتدفقين بشـــدة من الشرق « فقد ترتب على توسع السلاجقة الأتراك ، فى الاقاليم الواقعة شرقى آسيا الصغرى ، هجرة كثير من بلادهم الأصلية فى ارمينيـــا الكبرى الى الاقاليم الواقعـــة غربى الفرات وشماليه ليستقروا فى جهات كان بعض اخوانهم الأرمن قـــد سبقوا اليها واسسو فيها جاليات فى عصـــور ســـابقة » (١٢١) .

وازدادت تلك الهجرة قوة بعد موقعـــة مانزكرت الســـابقة الذكر ، اذ تحرك كثير من الأرمن من موطنهم الأصلى القـــديم حول بحيرة فـــان Van فى اواخر القرن الحـــادى عشر امـــام ضـغط الأتراك السلاجقة الى شمالى انطاكية فى جبـــال طوروس وسفوح تلالها الجنـــوبية حيث كونوا العديد من الامارات الأرمينية (١٢٢).وهناك انقسم المهاجرون الأرمن الى قسمين : قسم خضع لنفوذ بيزنطه وقسم اعلن استقلاله عنها .

---

(١٢٠) وهنا يشير جروسيه فى Grousset : L'Empire, p.p. 174 - 175. نفس الصفحة الأخيرة فى سطور قليلة الى مدى ما وصل اليه الخلاف الدينى احيـــانا . فمثلا جاجك فى منـــاطق نفوذه الجـــديدة فى كابادوكيا كان على ســـوء تفاهم مع المطران البيزنطى لقيصريه المسمى — Marcos الذى انزعج من اطلاق الهجرة الأرمينية وركز عدوانه ضدهم الى درجة اعطاء كلبـــه اسم Armen مما ادى الى غضب جاجك وقام بكثير من عمليـــات النهب والضرب التى وصلت الى الحيوان نفسه ، وراح الأسقف نفسه ضحية تلك الشدة .

(١٢١) سعيد عاشور : ســـلطنة المـــاليك ومملكة ارمينـــية الصغرى ص ١٣٦ من (Iorga) فقـــد تحركت الهجرة الأرمنيـــة الى الاقليم الوحيـــد الذى ترك دون أن يحتله الغزاة وهو جنوب شرق آسيا الصغرى وشمال ســـوريا . حقيقة أن أرمينيا الجـــديدة فى المنفى كانت تكوينا غير طبيعيـــا لكنها فى الواقع عاشت مدة اطول من اى دولة فرنجية فى الشرق (Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, p. 628).

(١٢٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 371.

اما عن القسم الاول فيذكر — Pasdermadjian « انه منذ أواسط القرن الحادى عشر تقدمت جموع من الأرمن استقرت تحت زعامة نبلائهم ، فى اقليم طوروس . ولم تلبث هذه الجموع أن دخلت دائرة السياسة البيزنطية الخاصة بشحن المضايق الموصلة الى قيليقية — بوصفها احدى الاقاليم التى كانت أكثر تعرضا للخطر من ناحية هجمات المسلمين — بالعناصر المحاربة القادرة على الدفاع عن المضايق (١٢٣) . فقد فكر الاباطرة فى تقوية اقاليم دولتهم الواقعة على حدود قيليقية بأن وضعوا الأراضى والممتلكات المهمة فى أيدى نبلاء عرف عنهم الشجاعة العسكرية (١٢٤) ».

اما القسم الثانى من الأرمن الذين استقروا فى قيليقية فهم العناصر التى اتجهت نياتها لا للخضوع لبيزنطه ، وانما للبقاء مستقلين (١٢٥) .

ومن امثلة النوع الأول — والذى لم يلبث أن تحول بعد فترة من الزمن ضمن القسم الثانى — شخصية فيلاريتوس الذى خدم لفترة طويلة فى الجيش البيزنطى « بل وتخلى عن المذهب المونوفيزيتى — وهو مذهب الطبيعة الواحدة — الى الأرثوذكسية البيزنطية مما جر عليه اللعنة ليس فقط من جانب المؤرخين السريان أمثال ميخائيل السريانى وانما ايضا من جانب مواطنيه من المؤرخين الأرمن » (١٢٦) وقد عمل فيلاريتوس هذا فى خدمة الامبراطورية البيزنطية فى عهد رمانوس الرابع حتى انهزم ذلك الامبراطور واسر فى موقعة مانزكرت ١٠٧١م ٤٦٤هـ . وعندئذ رفض الاعتراف بالامبراطور الجديد ميخائيل السابع دوقاس Michel VII Doukas — (١٢٧) (١٠٧١ — ١٠٧٨) ثم كان أن اخذ فيلاريتوس يدعم مركزه حول مرعش ورعبان والابلستين حيث اقام امارة قوية مستقلة عن الحكومة البيزنطية ، زادت منعة بعد أن استولى على ملطية (١٢٨) .

---

(١٢٣) Pasdermadjian : Histoire de L'Arménie, p. 198.
من (J. De Morgan : Hist. du Peuple Armenien).

(١٢٤) فانه عندما تبين للاباطرة أن Sirarpie : Op. Cit., p. 12. الأرمن يكونون عنصرا قويا على الأطراف الشرقية لدولتهم ، فكروا مختارين أو مجبرين فى اتخاذ أولئك الأرمن درعا حاميا ووسيلة للدفاع عن الحدود الدولة من ناحية الشرق (سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا الصغرى ص ١٣٧ عن (Ostrogersky)

(١٢٥) Pasdermadjiant : Op. Cit., p. 198.

(١٢٦) (Mattieu) عن Grousset : L'Empire, p. 177

(١٢٧) Serarpie : Op. Cit., p. 12, Grousset ; L'Empire, p. 177.

(١٢٨) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص ١٣٧ ، الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٩٨ .

ولم يلبث فيلاريتوس هذا ان استطاع ان يكون لنفسه جيشا كبيرا من المرتزقـــة كانت عنـــاصره من الأرمن والبيزنطيين فضـــلا من ثمانيـــة آلاف فرنجي (١٢٩) . بل قيل أنه كان ضمن جيشه «فرس واتراك» (١٣٠).

وقد تمكن فيلاريتوس بفضل هذه القوة أن يبسط سيطرته على كثير من المعـــاقل في اقليم قيليقية . فلمـــا سمع الامبراطور البيزنطي بذلك ارسل اليـــه الهبات وذهب فيلاريتوس بنفسه الى القسطنطينية حيث ابتهج به الروم واعطوه الذهب والأسلحة (١٣١) بل واعطوه السلطة على قيليقية لكي يقـــاوم الأتراك (١٣٢) .

والواقع أن فيلاريتوس هذا كان قد مد نفوذه على الرها نفسها عام ١٠٧٧م/٤٧٠هـ حين ارسل احـــد ضباطه وهو باسل بن أبي خـــاب الى الرهـــا ليحكمها ويدير شئونها ، فصده حاكمها من قبـــل بيزنطة ، لكن الأهالي ثاروا وقتلوا حاكمهم وسلموا المدينة لممثل فيلاريتوس (١٣٣).

وقد ظل فيلاريتوس هذا مواليا لبيزنطة وحاكما للرهـــا حتى ســـنة ١٠٨٦م/٤٧٩هـ عندما توجه ملكشاه الى الشـــام لمحاربة الاراتقة الذين قتلوا سليمان بن قطلمش . فلما وصل ملكشـــاه الى الرها سلمها له الأهالي بسبب بغضهم لفيلاريتوس . فما كـــان من فيلاريتوس الا ان لجأ الى السلطان السلجوقي « ووعـــده بجزية يدفعها وأن يدعو للخليفـــة والسلطان (١٣٤) » .

---

(١٢٩) Grousset : L'Empire, p. 178.
(١٣٠) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 229.
(١٣١) Bar Hebraeus : Ibid., p. 229.
(١٣٢) Michel : Op. Cit., p.p. 187 - 188.
(١٣٣) اسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ١١٦ ، سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ومملكة ارمينيا الصغرى ، ص ١٣٨ (من Bréhier : Vie et Mort) الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٩٩ .
Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 628.
وقد كان باسيل هذا موظفا من جورجيا الأرمينية ، وهو الذى كان في عهد الامبراطور رومانوس الرابع قـــائدا في الرها ونائبـــا عن الامبراطور ، وعندما وصل باسيل آنذاك كان الموجود بالرهـــا تافادانوس ـــ حاكمها باسم الامبراطورليون ـــ ولكن الأهالي ثاروا وقتلوه ووضعوا المدينـــة في أيدي باسـال. (من Mattieu). Grousset : L'Empire, p. 179.
(١٣٤) Bar Hebraeus : Op. Cit. ; V. 1 p.p. 232 - 233, Duval : Op. Cit. p. 277
كان الخليفة آنذاك هو المقتدى العباس (١٠٧٥ ـــ ١٠٩٤) .

بل قيل انه اسلم بالفعل « وتحمل الختان » (١٣٥) ولو أن البعض يشير الى انه كان مستعدا فقط — اذا استلزم الأمر — لاظهار الاسلام خدمة لمصالحه (١٣٦) . لكن يبدو انه اعتنق الاسلام بالفعل ثم ارتد للمسيحية قبل وفاته (١٣٧) .

وعندما لا حظ السلطان كره الرهويين له لم يعده الى الرها بل منحه مرعش بدلا منها ، حيث انهى فيها حياته (١٣٨) .

والحق يقال أن فيلاريتوس هذا كان لا يعدو أن يكون مغامرا جسورا ، فلم يدخر اية وسيلة للوصول الى السلطان وفى ذلك يقول جروسسيه : « اذا صرفنا النظر عن روح البغض والكراهية التى كنهــا له مواطنوه بسبب تحوله الى مذهب الكنيسة الارثوذكسية البيزنطية ، فان فيلاريتوس يبدو بوضوح مغامرا دون شك ، لم يحجم عن ارتكاب اية خيانة ليدعم قوته وسط مظاهر الانحلال البيزنطى والغزو التركى . وهكذا اندس فيلاريتوس بين الامبراطوريتين ، فظهر أمام البيزنطيين فى صورة رجلهم ، المعبر عن قوتهم ، وفى نفس الوقت ، ظهر أمام الاتراك فى صورة المتسامح ، البعيد عن التعصب ، القادر على تنفيذ مشيئتهم مثلما كان يفعل مع المسيحيين »(١٣٩) .

وقد أقدم فيلاريتوس على التعاون مع الاتراك مرتين ، الأولى ضد احد الرؤساء الارمن ، الذى رفض الخضوع لنفوذه ، فتعاون فيلاريتوس مع أمير ميافارقين ضد أحد أبناء جلدته حتى قتل الأخير ، فاقتسم فيلاريتوس الغنيمة مع حليفه وذلك عام ١٠٧٣ — ١٠٧٤م/٤٦٦ — ٤٦٧هـ (١٤٠) ، والثانية وهى التى سبق ذكرها عندما توجه ملكشاه الى الرها وعندئذ اظهر فيلاريتوس خضوعه لارادة السلطان السلجوقى . وبهذا استطاع بفضل مهارته السياسية العالية أن يرضى كلا الجانبين فى الوقت

---

(١٣٥) Duval : Ibid., p. 277.

(١٣٦) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ص ١٣٩ (عن (Michel Le Syrien :

(١٣٧) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 231, Duval : Op. Cit., p.277

(١٣٨) Bar Hebraeus : Ibid., p. 231, Duval : Ibid., p. 277.

(١٣٩) Grousset : L'Empire, p. 178.

(١٤٠) اسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ١١٥ — ١١٦
Grousset : Ibid., p. 177.
واسم الرئيس الأرمنى الآخر هو Thornik Mouchel وكان يحكم فى ساسون.

المناسب،مما جعله يحكم فى وقت من الأوقات المنطقة الشاسعة الممتدة من خرتبرت (١٤١) فيما وراء الفرات حتى المصيصه (١٤٢) وعين زربة وطرسوس فى قبليقية ، ماريين بملطية وكركر ورعبان وكيسون ومرعش » (١٤٣) .

وعلى ذلك كان قيام ارمينيا الجديدة التى وضع اسسها فيلاريتوس فى سنواته الأخيرة هو الحدث الذى جاء بين كارثة مانزكرت ومجىء الحملة الصليبية الأولى الى الشرق (١٤٤) . واذا كانت نهاية فيلاريتوس قد جاءت فى الوقت الذى اهتزت فيه قوته شيئا ما — كما راينا — فان هذا لا يعنى انتهاء سلطانه كلية من الأماكن التى كانت تحت نفوذه ، اذ استطاع نوابه وبخاصة فى الرها وملطية ومرعش — ان يواصلوا سياسته .

ونكتفى هنا بالاشارة الى كل من ملطية ومرعش حيث اننا سنتعرض للرها فى موضع آخر .

اما ملطية فان آخر نواب فيلاريتوس فيها كان جبريل (١٤٥) وهو احد المغامرين الارمن ، ادى اعتناقه لمذهب كنيسة القسطنطينية الى ايجاد نوع من الصلة بينه وبين الدولة البيزنطية (١٤٦) . ومع ذلك فان،اخلاقه كانت ثمة تقارب مع اخلاق فيلاريتوس ، فنجد انه،عندما دعت الحاجة الى استرضاء الاتراك السلاجقة خوفا على ملكه من خطرهم ، فانه لم يحجم عن ارسال زوجته الى بغداد « للحصول على تأييد الخليفة العباس والسلطان السلجوقى لحكمه فى ملطية » (١٤٧) .وقد ذكر ميخائيل السريانى

---

(١٤١) — Khartabirt — الارمينية الآن معروفة اكثر باسم خربوت — Kharpût وهى قلعة حصن زياد التى يشير اليها ابن خردانبة بانها تقع على مسافة ليست بعيدة عن سميساط
(Le Strnage : Op Cit., p. 117

(١٤٢) وهى من ضمن مدن الثغور بين المسلمين والروم قيل انه كان بها خمسة من قبور الانبياء (ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، حـ ١ ق١ ، ص٥٨).

(١٤٣) Grousset : L'Empire, p. 179 عن (Laurent : Byzance et les Seljaucides)

(١٤٤) Grousset : Ibid., p 150

(١٤٥) Michel : Op. Cit., p. 179.

(١٤٦) Grousset · L'Empire, p. 184, Hist. des Crois. V. 2, p. 868 (L'Anonyme)

(١٤٧) Michel : Op. Cit.. p. 179, Grousset : L'Empire, p. 184 عن وليم الصورى
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١. ص ١٧٨ (من ميخائيل السريانى) .

ان جبريل هذا — هو الذى عاصر تقدم الصليبيين الى الشرق — وعدهم ثلاث مرات بأن يسلمهم ملطيـة (١٤٨) .

اما مرعش التى ذكرنا انها شهدت خاتمة حيـاة فيلاريتوس فقد نجح الاتراك فى الاستيلاء عليها حتى اذا ما قـدمت الحملة الصليبية الاولى استعادتها منهم وردتها للامبراطور البيزنطى ، وقيل ان ذلك حـدث فى ١٣ اكتوبر ١٠٩٧م وكان ان عهد الامبراطور الكسيوس كومنين الى احد الأرمن واسمه ثاتول Thatoul بحكمها فظل فيها حتى ١١٠٤م حـين اخذهـا منه الصليبيون (١٤٩) .

والواقع أن ثوروس — حاكم الرهـا والذى سنعود للكلام عنـه — وجبريل وثاتول ايضـا — نواب فيلاريتوس والذين بدأوا مثله حيـاتهم العـامة فى الخدمات الادارية البيزنطية « كانوا منفصلين بعقائدهم الدينية عن مواطنيهم ومكروهين من المسيحيين السوريين الذين ظلوا كثيرى العدد فى اقليمهم » (١٥٠) .

وبالكلام عن فيلاريتوس ودولته نكون قد أعطينا صورة عن ذلك النوع من تبعية بعض حكام الأرمن للدولة البيزنطية من قريب او بعيد .

أما النوع الثانى من حكام الارمن الذين ظلوا بعيـدين تمامـا عن الخضـوع لبيزنطة فيمثله الاميران روبان وأوشين .

اما روبان (١٠٨٠ — ١٠٩٥م/٤٧٣ — ٤٨٩هـ) فقـد استطاع بمن انضم اليه أن يؤسس مملكة مستقلة فى قيليقية (١٥١) . وهو اقليم يقع فى

---

(١٤٨) Michel : Ibid., p. 188

(١٤٩) Grousset : L'Empire, p. 184,

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ١٧٨ — ١٧٩ من

Runciman : A Hist. of (Chalandon : Les Comnenes)
The Crusades, V. 1, p. 195.

(١٥٠) Runciman : Ibid., p. 195

(١٥١) Fridtjof Nansen : l'Arménie et le proche Orient, p 295

وهنـا يشير Haytonus Flos Historiarum Terre Orientis (R.H.C.) Doc. Arm. T.2, p. 373

« لقبت ولاية قيليقية باسم ارمينيـا لانه بعد ان خلص المسيحيون الأرمن تلك البلاد من يد البيزنطيين احتفظوا بها فترة طويلة وقد واصل اهل ارمينيا المحافظة على ذلك الاستقلال الى حد كبير ».

جنوب شرق آسيا الصغرى واشتهر بثروته وغناه (١٥٢) . واتخذ روبان مقرا له قلعة صغيرة على مقربة من سيس (١٥٣). وبذلك وضع نواة مملكة أرمينيا الجديدة (١٥٤) ، التى أطلق عليها اسم ارمينيا الصغرى تمييزا لها عن أرمينيا العظمى (١٥٥) أو الأم .

ولم يلتمس روبان هذا الحماية من الامبراطورية البيزنطية وانما ظهر دائما فى صورة تفوق بقيـة البارونات الأرمن حتى مات وترك خلفـه ابنه قنسـطنطين (١٠٩٥م — ١٠٩٩م/٤٨٩ — ٤٩٣هـ) الذى « كان أول الروبانيين الذين حملوا لقب أمير أوبارون » (١٥٦) .

ويؤكد بعض المؤرخين ان وصول الصليبيين الى الشرق فى أواخر القرن الحادى عشر كان من العوامل المساعدة التى هيأتها العناية الالهية ، لتمكن تلك الامارة من النمو والازدهار (١٥٧) . ذلك أن الصليبيين دخلوا معها فى علاقات ود وتحالف مما شجع ارمينيا الصغرى على اتخـاذ موقف عدائى تجـاه الأمبراطورية البيزنطية (١٥٨) .

أما اوشين (١٠٧٢ — ١١١٠م / ٤٦٥ — ٥٠٤هـ) فكان يحكم احدى القـلاع القديمـة فى ارمينيـا حتى اضطر الى الفرار منها تحت ضـغط

---

(١٥٢) وهو يضيف فى نفس Pasdermadjian : Op. Cit., p. 198. الصفحة أن الجنرال Bremond يعتبر محددا جدا فى تسميها مصر صـغيرة ، لكن مصر التى امتلكت مراعى جبلية شاهقة Une Petite Egypte mais Une Egypte qui aurait des Alpes.

(١٥٣) Pasdermadjian : Ibid., p. 198, Grousset : L'Empire, p. 387 وسيس هى أيضا سيسه وهى مدينة قريبة من عين زربة ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ١٨٩) .

(١٥٤) وهو يذكر ان Jacque de Morgan : Op. Cit., p.p. 166, 303. روبان اعتمد فى الوصول الى هدفه على احد الأرمن ، كان يسمى باسيل وكان ذو شجاعة كبيرة وفكر ثاقب وكان يعرف كل استراتيجيات وكل خـدع الحرب . ولمـا كان ينقض دائما فجاة على عدوه . سمى باسيل اللص Basile Voleur

(١٥٥) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 199.

(١٥٦) Jacque de Morgan : Op. Cit., p. 166.

(١٥٧) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 199.

(١٥٨) Fridtjof Nansen : Op. Cit., p. 295, Vasiliev : History of the Byzantine Empire, V. 2, p. 65.

الأتراك السلاجقة عام ١٠٧٥م/٤٦٨هـ فجاء الى قيليقيا حيث اعطاه صديقه أبو الغريب الارزرونى قلعة نمرون ((Lampron)) وهى منطقة ذات اهمية كبرى لحماية كبادوكيا وامنها (١٥٩) .

هكذا استطاع روبين الأول ان يؤسس الدولة الروبينية Roubenienne كما استطاع أوشين ان يؤسس الدولة الهيثومية Héthomienne — وهما الأسرتان اللتان كونتا عظمة أرمينيا الجديدة (١٦٠) .

. ويمكن أن نضيف الى هؤلاء الزعماء الأرمن كوغ باسيل اى اللص باسيل (١٦١)،وهو مغامر ارمنى بسط سيادته على كيسون ورعبان (١٦٢)، وظل فيهما منذ حوالى ١٠٨٢م — ٤٧٥ هـ حتى وفاته ١١١٢م — ٥٠٦هـ ولعب دورا ايجابيا فى حروب الفرنج فى الرها وانطاكية ضد الأتراك (١٦٣).

وصول الصليبيين وعلاقتهم بالأرمن :

وبوصول الحملة الصليبية الأولى الى قيليقية فى سبتمبر ١٠٩٧م ، وجد الصليبيون فى الأرمن حلفاء طبيعيين لهم ضد السلاجقة من ناحية وضد الدولة البيزنطية من ناحية اخرى ولم يلبث أن قدم الأرمن الكثير من الخدمات للجيوش الصليبية المتهالكة بعد رحلتها الطويلة عبر هضبة

---

(١٥٩) Morgan : Op. Cit., p. 163, Tournebize : Hist. Politique et Relig.... p. 168. Nimroun-Kalessi القلعة اليوم هى نمرون — كاليسى شمال خليج طرسوس .

(١٦٠) Grousset : L'Empire, p. 388 عن (Mattieu) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٧٣ (وهو يذكر ان أوشين سيطر على مدينة اذنه) عن (Iorga) اما (ستون (فيذكر أن أوشين كان يسيطر على نصف اذنه عند قدوم الصليبيين (Setton : Op. Cit. V. 1, p. 301) ولكن احد البرجنديين ضمن الحملة الصليبية الأولى استولى عليها (William : Op. Cit. V. 1, p. 181

(١٦١) Iorga : L'Arménie Cilicienne ; p. 17, ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ وقد اطلق عليه اللص لأنه سرق عدة قلاع من الثغور فتملكها الارمن بعده .

(١٦٢) Michel : Op. Cit., p. 198, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 299, سعيد عاشور : الحركة الصليبية حـ ١ ص ١٧٩ عن (Stevenson) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 52,

(١٦٣) Grousset : L'Empire, p. 184.

الأناضول وخـلال الممرات المرتفعة فى طوروس كما قـاموا لهم بدور المرشدين ، ثم ساعدوهم خلال حصـار انطاكية . وعدد البابا جريجورى الثالث عشر تلك المساعدات التى قدمها الأرمن ، بعد فترة طويلة حيث كتب يقول : « لم يقدم اى شعب او اية امة مساعدات تلقائية للصليبيين اكثر من الأرمن.الذين امدوهم بالرجال والخيول والسلاح والطعام» (١٦٤).

والواقع أننا نؤيد ذلك الراى الذى يذكر ان « الصـداقة التى قامت بين الأرمن والصليبيين فى اول الامر انما كانت تستهدف مواجهـة العـدو المشترك ممثلا فى الدولة البيزنطية من ناحية والقوى الاسلامية من ناحية أخرى » (١٦٥) .

ففى مدن قيليقية ، وجد الصليبيون فى كل مكان مشايعين من السكان الأرمن الذين ساعدوهم فى كثير من العمليات العسكرية (١٦٦).وفى مرعش قدم لهم حاكمها ثاتول الأرمنى « كل ما استطاع من مساعدة » (١٦٧) .

انفصال بلدوين البولونى عن بقية الجيش الصليبى واتجاهه الى الرها :

منذ وصول الجيش الصليبى الى قيليقيا كان بلدوين البولونى يرغب فى اقامة مملكة خاصة له فى الشرق وكان يشاركه فى تلك الرغبـة ايضـا تنكريد ابن أخت بوهيموند ، لذا انفصل الاثنان عن بقية الجيش الصليبى ليعملا لحسابهما(١٦٨).لكن حدث بينهما صدامان امامكل من طرسوس(١٦٩) والمصيصة (١٧٠) ـــ سنتناولهما فيما بعد ـــ وفى النهاية توجه تنكريد الى الاسكندرونه فاستولى عليها (١٧١) . أما بلدوين فقد لحق بالجيش الصليبى

---

(١٦٤) Sirarpie : Op. Cit., p. 12.

(١٦٥) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا الصغرى،ص ١٤٣

(١٦٦) J. Prawer: Op. Cit., T. 1, p. 207.

(١٦٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p.298.

(١٦٨) F. Chalandon : Hist. de la Première Crois. p. 234, Zoé Oldenbourg : Les Croisades p. 111, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208.

(١٦٩) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 180 - 181, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 300, Zoé : Ibid., p.p. 137 - 138.

(١٧٠) William : Ibid., p. 185, Setton : Ibid., V. 1, p. 301 Zoé : p. 138.

(١٧١) Setton : Ibid., Vol. 1, p. 301.

الأصلى فى مرعش وهناك علم بوفاة زوجته (١٧٢). وبعد مضى حوالى يومين فى ١٥ اكتوبر ١٠٩٧ م ترك بلدوين رفـــاقه من جـديد ليبحث عن مستقر على ارض أرمينية (١٧٣) . ذلك بعد أن أخذ بنصيحة باكراد الأرمنى — اخو كوع باسيل والذى سنتكلم عنه بعد قليل — بان قـدره الحقيقى يرقد بعيدا فى الشرق على الفرات (١٧٤) . لأنـه هنـاك لن يلتقى بتنكريد مرة اخرى (١٧٥) .

وببداية بلدوين البولونى رحلته هــذه تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخـه كمؤسس لامـارة الرهـا الصليبية وهنا يؤكد احـد الأرمن أن بلدوين البولونى « اتجه تحت تاثير نصيحة الأرمن تجاه الشرق بدلا من الاتجـاه الى الســهل القيليقى واصـبح بذلك على اتصـال مبـاشر بالقـوات الارمينية (١٧٦) » وانه بفضل باكراد الأرمنى نظم سيره فى قيليقية (١٧٧) . وعندما توجه الى الجنوب الشرقى من مرعش دبر باكراد اتصاله بجيرانه الارمن وامرائهم « وفى كل مكان رحب به الأرمن كمنقذ ، اما اليعاقبـة السوريون الذين كونوا بقيـة السكان ، فكانـوا أكثر شـكا ولكنهم لم يعارضوه (١٧٨) » .

اما عن اتصال بلدوين ببكراد فقد بدأ فى نيقية (١٧٩) . وهنا يذكر وليم الصورى ان معرفـة بلدوين ببكراد كانت بعد هرب الأخير من السجن الامبراطورى (١٨٠) . ولو أن هناك اشارة لأحد اللاتين تذكر أن « بلدوين اطلق سراحه (١٨١) » ولكن من المرجح أن بلدوين ربما حماه بعد اطلاقه من سجنه . ولكن ماذا كان هدف باكراد من وراء تشجيعه الكبير لبلدوين ؟

---

(١٧٢) Setton : Ibid., V. 1, p. 301, Zoé : Ibid., p. 138.

(١٧٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 49.

(١٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301.

(١٧٥) Zoé : Op. Cit., p. 138.

(١٧٦) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201.

(١٧٧) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 45

(١٧٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 302.

(١٧٩) F. Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 175.

(١٨٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 188
يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، ج ٦ ص ١١

(١٨١) Alberti Aquensis : Historiae Liber III (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 353.
هنـا يوضح Ioga ان باجراد كان قد حبس كرهينة فى القسطنطينية (Iorga : LêArménie Colicienne, p. 92).

هل كان صادقا فى معونته له لخدمة مصلحة بلدوين نفسه ام مصلحته هو ؟

هنا نرى وليم الصورى يصف باكراد بانه « كان محاربا شجاعا ولكنه كان مخادعا الى درجة كبيرة ومشكوكا فى اخلاصه .. كان يحث بلدوين باستمرار على جمع القوات ليشاركه فى حملة على الاقاليم المجاورة وهى الاقاليم التى قال عنها انه يمكن السيطرة عليها بسهولة وبقوة صغيرة ، مما جعل بلدوين يقبل رايه فى النهاية (١٨٢) » . فى حين يذكر رنسيمان « ان باجراد كان يود ان يضمن مساعدة بلدوين من اجل تثبيت اركان الامارات الأرمينية القريبة من الفرات حيث يستقر اقاربه « (١٨٣) اما جروسيه فيقول ان باكراد كان يرى « انه بفضل الاعتماد على الفرنج يمكنه ان يفوز باقطاع كبير يحكمه حكما متحررا ، وعند اللزوم يستطيع ان ينقلب ضدهم ليتخلص من قبضتهم القوية ، وكانت هذه هى سياسة فيلاريتوس تجاه منافسيه اذ ناور بين البيزنطيين والاتراك (١٨٤) » . ولكن مهما تكن نوايا باكراد فانه قدم خدمة جليلة لبلدوين بارشاده عبر الطرق الجبلية الوعرة .

وكان ان اصطحب بلدوين معه حوالى مائة فارس وعددا قليلا من المشاه وبدا رحلته من مرعش تحت ارشاد باكراد (١٨٥) . كذلك استفاد بلدوين من المساعدات التى قدمها له بعض امراء الأرمن المحليين ، وبفضل هذه المعونة استولى على مدينتين هامتين هما تل باشر

---

(١٨٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 188.

(١٨٣) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 54 من (Albert)

(١٨٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 54 من (Albert)

(١٨٥) William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 188, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 302.

وهنا يذكر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ح ١ ص ١٧٦ عن (Albert) أن بلدوين انشق عن بقية الجيش الصليبى تحت ستار حماية ميسرة الصليبيين الزاحفين على انطاكية ليبحث لنفسه عن امارة جديدة صالحة فى البلاد الارمينية .

وراوندان (١٨٦) . . وذلك فى عام ١٠٩٧م — ٤٩١هـ (١٨٧) .

وقد سهل فتح المدينتين مساعدة الأهالى الأرمن فيهما لبلدوين وثورتهم ضد الحاميات التركية وطردها الأمر الذى ساعد عليه ضعف تلك الحاميات (١٨٨) . وبعد أن تم الاستيلاء على المدينة منح بلدوين راوندان لبكراد وتل باشر لأمير أرمنى آخر اسمه فير (١٨٩) .

ويهمنا أنه حدث فى تلك المرحلة — أى اثناء وجود بلدوين فى تل باشر — أن استدعاء ثرروس الأرمنى حاكم الرها لمساعدته (١٩٠) . وقبل أن يلبى

---

(١٨٦) Setton : Ibid., V. 1, p. 302, Duval : Op. Cit., p. 278
وهنا ذكر دوفال أنهما .
شمال غربى حلب . أما المصادر اللاتينية فتذكر أن بلدوين استولى على كثير من المعسكرات بالقوة تارة وبالحيلة تارة اخرى ومن بين تلك المعسكرات استولى على افضلهم ويسمى تل باشر .
Fulcherii Carnotensis : Historia Iherosolymitana (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, p. 337 Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. XVIII (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5 Part 1, p. 149.
اما عن راوندان فقد ذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان حـ ٩ ص ١٩ انها قلعة حصينة وكورة معشبة من نواحى حلب . واضاف ابن العديم انها قلعة صغيرة على راس جبل لا يحكم عليها منجنيق ولا تصل اليها نبل (ابن العديم : بغية الطلب مخطوط بدار الكتب رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣٦٩).

(١٨٧) Grousset : L'Empire, p. 204,
اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٨
عن (Albert) . وهو يسمى القلعتين (راڤندل وتربسل وهى ترجمة حرفية لأسمائهما اللاتينية Turbessel, Ravendel - هنا نجد (شالندون) يخطىء فى ذكر تاريخ الاستيلاء على القلعتين حيث يذكر أن ذلك تم فى فبراير ١٠٩٩م — ٤٩٣هـ (
Chalandon : Hist. de la première Crois. p. 175)
ومما لا يرجح صحة هذا التاريخ أن المدينتين سقطتا فى أيدى الصليبيين قبل الرها التى تم دخولهم لها ١٠٩٨ م — ٤٩٢هـ .

(١٨٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 53 عن (William)
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ١ ص ١٨٠ عن (Michaud)

(١٨٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 302-303, Crousset. Ibid., V. 1, p. 54.

(١٩٠) Mattieu d'Edesse : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 35.

بلدوين ذلك الطلب ويترك تل باشر ، كتب اليــه (فير) تقريرا بأن باكراد يتــآمر ضـــده فى راونـــدان (١٩١) ويبـــدو كما يقـــول (رنسيمان) « انه ليس هناك شك فى ان (فير) كان غيورا من باجراد الذى لم يرتكب ذنبــا اكثر من الاتصــــال سرا بأخيه كوغ باسيل . لكن بلدوين لم يحسب حسابا لسوء العـــاقبة فدفع رجاله الى رواندان وقبض على باجراد الذى عــذب ليعترف فلم يصرح ســـوى بالقليل النـــادر ثم هرب فورا ليحتمى بأخيــه . وهكذا بدا واضحا لعقلاء الأرمن ان بلدوين جاء لا لكى يحررهم ولكن ليبنى لنفســه سلطانا (١٩٢) .

وبعد ذلك اعد بلدوين نفسه لعبور الفرات ، ليلبى طلب ثورس الذى استنجد به (١٩٣) ولم تكن رحلتــه الى الرهـــا آمنـــة ، اذ كمن له فى الطريق اتراك سميسـاط ، ولكنه نجا بفضل المساعدات التى قـــدمها له الأرمن فى تلك المنطقة (١٩٤) ، وربما نستطيع أن نتصور اهمية المساعدات الأرمينية لبلدوين البولونى من خلال تلك السطور التى كتبها (ميشـو) : « لم يكن بلدوين فى حـــاجة الى مرشـــد ولا لنجدات فى منطقة هرع سـكانها من كل الجهات للالتفاف حوله ، وكلما تابع سيره ، ذاعت شهرته حتى فى الأماكن البعيدة جـــدا حتى أن اخبار فتوحاته سبقته الى ما وراء الفرات حتى مدينة الرهــــا (١٩٥) » .

وهنا نجد انفسنا مضطرين الى الالتفات لشئون الرها لمعرفة اخبارها وحكامها منذ ان بارحها فيلاريتوس بأمر السلطان السلجوقى ملكشـــاه

---

(١٩١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303.

(١٩٢) هنا يضيف (Runciman) من Setton : Ibid., V. 1, p. 303
الدبس : تاريخ سوريا جـ ٦ ص ١٢ أن باكراد استحوذ على بعض الأماكن ولكن التـــاريخ لم ينبئنا ما آل اليــه آمره .

(١٩٣) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 352, Balduni III : Hist. Nicaena, Op. Cit., T. 5, Part 1, p. 149.

(١٩٤) Fulcherii Carnotensis : Historia (R.H.C.) Hist. Occid.,) T. 3, p. 337, William : Op. Cit., V. 1, p. 190.

(١٩٥) Michaud : Hist. des Crois., V. 1, p. 240.

١٠٨٧ : ١٠٩٤م (٤٨٠ ــ ٤٨٧ هـ) لتصبح اقطاعا للأمير السلجوقى بوزان (١٩٦) .

يقول ابو شامه أنه حدث بعد مقتل سليمان بن قطلمش على يد تتش ان ملك تتش مدينة حلب دون القلعة وعندئذ أرسل اهل القلعة الى ملكشاه ليسلموها اليه وهو يومئذ بالرها . وكان سبب مسيره اليها ان ابن عطية النميرى كان قد باعها من الروم بعشرين الف دينار وسلمها اليهم ، فدخلوها وخربوا المساجد وأجلوا المسلمين عنها . وكان أن سار ملكشاه اليها فحاصرها رفتحها واقطعها للأمير بوزان (١٩٧) الذى وعد الاهالى الأرمن فى الرها باحترام مصالحهم فسلموا له المدينة جميعا(١٩٨).

وكان ان ظل بوزان هذا حاكما للمدينة الى عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م عندما قتل فى الحرب بين تتش وعمه بركياروق (١٩٩) وعندئذ استولى احد رؤساء الأرمن وهو ثوروس بن هيثوم على الرها بوصفه تابعا لفيلاريتوس (٢٠٠) . وسار على نفس سياسته فى التارجح بين أرضاء

---

١٩٦) Grousset : L'Empire, p. 183, Hist. des Crois., V. 1, p. 52, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 3, p. 997.
وهنا يعدد لنا دفريمبرى اختلافات نطق اسم بوزان عن المراجع المختلفة مثل « بوزان ، توزان ، بوزار » .
(M. Defremery : Hist. des Seljoukides, Journal Asiatique, Avril, Mai, 1848, p. 455).

(١٩٧) ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٠

(١٩٨) Grousset : L'Empire, p. 183.

١٩٩) الأثير : الباهر ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ص ١٥ ، ابو شامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٦٥ ــ ٦٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٢٥ : ٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٤٤ ــ ١٤٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ٩ ص ٧٦/٧٧ . وهنا يرجع الحسينى : اخبار الدولة السلوجوقية ، ص ٧٢ : ٧٦ مقتل بوزان الى عدم اسراع بريكاروق لنجدة قسيم الدولة آقسنقر وبوزان بسبب انشغاله مع اتابكة الأمير الاسفسهلار كمشتكين الجاندار بالشرب ويعقب على ذلك ببيت للصدر عماد الدين يوضح ذلك فيقول :
قد غرقنا فى الشرب والسكر حتى   لم نفكر فى سنقر وبزان

٢٠٠) The Cambridge Medieval History : V. IV, Part 1, p. 628.

كل من الاتراك السلاجقة من ناحية والبيزنطيين من ناحيـة أخرى « فقد تحـاشى الدخول فى صراع مع الأتراك ، ووفقا لملاحظة جيوبرت النوجنتى ، حفظ الرهـا من هجمـات الأتراك بالمفاوضات ودفـع الجزية فى الوقت المناسب ، لابالسلاح (٢٠١) » . وفى نفس الوقت فعل مثلما كان يفعـل فيلاريتوس من قبل ، فجعل سلطته شرعية باعترافه بالتبعية للامبراطور البيزنطى (٢٠٢) .

أما ثوروس هـذا فكان هو حاكم الرهـا عند وصول الحملة الصليبية الأولى الى الأطراف الشرقية لآسيا الصغرى ، وكان ذلك فى وقت احس ثوروس بأن امارته الأرمينية انتابها الضعف . وانها لم تظل على قيـد الحياة حتى ذلك الوقت الا بفضل سياسـة المهادنة التى اتبعها تجـاه السلاجقة . والحق أن الرها كانت عندئذ محاطة من كل الجهات بممتلكات السلاجقة ، بحيث بدا من المتعـذر أن تفلت من القدر الذى ينتظرها على أيديهم . وهكذا كان وصول الفرنج الى الشام مما أوجد للأمير الأرمينى فرصـة كان يتمناها (٢٠٣) .

---

(٢٠١) سعيد عاشور
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 52-53.
الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٧٩ عن (Guibert de Nogent)
(فقد اقره تتش اخر السـلطان ملكشاه فى حكم الرهـا سنة ١٠٩٤م)
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٠١ ،
(٢٠٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303.
(٢٠٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 53 عن (Mattieu, Michel) Cruasades, p. 60.

الباب الأول

قيام امارة الرها الصليبية واحوالها الداخلية

رأينا كيف كانت الرها بمثابة جزيرة مسيحية وسط محيط من الأتراك المسلمين ، كما رأينا كيف نجح ثوروس الأرمنى بمعجزة فى المحافظة على ذلك الحصن المسيحى البارز على أرض اسلامية ، لكنه أخذ يفقد الأمل كلما تقدم به السن واشتد الخطر التركى على امارته (١) . وجاء ذلك فى الوقت الذى كانت شهرة بلدوين البولونى قد بلغت آفاقا رحبة بعيدة (٢) وذاعت شجاعته فى حروبه ضد كل أعدائه (٣) .

لذلك فكر ثوروس فى طلب المساعدة من بلدوين البولونى ولكنه فى نفس الوقت صمم على أن يستفيد من قوة الصليبيين دون أن يسمح لهم باستعباده (٤) . ومعنى ذلك أنه أراد أن يستغل بلدوين لخدمة مصالحه أى بوصفه « جنديا مرتزقا على أن يكافئه بسخاء » (٥) . ولكن من المرجح أن ثوروس لم يفصح عن نيته هذه لأحد حتى أشد المقربين اليه بدليل ما سيتعرض له بعد ذلك من معارضة حين تنكشف سياسته لبلدوين ولأهالى الرها أنفسهم .

ومهما يكن من أمر فقد أرسل ثوروس الى بلدوين فى تل باشر يتوسل اليه أن يحضر لنجدته ضد أعدائه الأمراء المجاورين «الذين أقلقوه كثيرا(٦)»

---

(١) Grousset : L'Epopée des Croisades, p. 56.

(٢) Fulcharii : Carnotensis : Op. Cit. (R.H.C.) Hist. Occid, T. 3, p. 337.

(٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 352.

(٤) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 54.

(٥) C. Cahen : La Syrie du Nord, p. 210, Grousset : L'Epopée p. 56, L'Empire, p. 204.

(٦) Mattieu d'Edesse : Op. Cit., p. 35, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55.

بينما انفرد أحد المصادر اللاتينية بقوله ان ثوروس استدعى بلدوين « ليسكت معارضيه فى الدولة (٧) » . ولهذا الغرض أرسل ثوروس سفارة من الرها تكونت من اسقف المدينة يرافقه اثنى عشر كبيرا من كبار الامارة ، فطلبوا من بلدوين الحضور الى مدينتهم لحمايتهم من الأتراك (٨). ويقال انه من أسباب تلك الاستغاثة او ربما كان السبب المباشر لها هو ما ذكر من ان كربوغا أتابك الموصل كان يعد فى ذلك الوقت جيشا عظيما ليتجه لنجدة انطاكية ، مما اثار المخاوف من أن يستولى فى طريقه على الرها وغيرها من الولايات الأرمينية (٩) .

ومن هذا يفهم ان استغاثة ثوروس كانت غير مشروطة بشروط معينة وانه كان يطلب النجدة فقط . وبعبارة اخرى فانه لم يفهم من ظاهر هذه الاستغاثة رغبة ثوروس فى استخدام بلدوين كأجير مرتزق ، يعمل لحسابه ضد الأتراك ، وان كان بعض المؤرخين ذكروا أن استغاثة ثوروس كانت تتضمن مؤازرة بلدوين لثوروس ضد الأتراك مقابل اجر مجز (١٠). والراجح أن بلدوين لم يكتشف هذه الحقيقة وهو فى راوندان، وانما اكتشفها بعد أن وصل الى الرها ذاتها (١١) .

ولا عبرة هنا بما جاء فى بعض النصوص المعاصرة من ان بلدوين لم يكن يعلم شيئا عن الرها حتى وصوله اليها صحبة رجاله ، وأنه تعرض لأطرافها بالنهب والسلب (١٢) . اذ لا يعقل أن بلدوين قام بعمليات أسر ونهب فى منطقة ارمينية .. مع أن مرشديه كانوا من الأرمن ، هذا فضلا عما فى هذا الراى من تعارض مع ما ذكره وليم الصورى من تقرب الأرمن

---

(٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber III (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 352.

(٨) Alberti : Ibid., p. 352.

(٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303, Runciman: Op. Cit., V. 1, p. 203. (Albert of Aix) عن
سعيد عاشور و الحركة الصليبية حـ ١ ص ١٨١

(١٠) C. Cahen : Op. Cit., p. 210.

(١١) C. Cahen : Ibid., p. 210.

(١٢) Baldrici, Episcopi Dolensis : Historia Jerosolimitana (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p.p. 80 - 81 حاشية

لبلدوين وتمجيدهم له (١٣) . والأصوب هو ما ذكر فولشر ونصه « ما أن عبرنا أمام الأرمن واتضح أننا نتقدم ونحمل الصلبان والأعلام معلنين جبنا المتواضع للسيد المسيح ، حتى قبلوا اقدامنا وثيــابنا الممزقــة ، لأنهم سمعوا اننـــا فى سبيلنا لحمايتهم من الاتراك (١٤) » .

ومهما يكن من أمر فـــان بلدوين لم يكد يتلقى ســـفارة ثوروس حتى استجاب لها فى الحال لمـــا رأى فيها من اتفاق مع طموحه ، فجد فى المسير فورا ليعبر الفــرات فى نحو ثمانين فارسا فقط ، فى حين ترك بقية اتباعه لحراسـة القلاع والبلاد الواقعة على الضفة الغربية للفرات (١٥) .

وعند وصول بلدوين الى الرها فى فبراير ١٠٩٨م(١٦) (٤٩٢هـ) استقبل استقبالا رائعا صوره لنا المؤرخون (١٧) ، مما اثار شعور الغيرة والحسد فى نفس ثوروس الذى أخذ يحس أن زمام الأمور سوف يفلت من يديه أمام

---

(١٣) William : Op. Cit., V. 1, p.. 188 - 189.

(١٤) Fulcherii Carnotensis : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 337.

(١٥) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 190. أمـــا متى الرهـــاوى فيذكر أن عدد فرسانه كان ستونا . (Mattieu : Op. Cit., p. 36) فى حين يشير مصـــدر لاتينى آخر أنهم كانوا ثمانون . Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap XVIII (R.H.C.), Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 149.

(١٦) Grousset : Hist. des Croisades, V. 1, p. 55, Runciman Op. Cit., V. 1, p. 24 من (Albert) ذكر المرجعان أن ذلك كان فى بداية فبراير اما اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٨ فيذكر « انه دخل مدينة اذاسا فى العشرين من فبراير ١٠٩٨م » . من (Hagenmeyer : Chronologie)

(١٧) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historiae Liber III T. 4, p. 352, William : Op. Cit. V. 1, p. 191, Miehaud ; Op. Cit. V. 1, p. 242.

قوة شخصية هذا القائد وامام حب الأهالى الجارف له (١٨).ويروى بعض المؤرخين المعاصرين ان ثورس « حسد بلدوين سرا وبعمق من كل قلبه » (١٩) . فى حين يذكر وليم الصورى أن ثوروس « بدأ يفكر فى التخلى عن الترتيبات التى اقحم نفسه فيها . فعندما استنجد ببلدوين كان قد عزم على أن يقتسم معه ايرادات المدينة ، على ان ينفرد بلدوين بكل شىء بعد وفاة ثوروس . ولكن الأخير عاد بعد وصول بلدوين الى التفكير فى أن يمد بلدوين المساعدة للمدينة واهلها ضد ضغط الاتراك،ويحميها من عدوانهم مقابل اجر معين . وهنا اخذ بلدوين يتساءل كيف يقبل ان يعمل اجيراً مقابل مكافاة سنوية »(٢٠) .

ومن هذا النص نستنتج أن ثوروس كان لديه تفكير سابق بأن يجعل بلدوين شريكا له فى الحكم ثم خليفة له ، ولكنه عاد فعرض على بلدوين أن يحميه هو وشعبه مقابل مكافاة سنوية محترمة .

ويبدو هذا بوضوح فى النص اللاتينى الذى يشير الى ان ثوروس عرض « ان يقدم الى بلدوين كثيرا من الذهب والفضة والاحجار الكريمة والآلاف من الخيل وكميات كبيرة من الأسلحة على شرط ان يثبت له وللاهالى والجهات المواجهة لكمائن الاتراك انه سيدفع عنهم خطرهم(٢١) » . ويقول وليم الصورى « ان بلدوين رفض باحتقار هذا الاقتراح الذى يعنى اعطاء بلدوين اجرا مقابل خدماته كأى جندى عادى ، وبدأ يعد العدة للعودة »(٢٢) . ويشير جروسيه أن بلدوين هدد « بالتخلى عن مهمته(٢٣) » بل اشترط « اما أن يقتسم السلطة مع ثوروس أو يترك

(١٨) Cahen : Op. Cit., p. 210.
(١٩) Albert Aquensis : Historiae... Liber III, T. 4, p.p. 352-353.
(٢٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.
(٢١) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 353.
(٢٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.
(٢٣) Grousset : L'Empire, p. 204.

الرها ويتنازل عن المدينة لهجمات الاتراك »(٢٤) . .

وثمة رأى فى التاريخ خلاصته ان ثوروس تبنى بلدوين . ولا ندرى هل ثوروس هو الذى ابتدع هذا الراى ؟ أم أن بلدوين هو الذى أجبره على ذلك ؟ أم ان هذه الفكرة كانت رغبة أهل الرها أنفسهم ؟ أم رغبة أعيان البلد الممثلين فى مجلس الشيوخ المساعد لثوروس فى الحكم ؟

هناك اشارات فى المصادر المعاصرة الى أن هذا الاتجاه نبع من تفكير ثوروس نفسه حيث ورد فى بعض تلك المصادر أن « هذا الأرمنى كان شيخا لم ينجب أولادا ، ولذا تبنى بلدوين ليتخذه ابنا له ، اذ رآه رجلا ذا شخصية جذابة وممتازا فى احساسه ويحمل شيم بنى جنسه»(٢٥). هذا فى حين جاء فى مصادر اخرى أن بلدوين « أجبر ثيودور على تبنيه وجعله وريثه » (٢٦) . أما وليم الصورى فقد ذكر أن هذا الاتجاه جاء وليد الرأى العام واجماع أهالى الرها انفسهم ، وعندما احس ثوروس بالحاحهم وافق وأذعن على مضض(٢٧) .

اما عن موقف اعيان الرها ومجلس شيوخها من بلدوين فيقال انه بمجرد أن هدد بلدوين بترك البلد والعودة من حيث اتى « وانه ليس فى الامكان الحفاظ على بلدوين بالذهب أو الفضة أو باية خدمات ذات قيمة عظيمة ، توجه الأعيان الى ثوروس وتوسلوا اليه بكافة الوسائل والرجاء الا يسمح لمثل هذا الرجل النبيل والمدافع القوى بالعودة وان يتخذه شريكا لنفسه من أجل المحافظة على مصير الامارة »(٢٨) .

عندما لمس ثوروس اصرار الاثنى عشر شيخا وكل المواطنين وتعاطفهم

---

(٢٤) Grousset : L'Epopée, p.p. 56 - 57.

(٢٥) Baldrici Epicopi Dolensis : Historia, (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 81.

(٢٦) E.R. Hayes : Op. Cit., p. 289, Duval : Op. Cit., p. 278.

(٢٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.

(٢٨) Alberti Aquensis : Historiac Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 353.

مع بلدوين استجاب لرغبتهم « عن رضى أو عن غير رضى » واتخذ بلدوين ابنا له بالتبنى (٢٩) .

وهكذا تم تبنى ثوروس لبلدوين وفقا لمراسيم التبنى فى الكنيسة الأرمينية فى القرن الحادى عشر(٣٠) . وتم ذلك فى حضور سكان المدينة وفى احتفال مهيب (٣١) . وهنا تذكر المصادر اللاتينية أن الثقة سرعان ما سادت بين بلدوين وثوروس وقويت صلة الأبوة والبنوة بين الاثنين(٣٢) . ولكن يبدو أن تلك الثقة لم تدم طويلا .

والواقع أن تبنى ثوروس لبلدوين صار يرمز الى حكم مشترك « أرمنى — فرنجى » على الرها (٣٣) . وبعد ذلك التبنى مباشرة خرج بلدوين الى سميساط لمحاربة أميرها وكان بصحبة قسطنطين حاكم

Alberti : Ibid., p. 353. William : Op. Cit. V. 1, p. 191. (٢٩)
Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 337,

وبحكم هذا التبنى أصبح بلدوين الوارث الوحيد لثوروس
Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena
— Cap XVIII (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 149.

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 56, (٣٠)
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٨٢ . عن
(Guibert de Nogent)
Grousset : L'Epopée, p. 57.

وهنا يشير جروسية « انه بارتباك وطبقا الشعائر العصر مرر العجوز الأرمنى (ابنه) عاريين لحمه وقميصه . . . الى آخر الشعائر ويؤيده فى ذلك
(Zoé Oldenbourg : Les Crois. p. 140).

William : Op. Cit., V. 1, p. 191. (٣١)

Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 337, Alberti (٣٢)
Aquensis : Op. Cit. Liber III, T. 4, p. 353.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 58. (٣٣)

كركر لكنهما لم يوفقا وعادا سريعا(٣٤) . وما كاد بلدوين يعود من تلك الحملة حتى اخذ اهالى الرها يدبرون مؤامرة للتخلص من ثوروس ، وكانهم لم يكفهم ما حدث له ولسلطانه الذى اصبح مناصفة بينـه وبين بلدوين البولونى . والحقيقة ان عوامل الكره لثوروس ترجع الى اسباب عـديدة اولها واهمها فى نظر الأهـالى عقيدة ثوروس البيزنطية (٣٥) . ويفسر (اولدنبرج) ذلك بقوله « ان امراء الرها الأرمن اجبروا ، كى ينجحوا فى العمـل فى الجيش البيزنطى ، على تقبل مذهب القسطنطينية الذى اخـذ بالطبيعتين ، وبذلك غدوا منفصلين معنويا عن شعبهم الأصلى ، فضلا عن انفصـالهم عن السكان الوطنيين المتمسكين بالمذهب اليعقوبى . ولم يشذ ثوروس عن هذه القـاعدة .. فاصبح فى نظر المسيحيين الشرقيين ارمنى الجنس بيزنطى العقيدة(٣٦) .

فاذا اضيف الى ذلك ان ثوروس كان بخيلا (٣٧)) . ومكروها بسبب استبداده (٣٨) وانه ارهق رعاياه بالضرائب ليرضى جشع الاتراك ويدفع لهم الأموال (٣٩) . فضلا عمـا يقـال من ان سـخط الأهـالى عليـه يرجع الى « دوافع خلقية » (٤٠) . ادركنا فى النهاية اسباب التآمر ضده فى ذلك الوقت . هذا وان كان متى الرهـاوى يعتبر ان كل تلك الأسباب المصـادرة عن الرهويين : « والتى تمسك بها المؤرخون اللاتين ، لم تكن سـوى ، عللا وضعوها لكى يبرروا خيانتهم لثوروس وتآمرهم ضـده ،

---

(٣٤) Mattieu d'Edesse : Op. Cit., p.p. 36 - 37, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304, Archer : Op. Cit., p. 61. عن Albert)

(٣٥) Cahen : Op. Cit., p. 210, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208

(٣٦) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 139.

(٣٧) Cahen : Op. Cit., p. 210.

(٣٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 354, William : Op. Cit., V. 1, p. 193. Grousset : Hist. des Crois. ; V. 2, p. 867 عن (Albert)

(٣٩) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 245.

(٤٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

حتى قتلوه وسط هيــاج شعبى منفعل (٤١) . وقد تناسى هؤلاء الثوار ان ثوروس هذا كان لا يستحق تلك النهاية بعد ما قدمه من خدمات عــديدة للمدينـــة ، لانه « بسبب مهارته الحــذرة وبعبقريته وشجاعته استطاع ان يجنبها فعلا خطر السقوط فى قبضة المسلمين »(٤٢) . ويقال ان اهــالى الرها دبروا مؤامرتهم بمؤازرة قنسطنطين حاكم كركر(٤٣) . ولكن الذى يعنينـــا ويتطلب منـــا وقفة قصيرة هو دراسة الدور الذى اسهم به بلدوين فى تلك المؤامرة . او على الاقل دراســـة موقفه منها .

هنا نجد بعض المؤرخين المعاصرين مثل فولشر يصمت عن الادلاء باى اشارة عن هذا الموضوع ، فى حين نجد متى الرهاوى ينهم بلدوين صراحة بالمشاركة فى المؤامرة (٤٤) . هـــذا فضلا عن فريق ثالث يشير الى ان بلدوين « احيط بخفايا المؤامرة ولكنه رفض أن يشارك فيها (٤٥) . ومن المرجح ان بلدوين كان على علم بالمؤامرة ولكنه ابتعـــد عن الظهور على

---

(٤١) Mattieu : Op. Cit., p. 30.

(٤٢) Mattieu : Ibid., p. 37, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 56.
Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 245. (Mattieu من

(٤٣) Mattieu : Ibid., p. 37, Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 304, William : Op. Cit., V. 1, p. 193.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 من Alberti), Cahen : Op. Cit., p. 210, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 57.

(٤٤) Mattieu : Ibid., p.p. 37-38, Chalandon : Hist. de la première Croisade, p. 176. Augustine Fliche : Hist. du Moyen Age, T. 11, p. 570.

(٤٥) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 354, Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 140 عن (Albert) وهنا يذكر البرت انه عندما طلب أهالى الرهـــا من بلدوين مشـــاركتهم فى التخلص من ثوروس قال لهم : يجب الا ارتكب خطأ باستخدام القوة ضد هذا الرجل دون سبب ، الذى اخـــذته والدا ووضعت ثقتى فيه . وانى اتوسل اليكم أن تسمحوا الى ان لا الوث بموته وبدمـــه . وان تجعلوا اسمى خسيسا بين قـــادة الجيش المسيحى .

مسرح الجريمة مع المتآمرين ، حيث ذكر أنهم « اجتمعوا معه وذكروا له انهم سيجعلوه سيدا أوحدا على الرها اذا تركهم يتخلصون من ثوروس (٤٦) » . أى أنه « اخبر بها لكنه ابعد عنها (٤٧) » . .

كان بلدوين موجودا فى القلعة التى هاجمها الثوار ومعه قواته المسلحة ، وكان من الممكن بسهولة ان يمنع الهياج المدبر ، اذا اراد ذلك ، لكنه لم يقدم على شيء وترك ثوروس يلقى مصيره(٤٨) .

وفى ٧ مارس ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) قام الثوار بنهب منازل كثير من المتصلين من طريق الخدمة بثوروس واحتلوا الجزء العلوى من القلعة . وفى اليوم التالى تجمعوا ليحاصروا الجزء الداخلى حيث كان ثوروس محبوسا ، وشددوا الحصار بدقة (٤٩) . وعندئذ حاول بلدوين أن يقوم بدور الوسيط بين الثوار وثوروس . فذهب اليه وطلب منه أن يسلم خزائنه للثوار فى مقابل التعهد بحمايته هو وزوجته . وقد نقل لنا البرت كلام بلدوين الى ثوروس فقال : « تآمر كل المواطنين وحكام هذه الامارة ضدك وهم يسرعون نحو هذه القلعة بكل انواع الأسلحة وفى هياج شديد وفى تهور واندفاع ، وهذا كله يسبب لى الألم والضيق الشديد . لكن اذا كان فى استطاعتك أن تطلق سراح نفسك باية وسيلة ، أو بالتنازل من كل سلطاتك ، فلن أتوان فى الاسراع اليك » . وكان ان استمع ثوروس بصعوبة الى كلام بلدوين (٥٠) . ثم قدم له صليبين من اكبر الآثار المقدسة تبجيلا فى أرمينيا القديمة ، فحلف بلدوين على تلك المقدسات المبجله بالايصاب ثوروس باذى اذا نفذ ما طلب منه . وعندئذ سلم ثوروس القلعة

---

(٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 37, Alberti Aquensis : Ibid., p. 354, Grousset : L'Epopée, p. 57.

(٤٧) Cahen : Op. Cit., p. 210, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 - 206.

(٤٨) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 140.

(٤٩) Grousset : Hist. des Crois , V. ,1, p. 57, Michaud : Op. Cit. V. 1, p. 245, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 206.

(٥٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 354.

لبلدوين فدخلها مع كل اعيان المدينة(٥١) .

وثمة رواية اخرى تقول ان ثوروس استدعى بلدوين « وسكب امامه خزائنه بغزارة ملتمسا منه التشفع لمصلحته لدى الأهالى (٥٢) » . ويصور لنـــا احد الصليبيين تلك الخزائن بقوله : « كشف عن خزائنه (ثوروس) الهائلة والتى لا مثيل لها فى السماء بما فيها من آنية ذهبية وفضية وعملات بيزنطية »(٥٣) . ويبدو أن المتآمرين وافقوا بعد ذلك على ان يخرج ثوروس من القلعة ويرحل حرا غير مســلح (٥٤) . فينزح الى ملطيــة التى كان اميرها جبريل والد زوجته (٥٥) . ثم عاد الأهالى وندموا من جديد على تركهم ثوروس حيا « وصاحوا بالاجماع الا يتركوا ذلك الرجل يخرج حيا او معافى حتى لا يحدث اى تغيير للظروف او استرداد للأشياء »(٥٦) . ويعبر (ميشو) عن ذلك بانهم اتهموه « بانـــه لم يوقـــع على الصـــلح الا مخادعا (٥٧) » . لذلك اندفعوا نحو القلعة ونادوا بموت ثوروس اخترقوا القلعة فى ضوضاء « وامسكوا بثوروس والقوا به من اعلى الاسوار (٥٨) »

أما وليم الصورى والبرت فيذكران انه فى حالة شعور ثوروس باليأس . حــاول أن يهرب من احـــدى النوافذ عن طريق حبل ولكن عندما بدا ينزل

---

(٥١) Mattieu : Op. Cit., p. 38, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 57, L'Epopée, p. 57.

(٥٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

(٥٣) Albert Aquensis : Historiae Liber III, T: 4, p. 355.

(٥٤) Alberti Aquensis : Ibid., p. 355.

(٥٥) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 عن (Albert)

هنا يذكر ميشو (انـــه بمجرد ان استسلم ثوروس ووعـــد بالتنـــازل عن حكومة الرها وطلب الانسحاب مع عائلته الى ملطية حتى قوبل ذلك الاقتراح بفرح وحلف الأهالى على الصليب وعلى الأنجيل باحترام الشروط)

Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٥٦) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 355.

(٥٧) Michaud . Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٥٨) Michaud : Ibid., p. 246.

على الحبل رشق جســـده بالاف السهام فسقط ميتا . (٥٩) . بل انهم سحلوا جثمانه فى الشوارع وقطعوا راســـه وحملوا جثمانه للتشهير به فوق الحراب خلال كثير من قرى الامـــارة (٦٠) . والواقـــع اننا نطل من وراء هـــذا النص على البدايـــة المبكرة لعمليـــة الســـحل والتمثيل بالجثث .

هنا يكتفى فولشر بقوله ان بلدوين « تملكه الحزن هو ورجاله فلم يكن فى استطاعتهم عمل شىء من اجله » (٦١) دون ان يشير الى المؤامرة باى شىء، وربما يرجـــع ذلك الى شـــدة قربة ببلدوين حيث كان قسيسه الخـــاص . وهناك رأى وحيد يشير الى « ان بلدوين اشترك بالفعل فى المؤمراة وان له يدا فى مصرع ثوروس وانه اشترك مـــع زوجـــة ثوروس فى تدبير المؤامرة ليخلو له الجو ، ثم يتزوج منها بعـــد ذلك لكى يضفى على حكمه للبلاد صبغة شرعية (٦٢) » . وهو رأى قـــد يكون بعيدا عن الحقيقة فى نظرنا ، خاصة واننا لم نجد ما يؤيده فى المصادر المعاصرة

وفى ٨ مارس ١٠٩٨م « على الرغـــم من اعتراض بلدوين ، نـــادى الأهالى به حاكما لهم وحلفوا يمين الولاء لـــه وقـــادوه فى موكب عظيم واجلال الى داخل قلعة المدينـــة حيث اغدقوا عليه كل الأموال والثراء الواســـع الذى احتزنه حاكمهم الســـابق خلال سنوات عديدة ..وبهذا عاد للمدينة الامن والطمانينة (٦٣) » .

والواقـــع اننا حين نعلق على موقف بلدوين نستطيع أن نقول انـــه كان على جانب كبير من الدهاء والمكر والذكاء . فهو فى بدايـــة امره كان يتطلع — شـــانه شأن باقى امراء الحملـــة الصليبيـــة الأولى — الى ان

---

(٥٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 355. William : Op. Cit., V. 1, p.p. 193 - 194.

(٦٠) Alberti : Ibid, p. 355, William : Ibid., p. 194. Mattieu Op Cit, p 38

(٦١) Fulcherii Carnotensis : Historia ..Hist Occid. T. 3, p. 338.

(٦٢) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ص ٢٠٥ .

(٦٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist Occid T. 4 p. 355, William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

تكون له امارة يحكمها فى الشرق . وعندمـا أراد ثوروس أن يجعل منه جنديا مرتزقا هـدد بالانسحاب وهو واثق كل الثقة أنـه ـ وشعبه ـ لن يتخلوا عنـه . ثم عندمـا دبرت المؤامرة ضـد ثوروس رفض بلدوين المشـاركة فيها جهرا ليظهر امام ثوروس فى صورة الرجل المحافظ على عهوده ، ومن ناحيـة اخرى حتى لا يكون مثارا لشـك الأهالى بعـد نجـاح المؤامرة واخيرا وبعد أن تمت المؤامرة وقتـل ثوروس ؛ وعرض عليـه حكم الامارة اذا بـه يتمنع وهو راغب كل الرغبة فيهـا .

لكن هل جـاءت فكرة تاسيس بلدوين « لامـارة الرهـا الصليبية » وليدة الظروف نفسها ؟ بعـد استدعاء ثوروس له ومقتل الأول واختيار الأهالى لبلدوين مكانـه ، أم أن تلك الفكرة كانت موجودة أصـلا لدى بلدوين . وتم تنفيذها ، عندما أتيحت لها الفرصـة ؟ .

هنا نجـد « أولدنبرج » يشير الى أن بلدوين ، « لم يفكر أبدا فى فتح كنيسة القيامة ـ يقصـد بيت المقدس ـ بل كان لديه نشـاط جامـح لاقامة مملكـة خاصـة به فى الشرق (٦٤) » . لذلك نجـد أن بلدوين انفصل عن بقيـة الجيش الصليبى منذ وقت مبكر ـ وشـاركه فى ذلك تنكريـد ابن اخت بوهيموند ـ ليعمـلا لحسـابهما (٦٥) . بـل أن البعض يؤكد ان رغبـة كل من بلدوين وتنكريد كانت اقتطـاع امارات لانفسهما فى آسـيا الصغرى (٦٦) . هـذا الى جـانب رأى وحيـد انفرد بالقول بأن هـذه الفكرة نبعت من منافسـة بلدوين لتنكريد كرد فعل على « محاولتـه تاسيس امارة بالشرق لعمـه بوهيموند (٦٧) » . لكن من المرجح ان عنصر المنافسـة وحـده لايكفى أن لم تدعمه الامكانيات المختلفة . والواقـع ان الفكرة كانت كامنة لدى بلدوين حتى كشف عنها فى الوقت المناسب عندما وجـد المكان الصـالح لتحقيقها وكان أن وجـد فى اقليم الرهـا السـكان الأرمن المتلهفين على قدوم الصليبيين « وعندئذ ظهرت له أرض افضل للعمل بما يتفق مع خططه . ولكى ينجد مسيحيى

---

(٦٤) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 141.

(٦٥) F. Chalandon : Hist. de la première Crois. ; p. 234, Zoé Oldenbourg : Ibid.. p. 111.

عادل زعيتر : حضارة العرب د الطبعة الثانية ص ٣٩٩ .

(٦٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208.

(٦٧) ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العرينى ، ص ٣١ . وهنا المفروض خاله وليس عمه .

الشرق ، من الافضل ان يتحالف مع أولئك المسيحيين ضد الاتراك وعندئذ تصبح لديه بعض القوة ، التى رتب لها ، فهو لم يفكر فى قهر أرض على جانب من الأهمية بدون الأعتماد على السكان الوطنيين . وفى اقليم الرها يمثل الأرمن القوة الحقيقية . والواقع انها لم تكن مدينة محتلة بواسطة الأتراك ، لكنها كانت مدينة مسيحية رغب بلدوين ان يصبح سيداً لها » (٦٨) .

وهكذا باءت بالفشل محاولة ثوروس فى اقامة حكومة ارمينية فرنجية (٦٩) . فقد كانت امارة الرها التى حكمها ثوروس بمفرده بيزنطية ارمينية ، ثم اصبحت لاتينية ارمينية بعد تبنيه لبلدوين (٧٠) . ثم تحولت شيئا فشيئا حتى اصبحت امارة لاتينية صرفه (٧١) .

حكم بلدوين البولونى منفردا للرها : ١٠٩٨ — ١١٠٠م (٤٩٢ — ٤٩٤هـ) .

تجمع غالبية المصادر التاريخية على ان امارة الرها هى اولى الامارات التى أسسها الصليبيون فى الشرق ، وان تأسيسها يرجع الى بداية مارس ١٠٩٨م (٧٢) (٤٩٣هـ) (٧٣) وهى السنة التى أنفرد فيها بلدوين بحكم الرها بعد مقتل ثوروس .

(٦٨) Zoé : Op. Cit., p. 139.

(٦٩) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 629.

(٧٠) Grousset : L'Empire, p. 297,

(٧١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ١٨٤ : Grousset Ibid., p. 184.

(٧٢) William : Op. Cit., 1, p. 194, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 304. هنا اخطأ البعض فى ذكر تاريخ تاسيس الامارة (الميلادى) فقد اشار مرجعان انها قهرت بواسطة الصليبيين سنة ١٠٩٩م وهما : Dictionnaire d'Histoire et de Geographie T. 14, p. 1422, G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient, p. 1.
فى حين يشير مرجع آخر الى ان ذلك كان سنة ١٠٩٧م Cam. Med. Hist. V. V., p. 301 (1936).

(٧٣) هنا ايضا اخطأت بعض المصادر فى ذكر التاريخ الهجرى فمثلا ابن أيبك الدوادارى كنز الدرر ، جـ ٦ ص ٤٥٠ يذكر أن ذلك كان سنة ٤٩٠هـ . اما التاريخ المظفرى : ميكر وفيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث سنة ٤٩١هـ ، ابو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٥٩ فيذكران ان ذلك كان ٤٩١هـ .

وهكــذا دخلت الرهــا فى حوزة الفرنــج بعــد أن « كانت مركزا بيزنطيا فى مواجهة مركز اسلامى فى حران » (٧٤) . والواقــع انه اذا كنا قــد بينا من قبل اهمية تأسيس امارة الرهــا بالنسبة للبناء الصليبى فى الشرق ، فان بعض البــاحثين يرون أن تاسيس امــارة الرهــا يعتبر ســابقة خطيرة ، لانه شجع بقية امراء الحملة الصليبية الأولى على أن يحذوا حذو بلدوين فى تكوين امارات لانفسهم مما يهدد وحدة الكيان الصليبى فى الشرق (٧٥) .

وكان أن تكونت فعلا فى الشــام أربع امارات صليبية اختلفت أهدافها باختلاف اصول مؤسسيها . وفى ذلك يقول (بروييــه — Prawer) أن امارة الرها كانت امارة ارمينية لورينية،(٧٦)ثم امارة انطاكية التى اسسها بوهيموند امارة نورماندية على طريقة نورمان صقلية وامارة طرابلس التى شيدت على الأسس التى وضعها ريموند الصنجيل كانت امارة بروفنسالية Provençale ومملكــة بيت المقدس ، امــارة لورينيــة وفرنسية شمالية (٧٧) .

وقــد اختلفت امارة الرهــا عن بقية الامارات الصليبية بانها اخــذت ولم تقهر (٧٨) أو بمعنى آخر تحولت السلطــة فيهــا من رئيس أرمنى الى رئيس فرنجى (٧٩) .

امــا عن شخصية مؤسس امــارة الرهــا الصليبية ، وهو بلدوين البولونى او بلدوين دى بوايون (٨٠) الــذى حكم الرهــا من ١٠٩٨ —

---

(٧٤) Cahen : Op. Cit., p. 111.

(٧٥) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 56, Bréhier : L'Eglise et L'Orient, p. 77 عن (Gesta Franc)

(٧٦) ســار على راس احــد الجيوش الصليبية ، الذى جند من فالونيا وفــلاند واللورين ، قــادة فرنســيين هــم : جــود فرى دى بوايون Godefroy de Bouillon واخويــه بلــدوين وايوســتاش وابن خــاله بلــدوين دى بــورج . (F. Charles — Roux : France et Chrétiens d'Orient, p. 15).

(٧٧) J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 249.

(٧٨) J. Prawer : Ibid., p. 249.

(٧٩) Cahen : Op. Cit., p. 225.

(٨٠) وبوايون Bouillon هى مدينــة فى بلجيكا بمقاطعة لوكسمبرج

١١٠٠م (٤٩٢ — ٤٩٤هـ) (٨١) فالمعروف أنه كـان أخـا لجود فرى دى بوايون وكان يصغر أخـاه بسنة أو اثنتين . (٨٢) جمعته هو وأخوه بعض صفات مشتركة فقد كانا « جنديين ذوى مقدرة عالية » (٨٣) ،م كذلك تشابها فى الفطرسـة والتكبر (٨٤) .

وتلقى بلدوين فى طفولته ثقافة واسعة شملت مختلف النواحى المدنية والدينية « فلم يختلف بلدوين عن بقية صغار العائلة العظيمة ، اذ تربى تربية اميرية حسب معايير العصر » (٨٥) هذا فضلا عن أنه « كرس فى طفولته للدولة الاكليروسية » (٨٦) ومن ناحيـة أخرى كان ذكيا طماعا ، صريحا ، مرنا ، سريعا ، وهب طموحا شـديدا كما كان رجل سياسـة ورجل دولـة (٨٧) .

والواقع أن بلدوين عرف منـذ البدايـة أنه لايستطيع ابدا الاعتماد الا على خاصته ولكن بالرغم من أنـه لم تكن له شعبية مثل أخيه جود فرى أو مثل بوهيموند ، الا أنه عرف كيف يجعل نفسه محترما، مهاب الجانب ، فشجاعته وحزمه وحسمه للأمور فرضت احترامه على كل من أصدقائه

= شمال فرنسـا . وكـانت بوايون فى القرن الحادى عشر الميلادى تحت حكم أمراء الأردن Ardennes والذين تولى خمسـة منهم فيما بين ١٠١٢ — ١٠٦٩م منصب دوق اللورين الجنوبى بواسطة ملوك الجرمان . ولمـا كانت بوايون هى قلعتهـم الرئيسية فقـد اصبح من المـألوف أن يلقب هؤلاء الأمراء : بأمراء بوايون ، رغم أن بوايون نفسها لم تكن دوقية . والى بوايون هـذه ينسب أميرنا الصليبى بلدوين .
Encyclopadia Britannica, V. 4, p. 12 (1768)

(٨١) Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 997.

(٨٢) Zoé : Op. Cit., p. 116.

(٨٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 179, Zoé : Ibid., p. 116.
ويضيف المرجـع الأخير بأن بلدوين كان المحـارب الأكثر ضراوة ، الأكثر شجاعة ، الذى لا يبالى بالتعب اطلاقـا (ص ١١٧) ذو السـلاح جيد وشهامة جامحة (ص ١٣٥) .

(٨٤) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Francos, (R.H.C). Hist. Occid, T. 4, p. 147, William : Op. Cit., V. 1. p. 180. Zoé : Ibid., p. 86 عن (Anne)

(٨٥) Zoé : Ibid., p. 135.

(٨٦) Zoé : Ibid., p. 117.

(٨٧) Zoé : Ibid., p. 117.

واعدائه ، ومع ذلك فانه كان قليل الأصدقاء (٨٨) وربما يرجع السبب في ذلك الى أنه كان محبا لذاته ، محبا للانفراد بالنفوذ والسلطة (٨٩) . ولكن ذلك لم يمنعه من تحقيق مآربه عن طريق المهادنة حينا والتهديد بالقوة احيانا كثيرة (٩٠) .

والحقيقة انه مهما تضاربت الأقوال في ذكر صفاته الا انها في مجموعها لا يمكن ان تقلل من مكانته بين الأمراء الصليبيين الذين تفخر بهم الحروب الصليبية ، والا لما استطاع ان يصل بعد أن كان اميرا لامارة الرها اللاتينية الى منصب ملك بيت المقدس سنة ١١٠٠م .

ومنذ اللحظة الأولى لاعتلاء بلدوين حكم امارة الرها ، وضع نصب عينيه أن يعمل جاهدا على حماية ذلك الحجر الأول في الصرح اللاتيني في المشرق ، من طريق تدعيم الجبهة الداخلية للامارة وعن طريق التوسع الخارجي .

ان ما كان يشغل تفكير بلدوين منذ انفراده بحكم الرها هو خطر الأتراك المحيطين به من كل جانب وتهديدهم لامارته ، هذا الى جانب قلة عدد قواته من فرسان الصليبيين ، (٩١) وعدم ثقته الكاملة في اهالي الامارة الأرمن بعد ما حدث لثوروس من جانبهم ، بالاضافة الى قلة ما بيده من ثروة يستطيع أن يحقق بها مايدور في خاطره من مشروعات عظيمة . فكيف تغلب بلدوين على تلك الصعاب ؟ .

والواقع ان المشكلة الأولى التي واجهت سبيل بلدوين كانت قلة عدد فرسانه من الصليبيين الغربيين ، وهنا ساعده الحظ لأن عددا كبيرا من الصليبيين الذين شاركوا في حصار انطاكية سئموا طول الحصار بعد ان ضاقت بهم الحال فاتجهوا الى الرها ينشدون حياة افضل تحت زعامة بلدوين (٩٢) . ويرجع البعض أنه اغراهم على

---

(٨٨) Zoé : Ibid., p. 141.
يقصد هنا بخاصته (فرسان بطانته وذوى قرباه والسادة الصليبيين الذين ارتبطوا به عن طريق بعض الهبات)

(٨٩) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 179 - 180.

(٩٠) William : Ibid., V. 1, p.p. 180 - 182.

(٩١) ولو ان (آرتشية) يذكر هنا أنه « رغم ذلك قبض بلدوين على الأمور بكبرياء كما لو كان وراءه جيش من الفرنج » Archer : Op. Cit., p. 62.

(٩٢) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 465.

القدوم الى امارته لانه كان فى حاجة الى جند (٩٣) .

وبمعنى آخر فان الصليبيين الذين نزحوا من أمام أنطاكية الى الأمير بلدوين بالرهـا كانوا على نوعين : نوع كـان يأمل فى الحصـول على اقطاعات (٩٤) وبالتـالى ينشـد الاستقرار فى الرهـا . وفريق آخر اسرع الى الرهـا للحصول فقط على بعض ضروريات الحياة ثم العودة مرة اخرى لينضم الى الجيش الأصلى . وقد احسن بلدوين استقبال هذا الفريق الاخير واظهر لهم احتراما كبيرا ثم أعادهم الى اخوانهم بالشـام فى حيوية عالية بعد ان انعم عليهم بالهبات العديدة (٩٥) . لكن بالرغم من رحيل هـذا الفريق عن الرهـا الا ان الصليبيين تدفقوا فى أعـداد هائلة على المدينـة بعد ذلك حتى اصبحوا مصـدر ازعـاج للأهـالى الأصليين (٩٦) . وكان ان نجح بلدوين فى اخضـاع كل اقليم الرها تحت قبضته القوية ، واعطى الأماكن الرئيسية الحصينة فى الامارة اقطـاعات لهؤلاء الفرسـان (٩٧) ومن بين الاقطاعـات التى وزعها بلدوين على رفاقه واقاربه من الصليبيين تل باشر وراوندان وقـد قدمهما لأخيـه جود فرى عندما انسحب من انطاكية اثناء حصـارها فى اغسطس ١٠٩٨م وذهب الى الرهـا (٩٨) . لكن ذلك لم يكن ليرضى طموح جـود فرى الذى غادر الرهـا بعـد فترة وجيزة (٩٩) .

ولكى يكسب بلدوين ود الأرمن ويقربهم منـه ، ويضفى على حكمـه صبغة شرعية فى نظر السـكان المحليين (١٠٠) . فانه اسرع بعـد وفاة

---

(٩٣) Zoé : Op. Cit., p. ...

(٩٤) Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 234.

(٩٥) William : Op. Cit., p.p. 301 - 305.

(٩٦) William : Ibid., V. 1 ; p. 305, Jean Richard : Le Royaume Latin de Jérusalem, p. 27, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 248.

(٩٧) Zoé : Op. Cit., p. 142.

(٩٨) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p.p. 440 - 441, William : Op. Cit. V. 1, p. 304.

Chalandon : Hist. de la première Crois. p.p. 228 - 229 - 234, Zoé : Op. Cit. p. 142, 143.

(١٠٠) Grousset : L'Epopée, p. 58.

زوجته الاولى بالزواج من اميرة ارمينية اسمها اردا Arda (١٠١) . وكانت ابنة احـــد كبار النبلاء الارمن ، وانها تنحـــدر من نسل روبان على قول بعض المؤرخين (١٠٢) .

والواقع ان بلدوين استطاع بهـــذه الزيجة أن يكسب ود الارمن داخل الرهـــا ؛ فنظروا اليه فى البداية على انه ليس فقط سيدا بل ابا ، وصاروا مستعدين للحرب حتى الموت من اجل سعادته ومجده (١٠٣) هذا الى انه حصل على صداق كبير من والد زوجته الواسع الثراء ، تمكن به من تسديد جزء من ديونه . ويقال ان هـــذا الصداق بلغ حوالى ستين الف بيزانت يضـــاف الى ذلك ما وعده به والد الزوجة بأن يرث أرضـــه بعد وفاته وان يؤمنه ضد الأتراك وان يحميه من خشونة الأرمن فى قيليقية (١٠٤) .

لكن العلاقات الطيبة لم تدم طويلا بين بلدوين ورعاياه الرهويين ويرجع ذلك فى الواقـــع الى تـــدفق الـــصليبيين الغربيين الى الرهـــا باعـــداد هائلـــة والذين لم يلبثوا أن ســببوا مضـــايقات للأهالى الأصليين رغم ما قابلوهم به من حفاوة وكرم (١٠٥) . فمنذ السنة الأولى لحكم بلدوين فى الرهـــا تكونت ارستقراطية فرنجية اتصفت بالكبرياء والتعالى وعاملت الأرمن والسريـــان باحتقـــار وعنف واعتبرتهم اجناســـا اقـــل منهـــم فى المستوى (١٠٦) .

هنا نلقى مسئولية ما حل باهالى الرهـــا من المسيحيين الغربيين ـــ ســـكان الرهـــا الجـــدد ـــ على بلدوين نفســـه فانه لم يحسن انتقـــاء

---

(١٠١) Fulscherii Carnotensis : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 433, Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 104, 205, Hist. des Crois. V. 1, p. 64, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372.

(١٠٢) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201, Morgan : Op. Cit., p. 169, Iorga : L'Arménie Cilicienne, p. 93 عن (Dulaurier)

(١٠٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(١٠٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 361. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64, Runciman : Op. Cit., V. 1, p.p. 208 - 209.

(١٠٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 305.

(١٠٦) Zoé : Op. Cit., p.p. 141 - 142.

العناصر الصليبية الغريبــة الوافدة الى امارته مما جعل بعض المؤرخين الصليبيين المعاصرين مثل البرت ووليم الصورى يسهبون فى وصف السلوك المعيب للصليبيين الذين استقروا فى المـدن المسيحية حيث استقبلوا فيها كاصـدقاء ، اذ اساؤا معاملة النبلاء الأصليين ونزعوا منهم بالقوة منازلهم ووجهوا اليهم كثيرا من الاهانات (١٠٧) . وفى ذلك المجـال يذكر وليم الصورى ان بلدوين قلل من الاعتماد على مشورة نبلاء الرهـا الأصليين الذين امتلك تلك المدينة العظيمة بفضل مسـاعدتهم ، مما اثار سخطهم عليه وعلى اتباعـه ، وندم اهل الرهـا لأنهم مكنوه من السيادة عليهم وخـافوا أن يسلبهم فى النهايـة من كل ما يملكون (١٠٨) . يؤكد نفس المعنى ما ذكره البرت : « ان الاثنـا عشر زعيما لدولة الرهـا ـ الذين يكونون مجلس شيوخها ـ تألموا تدفق الفرنسيين من انطاكية ومن كل الأماكن على مدينتهم ؛ انهم دفعوا بلدوين معهم فى كل عمل ولكنـه اهمل قراراتهم بصورة مفاجـأة فاستشـاطوا غضبا ضـده وندموا كثيرا لأنهم عينوا بلدوين سيدا وقائدا لدولتهم » (١٠٩) .

وهكـذا لم يلبث أن تـآمر اهل الرهـا مـع بعض امـراء الأتراك الجـاورين ، لقتل بلدوين على غرة ، أو على الأقل طرده من مدينتهم ـ (١١٠) . ولكن المؤامرة كشفت وتغلب عليها بلدوين بوسـائله العنيفة المعروفة عنـه (١١١) ، فقبض على المتآمرين وعاقبهم حسب الأسلوب المعروف فى الدولـة البيزنطيـة بسمل اعينهم وقطـع آذانهم وايـديهم واقدامهم (١١٢) . اما الذين اشتبه فى امرهم فقـد طردهم من المدينة، وصـادر ممتلكاتهم ، فى حين عاقب من سمح لهم بالبقـاء فى الرهـا ، بمصـادرة ممتلكاتهم والاستيلاء على أموالهم (١١٣) .

وهكذا يبدو ان بلدوين استفاد من تلك الحركة باثراء خزانته واشباع

---

(١٠٧) Zoé : Ibid., p. 141.

(١٠٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 305.

(١٠٩) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V., Hist. Occid., T. 4, p. 442.

(١١٠) Alberti : Ibid., p. 442, William : Op. Cit., V. 1, p. 305-306.

(١١١) Grousset : L'Empire, p. 297.

(١١٢) Alberti : Op. Cit., p. 443, Zoé : Op. Cit., p. 141.

(١١٣) Alberti : Ibid., p. 443, William : Op. Cit. V. 1, p. 306.

اتباعه من الصليبيين عن طريق المصادرات التى شملت كميات كبيرة من الذهب تقدر بحوالى عشرين الف قطعة (١١٤) . هذا الى جانب الأموال التى طلبها مقابل اطلاق سراح بعض المسجونين والتى تراوحت بين عشرين او ثلاثين الف بيزانت وستين الف للفرد الواحد (١١٥) .

ويجدر بالذكر ان بلدوين استطاع التغلب على الصعوبات المالية التى واجهته بطرق مختلفة اشرنا الى بعضها ، منها صداق زوجته والمصادرات والفديات ، هذا الى جانب الاموال المكتنزة فى قلعة الرها والتى كان الكثير منها قد سك من أيام البيزنطيين والتى كان ثوروس قد اضاف اليها الكثير (١١٦) .

ومهما يكن من امر ، فان بلدوين بعد تغلبه على المؤامرة السابقة اصبح يشعر بأنه سيد عظيم يمتلك امارة واسعة الأطراف . استطاع ان يقبض على زمام امورها الداخلية ، مما جعله يحس بانه يقف على أرض صلبة . وهذا كله جعله يوجه نظره الى خارج حدوده ليؤمن امارته الوليدة من خطر الاتراك المحيطين بها .

وكان ان وجه بلدوين اولى ضرباته ضد الاتراك سميساط (١١٧) الذين بداوا بمعاداته وهو فى طريقه الى الرها عند استدعاء ثوروس له ولو انهم لم يصيبوه هو وجماعته بأى اذى . فقد ذكر فولشر انه عندما بدا بلدوين رحلته الأولى الى الرها ، سمع الاتراك المقيمين فى مدينة سميساط النيعة الخبر فاسرعوا الى اقامة كمين له فى الطريق الذى تصوروا انه سيسير عبره . لكن احد الارمن استضافه وجماعته ، فاختفى فى ذلك المكان حوالى يومين ، حتى مرت الأزمة بسلام (١١٨) .

وما أن تم تبنى ثوروس لبلدوين – كما راينا – واصبح الأخير شريكا للأول فى حكم الرها ، حتى طلب منه ثوروس ان يحمى المدينة من اتراك

---

(١١٤) Alberti : Ibid., p. 442. William : Ibid., p. 306.
(١١٥) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.
(١١٦) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208.
(١١٧) مدينة على شاطىء الفرات فى طرف بلاد الروم غربى الفرات ولها قلعة فى شق منها يسكنها الارمن (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١١ ص ٢٥٨) .
(١١٨) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 337, William : Op. Cit., V. 1, p. 190.

سميساط وعلى رأسهم الأمير بلك بن الدانشمند (١١٩) . بوصفه أشد الأعداء قربا وعنادا وخطرا على الرهـا (١٢٠) .

كـان بلك وفقا لما ذكره وليم الصـورى والبرت محاربا شجاعا ، ماكرا شريرا ، سبب لأهالى الرهـا مضايقات عـديدة عن طريق فرض الاتاوات على حقولهم وإرهاقهم بالخـدمات ، والاحتفاظ بابنائهم ليكونوا بمثابة رهائن لديه (١٢١) لذلك توسل أهل الرهـا باميرهم بلدوين لكى يحميهم من طغيان بلك حـاكم سميسـاط (١٢٢) . الأمر الـذى جعل بلدوين يخرج سنة ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) على رأس حملة ضـد سميساط مصطحبا معـه فرسـانه الفرنج وجموع من أهل الرهـا انفسهم ، فضلا من المسـاعدات التى حصل عليها من قسطنطين حاكم كركر (١٢٣) . وبهـذا الجيش الكبير سـار بلدوين نحو سميسـاط حتى قارب اسوارها ونهب رجالـه ضواحيها فى الوقت الـذى كان الاتراك واثقين من قوة تحصينات المدينـة ولذا قاوموا بشـدة (١٢٤) . ومـع ان كفة بلدوين وأتباعه كانت راجحة فى البداية ، الا أن انصرافهم الى الغنائم لاقتسـامها بينهم (١٢٥) . اتـاحت فرصـة للعدو فهاجمهم ثلثمائـة فارس تركى وعندئذ حلت الهزيمة بالصليبيين فولوا الادبار (١٢٦) . وراح ضحية تلك الغزوة حوالى الفا او الفين من الرجـال (١٢٧) . من بينهم سـتة من

---

(١١٩) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 55, 61.

(١٢٠) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 عن (Albert).

(١٢١) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 303, William : Op. Cit., V. 1, p. 192.

(١٢٢) William : Ibid., V. 1, p. 192.

(١٢٣) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Zoé : Op. Cit., p. 142, Setton Op. Cit., V. 1, p. 304 عن (Albert - Fulcher), Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 عن (Albert).

(١٢٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 192.

(١٢٥) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 244, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 55.

(١٢٦) Mattieu : Op. Cit., pp. 36 - 37.

(١٢٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55, Michaud : Op. Cit. V. 1, p. 244. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ١٨٢

فرســان بلدوين الاشــداء ؛ لذلك ســاد الحزن العميق وانتشر العويل فى كافة انحاء الامارة (١٢٨) .

ولمــا راى بلدوين انه يصعب التغلب على حامية سميساط عــاد الى الرهــا بعد أن ترك حامية فى حصن قريب منها ، لتكون بمثابة خط دفاعى أمامى يحول دون تهــديد اتراك سميســاط للرهــا . ويبدو أن هــذا الاجراء خفف عن الرهــا فعلا ضغط الأتراك مما حقق لبلدوين قسطا من الشعبية والثقة داخل الرهــا ذاتها (١٢٩) .

وقــد سبق ان راينا كيف انه بعــد حملة سميساط الســابقة الذكر دبرت مؤامرة قتل ثوروس . وكان ان اخــذ بلدوين بعــد انفرادهه بحكم الرهــا يعد من جــديد للاستيلاء على سميســاط الأمر الذى افزع بلك ، وكان ان ارسل بعثة الى بلدوين يعرض عليه شراء القلعة مقابل عشرة آلاف بيزانت (١٣٠) . وهنا يذكر وليم الصورى أن بلدوين وافق بعــد تفكير وروية على ذلك العرض ، اذ وجــد أنه من الصعب اخــذ سميســاط بالقوة بسبب تحصيناتها القوية (١٣١) . اما (البرت) فيقول ان بلدوين لم يســتجب اولا لعرض بلك ، لانــه كان يعتقد ان الأخير اســتولى على سميساط من المسيحيين دون وجــه حق . وما ان احس بلك بنوايا بلدوين وجفوته ، حتى عقــد العزم على احراق القلعة وقتل من فيها من رهائن من اهل الرهــا ، وكان لديه الكثير منهم وعندئذ وافق بلدوين على العرض المقــدم اليه من بلك (١٣٢) .

ولم يعجز بلدوين عن توفير المبلغ المطلوب لشراء سميســاط اذ كان فى الخزائن التى تركها ثوروس كثير من الأموال المكدســة (١٣٣) .

---

(١٢٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 354.

(١٢٩) Alberti : Ibid., p. 354, William : Op. Cit., V. 1, p. 194, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 (Albert - Mattieu). عن

(١٣٠) Alberti : Ibid., Liber III, Hist. Occid., T. 4. p. 355, Runciman : Op. Cit., V. 1. I, p. 208 عن (Albert).

(١٣١) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(١٣٢) Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 355.

(١٣٣) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ١٨٥ (عن وليم الصورى) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 247.

تمت الصفقة واستولى بلدوين على سميساط واصبح بلك منذ ذلك اليوم تابعا لبلدوين (١٣٤) .

وكان ان دخل بلدوين سميساط ظافرا ، ووجد فى قلعتها رهائن عديدين كان بلك قد اخذهم من الرها ، فردهم بلدوين الى ذويهم (١٣٥) . مما اكسبه شعبية كبيرة فى الرها (١٣٦) .

ومع ذلك فان بلدوين كان يتشكك فى اخلاص بلك له وهو الأمر الذى اثبتت صحته الأحداث التالية .

اما الخطوة الثانية فى حركة بلدوين التوسعية والدفاعية عن امارته فهى ضم مدينة سروج (١٣٧) وهى مدينة ذات اهمية تجارية كبيرة ، بسبب ضاحيتها الخصبة (١٣٨) .

كان حاكم سروج عند قدوم الصليبيين هو الأمير التركى نور الدولة بلك بن بهرام الارتقى (١٣٩) . وبلك هذا هو الذى سماه كل من البرت ووليم الصورى باسم (بالاس Balas) (١٤٠) .

وما ان استقر بلدوين فى الرها حتى بدا بلك الأرتقى يشعر بقلق زائد حيث كان تاسيس امارة الرها الصليبية يمثل كارثة حقيقية لأقاربه من

---

(١٣٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4 p. 355, Zoé : Op. Cit. p.p. 140 - 141, Grousset . Hist. des Crois. V. 2, p. 870 عن (Albert, Archer : Op. Cit. p. 62. عن (Albert.)

(١٣٥) Alberti : Ibid. p. 355, William : Op. Cit. V. 1, p. 194.

(١٣٦) William : Ibid : V. 1, p. 194, Runciman : Op. Cit. V. 1, p. 208.

(١٣٧) كانت سروج بلدة من ديار مصر فتحها عياض بن غنم صلحا على مثل صلح الرها فى ايام الخليفة عمر (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١ ، ص ٢١٦) وكانت تقع الى الجنوب الغربى من الرها .
(Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 209

(١٣٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 869.

(١٣٩) Grousset : Ibid., p. 869 ; V. 1, p. 62 عن (Albert - Mattieu) Runciman : Op. Cit.. V. 1, p. 209. عن (Albert)

(١٤٠) Alberti Aquensis : Op. Cit. Liber III, T. 4, p. 356, Liber V. T. 4, p.p. 444, 445, 446, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 194, 306.

بنى ارتق ، الذين كانوا منذ نقدوا فلسطين يعملون على جعل الرها مركزا لممتلكاتهم فى الشمال . لذلك حاول بلك فى بادىء الأمر الدخول فى علاقات ودية مع بلدوين (١٤١) . ويقال أن بلك حاول من وراء ذلك أن يستعين ببلدوين والفرنج لتحقيق مصالحه الخاصة وظن أن بلدوين لا يعدو احد المغامرين (١٤٢) .

وفى مكان آخر يفكر وليم أن الأمير (بالاس) كان يضايق باستمرار مدينة الرها، ويصيبها بأضرار جسيمة فتوسل اليه الأهالى أن يجمع جيشا ويتحرك ضدها . ولكنه عندما توجه اليها وحاصرها وبدا يهاجمها بشجاعة خاف (بالاس) من ضياعها وطلب الأمان فى مقابل تسليم المدينة (١٤٣) . وما أن سلمت سروج لبلدوين حتى تمسك بها ولم يفكر اطلاق فى تركها تحت حكم بلك (١٤٤) . لذا فرض ضريبة على اهلها وترك بالقلعة حامية صغيرة فرنجية ارمينية تحت قيادة احد الرجال الذين تولوا المفاوضات بينه وبين بلك (١٤٥) هو فولشر دى شارتر (١٤٦) وهو غير سميه قسيس حملة بلدوين الذى كان يحمل نفس الاسم وجاء من نفس البلد ، والذى يعتبر احد المؤرخين اللاتين لتلك الفترة . واتما كان فولشر هذا رجلا له تجارب كثيرة فى الحرب (١٤٧) وكان « فارسا ذو شجاعة عظيمة وذو سلوك

---

(١٤١) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356, William : Ibid., p.306

(١٤٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 62 عن (Albert)
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٦ عن البرت ايضا .

(١٤٣) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 194-195.

(١٤٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 63.

(١٤٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 195.

(١٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 53, William : Ibid., V. 1, p. 308, Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 357, Liber V, T. 4, p. 446, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 869
عن (L'Anonyme)
المصدر الأخير يسميه
Putshir اما متى الرهاوى فيسميه — Foucher de Chartres
فى حين يسميه وليم الصورى Folkert - Fulcher اما البرت فمره يقول Folbertus Carnotensis واخرى Folkerum Carnotensis

(١٤٧) William : Ibid., V. 1, p. 308.

حميد ، (١٤٨) ترك بلدوين فولشر فى قلعة سروج مـــع مائه من أمهر الجنود المتمرســـين علـــى القتـــال (١٤٩) . ومجهزين تجهيزا جيـــدا للتحرك (١٥٠) . وكان لفتح سروج فى ذلك الوقت أهمية كبيرة بالنسبة للرهـــا لأنه فتح عن طريقها الاتصال بينها وبين انطاكية (١٥١) .

ويبدو ان بلك لم يحافظ على علاقاته الودية مـــع بلدوين ، مما ادى الى فقـــد الأخير ثقتـــه فى الاتراك وادى بالتـــالى الى تخلصـــه من بلك الدانشمندى حـــاكم سميساط الســـابق ــ كما سنرى ــ والذى كان حتى ذلك الوقت ضمن بلاط بلدوين (١٥٢) . ويسهب البرت ورليم الصورى فى بيـــان اسباب ذلك فيقولا انه عندما لاحظ (بالاس) ان عاطفة بلدوين تجاهه فترت دفعته مشـــاعر الغيظ الى التوجه الى بلدوين وطلب منـــه ان يحضر شـخصيا لتسلم القلعـــة الوحيـــدة التى بقيت فى يديـــه وانـــه سيورثها لبلدوين وسيحضر زوجته واولاده رهينـــة الى الرهـــا وتظاهر بأنه فى خوف عظيم من الأهالى لأنه اصبح صديقا حميما للمسيحيين (١٥٣). ويذكر البرت « ان الغرض الحقيقى الـــذى كان يرمى اليه بالاس ورجاله كان القبض على بلدوين » (١٥٤) .

وفى اليوم المتفق عليـــه لتسليم القلعة توجه بلدوين مـــع مائتين من فرســـانه الى المكان حيث كان بلك قـــد سبقه وقوى دفاعها بان وضـــع بها مائـــة فارس مسلحين تســـليحا رائعـــا . اختفت تلك القوة عنـــد وصول بلدوين . عندئـــذ طلب بلك من بلدوين الا يدخـــل الا بقوة صغيرة فوافق (١٥٥) . لكن رفاق بلدوين الذين اشتموا رائحـــة الخيانة منعوه بالقوة من الدخول (١٥٦) . وتقرر ان يدخـــل المكـــان اثنا عشر فارســـا على ان يبقى بلدوين وبقية قوته عن قرب لمشـــاهدة ما يحـــدث . وما ان

---

(١٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 53.
(١٤٩) Alberti : Op. Cit., Liber V, ... T. 4, p. 446.
(١٥٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 308.
(١٥١) William : Ibid., p. 195.
(١٥٢) Alberti : Op. Cit,, Liber III, T. 4, p. 355.
(١٥٣) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p.p. 443 - 444, Williad : Op. Cit., V. 1, p.p. 306 - 307.
(١٥٤) Alberti : Ibid., p. 444.
(١٥٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 307.
(١٥٦) Alberti : Op. Cit., Liber V, T. 4, p. 444, William : Ibid., p. 307.

دخـل فرســـان بلدوين حتى وقعوا فى الكمين التركى المدبر لهم . عندئذ اقترب بلدوين من المكـان وحاول أن يذكر بلك بالبمين الذى تعهـد به وطلب منه اعادة فرسـانه لكنه « رفض أن يجيب على طلبه الا اذا ردت له سروج » (١٥٧) . فرفض بلدوين الاجابـة على طلبه هو الأخر واقسم الا يعيد سروج « حتى ولو قتل فرســانه على مشهد منه » (١٥٨) . وعندما تحقق بلدوين من حصـانة القلعة وانه من الصعب الاستيلاء عليها عـاد الى الرهـا وهو فى شـدة الغضب (١٥٩) .

عندئذ تضـايق فولشر حاكم قلعة سروج ــ ايضـا مما حـدث وصمم على الانتقـام من بلك ورجاله عن طريق الخديعـة . فوضـع كمينا بالقرب من القلعة ثم تقـدم مع بعض حرسـه وتظاهر بالاستيلاء عليها وعلى ما بها من قطعان ماشية هنا تتبعته حامية بلك ، فتظاهر بالفرار حتى مكان الكمين هنا انقض رجاله على الأتراك فقتل بعضهم وهرب البعض الأخر واسر ستة اشخاص (١٦٠) .

وبعـد فترة تبادل فولشر هؤلاء الستة بستة من رجالهم المأسورين لدى (بالاس) ثم استطاع اربعـة آخرون الهرب من قبضـة الأتراك بسبب الاهمال ونتيجة لارهاق الحراس ، لكن (بالاس) امر بقتل الاثنين الباقين (١٦١). ومنذ ذلك الوقت فصـاعدا كره بلدوين الأتراك بشدة واسقط تحالفاته معهم (١٦٢) .

ولمـا كان اهالى سروج واثقين من ان بلدوين سيعود اليهم من جـديد للانتقـام من (بالاس) (١٦٣) . لذا ارسـلوا الى بلك الـدانشمندى الموجود فى الرهـا والى بعض القوى التركيـة القريبـة يطلبون منهم

---

(١٥٧) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p. 445, William : Ibid., V. 1, p. 307.

(١٥٨) Alberti : Ibid., p. 445.

(١٥٩) Alberti : Ibid., p. 445, William : Op. Cit., V. 1, p. 307

(١٦٠) Alberti : Ibid., p. 446 ; William : Ibid., p. 308.

(١٦١) هنا يضيف Alberti : Ibid., p. 446, William : Ibid., p. 308. البرت أن الأثنين اللذين قتلاهما Gerardus سكرتير بلدوين الخاص ، Piscello اجمل وانبل جند — Wizan .

(١٦٢) Alberti : Ibid., p. 445, William : Ibid., p. 308.

(١٦٣) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356.

الحضور لاستلام المدينـــة . وهنـــا يبدو ان بلك طمـــع فى الاستيلاء على سروج ، عسى ان يكون فى ذلك تعويضــــا عما لحقه من خســـارة بضياع سميساط من يده ، ولذلك اخذ يستعد بسرعة لتنفيذ تلك الخطوة (١٦٤).

وعندما علم بلدوين بذلك استعد هو الاخر بقوة كبيرة للتوجـــه الى سروج وما ان علم أهالى سروج بذلك حتى انتابهم الـــذعر وارســـلوا الى بلدوين يطلبون منه الاستيلاء على المدينـــة فى ســـلام مع تعهدهم بدفـــع الأموال له (١٦٥) .

وعندئذ تملك بلك الخوف الشـــديد فقصد بلدوين ليعلن له أنه انما كان يقصد سروج ليخضـعها له ويسلمها لبلدوين (١٦٦) ،وعندئذ طلب منه الأخير ان يسلمه زوجته واطفاله رهائن . ولمـــا ماطل بلك فى ذلك قبض عليـــه بلدوين وقطـــع رأســـه (١٦٧) سنة ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) (١٦٨) .

هكذا ضمت سميساط وسروج الى الرهـــا وبذلك « استطاع بلدوين ان يجعل من الرهـــا ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) عاصمة لامارة صليبية اشتملت على سميساط وسروج » (١٦٩) .

وفى سنة ١٠٩٩م (٤٩٣هـ) استولى بلدوين على البيرة ، وهى مركز استراتجى هـــام على الضفة الشرقية لنهر الفرات على الطريق من الرها

---

(١٦٤) Alberti : Ibid., p. 356, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 62.

(١٦٥) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 63. عن (Alberti)

(١٦٦) Alberti : Ibid., p. 356, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210, Grousset · Hist. des Crois. V. 1, p. 63,

(رنسيمان وجروسيه عن البرت)

ويفسر جروسيه ذلك بقوله « اسرع بلك الى الرهـــا ورمى بنفسه على اقدام بلدوين متوسلا اليه بانه لم يأت الى سروج الا لكى يعث الأهالى على تسليم المكان » .

(١٦٧) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti : Ibid., Liber V, p. 446, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 63 عن (Albert)

(١٦٨) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p. 445.

(١٦٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954.

الى عينتاب (١٧٠) . وبعد ان استولى بلدوين على المدينــة تركهـــا فى يد أحــد الرؤســـاء الأرمن المحليين واسمه ابو الغريب (١٧١) .

وهكذا نمت امارة الرهـــا نموا واسعا على عهـــد بلدوين البولونى حتى اشتملت على « كل الاقاليم الغنية لمملكة آشور القديمة » (١٧٢) .

وبعد ان اكمل بلدوين البولونى تحقيق امنيته (الخاصة) واقـــام امارة لاتينية لا يشـــاركه احـــد فى حكمها .. وبعد أن ضمن لامـــارته قـــدرا من الاستقرار الداخلى والخارجى . بدأ يفكر فى زيارة بيت المقـــدس هو والأمير بوهيموند أمير انطاكية (١٧٣) حيث انهما حتى ذلك الرقت « لم يريا تلك المدينــــة التى خرجـــا من الغرب من اجلها(١٧٤) » وهنـــا يحرص فولشر المؤرخ اللاتينى المعـــاصر — وقسيس حملة بلدوين الخـــاص — على الدفـــاع عن بلدوين وتبرير عـــدم مصاحبته للجيش الصليبى الكبير فى زحفـــه على بيت المقدس ، فيقول ان بلدوين كان مشـــغولا فى ذلك الدور بتأمين الجنـــاح الشرقى للصـــليبيين ضـــد الأتراك على جبـــهة الفرات . ويشارك فولشر فى هذا الرأى المؤرخ وليم الصورى(١٧٥) . ومهما يكن من أمر فقـــد قـــام بلدوين وبوهيموند امير انطاكية بتلك الرحلة وصادفا فيها كثيرا من المتاعب والأخطار التى يفصـــلها فولشر(١٧٦) . وسنتعرض لتلك الزيـــارة بالتفصيل فى باب العلاقات الخارجية مع مملكة بيت المقـــدس .

---

(١٧٠) (Ray Colonies Franques), L'Empire, p. 204, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 64, سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ١٨٦ . عن (Grousset)

(١٧١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64.

(١٧٢) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 247.

(١٧٣) Gesta Tancredi in Expedione ... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 704.

(١٧٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 261.

(١٧٥) Fulcherii Carnotensis : Historia ... T. 3, p. 364, William: Op. Cit., V. 1, p. 400.

(١٧٦) بـــدأت تلك الرحـــلة — كما ذكر فولشر ص ٣٦٥ فى نوفمبر سنة ١٠٩٩م Fulcherii : Ibid., p. 364 - 366
وانتهت فى مارس ١١٠٠م كما حددتها الجستا Gesta Tancredi : Op. Cit., Hist. Occid., T. 3, p. 704.

ويكفى أن نشير الآن الى أن بلدوين وبوهيموند استقبلا فى بيت المقدس من جودفرى ورجال الدين والأهالى استقبالا طيبا وزاروا الأماكن المقدسة وراوا باعينهم حقيقة ما كانوا قد عرفوه فى الماضى عن طريق الأخبار والتعليم فقط(١٧٧) .

وبعد عودة بلدوين الى الرها خضعت له ملطية . والمعروف ان ملطية كانت احدى المدن الرئيسية للأرمن فى ذلك الوقت (١٧٨) . وكانت « تقع على الأطراف الشمالية للامارة ، وكانت تحت حكم الامير جبريل » (١٧٩) والراجح أن ملطية سلمت تحت ضغط الظروف الى بلدوين ، ذلك ان جبريل قصد بوهيموند فى انطاكية فى شهر يولية سنة ١١٠٠م ليعلن خضوعه له . وعندما اتجه بوهيموند للاستيلاء على ملطية مع القليل من رجاله احاطت به كمائن التركمان من بنى دانشمند واسروه(١٨٠) هنا تذكر المصادر اللاتينية أن بوهيموند ارسل الى بلدوين طالبا نجدته ولكى يتأكد بلدوين من أن الأمر حقيقة وليس فيه خدعة ، حرص بوهيموند على أن يرسل خصلة من شعره الذهبى الى بلدوين مع الرسول الأرمنى(١٨١) .

وهنا اظهر بلدوين شهامة كبيرة فتحرك بسرعة لنجدة بوهيموند ولكنه لم يلحق بالتركمان الذين اقتادوا أسيرهم بوهيموند وفروا بسرعة(١٨٢)

---

(١٧٧) . William : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١٧٨) William Ibid. V. 1, p. 421.

(١٧٩) R.H.C. Hist. Occid. T. 1, p. XLII. (Meletenia).
وتسمى ملطية هنا

(١٨٠) Fulcherii : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 368, Gesta Francorum : Iherusalem ... Hist. Occid. T. 3, p. 519, Secunda Pars : Historiae Hierosolimitanae (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, pp. 551 - 552, Balduni III ; Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. LXIII (Hist. Occid.) T. 5, Part 1, p. 177.
اما جروسيه فينقل لنا راى المؤلف السورى المجهول عن سبب توجه بوهيموند الى ملطية فيقول « ان بوهيموند كان متوجها الى ملطية ليتزوج مورفيا ابنة جبريل التى قدم والدها يدها اليه لكنه أسر »
عن Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 868 (L'Anonyme)

(١٨١) Gesta Francorum : Ibid., p. 519, Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII ... Hist. Occid. T. 4, p. 525.

(١٨٢) Secunda Pars : Historiae Hierosolimitanac ... Hist. Occid. T. 3, p. 552, William : Op. Cit. V. 1. p. 411.

الى قلعـة نكسار(١٨٣) قرب البحر الاسـود(١٨٤) .

وعندما يئس بلدوين من اطلاق سراح بوهيموند ، عاد الى ملطية(١٨٥) ليستولى عليها بالاتفـاق مع صاحبها جبريل وهو ما اكدته المصـادر اللاتينيـة(١٨٦) .

والواقع انه سواء استنجد بوهيموند ببلدوين وهو الراى الارجح او أن بلدوين هو الذى توجه بنفسه لنجدته ، وسواء اخضع هو ملطية بالقوة ام اخضعت له تلقائيـا فقـد ظل جبريل حاكما عليها وتابعا لبلدوين .

بلدوين وحكم بيت المقدس :

وما كاد بلدوين يعود الى الرهـا بعد ذلك ، حتى وافاه الحظ مرة أخرى ليصبح الرجـل الأول بين أمراء الصليبيين فى بلاد الشـام . وذلك انه حـدث فى شهر اغسطس سنة ١١٠٠م (٤٩٤هـ) بعد عودة بلدوين الى الرها أن وصله رسول من بيت المقدس على عجل ، أعلن له موت جودفرى فى الثامن عشر من يوليو سنة ١١٠٠م ويطالبه بالحضور فورا ليحل محل اخيه فى حكم المدينة المقدسة(١٨٧) .

والراجح أن انتخاب بلدوين خلفا لأخيـه الشقيق أثار خلافا عظيما واشعل نـار الحرب(١٨٨) . والدليل على ان المسالة لم تكن من السهولة بمكان ما ذكره وليم الصـورى من أن عرش بيت المقـدس ظل خاليـا

---

(١٨٣) Mattieu : Op. Cit., p. 52.

(١٨٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٢٨٢

(١٨٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 412, Gesta Francorum : Hist. Occid., T. 3, p. 519.

(١٨٦) Fulcherii Carnotensis : Hist. Occid. T. 3, p. 368. Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII, T. 4, p. 525, Secundi Pars : Historiae.., Hist. Occid., T. 3, p. 552. Balduni III Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap.. LXIII, Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 177.

(١٨٧) Gesta Francorum : Iherusalem Expugnantium (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, p. 520, Secunda Pars : Historiae... Hist. Occid. T. 3, p. 552, Mattieu : Op. Cit., p. 52, Bréhier : L'Eglise ... p.p. 85 - 86, Zoé : Op. Cit., p. 180, Cahen : Op. Cit., p. 229.

(١٨٨) Gesta Tancredi : Op. Cit., Hist. Occid. T. 3 p. 706.

حوالى ثلاثة اشـــهر حتى استدعى بلدوين ليـــخلف اخـــاه فى العنـــاية بشئون المملكة(١٨٩) .

والواقع ان دايمبرت ، بطريرك القـــدس كان يطمع حتى فى حيـــاة جودفرى فى اقامة حكومة ثيوقراطية ، وقد وصـــل الضيق بجودفرى فى احـــدى المـــرات الى القـــول بان دايمبرت « كان اكثر ازعـــاجا له من المسلمين » ، بل لقـــد وعـــد بالتخلى عن حكم بيت المقـــدس للبطريرك اذا تمكن من فتح مدينة مماثلة لها فى الأهمية مثل القاهرة أو دمشق(١٩٠). بل وقيـــل أن جودفرى اوصى قبل وفاته بان يخلفـــه البطرق دايمبرت فى حكم بيت المقـــدس ، وذلك فى حـــالة عـــدم وجود ورثه مباشرين لجودفرى نفسه(١٩١) . ومن الواضح ان تنفيذ هـــذه الوصية كان يعنى تحـــويل حكومة بيت المقدس الى حكومة ثيوقراطية فعلا .

على ان قيـــام حكومة ثيوقراطية فى بيت المقدس واستبعاد كل فكرة تستهدف نظاما ملكيـــا وراثيـــا ، كان امر صعب التحقيق . ذلك أن المدة القصيرة التى تولى فيها جودفرى بوايون حكم بيت المقـــدس كانت كافيـــة لتجعل فرسانه يؤمنون بضرورة قيام ملكية وراثية فى بيت المقدس . هذا فضلا عن ان ارنولف مالكورن ـــ البطريرق السابق لبيت المقدس الذى خلفه دايمبرت ـــ كان له انصـــاره من رجـــال الدين وهؤلاء شـــايعوا فكرة قيـــام ملكية علمانية وراثية فى بيت المقدس ، لا لشىء سوى التشفى فى دايمبرت والوقوف فى وجه اطماعـــه وآمـــاله(١٩٢) .

ولم يلبث ان تكون حزب معارض للبطريرك دايمبرت « وامتلكوا برج داود واعلنوا انـــهم لا يعترفون بسيد عليـــهم الا اخ او قريب لســـيدهم الراحـــل »(١٩٣) . وكان من الطبيعى أن يتجه رفاق جودفرى واتبـــاعه تلقائيـــا الى بلدوين فقـــد بدا لهؤلاء الذين خدموا تحت زعـــامة جودفرى انه ليس من الأمانة والشرف أن يعترفوا بسيد آخر(١٩٤) .

(١٨٩) William : Op. Cit. V. 1, p. 415.

(١٩٠) Zoé : Op. Cit., p. 179.

(١٩١) سعيد عاشـــور : الحركة الصـــليبية ، حـ ١ ص ٢٨٠ عن وليم الصـــورى .

(١٩٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٢٨٠ عن (Albert)

(١٩٣) Zoé : Op. Cit., p. 180.

(١٩٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII, T. 4, p. 526.
William : Op. Cit. V. 1, p. 421, Zoe : Op. Cit., p. 180.
وسوف نذكر فى الملاحق نص الرسالة اشفوية التى حملها اتباع جودفرى لاخيه بلدوين .

وعندما احس دايمبرت بالمعارضـــة الشـــديدة ضده فكر فى أن يجعل الحكم لتنكريد ابن اخت بوهيموند ولكن هـذا الراى صـــادف معــارضة شديدة من ارنولف(١٩٥) وعندئذ لم يجد دايمبرت وسيلة سوى أن يرسل الى بوهيموند فى انطاكية ليحول دون وصول بلدوين الى بيت المقدس(١٩٦). لكن خطاب دايمبرت الى بوهيموند لم يصـــل اليـــه فقد احتجزه أتبـــاع ريموند الصنجيل قرب طرابلس ، وفى نفس الوقت وقع بوهيموند نفسه اسيرا فى قبضة بنى داشنمند الذين حملوه الى قلعة نكسار كما سبق أن اشرنـــا(١٩٧) .

وهكذا تبدد آخر امل امـــام دايمبرت لحرمان بلدوين من حكم بيت المقدس . اما بلدوين فى ذلك الوقت فقد كرس كل جهوده لتوسيع حدود امارته شرقا الى ديار بكر وما بين النهرين(١٩٨) . والواقع انه حتى ذلك الوقت كان بلدوين يعيش من اجـــل امـــارته فقط حتى انه هجر القضية الصليبية من اجلها ،لكن عندما لاح له بريق حكم بيت المقـــدس فـــانه لم يتردد أبدا فى ترك الامـــارة والتوجه الى القدس ليصبح ملكا(١٩٩) .

وكان ان رتب بلدوين أمور الرها ، وأثقل كاهل اهلها بكافـــة انواع الضرائب كما اغتصب منـــهم امـــوالا كثيرة ليســـتعين بهـــا فى نفقـــات سفره (٢٠٠).ثم اتخذ اهبته واستعد للمسير الى بيت المقدس تاركا الامارة فى رعاية أحد اقاربه هو بلدوين دى بورج (٢٠١) . وهو رجل نشيط على جانب من المقدرة (٢٠٢) .

وقد غادر بلدوين الرها فى ٢ اكتوبر سنة ١١٠٠م(٢٠٣) مصطحبا معه

---

(١٩٥) Charles — Joseph Hefele : Histoire de Conciles. T.V, Part 1, p. 484. من (Albert)

(١٩٦) Zoé : Op. Cit., p. 181.

(١٩٧) Zoé : Ibid., p.p. 182 - 183.

(١٩٨) Grousset : L'Epopée, p. 59.

(١٩٩) Grousset : Ibid., p. 59.

(٢٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 52. Setton : Op. Cit. V. 1, p. 381.

(٢٠١) Mattieu ; Ibid., p. 52, William : Op. Cit. V. 1, p. 422, Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. LXIII ... Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 177.

(٢٠٢) Gesta Francorum ; Iherusalem ... Hist. Occid. T. 3, p. 543, William : Ibid.. V. 1, p. 422.

(٢٠٣) عن William : Ibid. p. 421, Setton : Op. Cit. V. 1. p. 381 (Foulcher). Grousset : L'Epopée, p. 60.

مائتين من الفرسان وسبعمائة من المشاه(٢٠٤) . كما اصطحب معه زوجته الأميرة الأرمنية(٢٠٥) . وكان طريقه الى القدس محفوفا بالمخاطر بسبب المراكز الاسلامية المنتشرة على طول الطريق والتى فصلت امارته وامارة انطاكية عن بيت المقدس . « لكنه كان يتصف دائما بالحذر فاستطاع ان يعبر البلاد دون ان يؤسر أو يقتل (٢٠٦) » وقد اتخذ بلدوين طريقه عبر امارة انطاكية ثم اللاذقية وجبله وهرقله وطرطوس الى ان بلغ طرابلس وهناك قدم له حاكمها ، فخر الملك بن عمار (٢٠٧) ، ما يحتاج اليه لاكمال رحلته وابلغه عن كمين وضعه المسلمون فى طريقه ، فشكر حاكم طرابلس واستطاع أن يتحاشى تلك العقبة(٢٠٨).

اخيرا وصل بلدوين الى القدس فى ٩ نوفمبر سنة ١١٠٠م(٢٠٩)، بعد عدة مصاعب فى الطريق واشتباكات مع القوات الاسلامية(٢١٠) ، اى بعد مغادرته الرها بخمسة اسابيع مما يوضح طول الرحلة بين الرها والقدس وبالتالى مدى الصعاب التى تجشمها « وكان أن خرج رجال الدين والناس بالقدس لاستقباله ومعهم الأناجيل وهم ينشدون التراتيل والأناشيد الروحية وقد غمرتهم الفرحة وهم يصحبون بلدوين الى داخل المدينة ليخلف اخاه فى حكمها (٢١١) » .

ولكن ماذا كان موقف دايمبرت عندئذ ؟ والواقع أن (اولدنبرج) يشير الى أن الحماسة الجارفة التى قوبل بها بلدوين جعلت دايمبرت يلوذ

---

(٢٠٤) Gesta Francorum : Op. Cit. T. 3, p. 520, Bréhier : l'Eglise : p. 86, Setton : Op. Cit. V. 1. p. 381 عن (Foulcher)

فى حين يذكر وليم الصورى أن المشاه كانوا ثمانمائة

(William : Op. Cit., V. I, p. 421)

اما البرت فيذكر أن عدد الفرسان كان أربعمائة وعدد المشاه كان الفا .

(Alberti Aquensis : Historiae Liber. VII, T. 4, p. 527).

(٢٠٥) Zoé : Op. Cit., p. 183.

Zoé : Ibid., p. 183.

(٢٠٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٧٩

(٢٠٨) Gesta Francorum : Op. Cit., ... Hist. Occid. T. 3. p. 520,

Zoé : Op. Cit., p. 184.

(٢٠٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 381.

(٢١٠) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ — ١٣٩

William : Op. Cit., V. 1, p. 422. Gibb : Op. Cit., p. 51.

(٢١١) يوسف الدبس : تاريخ سورية حـ ٦ ص ٤٠

William : Op. Cit. V. 1. p. 425.

بالصمت ، ثم فضل بعد ذلك حياة العزلة فى جبل صهيون (٢١٢) . ويؤكد وليم الصورى ذلك بقوله « ان دايمبرت الذى توقع شرا من مجىء بلدوين انسحب الى كنيسة جبل صهيون ، حيث انقطع للعبادة بعيدا عن كافة الخلافات ، وبذلك لم يحضر احتفالات استقبال الأمير بلدوين ليشارك فى تقديم الولاء له مثلما فعل سائر الأهالى(٢١٣) » .

وكان بلدوين قد ارسل الى البابا متهما البطريرك دايمبرت بالقتل وبانه حنث فى يمينه ، لأنه حرض الأمير بوهيموند على قتله عندما كان فى طريقه من الرها الى القدس ، لذا ارسل البابا مندوبا عنه هو الكردينال موريس دى بورتو فاوقف البطريرك حتى يبت فى امره(٢١٤) .

على أنه تم بعد ذلك صلح قصير بين البطريرك وبلدوين(٢١٥) وكان ذلك عن طريق جهود بعض عقلاء الوسطاء . مما ادى الى تتويج بلدوين ملكا على بيت المقدس فى كنيسة العذراء ببيت لحم فى ٢٥ ديسمبر ١١٠٠م(٢١٦) وبيد دايمبرت نفسه(٢١٧) .

---

(٢١٢) Zoé : Op. Cit., p.p. 184 - 185.

(٢١٣) William : Op. Cit. V. 1, p.p. 425 - 426.

(٢١٤) Aeblrti Aquensis : Historiae Liber VII (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 539, Charles-Joseph-Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 484

(٢١٥) Charles-Joseph-Hefele : Ibid., p. 484.

(٢١٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 427, Bréhier : l'Eglise..., p. 86, عن (Hagenmeyer), Lammens : La Syrie, V. 1, p. 214, Runciman : Op. Cit., V., 1, p. 326 من (Fuacher) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٢٨٧ من (Stevenson)

(٢١٧) Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena... T. 5, Part 1, p: 177, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 427-428.

ويبدو أن العلاقات الطيبة لم تستمر طويلا بين دايمبرت وبلدوين فقد ذكر البرت انه فى سنة ١١٠٢م ارسل (البابا باسكال الثانى (١٠٩٩ — ١١١٨م) مندوبا عنه مرة أخرى الى بيت المقدس هو الأسقف موريس ، للبت فى أمرد أيمبرت ولتصحيح الأمور الخاصة بالكنيسة الشرقية . ويظهر من كلام البرت أن الخلاف بين بلدوين والبطريرك فى هذه المرة كان بسبب ما يخفيه البطريرك من نقود تحت الأرض . وانتهى الأمر بتنحيه دايمبرت من جديد عن منصبه
(Aebarti Aquensis : Historiae Liber IX, Hist. Occid. T. 4, p.p. 598, 600).

ولا شك فى ان تتويج بلدوين ملكا كان حدثا خطيرا فى تاريخ الصليبيين بالشام لان اخاه جودفرى لم يتوج ولم يحصل لقب ملك (٢١٨) ، وانما كان حاكما على بيت المقدس (٢١٩) . ولانه فى ذلك المكان « لبس عيسى المسيح تاجا من الأشواك » ولكن قدر لبلدوين دى بوايون أن يتوج ملكا ويلبس تاجا من الذهب فى بيت المقدس (٢٢٠) .

امارة بلدوين دى بورج على الرها : ١١٠٠ - ١١١٨م (٢٢١) (٤٩٤ - ٥١٢هـ) .

اما من امارة الرها بعد أن وليها بلدوين دى بورج ، فيلاحظ انها سارت على نفس الطريق الذى رسمه مؤسس الامارة بلدوين دى بوايون .

والحقيقة ان بلدوين دى بورج كان عند حسن ظن بلدوين البولونى اذ كان «رجلا جديرا بالتقدير فى كل علاقاته» فعنى بشئون الامارة التى ولى امرها بنشاط عظيم ، جعلت الاعداء المحيطين به ينظرون اليه نظرة احترام ورهبة (٢٢٢) » . فاذا اردنا ان نقارن بين الاميرين الاولين للرها نجد ان دماثة خلق الثانى بالمقارنة بشراسة الاول مكنت بلدوين دى بورج من ان يستحوذ على مشاعر الارمن الودية (٢٢٣) . وبمعنى آخر كان امير الرها السابق مكروها من الارمن ومن السريان فلم يمثل بالنسبة لهم الا طاغية فظا جشعا ، اما بلدوين دى بورج فقد استحوذ على مشاعر الأهالى الصادقة (٢٢٤) .

ونستطيع ان نحصل على وصف كامل لشخصية بلدوين دى بورج من متى الرهاوى الذى يقول : « كان هذا الأمير احد الفرنج المشهورين بمكانتهم العالية ، كما كان محاربا قديرا ، عفيف النفس ، مثالى الخلق ، يكره الخطيئة ، يفيض رقة وعذوبة وتواضعا ، ولكن شاب هذه الصفات الطيبة جشعة ، فهو ماهر فى الاستحواذ على ثروات الآخرين ،

---

(٢١٨) Bréhier : L'Eglise... p. 86 من (Hagenmeyer).
(٢١٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII... Hist: Occid. T. 4, p. 526.
(٢٢٠) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Fracos, (R.H.C.) Hist., Occid. T. 4, p. 245, Zoé : Op. Cit., p. 185.
(٢٢١) G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient, p. 3.
(٢٢٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.
(٢٢٣) Grosset : L'Empire, p. 298.
(٢٢٤) Zoé : Op. Cit., p. 230.

نتيجة شراهته فى المال فضلا عن بخله وامساكه . اما اذا قارناه بغيره فانه يبدو مستقيما جدا محافظا فى سلوكه وطباعه » (٢٢٥) .

وكانت اولى خطوات ذلك الأمير للتقرب من شعبه الذى كانت غالبيته من الارمن ، هو الزواج من الأميرة الارمينية مورفيا Morfia ابنة جبريل حاكم ملطية (٢٢٦) ، والتى سبق أن ذكرنا أن والدها كان قد توجه لطلب النجدة من بلدوين ضد الاتراك الذين أسروا بوهيموند وهو فى طريقه لنجدته وللزواج من ابنته هذه .

وكانت هذه فرصة امام بلدوين دى بورج للتقرب من رعاياه الأرمن ان يتزوج من ابنة جبريل ، حيث انه لم يكن له زوجة ولا أولاد (٢٢٧) . وحملت مورفيا الى بلدوين صداقا كبيرا (٢٢٨) . والراجح أن جبريل كان يمتلك ثروة خرافية لأن ابنته حملت هدية زواج بلغت ٥٠٫٠٠٠ بيزانت ذهبيا ، بل انه ساعد بلدوين فى عدة مناسبات بعد ذلك بأموال كثيرة (٢٢٩) .

وقد افادت تلك الزيجة خزينة بلدوين بطريقة فعالة . ومن ناحية اخرى ، فانه على الرغم من انه كان بالنسبة لبلدوين دى بورج زواج منفعة الا انه كان الزواج الوحيد الذى شارك فى شعائره الأمراء الاقطاعيون وقوبل بسرور كبير ، فضلا عن ان بلدوين يعتبر مثاليا بين الأزواج (٢٣٠) . بل ان بلدوين فى زواجه هذا « استقبل الرئيس الدينى للبطريركية الأرمينية ، باسيل الاول الذى قدم سنة ١١٠٣م (٤٩٧هـ). من آنى (٢٣١) الى الرها ، فاستقبله بلدوين استقبالا طيبا

---

(٢٢٥) Mattieu : Op. Cit., p. 119, Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٢٢٦) Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Cilicienne, p. 93, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392, Cohen : Op. Cit., p. 230.

(٢٢٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.

(٢٢٨) William : Ibid., p. 450, Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٢٢٩) William : Ibid., p. 450.

(٢٣٠) Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٢٣١) كانت آنى فى نظر الشاعر الأرمنى نيرسيس شنورهالى الذى رثى الرها بعد سقوطها هى (عاصمة المشرق)

Nersès Schnorhali : Elégie sur la prise d'Edesse,

اما الناشر دولوبيه نيقول : (البيت رقم ٢٧٦) Op. Cit., p. 236 =

وقــدم له العديد من القرى وغمره بالهدايا واظهر له ودا كبيرا » (٢٣٢).

والواقــع أن قدوم هــذا الخبر من آنى ذات الاهمية الدينية الكبير لدى الأرمن يشهد بأهمية تلك الزيجة . هــذا فضلا عن اهمية مركز كل من جبريل وبلدوين دى بورج فى نظر الأرمن عندئذ .

كانت تلك الزيجة هى احــدى الزيجات الفرنجية الأرمينية التى اكدت الروابط بين الطرفين (٢٣٣) . وعن طريقها استطاع بلــدوين ان يثبت اولى دعائم حكمــة فى الرهــا .

امــا عن مــدى انتفــاع جبريل من تلك الزيجــة فان بلدوين استطاع ان يحميــه من العــديد من هجمات بنى دانشمند ، وان لم يستطــع ان يمنــع سقوط ملطية فى أيديهم سنة ١١٠٣م (٢٣٤) .

ثم كانت الخطوة التاليــة لتدعيم حكم بلدوين دى بورج الداخلى فى الرهــا وهى انه اختــار مســاعدا له ابن عمته جوسلين دى كورتناى **Joscelin de Courtenay** الذى وصل حديثا من فرنسا مع الحملة الصليبية سنة ١١٠١م (٤٩٥هـ) أو بعدها بقليل (٢٣٥) . ولمــا كان جوسلين « لا يملك مــالا ولا اى مصــدر آخر من مصــادر الثروة فقــد اغــدق عليه بلدوين ١١٠٢م (٤٩٦هـ) ممتلكات واسعة حتى لا يشغل نفسه بلقمة العيش . وشــملت تلك الهبــة قورس (٢٣٦) . ودلــوك (٢٣٧) .

---

* « كانت آنى من اشــهر المدن الأرمينية وحاضرة الدولة وهى تقع فى منطقة كماخ على ضفة الفرات الشمالية . كانت مدينة فخمة وقد تعرضت للغزوات ففتحها الروم ١٠٤٥م والأتراك ١٠٦٤م والجيورجيون ١١٢٤م والمغول ١٢٣٩ . وفى ١٣١٩ قضى عليها نهائيا زلزال مــدمر حولهــا الى خرائب واطلال » (Doc. Arm. T. 1, p. 236)

(٢٣٢) Mattieu : Op. Cit., p.p. 70 - 71, Grousset : L'Empire, p. 298 (Mattieu), Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 392-393.

(٢٣٣) Grousset : L'Empire, p. 185.

(٢٣٤) Grousset : Ibid., p. 298.

(٢٣٥) Cahen : Op. Cit., p. 236.

(٢٣٦) حاشية عن وليم الصورى Gouris, Kouris (Mattieu : Op. Cit., p. 126.

وقورس كما ذكرهــا ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٦ ص ٤١٢ هى «مدينة ازليةبــها آثار قديمة وكورة من نوحاحى حلب».

(٢٣٧) بليدة من نواحى حلب ، بالعواصم (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٨ ص ٤٦١) وهى قديمــة لها ذكر ولها قلعة من بناء الروم عالية مبنية بالحجارة قيل ان مقــام دود عليــه الســلام كان بها (ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣٠٦ ــ ٣٠٧).

وعين تـاب (٢٣٨) . وقلعـة تل باشر المتراميـة الأطراف (٢٣٩) . والشديدةللخصوبة ورلوندان ومدنـا اخرى واحتفظ الامير لنفسه بالاقليم للواقـع غربى الفرات لقريـة من ممتلكات العـدو واستبقى فقط احدى المـدن فى الجزيرة وهى سميساط » (٢٤٠) .

منح بلدوين تلك الأجزاء لجوسـلين لكى يستطيع أن يتفرغ كليـة لممتلكاته شرقى الفرات والى الجنوب من امارة كوغ باسيل . ومن تل باشر استطاع جوسلين منـذ نهاية ١١٠٣م ان يقطـع طرق الاتصـال بين حلب والفرات ، بينمـا غزا بلدوين دى بورج الامتدادات الشرقيـة لنفس تلك الطرق حتى حـدود قلعـة جعبر والرقة ، وتتابعت غزواتـه حتى اقليم ماردين (٢٤١) .

هكذا اصبح جوسـلين دى كورتناى الرجل الثانى فى امارة الرهـا بعـد بلدوين دى بورج وشـاركه فى السيطرة على تلك المنطقة ذات الموقع الهام بين سلاجقة حلب وسلاجقة فارس (٢٤٢) .

والواقـع ان جوسلين هـذا كان من أقوى الشخصيات الصليبية على الاطلاق لـذا كان سندا قويا لبلدوين دى بورج ولحكمه فى الرهـا .

ولم تلبث الأحـداث ان شدت بلدوين دى بورج الى سروج ، اذ حدث فى يناير ١١٠١م (ربيع ٤٩٤هـ) (٢٤٣) . أن توجـه سقمان بن أرتق ـ عم بلك حاكم سروج السـابق الى سروج لها جمتها وكان بصحبة جمـع كبير من التركمان (٢٤٤) . وقـام بالعـديد من الغارات على كل الاقاليم المجاورة (٢٤٥) . فتوجـه بلدوين دى بورج لمحاربته مع فوشيه حاكم

---

(٢٣٨) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٤ ص ١٧٦) .

(٢٣٩) كان اقطـاع تل باشر يمتد من الفرات الى حـدود انطاكيـة (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392.

(٢٤٠) (R.H.C.), Hist. Occid., T. 1, p. XLII, William : Op. Cit., V. 1, p. 450, Mattieu : Op. Cit., p. 126.
(حاشية عن وليم الصورى)

(٢٤١) Cahen : Op. Cit., p. 236.

(٢٤٢) سـعيد عاشـور : الحركـة الصليبيـة حـ ١ ص ٤٣٩ (عن (Setton

(٢٤٣) Gibb : Op. Cit., p. 50, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 63.
العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥ م٣ ص ٥٣٩ .

(٢٤٤) ابن القلانسى:الذيل ص ١٣٨،ابن الاثير : الكامل حـ ٨ ص ٢٠٤

(٢٤٥) Mattieu : Op. Cit., p. 52.

سروج (٢٤٦) . وبمؤازرة العديد من السكان الذين ضغط عليهم فوشيه (٢٤٧) . « لكن استهانة الفرنج بخصومهم واهمالهم ادى الى هزيمتهم (٢٤٨) . « فعندما اقترب بلدوين من المدينة وقع فى كمين الا انه أفلت منه وهرب مسرعا الى الرها ومنها اسرع الى انطاكية لطلب المعونة (٢٤٩) . ودارت معركة ضارية بين الفرنج والاتراك هزم فيها الفرنج(٢٥٠).واستطاع الأراتقة الاستيلاء على المدينة ماعدا القلعة التى التجأ اليها الفرنج تحت قيادة اسقف الرها اللاتينى. enoit او Babios الذى قاوم فيها مدة طويلة (٢٥١) . اما فوشيه فقد قتل ومعه الكثير من الأهالى فى حين وقع عدد كبير فى الاسر (٢٥٢) . لكن بلدوين ارسل الى حامية القلعة رسالة سرية يشجعهم فيها على الثبات مما جعلهم يقاومون ببسالة (٢٥٣) . وبعد حوالى خمسة وعشرين يوما وصل بلدوين ومعه ستمائة فارس وسبعمائة من المشاه (٢٥٤) ، وفجاة فى الفجر اشعلوا بعض المشاعل على اسنة الرماح وباغتوا المعسكر التركى ومن ناحية اخرى ساعدتهم حامية القلعة الذين خرجوا ساخطين فهزم الأتراك وفروا (٢٥٥) . « وقتل الفرنج كثيرا من اهالى سروج وسبوا حريمهم ونهبوا أموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما (٢٥٦) ».. وكان ذلك فى أوائل فبراير ١١٠١م (٢٥٧) . لكن اذا كان المرجع الفرنجى

(٢٤٦) Mattieu : Ibid., p. 53.

(٢٤٧) Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 869 عن (L'Anonyme Syriaque).

(٢٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 53.

(٢٤٩) Mattieu : Ibid., p. 53, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 870 عن (L'Anonyme)

(٢٥٠) ابن دقماق : نزهة الانام فى تاريخ الاسلام مخطوط رقم ٨٥١ تاريخ حوادث ٤٩٤هـ Mattieu : Ibid., p. 53,

(٢٥١) Mattieu : Ibid., p. 53, Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 270 عن (L'Anonyme)

(٢٥٢) Mattieu : Ibid., p. 53, Cahen : Ibid, p. 230 ;

(٢٥٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 870.

(٢٥٤) Mattieu : Op. Cit., p. 53.

(٢٥٥) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 870.

(٢٥٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٠٤ ، أبن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ، مخطوط رقم ٤٢ تاريخ حوادث ٣٠١ — ٥٠٠هـ ص ٢٧١ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ، ص ١٨٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٢ ص ٥٤٠ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٣٨٩ .

(٢٥٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٤٠ من (Mattieu)

يرجــع هزيمــة المسلمين الى قوة وبراعــة بلدوين فان المصــدر العربى يعزى ذلك الى « هرب جماعة من التركمـــان فضعفت نفس ســـكمان وانهـــزم (٢٥٨) » . وبذلك اســـتولى الفرنـــج على سروج بالســـيف سنة ٤٩٤هـ (٢٥٩) .

وكان ان شجع هـــذا الانتصـــار بلدوين على القيـــام باغارات على المــدن والأقاليم الاسلامية المجاورة التابعــة للأراتقة ومن ذلك ما قام به فى سبتمبر واكتوبر ســـنة ١١٠٣م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) من هجمـــات على الأراتقـــة حول مـــاردين فـــأسر منهم كثيرين وحمـــل قـــدرا كبيرا من الغنائم (٢٦٠) . ومن النواحى التى استولى عليها « تل موزن (٢٦١) . وتـــل قراد (٢٦٢) . فى شـــمال شرق شبختـــان بـــالقرب جـــدا من ماردين (٢٦٣) » .

وهكـــذا استطاع بلـــدوين دى بورج أن يقضى على الخطر الأرتقى فى سروج عن طريق الأمدادات التى زودته بها انطاكية . ولا شك أن هـــذه الخطوة شـــجعته على ان يخطو خطوة أكبر ضـــد حران الواقعـــة الى الجنوب الشرقى من الرهـــا ، والتى كـــانت المدينـــة الكبرى الوحيـــدة القريبة من الرهـــا ، التى لم يسيطر عليها الفرنج حتى تكتمل سيطرتهم على الجزيرة (٢٦٤) . وكان لمســـاعدة بلدوين دى بورج فى تدبير مدينـــة

---

(٢٥٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ .

(٢٥٩) الذهبى : العبر ، حـ ٣ ص ٣٣٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية، حـ ١٢ ص ١٦٠ ، ابن الوردى : تتمـــة المختصر ، حـ ٢ ص ١٣ ، روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥م تاريخ حوادث ٤٩٤هـ واذا كانت غالبية المصادر العربية تجمع على أن ضم سروج لامارة الرهـــا كـــان فى ٤٩٤هـ ـــ يناير ١١٠١م فان ابن ايبك يذكر ان ذلك تم ٤٩٣هـ (ابن ايبك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٤٥٢) اما التاريخ المظفرى ميكرو فيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥٩٤هـ فيذكر أنه كان ٥٩٤هـ . والراجح أن ذلك راجع الى الخطأ فى ضبط التواريخ أو الى السهو .

(٢٦٠) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٤٠ عن (متى الرهاوى)
Mattieu : Op. Cit., p. 70

(٢٦١) بلد قـــديم بين رأس عين وسروج . فتحـــه عياض بن غنم (ياقوت : معجم البلدان حـ ٥ ص ٤٥) .

(٢٦٢) حصن مشهور فى بلاد الأرمن من نواحى شبختان (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٣) .

(٢٦٣)
Grousset : L'Empire, p. 298, Hist. des Crois. V. 2, p. 871.

(٢٦٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 871.

بوهيموند امير انطاكية ١١٠٣م (٢٦٥) . أثره فى تعـاون أميرى أنطاكية والرهـا فى هـذا العمل .

أوضـاع المسلمين فى الشرق قبيل موقعة حران (١١٠٤م ـ ٤٩٧هـ)

قبل ان نتناول موقعة حران بين المسلمين والفرنج بشىء من التفصيل يجـدر بنـا ان نعطى صورة واضحة عن الوضـع فى الحقل الاسـلامى المحيط بها بل والوضـع الداخلى فيها والذى شجع الفرنج على التوجه اليهـا .

كان مسلموا الشرق ممزقين نتيجـة الحرب الأهلية بين السـلطان السلجوقى باركياروق واخيه محمد . والتى امتـدت منـذ ٤٩٢هـ حتى ٤٩٧هـ (١٠٩٨م ـ ينـاير ١١٠٤م) . ففى سـنة ٤٩٢هـ ١٠٩٨م خطب للسـلطان محمد ببغداد ولقب غياث الدنيا والدين (٢٦٦) . وفى ٤٩٣هـ ١٠٩٩م دخل السـلطان بركياروق بغداد واعيدت له الخطبة بدلا من اخيه محمد فبعث الى الخليفة العباسى بهدية ثمينة (٢٦٧) . ثم لم يلبث الخلاف أن دب من جـديد فى نفس السنة بين الأخوين فانهزم بركياروق واعيدت الخطبة لاخيه محمد ببغداد (٢٦٨) .

وفى جمادى الأخرى ٤٩٤هـ ١١٠٠م التقى الأخوان من جديد فانهزم السـلطان محمد ولكن عندما دخـل بركياروق بغداد اسـاء السيرة فى أهلهـا ، ثم لم يلبث ان مرض فلحقه أخوه محمد ، فشـكا اليه الخليفـة العباسى من سوء سيرة أخيه وخطب له بالديوان فلم يكن من بركياروق الا أن رحـل الى واسـط (٢٦٩) . وفى ٤٩٥هـ ١١٠١م تقاتل السـلطان بركياروق والسـلطان محمد وجرت بينهمـا حروب كثيرة انهزم فيهـا

---

(٢٦٥) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé: Op. Cit., p. 212.

(٢٦٦) كان ذلك يوم الجمعـة سـابع عشر ذى الحجة (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٩١) .

(٢٦٧) ذلك يوم الجمعة منتصف صفر (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ١٩٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٥٨ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٥) .

(٢٦٨) يوم الجمعة رابـع عشر رجب (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٩٤) .

(٢٦٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٩٤ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٩٧ .

محمد (٢٧٠) . وتجددت الحروب من جديد بين الأخوين ٤٩٦هـ — ١١٠٢م (٢٧١) .

ولم يلبث هؤلاء السلاطين أن تذكروا انه يجب عليهم ان يضعوا خلافاتهم جانبا ويوحدوا كلمتهم بعد أن طمع العدو فى الاطراف لذلك بداوا التشاور لعقد الصلح فارسل السلطان بركياروق رسولين الى أخيه لتقرير قواعد الصلح « ورغباه فى الصلح وفضيلته وما شمل البلاد من الخراب ، وطمع عدو الاسلام فى اطراف الأرض » . فأجابه الى الصلح واستقر الأمر بينهما فى ربيع الثانى ٤٩٧هـ — يناير ١١٠٤م (٢٧٢). لذا لم يكن لدى الأخوين سوى وقت ضيق للاتفاق على خطط ضد العدو المشترك (٢٧٣) .

وفى الجزيرة نفسها اثار موت اتابك الموصل كربوغا حربا اهلية ، فقد فشل سقمان الأرتقى أمير ماردين فى الاحتفاظ بالحكم المرشح له مما اوقعه فى حالة حرب مع الاتابك الجديد جكرمش الذى اختير بواسطة محمد السلجوقى (٢٧٤) .

اما حران فقد كانت لمملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه ، فأناب عنه فى حكمها محمد الأصفهانى وهو الذى تخلص من قراجه بواسطة الأهالى الذين ظلمهم قراجه . ثم تخلص الأصفهانى من اصحاب قراجه فيما عدا غلام واحد يسمى جاولى ، الذى اتفق مع احد خدم الأصفهانى فقتله وهو سكران (٢٧٥) .

والواقع أن حران الى جانب ذلك الأضطراب السياسى فى حكمها ، كانت تعانى من اضطراب اقتصادى ايضا بسبب سياسة بلدوان

---

(٢٧٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٦٢ ، ابن الأثير : الكامل . ج ٨ ، ص ٢٠٥ — ٢٠٧ .

(٢٧١) ابن كثير : ج ١٢ ، ص ١٦٢ — ١٦٣ ، ابن الأثير : ج ٨ ، ص ٢١٦ — ٢١٧ ، ابو المحاسن : ج ٥ ، ص ١٨٦ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل ، ح ٨ ، ص ٢٢٠ ، ابن كثير و البداية والنهاية ج ١٢ ، ص ١٦٣ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٧ ، Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 40 - 41

(٢٧٣) Archer : Op. Cit., p. 144.

(٢٧٤) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 41, Archer : Op Cit., p. 144.

(٢٧٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ، ح ٥ ، ص ٣٣ ، العينى : عقد الجمان ، ح ١٥م ، ٣ ص ٥٦٨ (عن تاريخ بيبرس) .

دى بورج نفســـه الذى كان يقوم بهجمات متكررة عليهم ويمنعهم من مزاولة الزراعـــة فى أراضيهم ، لاعتقاده انـــه يستطيع أن يؤمن جزءا وفيرا من المؤن لمواطنيه من الاقليم الواقـــع خلف الفرات ومن الاقليم الواقـــع ايضا فى المنطقـــة الوسطى بين الرهـــا وذلك النهر ، ولذا وصل اهالى حران — الذين حرموا من الخيرات التى اعتادوا الحصول عليهـــا من تلك الأرض المشتركة الى حالـــة شـــديدة من البؤس (٢٧٦) .

انتهز الفرنج ذلك الضيق السياسى والاقتصـــادى الذى كانت تعانيه حران ، وارادوا أن يستفيدوا من موقـــع تلك المدينـــة بوصفها مركزا اماميا فى اتجاه بغـــداد يمكنهم من مواجهـــة اية طعنة اسلامية (٢٧٧) .

وكان أن اجتمع من زعماء الصليبيين بلدوين دى بورج وبوهيموند امير انطاكية ومعـــه ابن اخته تنكريد (٢٧٨) ، هـــذا الى جانب جوسلين دى كورتناى حاكم تل باشر وتضـــافرت معهم جموع كبيرة من الأرمن وكونوا بـــذلك جيشـــا كبير العـــدد (٢٧٩) . كذلك اشترك مـــع تلك الجيوش ثلاثـــة من كبار رجال الدين هم برنارد دى فالنس Bernard de Valence — بطريرك انطاكية اللاتينى ، بندكت رئيس اســـاقفة الـــرها اللاتين هذا بالاضـــافة الى دايمبرت بطريرك القدس الســـابق الـــذكر والذى كـــان وقتذاك يعيش فى انطاكيـــة منفيا لاجئا — والـــذى تبـــع جيش بوهيموند (٢٨٠) . وكانت خطـــة الصليبيين تقضى بعبور الفرات وحصـــار مدينـــة حران (٢٨١) .

---

(٢٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 457.

(٢٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 403.

(٢٧٨) يسميها سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ق ١ ، ص ٩ بيمند وطنكره) أما ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٣٣ فيسميهما (سمند صـــاحب انطاكية ونيكرى صـــاحب السواحل ، أما العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٥٦٣ فيقول (بيمنـــد صـــاحب انطاكية وتنكرى صـــاحب الســـواحل) .

(٢٧٩) Mattieu : Op. Cit., p. 71, Alberti Aquensis : Liber IX, T. 4, p.p. 614 - 615, William : Op. Cit., V. 1, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 403 - 404, V. 2, p. 871.

(٢٨٠) William : Ibid., V.1, p. 456, Grousset : Ibid., V. 1, p. 403 عن (Alberti) Runciman : Op. Cit., V: 2, p. 42.

(٢٨١) Alberti : Op. Cit., Liber IX, T. 4, p. 614, William : Ibid. V. 1, p. 456

وفى ذلك الموقف تناسى المسلمون ما كان بينهم من خلافات خاصة. فاتفق الأمير معين الدولة سقمان بن ارتق القبطى أمير ماردين وحصن كيفا (٢٨٢) . مع شمس الدولة جكرمش امير الموصل وصاحب جزيرة ابن عمر (٢٨٣) ، وانهوا خلافاتهما وجمعوا قوة عظيمة وتقدموا الى الرها فى ربيع ١١٠٤م (٢٨٤) . وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف من الترك والعرب والأكراد فالتقوا على نهر البليخ حيث كانت الواقعة مع الصليبيين (٢٨٥).

وفى ذلك الوقت كانت حران كما اشرنا تعانى من محنة شديدة بسبب قلة الاقوات (٢٨٦) . وهى التى يورد لها متى الرهاوى مثالا واقعيا فى تاريخه (٢٨٧) ولما عرف الأهالى ان المسيحيين وصلوا الى مدينتهم ارسلوا الى أمراء الشرق يطلبون منهم مساعدة عاجلة ، فلما تاخرت عليهم هذه المساعدة ووجدوا انفسهم امام الصليبيين وجها لوجه قرروا تسليم مدينتهم بدلا من تعريضها للخراب والتدمير (٢٨٨) . على ان بلدوين دى بورج لم يشأ ان يشغل قوات الصليبيين باقتسام الغنيمة قبل ان يطمئن الى القضاء على خطر الجيوش الاسلامية التى اقتربت

---

(٢٨٢) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٩ ؛ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ١٨٨ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١ تحقيق بدوى عبد اللطيف ص ٢٧٤ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٥ ص ٣٣ بل ان ابن الأثير : الباهر ص ١٦ يذكر انه « كان صاحب حصن كيفا وآمد من ٤٩٥ — ٤٩٨هـ وقد توفى ٤٩٨هـ » . ويذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٧ ص ٦٢٥ أن حصن كيفا ويقال كيبا وهى بلدة وقلعة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .

(٢٨٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ١٨٨ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١ ق ١ ص ٩ . ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٣٣ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٤ .

(٢٨٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389.

(٢٨٥) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٣٣ ، أما الذهبى العبر ، جـ ٣ ص ٣٤٥ — ٣٤٦ فيذكر أن سقمان التقى بالفرنج فى حران ومعه عشرة آلاف وربما جمع بذلك قواته وقوات جكرمش .

(٢٨٦) William : Op. Cit., V. 1, p: 457.

(٢٨٧) Mattieu : Op. Cit., p. 71.

(٢٨٨) Michel Le Syrien : Op. : Op. Cit., Cit., p. 195, William V. 1, p.p. 457 - 458, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 871.

منه لانقاذ حران (٢٨٩) . وكان ان دب الخلاف فعلا بين أمراء الصليبيين حول الاستئثار بحران (٢٩٠) . وبدأ النقاش حول ايهما يرفع علمه أولا على المدينة (٢٩١) . وبذلك تأجل دخول الفرنج الى حران الى اليوم التالى . « ولكن قبل بزوغ فجر اليوم التالى وصل جيش كبير من الأتراك حتى أن المسيحيين بدأوا يشكون حتى فى امكانية النجاة بأرواحهم (٢٩٢) » .

وفى المعركة التى دارت بين الفريقين كان جيش الرها على اليسار ليشغل قوات العدو الرئيسية ، بينما اختبأ جيش انطاكية خلف تل منخفض على بعد ميل من جهة اليمين ، مستعدا للتدخل فى آخر وقت (٢٩٣) .

أما المسلمون فقد اتخذوا خطة حكيمة بتقسيم قواتهم الى فريقين احدهما يشغل المسيحيين دون اى اعتبار للنتيجة سواء جاءت بالنصر أو الهزيمة وفى نفس الوقت يقوم الفريق الآخر بامدادهم بالطعام (٢٩٤). وفى الحال وبعد طلوع النهار سحب قادة المسلمين قواتهم ونظموا صفوفهم استعدادا للمعركة . وكانت معركة حامية (٢٩٥) . سيطر عليها المسلمون الذين وحدوا صفوفهم فى الشرق لأول مرة لمقاومة الخطر الصليبى .

ويقال ان المسلمين خدعوا خصومهم ، فتظاهروا بالفرار ، وامعن الصليبيون فى مطاردتهم حتى وقعوا فى كمين (٢٩٦) . وهكذا حلت هزيمة قاسية بالمسيحيين حتى أن متى الرهاوى يقول ان جثث الأرمن

---

(٢٨٩) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 1 p. 404, V. 2, p. 871 عن (Michel)

(٢٩٠) Mattieu : Op. Cit., p. 72, William : Op. Cit., V. 1, p. 458, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 33.

(٢٩١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42.

(٢٩٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 458.

(٢٩٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX, Hist. Occid. T. 4 p. 615, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42, Grousset : Hist des Crois., V. 1, p. 405.

(٢٩٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 458.

(٢٩٥) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٢٩٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٢١ Gesta Tancredi ... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 710. Runciman : Op. Cit., V. 2, p.43.

ودمــــاءهم غطت ســطح الأرض فى حيــن امتــلأت ايــدى التركمـــان بالغنائم (٢٩٧) .

وهناك راى فى المصـــادر العربية يقول أن جيش بوهيموند وتنكريد لم يشتركا فى المعركـــة بدور فعال (٢٩٨) . لكن المصـــادر اللاتينية تشير الى غير ذلك وتؤكـــد ان الاتراك اســتداروا نحو بوهيمونــد وتنكريــد واجلوهما (٢٩٩) .

ومهما يكن من امر فان المعســكر الانطاكى لم يصب باى ضرر واخــذ قائداه بوهيموند وتنكريد « رجالهمَا الشجعان واسرعوا للبحث عن ملجــأ فى الرهـــا (٣٠٠) » . أما مصير قائــدى المعسكر الرهوى فكما روى المؤرخون المسلمون « كان القمص بردويل (٣٠١) صاحب الرها قد انهزم مــع جماعة من قمامصتهم وخاضــوا نهر البليخ فوحلت خيولهم فجـــاء تركمـــانى من اصـــحاب سقمان فاخـــذهم وحمـــل بردويـــل الى خيم صاحبه (٣٠٢) » . اما المؤرخون اللاتين فثمة اشـــارة فى الجستا الى انه « لم يســـمح لأهل الرهـــا بالتطلـــع الى انفسهم او حاجياتهم واسر بلدوين وقهر واقتيد بعيدا ، كذلك اسر الكاهن البائس بندكت (٣٠٣) » . واشـــار (البـــرت) الى ذلك بقولـــه « هزم بلـــدوين واســـر واقتيـــد

---

(٢٩٧) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٢٩٨) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٢٩٩) Gesta Tancredi... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 710, Alberti Aquensis. Historiae, Liber, IX. Hist. Occid., T. 4, p. 615.

(٣٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٣٠١) ذكر اسم بلدوين دى بورج فى المصـــادر الاسلامية بهـــذا الشكل (القمص بردويل) كل من : ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خـــلدون : العبـــر ، حـ ٥ ، ص ٣٣ ، العـــينى : عقـــد الجمـــان ، حـ ١٥م ٣ ص ٥٦٩ ، بل أنه أحيانا يذكر (بردويل) فقط كما فى : عقـــد الجمان حـ ١٥م ٣ ص ٥٦٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٦٣ واحيانا اخرى يذكر (القمص) فقط ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٨ او (القومص) روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥م تاريخ ص ٤٩٧ ؛ أما ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ فيذكر (القميص) .

(٣٠٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٣ ، يوسف الدبس : تاريخ ســوريــة ، حـ ٦ ص ٤٥ Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 406,

(٣٠٣) Gesta Tancredi : Hist. Occid., T. 3, p. 710.

بعيـــدا (٣٠٤) » . لكن لم يقتصر الأمر على اسر بلدوين وحـــده ، بل اسـر معه أيضا جوسلين اعظم أتباعه ، واقتيد الاثنان اسيرين (٣٠٥) .

وغنم المسلمون غنائم عظيمة (٣٠٦) فى تلك المعركة التى تعرف باسم موقعــة حران او البليخ (٣٠٧) . ويمكننا ان نستشف مدى عظمتهـــا بالنسبة للمسلمين من كلام ابن القلانسى ووليم الصورى فيذكر الاول « كان نصرا حسنا للمسلمين لم يتهيأ مثله وبه قويت نفوس المسلمين وارهنت وارهفت عزائمهم فى نصرة الدين ومجـــاهدة الملحـــدين ، وتباشر الناس بالنصر عليهم وايقنوا بالنكاية فيهم والادالة منهم (٣٠٨) » . اما الثـــانى فيقول « لم نقرأ خلال حكم اللاتين فى المشرق قبل او بعـــد ذلك الحـــدث عن معركـــة فادحة الخســـارة كهذه التى ترتب عليها مذبحـــة مروعـــة للشجعان ، وهروب مشين لأبناء جنسنا (٣٠٩) » .

ونشعر بمدى وقـــع موقعـــة البليخ على الرهـــا نفسها من خـــلال تلك السطور التى كتبها متى الرهـــاوى مصورا : « الحزن العميق والنواح والكآبة والدموع . اى منظر ذلك الذى حل بالرهـــا ؟ اننا لا نسمع فى كل مكان سوى التأوهات والصراخ والأنين . أن كل البلاد المسيحية استسلمت لحزن شـــديد (٣١٠) » .

والواقـــع أن موقعة حران او البليخ سنة ٤٩٧هـ (٣١١) (١١٠٤م)

---

(٣٠٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber IX, T. 4, p. 616.

(٣٠٥) Mattieu : Op. Cit., p. 72, Michel : Op. Cit., p. 195, William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Cahen : Op. Cit., p. 238, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(٣٠٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٨ .

(٣٠٧) الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٤ .

(٣٠٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٤٣ .

(٣٠٩) William : Op. Cit.. V. 1, p. 459.

(٣١٠) Mattieu : Op. Cit., p. 73.

(٣١١) بينما اجمعت معظم المصـــادر على أن تلك الموقعـــة حدثت ٤٩٧هـ ـــ ١١٠٤م مثل ابن الأثير: الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢١ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٤٣ ، الذهبى : العبر ، حـ ٣ ص ٣٤٥ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٤٨ ، روض المناظر ، مخطوط رقم ٥٤م تاريخ احـــوات ٤٩٧هـ . هـــذا الى جـــانب
(Mattieu : Op. Cit. p.p. 71 - 73, William : Op. Cit. V. 1, p. 459
فان ابن الأزرق الفارقى : تاريخه ق ١ ص ٢٧٤ ينفرد بالقول بانها كانت سنة ٤٩٩هـ . كذلك اذا كانت كل المصـــادر تقريبـــا تشير الى أن أسر

لم تترك اثرا واضحا فى حياة الرها السياسية فحسب ، بل بالنسبة للصليبيين عامة وبالنسبة لانطاكية خاصة . فبالنسبة للصليبيين فان هذه الموقعة وضعت حدا جغرافيا او حدا اقصى للتوسع اللاتينى جهة المشرق (٣١٢) . هذا الى ما ترتب على هذه الموقعة من فشل خطة الصليبيين فى عزل المسلمين فى الاناضول والعراق والشام بعضهم عن بعض (٣١٣) . اما من ناحية انطاكية فقد شجعت الهزيمة التى حلت بالصليبيين فى البليخ كل من البيزنطيين والمسلمين فى حلب على غزوها (٣١٤) .

وما ان انتهت المعركة حتى بدأ يتكشف من جديد الخلاف بين قادة المسلمين وامرائهم . ذلك ان بلدوين كان قد اسر كما راينا واقتيد الى معسكر سقمان « فلما راى اصحاب جكرمش أن اصحاب سقمان قد استولوا على مال الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل قالوا لجكرمش : اى منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا ؟ وحسنوا له اخذ القمص فاخذه من خيم سقمان ، فلما عاد سقمان شق عليه الأمر وركب اصحابه للقتال ، فردهم وقال لهم : لا يقوم فرح المسلمين فى هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا اوثر شفاء غيظى بشماتة الأعداء بالمسلمين (٣١٥) » . وعندئذ رحل سقمان واخذ

=
بلدوين دى بورج كان عند حران ، فان (بربيه) ينفرد بالقول ان ذلك كان عند الرقة على الفرات فى مايو ١١٠٤م . والراجح ان ذلك غير صحيح .
(Bréhier : Vie et Mort ... p. 315,

(٣١٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389.

(٣١٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٤٤٥ . عن (Runciman)

(٣١٤) (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 390,
فقد استولى البيزنطيون على اللاذقية
فى حين استولى رضوان حاكم حلب على اللوعة وسرمين ومعرة مصرين .
Grousset : L'Epopée, p. 80)
(Brehier : Vie et Mort ... p. 315 Setton Op. Cit. V. 1, p. 390),
(الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، جـ ١ ص ٣٩١)

(٣١٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٣٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، جـ ١ ص ٣٩٣ .

سلاح الفرنج ورايتهم والبس اصحابه لبسهم واركبهم خيلهم وجعل يانى حصون شبختان وبها الفرنج ، فيخرجون ظنا منهم ان اصحابهم نصروا فيقتلهم وياخذ الحصن منهم ، فعل ذلك بعدة حصون ، فى حين اتجه جكرمش الى الرها وحاصرها خمس عشرة ليلة (٣١٦) . فماذا كان وضع الرها عندئذ ؟

كانت الرها فى حالة حداد عام بعد أسر أميرها بلدوين دى بورج ووقوع نسبة كبرى من ابنائها بين قتلى واسرى (٣١٧) . اما من نجوا فقد فروا نحو اسوار الرها للدفاع عن المدينة واقامة التحصينات ، قبل ان يصل الاتراك ويستولوا عليها (٣١٨) . وكان أن أسرع بوهيموند وتنكريد الى الرها حيث رفعوا الروح المعنوية للأهالى ووضعوا المدينة بسرعة فى وضع الدفاع (٣١٩) . أما اهالى الرها فقد حاولوا الخروج من ذلك المأزق بسرعة وبحزم . فوضعوا المدينة تحت وصاية تنكريد (٣٢٠) . على ان اختيار اهل الرها لتنكريد حاكما جاء مشروطا بأن يخلى عن حكم المدينة بمجرد اطلاق سراح بلدوين (٣٢١) . أما تنكريد فقد تلقى ذلك العرض بكل غبطة ووافق على طلبهم (٣٢٢). اى أن الرها قبلت مؤقتا سيادة النورمان عليها (٣٢٣) . هذا فى

---

(٣١٦) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٥ ص ٣٣ ، الطباخ الحلبى اعلام النبلاء ، جـ ١ ص ٣٩٣ . اما كاهين فيشير الى ان جكرمش هو الذى نهب الأماكن المسيحية فى شبختان أولا ثم توجه بعد ذلك لحصار الرها . Cahen : p. 238

(٣١٧) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407

(٣١٨) Alberti Aquensis : Historiae ...Liber IX..., T. 4, p. 616,

(٣١٩) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407

(٣٢٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 616. Gesta Tancredi ... Hist. Occid. T. 3, p. 712, Bréhier : Vie et Mort ... p. 315, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 389, Archer : Op. Cit., p. 145.

(٣٢١) William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407.

(٣٢٢) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43.

(٣٢٣) Zoé . Op. Cit, p. 235.

حين عـــاد بوهيموند الى انطاكية (٣٢٤) . ويقال انه وضـــع ممتلكات جوسلين فى تل باشر تحت حمايته (٣٢٥) .

وبمجرد رحيل برهيموند ظهر جكرمش بجيش الموصل امام الرهـــا . حتى صـــار السهل الذى فى مواجهتها مكسوا بآلاف من خيـــام الأتراك ولكن تنكريد الذى لم تكن لديه سوى حفنة من الجند الفرنج استطاع أن يصمد ويستثير حماســـة الأرمن ، ممـــا جعـــلهم يقومون بدور مرموق ، ذلك أن الارمن فى الرهـــا تكتلوا حول زعيمهم الفرنجى ليســـدوا الطريق امام الغزو التركى (٣٢٦) . وفى الوقت نفســـه ارسل تنكريد سرا الى انطاكيـــة ليحـــذر بوهيموند من ان الرهـــا نفذ صبرها وانه بدون نجـدة سريعةفان العبء سيغدو ثقيلا عليه (٣٢٧) . وبالفعل استعد بوهيموند رغم حرج موقفه فى امارته امام غزوات حلب المتكررة ضـــد انطاكيـــة ، فاعد جيشـــا من ٣٠٠ فارس و ٥٠٠ من المشـــاه وســـار الى الرهـــا لكنه لم يستطع ان يصـــل اليها الا فى اليوم الســـابع من الحصـــار بعد ان اشتدت وطأة الهجمات التى شنها الاتراك يوميا على المدينة (٣٢٨) . وعندما فقـــد تنكريد الأمل فى وصول معونة اليه ، وضـــع خطـــة فدائية مع فريق من اهل المدينـــة الذين فضلوا الموت عن الاستسلام ، فاندفعوا فى فجر احـــد الأيام وباغتوا الجنـــد الأتراك الذين كانوا قـــد اشتد بهم

---

(٣٢٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 616.
Gesta Tancredi... Op. Cit., T. 3, p. 712, Wiliam : Op. Cit., V. 1, p. 459.
ذلك لأن جيرانها كانوا قد بداوا يستعدون لاحراز اى منفعة من وراء هزيمة الفرنج (Runciman : Op. Cit. V. 2, p. 43)

(٣٢٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 459.

(٣٢٦) Alberti Aquensis : Liber IX... T. 4, p. 616,
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408 عن (Albert)
هنـــا يذكر البرت أن تنكريد حصن المدينـــة بحراســـة قوية وشجع المواطنين ووعدهم بانه سيحارب اعدائه بشجاعة وبدون تاخير . وما أن ادرك المواطنين مواســـاته وأنه رجل ذو ثقة كبيرة وشجاعة عظيمة حتى قاوم كل المواطنين والجنود ، الأعداء المهاجمين وطردوهم .

(٣٢٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX ... Hist. Occid., T. 4, p. 617, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 408.
وسنذكر نص رسالة تنكريد الى بوهيموند مع الملاحق . وهنـــا يذكر البرت أن سقمان اشترك فى مهاجمة الرهـــا مع جكرمش . والراجح أن هذا غير صحيح .

(٣٢٨) Alberti : Ibid., p. 617, Grousset : Ibid., p. 408.

التعب وقيل أن بعضهم كان فى حالة من السكر ، واخذوهم على غرة واعملوا فيهم السيف فى الوقت الذى وصل بوهيموند على رأس فرسان انطاكية ليتموا النصر (٣٢٩) . أما جكرمش فقد عاد الى الموصل عندئذ (٣٣٠) .

الرها تحت حكم تنكريد :*

وبانتهاء تلك الفترة العصيبة دخلت الرها لفترة قصيرة تحت وصاية البيت الأنطاكى ممثلا فى تنكريد . فماذا كان وضعها أثناء حكمه الذىاستمر من سنة ١١٠٤م حتى سنة ١١٠٨م (٤٩٨ — ٥٠٢هـ) ؟

ويبدو أن هذه الفترة كانت مظلمة فى تاريخ الرها بدليل ما يقول البرت عنه أنه « دنس المدينة فترة حكمه (٣٣١) » . والواقع أن الحاكم الحقيقى للرها فى تلك الفترة ، والتى قاسى فيها الأهالى كثيرا كان ريتشارد دى سالرنو ابن عم تنكريد (٣٣٢) .

ذلك أن بوهيموند اضطر الى السفر الى ايطاليا فى أوخر ١١٠٤م — ٤٩٨هـ (٣٣٣) . لطلب امدادات ضد الامبراطور البيزنطى (٣٣٤) .

---

(٣٢٩) Grousset Ibid., p. 408, L'Epopée, p. 79, Cahen : p. 238.

(٣٣٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٣٣ .

Grousset : Ibid., p. 409

(٣٣١ Albert Aquensis : Historiae, Liber IX ... T .4, p. 616.

(٣٣٢) Zoé : Op. Cit., p. 235, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 872.

وريتشارد هذا هو الذى أسره جيش بلدوين البولونى من جيش تنكريد فى معركة المصيصة بين الجانبين سنة ١٠٩٧م

(William : Op. Cit. V. 1, p. 30)

وأسر مرة أخرى مع بوهيموند بواسطة الدانشمنديين سنة ١١٠٠م .

Mattieu : Op. Cit., p. 32, Cahen : Op. Cit., p. 228).

(٣٣٣) Mattieu : Ibid., p. 73, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 416, Zoé : Op. Cit., p. 235.

أما ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٩ فيذكر أن ذلك كان ٤٩٦هـ . وهو ماذكره الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩١ . والراجح أن هذا التاريخ غير صحيح لأنه كان قبل موقعه حران التى شارك فيها بوهيموند .

(٣٣٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 620, Matticu : Op. Cit., p. 73.

وعندما ابحر الى الغرب « لم يظهر ثانية على الأرض المقدسة (٣٣٥) ». وترك حكم انطاكية والرها فى يد ابن اخته تنكريد (٣٣٦) فأودع تنكريد بدوره الرها فى يد ريتشارد دى برنسيبات(٣٣٧). لكن ريتشارد هذا أنزل كثير من الاضرار باهالي الرهـا(٣٣٨) . ولم يتبع اسلوب بلدوين البولونى . وبلدوين دى بورج اللذين حكما قبله الرها (٣٣٩) . وبعبارة اخرى فان حكم ريتشارد فى الرها اتصف بالجشع والصلابة (٣٤٠) . وكانت تنقصه المقدرة ، لذا لم يستطع كبح طغيان وجشع اتباعه الفرنج ففقد بسرعة اخلاص اتباعه الارمن (٣٤١) .

لذلك لا عجب اذا وصفه المؤرخون بانه كان طماعا ، طاغية ، صادر مواطنى الرها المعروفين بثرائهم ، دون أن يعنى الا باثراء نفسه قبل ان يعود الأمير الشرعى للبلاد (٣٤٢) . ولذا تعرضت الرها فى ايامه للتهديد من جانب جكرمش (١١٠٥م) (٤٩٩هـ) . وقلج ارسلان (١١٠٦ – ١١٠٧م) (٥٠٠ – ٥٠١هـ) . مما جعل فترة حكم ريتشارد للرها ١١٠٤ – ١١٠٨م تتصف بالضعف وتعرضها للخطر (٣٤٣) .

والواقع ان ذلك الوضع السيء الذى تعرضت له الرها طوال اربع سنوات لم يضع حدا سوى اطلاق سراح اميرها الشرعى بلدوين دى بورج.

وكان جوسلين هو اول من اطلق سراحه من الأسرى بسبب اخلاص رعاياه فى تل باشر « فقد ذهب بعض رجال من تل باشر وحددوا فدية جوسلين وبقواهم انفسهم فى السجن كرهائن وخرج جوسلين ليحمل

---

(٣٣٥) Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٣٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 73, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٣٣٧) Michel : Op. Cit., p. 195, Cahen : Op. Cit., p. 246, Zoé Op. Cit., 230, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 872, V. 1, p. 415.

(٣٣٨) Michel : Ibid., p. 195.

(٣٣٩) Zoé : Op. Cit., p. 293.

(٣٤٠) Cahen : Op. Cit., p. 246.

(٣٤١) Setton : Op. Cit, V. 1, p. 393. اما جروسية فيقول « انه كدر العنصر الأرمنى » بسبب جشعه واخفاقه العسكرى Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 437.

(٣٤٢) Grousset : Ibid., V. 2, p. 872 عن L'Anonyme Syriaque)

(٣٤٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

الذهب المطلوب لاطلاق سراح الرهائن (٣٤٤) » . وبمجرد أن اطلق سراح جوسلين ثقب الرجال الموجودين كرهائن المكان الذى سجنوا فيه وهربوا « واطلق سراح جوسلين بدون فدية (٣٤٥) » .

اما المصادر العربية فتذكر ان جوسلين افتدى نفسه بالفعل « بعشرة آلاف دينار (٣٤٦) » . وما كاد يتم اطلاق سراح جوسلين حتى عمل دائبا على اطلاق سراح سيده الأعلى بلدوين دى بورج الذى كان قد فقد الأمل فى استعادة حريته . وحاول جوسلين جاهدا ان يغرى جكرمش باطلاق سراحه فى مقابل مبلغ من المال لكن طلبه رفض (٣٤٧) . وبعد موت الاتابك جكرمش غدا الأمير بلدوين فى يد جاولى (٣٤٨) . امير الموصل الجديد .

كانت ولاية جاولى سقاووا أو سقاوه (٣٤٩) . على الموصل هى اولى بوادر الأمل لاطلاق سراح بلدوين . على ان جاولى لم يلبث ان عزل عن الموصل وحل محله الأمير مودود بن التونتكين سنة ١١٠٨م (٥٠٢) (٣٥٠) . وعندئذ غادر جاولى الموصل ومعه الأمير بلدوين

---

(٣٤٤) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 433.

(٣٤٥) Michel : Ibid, p. 195, Grousset ; Ibid., p. 433.

(٣٤٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٩٧ تاريخ ص ٢٢ (أ) ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٩ .

(٣٤٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ .

(٣٤٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 434.

(٣٤٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ٣١٩٧ تاريخ ص ٢٠ (أ) ، ابن الأثير الباهر ، ص ١٦ ويذكر الأخير ان حكم جاولى على الموصل امتد من ٥٠٠هـ — ٥٠٢هـ .

(٣٥٠) ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٢٠ (أ ، ب) ، ٢١ (أ) Michel : Op. Cit. p. 215 ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ، ابو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ص ١٦١ ، الفارقى . تاريخه ، ق ١ ص ٣٧٥ . واذا كان كل من ابن الأثير : الباهر ص ١٧ . ابو الفدا المختصر حـ ٢ ص ٢٢٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر حـ ٢ ص ١٩ يذكرون ان ذلك كان فى صفر ٥٠٢هـ فان ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٣٩ يذكر « ان مودود ابى شتكين استولى على الموصل واعمالها فى المحرم ٥٠٣هـ » ولكن الراجح ان ذلك التاريخ غير صحيح استنادا لراى ابن الأثير وابن الفرات .

دى بورج ليطلق سراحه بعد قليل ، بعد ان قضى فى الأسر خمس سنوات (٣٥١) . وقد تعهد بلدوين بان يفدى نفسه بمال وان يطلق اسرى المسلمين الذين فى سجنه وان ينصره متى اراد ذلك منه بنفسه وعساكره وماله (٣٥٢) . وهنا نلاحظ ان قيمة الفدية لم تحدد اما ميخائيل ومن اخذ عنه فيحددها بسبعين الف دينار (٣٥٣) .

وكان ان سيرجاولى بلدوين الى قلعة جعبر (٣٥٤) ، وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك (٣٥٥) . وتولى المفاوضات فى امر اطلاق سراح بلدوين دى بورج كل من سالم بن مالك نفسه وجوسلين دى كورتناى الذى كان قد اطلق سراحه من فترة قليلة . وقد تم الاتفاق بينهما على اطلاق سراح بلدوين على ان يبقى جوسلين رهينة مكانه (٣٥٦) . وبالفعل استعد جوسلين لتنفيذ ذلك الشرط مما استثار اعجاب جاولى بشخصية جوسلين الذى كان الجميع يتحاكون به . ويفصل ميخائيل السريانى قصة اطلاق سراح بلدوين وجوسلين فيروى لنا ان « جوسلين حضر ومعه ثلاثون الف دينار من السبعين الف المحددة لفدية بلدوين ووضع نفسه رهينة واطلق سراح بلدوين . وعندما سمع سلطان الموصل — يقصد جاولى — بعودة جوسلين اخذته الدهشة وطلب رؤيته لأنه لم يره من قبل وبالفعل توجه جوسلين الى الموصل فلما رآه السلطان انقص عشرة آلاف دينار من فدية بلدوين . فسجد جوسلين ورفع وجهه من الأرض ليحييه ، وعندئذ انقص السلطان مرة اخرى عشرة آلاف دينار اخرى وفى الصباح عندما خرج السلطان مع قواته امر جوسلين ان يركب حصانا وان يأخذ سلاحه . وعندما راى

---

(٣٥١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢١ (ب) ، ٢٢ (أ) ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ ، وكان اطلاق سراح بلدوين عند بلدة ماكسين .

(٣٥٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ١ ص ٢٢ (أ) ، العينى : عقد الجمان ، مخطوط حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ .

(٣٥٣) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 434.

(٣٥٤) (Dussaud) عن Grousset : Ibid., p. 434

(٣٥٥) ابن الأثير الكامل : ، حـ ٨ ص ٢٥٣ .

(٣٥٦) ابن الأثير : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الفرات: مخطوط ، حـ ١ ص ٢٢ (أ) .

السلطان وكل الحشد الموجود ، جمال وقوة جوسلين ، أعجب به واسقط كل الفدية المطلوبة عن بلدوين ، فعاد جوسلين وهو فى غاية الفرح (٣٥٧) » .

فى هذا النص يشير ميخائيل الى ان جوسلين توجه الى سلطان الموصل — ويقصد هنا جاولى — ولكن المعروف أن اطلاق سراح بلدوين تم عندما كان جاولى مطرودا من الموصل فلم يكن اميرا لها وقتذاك . وان اطلاق سراح بلدوين كان فى ماكسين والمفاوضات كانت فى قلعة جعبر وليست فى الموصل . كما يفهم من النص السابق ايضا ان بلدوين دى بورج اطلق سراحه هو الآخر بدون فدية . ولكن الراجح ان جاولى اخذ مقدم الفدية فقط واسقط الباقى كما سنرى .

ويذكر متى الرهاوى أن جوسلين اطلق سراح بلدوين أمير الرها فى مقابل مبلغ كبير من المال (٣٥٨) . اما المصدر اللاتينى فيقول « ان بلدوين بعد ان أمضى خمس سنوات فى الأسر ، وبعد أن قتلت الرهائن ذاتها حراس السجن بطريقة بارعة هرب من السجن(٣٥٩) » . ويؤيد هذا الرأى ما ذكره وليم الصورى من أنه « فى صيف ١١٠٨م أو فى بداية ١١٠٩م ومن طريق الصدفة قتل رهائن بلدوين وجوسلين الحراس المسئولين عن الاشراف عليهم بينما كان هؤلاء الحراس فى سبات عميق اثر شرب الخمر ، ثم سافر فى الليل بواسطة بعض الطرق الجانبية الملتوية استطاعا ان يتخذا طريقهما الى بلادهما (٣٦٠) » .

اما ابن الاثير فيذكر انه « لما وصل جوسلين الى قلعة جعبر وأقام رهينة عوض القمص واطلق القمص وسار الى انطاكية واخذ جاولى

---

(٣٥٧) Michel : Op. Cit. p.p. 195 - 196, Zoé : p. 294.
والاخير يعلق على ذلك بقوله
أن لطف جوسلين ورقته ساعدته تلقائيا على اقامة
علاقات انسانية مع اعدائه ، وهو يقصد هنا جاولى(p. 295)
اما جروسيه فيعلق على ذلك النص بانه لم يكن الا صدى للأخبار المروية عن آدب الفروسية ؛ ونوع من التحالف الشخصى بين جاولى من ناحية وبلدوين دى بورج وجوسلين من ناحية أخرى .
(Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 434).

(٣٥٨) Mattieu : Op. Cit., p. 85.
(٣٥٩) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit. . T. 3, p. 410.
(٣٦٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 474.

جوسلين من قلعة جعبر فاطلقه واخــذ عوضـــه اخا زوجته واخا زوجة القمص وسيره الى القمص ليقوى به ، وليحثه على اطلاق الأسرى وانفاذ المــال وما ضمنه (٣٦١) » . اى انه كانت هنــاك فديه بالفعل . هنــا تذكر المصـــادر العربية ان فداء بلدوين كان « خمســـة وثلاثين دينـــارا ومائة وستين أسيرا من المسلمين (٣٦٢) » .

ومهما تختلف المصـــادر فى موضوع الفدية ـــ التى يرجح وجودهـــا من ناحية المبدأ بالفعل ـــ فان الجميع لتفقوا على ان بدوين اطلق سراحة وتم نوع من التحالف بين جاولى من ناحيــة وبلــدوين وجوســلين من ناحيـــة اخرى .

وتقول بعض المصـــادر انه عندما تم اطلاق سراح بلدوين فانه توجه الى امارته الســابقة فى الرهـــا ولكنه لم يستطع دخولها ، لأن رجـــال تنكريد منعوه من ذلك (٣٦٣) . ولكن الراجح ـــ كمــورد فى المصـــادر الاســـلامية وغيرهـــا ؛ انه توجـــه فور اطلاق سراحـــه الى انطاكيـــة للحصول على باقى فديته المستحقة عليه ولكى يسترد امارته من تنكريد ؛ السيد الأعلى للرها وقتذاك:فاعطاه تنكريد ثلاثين الف دينارا وخيلا وسلاحا وثيابا وغير ذلك (٣٦٤) ؛ ولكنه رفض رد امارته اليـــه فخرج بلدوين من عنده غاضبا الى تل باشر (٣٦٥) . وكان ان اصـــدر تنكريد لوامره الى نائبه فى الرهـــا ريتشـــارد دى سالرنو بالا يسلمها لبلدوين (٣٦٦) .

---

(٣٦١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ، السبخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٩ .

(٣٦٢) ابن الأثير : المصـــدر الســـابق ص ٢٢٢ ؛ ابن خلدون العبر، حـ ٥ ، ص ٣٣ ، العينى : عقد الجمـــان ، حـ ١٥م ٢ ، ص ٥٦٩ ؛ الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٦ ص ٤٥ ، الطباخ : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٣ .

(٣٦٣) Fulcherii : Op. Cit. . T. 3, p. 410. William : Op. Cit., V. 1, p.p 373: 474.

(٣٦٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٢ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٢٢ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٤١ العينى : عقد الجمان ، مخطوط حـ ١٥م ٢ ص ٦٢٨ .

Grousset : Hist des Crois.. V 1 p. 435.

(٣٦٥) ابن الأثير : نفس المصـــدر والصفحة ؛ ابن الفرات : المصدر والصفحة ، ابن خلدون المصـــدر والصفحة ، العينى ، حـ ١٥م ٢ ص ٦٢٩ ، Grousset : Hist. des Crois. V. 1. p. 436.

(٣٦٦) Mattieu : Op. Cit p 86

والواقــع ان اصرار تنكريــد على التمســك بحق غير شرعى له ، ادى فى النهاية الى انقســام الصليبيين ـ بل الى انقســام المسلمين ـ على انفسهم ، فقامت حرب اهلية بين الجانبين سنتناولها فى باب العلاقات الخارجية ، ورد ذكرهــا فى بعض المصــادر والمراجع (٣٦٧) . وعندما وصل الأمر الى ذلك الحد ، تغلب العقل حرصــا على الكيان الصليبى فى الشرق . فتدخل الرؤســاء والنبلاء فى البلاد وذوى المكانــة العاليــة . لقــد عرموا ان قيــام العداوة بين الرجلين فى مثل تلك الدرجة العالية امر بالــغ الخطورة وســوف يكون مصــدرا لشرر فعــال للأهــالى المسيحيين . وبنــاء على ذلك اخــذوا على عاتقهم مهمــة التوفيق بين الطرفين ونجحوا فى ايجاد صــلح بينهما (٣٦٨) . والراجح ان التوصل الى صلح بينهما كان راجعا فى المقــام الأول الى تــدخل رجــال الدين فقــد « توسط بينهما البطرك الذى لهم ، وهو عنــدهم كالأمام الــذى للمسلمين ، لا يخالف أمره وشهد جماعــة من المطارنة والقسيسين ان بيموند خــال طنكرى قال له لــا اراد ركوب البحر والعودة الى بلاده انْ يعيد الرهــا الى القمص اذا خلص من الأسر (٣٦٩) » .

ويؤكــد وليم الصورى وفولشر ان تنكريد « بعد تفكير عن رؤية فيه غيرفكره (٣٧٠) » . وتذكر تلك القسم الذى اقسمه بوهيموند « حتى يتجنب اى صراع فى اى مكان أو اى زمان (٣٧١) » . وبذلك اســتعاد بلــدوين امارتــه فى التاســع من صفر ٥٠٢هـ (٣٧٢) ، ١٨ سبتمبر

---

(٣٦٧) Mattieu : Ibid., p. 85 - 87, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394, Cahen : Op. Cit. p. 249 - 251, Zoé : Op. Cit., p.p. 239 - 240, Grousset : L'Epopée, p. 83, Hist. des Crois., V. 1, p.p. 439 - 442.

(٣٦٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 475.

(٣٦٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ــ ٢٥٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ص ٣٣ (أ) ، عقد الجمان ، حـ ١٥م ٢ ص ١٣٩ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٠ .

ويورد ابن خلدون نفس المعنى فى كتابه العبر ، حـ ٥ ص ١٩١ مــع الاشــارة الى تنكريد باسم (سكرى) والى بوهيموند باسم اسبيد .

(٣٧٠) William : Op. Cit. V. 1. p. 474.

(٣٧١) Fulcherii : Op. Cit., T. 3 p. 410.

(٣٧٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٥٤ . ابن الفرات : مخطوطة حـ ١ ص ٢٣ (أ) وينفرد ابن خلدون ض ذلك كان فى صفر سنة ٥٠٢هـ (ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ١٩١) .

ولكن اذا كان بلدوين دى بورج قد عـاد من جـديد لامارته الا انه بدا فترة جـديدة من الصراع العنيف ضـد القوى الاسلامية ممثـلة فى الاتراك الذين تمـددت هجماتهم على الرهـا ، كمـا سيأتى شرح ذلك بالتفصيل فى باب العلاقات مع جيران الرهـا من المسلمين .

العلاقة بين بلدوين دى بورج وجوسلين : سنة ١١١٣م — (٥٠٧هـ) .

فى ١١١٣ م (٥٠٧هـ) بدات العلاقات تسـوء بين بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى حتى انتهت بقطع العلاقات بين الطرفين . وقـد انفرد وليم الصورى بتفصيل سبب ذلك ، فقال انه حدث فى تلك السنة ان ارسل الأمير بلدوين دى بورج بعض رسـله فى مهمة خاصـة الى روجر بن ريتشارد حاكم انطاكية . وبعد ان عبر اولئك الرسل الفرات ، مروا عبر اراضى جوسلين الذى استقبلهم بحفاوة وكرم زائدين . ولكن حـدث اثنـاء وجودهم فى ضيافة جوسلين ان اخذ بعض عبيده يذمون الرسـل وينتقدون فقر الأمير بلدوين ، وفى نفس الوقت تفـاخروا بثراء سـيدهم جوسلين ، وبمـا يمتلكه من كميات وافرة من الحبوب والخمور والزيت والمؤن فضلا عن الذهب والفضة ، وبما يتبعه من عديد الفرسان والمشاه وضمنوا نقدهم اللاذع بعبارات فحواها ان الأمير بلدوين غدا غير صـالح لحكم تلك البلاد وانه من دواعى الحكمة ان يبيع امـارته للأمير جوسلين وبذلك يحصل على مبلغ كبير من المـال يعود به الى فرنسـا(٣٧٤) . ويعلق جروسيه بان جوسلين نفسـه اخطا فى حق الأمير بلدوين ، وذكر وهو ثمل انه يستطيع ان يشترى ارض الرها من سيدها المفلس(٣٧٥) .

وكان أن عاد الرسل الى أميرهم ليقدموا له تقريرا مفصلا عما حدث وعما سمعوه من تجريح من جوسلين ورجاله(٣٧٦) . ويبدو ان الأمير

---

(٣٧٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

(ما وليم الصورى فيذكر ان ذلك كان فى ١٨ ابريل ١١٠٩م (William : Op. Cit., V. 1, p. 475) والواقـع ان ٥٠٢هـ يقابلها ميلادى من ١١ اغسطس ١١٠٨ الى ٣١ يولية ١١٠٩م (زامبور : معجم الأنسـاب ، حـ ٢ ص ٥٢٧) .

(٣٧٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 498.

(٣٧٥) Grousset : L'Epopée, p. 111.

(٣٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 498.

بلدوين تاثر تاثرا عميقا لما سمعه وازداد سخطا على جوسلين لانه السبب فى نعمته ، وعز عليه ان يتنكر له وينسى الجميل والمعروف(٣٧٧) .

وكان ان تظاهر بلدوين بالمرض ، ورقد طريح الفراش وأمر باستدعاء قريبه جوسلين فورا . فحضر فى الحال دون أن يتسرب اى شك الى قلبه. وعند وصوله الى الرها وجد الأمير بلدوين فى قلعة المدينة ، مستلقيا ، فى حجرة داخلية ، فدخل جوسلين وبعد ان ادى التحية المعتادة سأل الأمير عن صحته فأجابه « أحسن كثيرا — بفضل الله — مما تتمنى » . ثم أخذ بلدوين يوبخ جوسلين لعدم وفائه وتنكره له . وطالبه بأن يسلم له فورا ممتلكاته التى انعم بها عليه(٣٧٨) . وفى الحال أصدر بلدوين أوامره بزج جوسلين فى السجن حيث تعرض لكل أنواع التعذيب حتى يتنازل عن كل البلاد ويتخلى عن كل المناصب والحقوق التى تلقاها على شكل هبات من بلدوين(٣٧٩) .

وهكذا حرم جوسلين من كافة ممتلكاته فترك الرها ، وتوجه الى الملك بلدوين الأول ملك القدس ، حيث قدم له تقريرا مفصلا عما حدث وافصح عن رغبته فى العودة الى وطنه فى الغرب الأوربى وبعد ان استمع اليه الملك ، اقطعه طبرية(٣٨٠) وضواحيها طوال حياته . « لأنه يعلم ان جوسلين سيفيد المملكة بخدماته العظيمة ورغب فى أن يستفيد من مساعدات رجل عظيم مثله » (٣٨١) ويشير ابن الفرات الى تلك القصة

---

(٣٧٧) William : Ibid., p.p. 498 - 499.

(٣٧٨) William : Ibid., p. 499, Mattieu : Op. Cit., p. 126, حاشيه
Grousset : L'Epopée, p.p. 111 - 112 :

(٣٧٩) William : Ibid., p. 499, Mattieu : Op. Cit., p.p. 125 - 126.
Cahen : Op. Cit., p. 265.

(٣٨٠) Zoé : Op. Cit., p. 294, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 57.
بينما يذكر ميشو انه اخذ اقطاع طبريه يذكر أولدنبرج انه اخذ اقطاع الجليل الذى كان خاليا بسبب موت صاحبه السابق
Hugues de Saint-Omer
ويؤيده فى هذا الرأى كاهن (Cahen : Op. Cit., p. 265) ويجمع جروسيه بين الرأيين بقوله « أعطاه طبرية وامارة الجليل ، حيث أظهر فى تلك الامارة الجديدة قدراته الفائقة كسلفه هيوجودى سانت أومير
(Grousset Hist. des Crois. V. 1, p. 489.

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 1, p. 499, Mattieu : Op. Cit., p.126,
Grousset : L'Epopée, p. 112, Setton : Op. Cit., p. 402,
Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 874 عن (L'Anonyme).

بقوله : « كان اللعين جوسلين صاحب تل باشر قد اختلف هو واللعين بغدوين الرويس صاحب الرها ففارقه وصار الى اللعين بغدويل صاحب القدس فاقطعه طبرية »(٣٨٢) .

وبعد أن تخلص بلدوين دى بورج من كل العنصر المنسوقه له وقبض بيد قوية على شئون امارته وحماها من الاخطار التركية . اخذ يتطلع نحو الشمال ، اى الى المناطق الارمينية ليتوسع على حسبها . والواقع ان هذا الاتجاه لم يكن جديدا فقد سبق قبل تسع سنوات ان دخلت مدينة مرعش فى حوزة امارة الرها ، تحت سيادة جوسلين دى كورتناى ١١٠٤م (٤٩٨هـ) (٣٨٣) . وسنشير الى توسع بلدوين دى بورج فى هذا الاتجاه بالتفصيل فى فصل العلاقات مع الارمن خارج الرها .

وهكذا دعم بلدوين دى بورج الأسس التى وضعها بلدوين البولونى فى الرها واضاف اليها الجديد ، كما امن الامارة من الأخطار الخارجية والداخلية . « فلأكثر من ثمانية عشر عاما حكم الامارة بنشاط ونجاح . واخيرا ، اى فى السنة الثامنة عشر من حكمه عندما تاكد من ان امارته غدت فى حال من الاستقرار والسلام تحسد عليها ، عزم على زيارة ملك القدس سيده الأعلى وقريبه وولى نعمته ؛ فضلا عن رغبته فى نفس الوقت فى زياره الأماكن المقدسة(٣٨٤) .

وبالفعل تمت الترتيبات الضرورية للرحلة ، وعهد بالعناية بامارته الى ابن خالته جاليران دى بويست Galeran du Puiset حاكم البيرة(٣٨٥) ، الذى كانت لديه ثقة كاملة فى اخلاصه ويقظته(٣٨٦) .

ولكن حدث اثناء طريقه أن قابلته سفارة ، اخبرته أن الملك بلدوين قد مات فى مصر ، فقلق كثيرا لتلك الاخبار . ومع ذلك فانه استمر

---

(٣٨٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ، مخطوط ص٦٧(أ) ،

(٣٨٣) Michel : Op. Cit., p. 75.
سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا ، ص ١٤٢) ص Runciman,

(٣٨٤) William Op Cit., V. 1, p. 518.

(٣٨٥) Grousset L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. 91
عن (L'Anonyme)

(٣٨٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 518.

فى رحلتـــه مسرعا نحو بيت المقـــدس ؛ حتى وصلها فى يوم عيد ســـعف النخيل(٣٨٧) وهو أحد الشعانين(٣٨٨) وكان توافقا عجيبا أنه « فى نفس الوقت الذى دخـــل فيه الأمير بلدوين دى بورج وحرسه المدينة من باب امرام كان تابوت الملك بلدوين الأول محمولا فى موكب جنائزى فى الجهة المقـــابلة من جهة باب دمشق (٣٨٩) .

كان الملك بلدوين الأول ، قد خرج فى اوائل تلك السنة ١١١٨م (٥١١هـ) وتوجه الى مصر حتى وصل الى الفرما وقيل الى تنيس ولكنه لم يلبث أن مرض فقرر العودة بسرعة الى القـــدس ، ومات فى الطريق قبل وصوله الى العريش(٣٩٠) . وذلك فى ٢ أبريل ١١١٨م (٥١١هـ) (٣٩١) .

ولا شك فى أن وفاة بلدوين الأول المفاجئة ادت الى موقف صعب فى مملكة بيت المقـــدس الصليبية لأنه لم يخلف أولادا (٣٩٢) . ولذا تضاربت الآراء فى كيفية ملء عرش القدس . فذكر متى الرهـــاوى « انه قبـــل أن يموت الملك بلـــدوين مبـــاشرة أوصى باستدعاء بلـــدوين دى بورج ليكون وصيا على مملكة بيت المقدس حتى يصل أخوه ايوستاش **Eustache** من فرنسا وأن يعطوا التـــاج ذلك الأخير (٣٩٣) » . ومعنى ذلك ان وصية الملك كانت لأخيه وليست لبلدوين دى بورج .

أما المصادر العربية فتشير الى ان الملك بلدوين الأول قد « أوصى له بالملك بعده (٣٩٤) » فقبله « واجتمع له القدس والرهـــا (٣٩٥) » اى ان

---

(٣٨٧) William : Ibid., p. 518.

(٣٨٨) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 56.

(٣٨٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 518, Michaud : Ibid V. 2, p. 56.

(٣٩٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨٤ ، ابن العبرى : تـــاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ ، ابن الفرات : تـــاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ١١١ (ب) ، ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٨٠ .

(٣٩١) Schlumberger : Sigillographie... de L'Orient Latin, p. 1. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 410.

(٣٩٢) Setton : Ibid., V. 1, p. 410.

(٣٩٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 118 - 119.

(٣٩٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨٤ ، ابن العبرى : تـــاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ ، ابن العمـــاد : شذرات الذهب ، حـ ٤ ص ٣٠ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (١) الباب الســـابع .

(٣٩٥) ابن الأثير : المصدر الســـابق والصفحة ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مخطوط ، حـ ١ ص ١١٢ (أ) .

وصية الملك كانت لبلدوين دى بورج،وربما يرجع ذلك الى محض الاستنتاج لانه الذى تولى بعده بالفعل ، اما المصدر السريانى فيذكر « أن الملك اوصى أن يصبح بلدوين دى بورج ، أمير الرها وابن اخت الملك ملكا من بعده (٣٩٦) » والواقع أن بلدوين دى بورج لم يكن ابن أخت الملك بلدوين الأول لكنه كان ابن عمه (٣٩٧) . كذلك تشير بعض المراجع الافرنجية الى أن الملك اختار أيوستاش أولا ثم بلدوين ثانيا (٣٩٨) . ويشير البعض الآخر الى أن الملك لم يعين له خليفة (٣٩٩) ، ولم يعمل حسابا للموت فيوصى فى حياته بتعيين شخص معين يتولى عرش المملكة من بعده (٤٠٠) .

ومهما يكن من أمر فان وصول بلدوين دى بورج الى بيت المقدس فى نفس الوقت الذى وصل فيه جثمان الملك الراحل ، قوبل من أهل المدينة وأمرائها على أنه نوع من التدبير الالهى ، على قول متى الرهاوى ، فعهدوا اليه بالوصاية ، لكن بلدوين الذى كان طموحا لم يوافق أبدا على ذلك ، ووعد بأن ينهض بمهمة الوصاية لمدة سنة واحدة ، اذا لم يحضر خلالها اخو الملك ، يصبح من حقه اعتلاء عرش المملكة (٤٠١) .

على أن هذا الحل قوبل بمعارضة من جانب المتمسكين بمبدأ الوراثة وفق القانون الاقطاعى والذين راوا ضرورة انتظار وصول اخى الملك بلدوين من الغرب مهما تكن الأحوال (٤٠٢) . وهنا تدخل جوسلين دى كورتناى لحسم الموقف ، وانضم الى جانبه البطريرك ارنولف مالكورن Arnoul Malecorne وجماعته الذين نادوا بضرورة تعيين ملك فى الحال (٤٠٣) . وقد نادى جوسلين « بأن أمير الرها حاضر ، وهو يتمتع

---

(٣٩٦) Michel : Op. Cit., p. 196.

(٣٩٧) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٣٨
Harold Lamb : Op. Cit., p. 228.

(٣٩٨) Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 80, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٣٩٩) Zot : Op. Cit., p. 261.

(٤٠٠) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٩٨ (عن (William)

(٤٠١) Mattieu : Op. Cit., p. 119.

(٤٠٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 519, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٤٠٣) Alberti : Op. Cit. Liber XII. T. 4, p. 709, William : Ibid., p. 520, Setton : Ibid., p. 411.

باخلاق الرجال وجدير بالاحترام ، فضلا عن انه من اقاربه الملك الراحل ، ويتصف بالشجاعة فى الحرب ، ولا يمكن ان يطمع الصليبيون فى رجل آخر أفضـــل منــــه . وبنـــاء على ذلك فانه من الحكمة تعيينه انقاذا لموقف المملكة بدلا من الانتظار وسط اخطار مجهولة (٤٠٤) » .

ولمـــا كان الخير ما شهد به الأعـــداء ، فقـــد ادرك جميع النبـــلاء الحاضرين عندئذ كلمات جوسلين واكبروا صراحته وصـــدقه ، لمعرفتهم بالعداء الذى كان بين جوسلين دى كورتناى وبين بلدوين دى بورج (٤٠٥)

والذى سبق أن اشرنـــا اليه بالتفصيل . وهنا أشار بعض المؤرخين الى أن جوسلين راى فى ذلك فرصة لاسترضاء بلدوين دى بورج وازالة ما فى نفسه من رواسب المـــاضى (٤٠٦) . كما اشـــار وليم بأن هـــدف جوســـلين الحقيقى من وراء موقفـــه « أنه كان يهدف أن يخـــلف بلدوين دى بورج فى امـــارة الرهـــا فى المستقبل (٤٠٧) » .

وهكذا لعب جوسلين دوره بمهارة حتى تم اختيـــار بلدوين دى بورج ملـــكا على بيت المقـــدس (٤٠٨) . وحـــدث ذلك باجمـــاع كل الآراء والأطراف (٤٠٩) فتوج بلدوين ملكا فى ١٤ ابريل ١١١٨م وهو يوم عيـــد الفصح (٤١٠) . وبذلك فازت مملكة بيت المقدس « بأمير صليبى له خبرته وتجـــاربه الشـــاقة فى محـــاربة المسلمين ، بل قضى بضع ســـنوات فى سجونهم (٤١١) » . وحمل الملك الجديد اسم بلدوين الثانى (٤١٢) .

---

(٤٠٤) William : Ibid., p. 520.

(٤٠٥) William : Ibid., p. 526, Archer. Op. Cit., p. 159.

(٤٠٦) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٩٨

(٤٠٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 520.

(٤٠٨) Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(٤٠٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber XII (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 709.

(٤١٠) Mattieu : Op. Cit., p. 119, Schlumberger : Op. Cit., p. 3. Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 81, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.

اما ميخائيل السريانى فقـــد ذكر ان ذلك تم فى يـــوم الثلاثاء ٩ (نيسان) ابريل ١١١٨م (Michel : Op. Cit., p. 196) وبعد حوالى سنة احتفل بحفلة تتويج بلدوين فى كنيسة بيت لحم فى يوم عيد الميلاد .
William : Op. Cit., V. 1, p. 520, Mattieu : Op. Cit., p. 119.

(٤١١) Iorga : Op. Cit., p. 81.

(٤١٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 534.

ولكى يكافىء الملك الجديد ، جوسلين دى كورتناى على الخدمة التى قدمها اليه منذ قليل ، ولرغبته فى أن ينسيه القسوة التى عامله بها من قبل ، اعطاه امارة الرها ، وهى الامارة التى كان جوسلين يعرفها حق المعرفة . فبعد أن حلف بلدوين دى بورج اليمين تخلى لجوسلين عن اقطاعه (امارة الرها) الى جانب تل باشر وذلك ١١١٩م — ٥١٣هـ (٤١٣) على ان يكون تابعا للملك بلدوين الثانى فى حكم تلك الامارة (٤١٤)

وكانت الرها فى تلك الفترة الفاصلة التى بدات بخروج بلدوين لزيارة القدس حتى تم تتويجه ملكا للقدس ، فى رعاية حاكم البيرة جاليران دى بويست وهو ابن خالة بلدوين نفسه (٤١٥) . وبتعيين جوسلين حاكما على الرها فى نهاية اغسطس ١١١٩م عاد جاليران الى اقطاعه البيرة (٤١٦) .

امارة جوسلين دى كورتناى على الرها ١١١٩ — ١١٣١م (٤١٧) ٥١٣ — ٥٢٦هـ .

كان جوسلين هذا ابن عمة بلدوين دى بورج مباشرة ، وقد أجمع المؤرخون على امتداح شجاعته واخلاقه فيذكر (اولد نبرج) « انه بقوته وشجاعته وعلمه لفن الحرب وحسن وقارة يعتبر احد الفرسان البارزين فى بلاد الشام الفرنجية (٤١٨) » . اما وليم الصورى فيجمل صفاته فى سطور فيقول : « كان جوسلين رجلا ذا خبرة واسعة بالحياة والناس ، حذرا فى كل ما يفعله ، يظهر تعقلا شديدا فى معالجة الأمور ، وترتيب وتنظيم شئونه الخاصة (٤١٩) » . اما ميخائيل السريانى فيصفه بانه

---

(٤١٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 125 - 196. (حاشية عن وليم الصورى)

(٤١٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 538.
Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. 874.
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٩٩ ، عن Stevenson

(٤١٥) Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2. p. 874
عن (L'Anonyme) وكان جاليران حاكما لالبيره منذ سنة ١١١٧م اى بعد استيلاء بلدوين دى بورج عليها من أبو الغريب الأرمنى .

(٤١٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 874 - 875.

(٤١٧) Grousset : L'Empire, p. 300.

(٤١٨) Zoé : Op. Cit., p. 294.

(٤١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.

« البطل الشجاع (٤٢٠) » . فى حين يشير اليـه متى الرهـاوى بأنه « كان رئيسا مشهورا بين الفرنج ببسالته الفائقة (٤٢١) » . ولو أنه يفهم من كلامه أنه كان قاسى الطباع قبل ان يتولى امارة الرهـا ، ثم تخلى عن تلك الصفة بعـد ذلك « واظهر العطف والشفقة على سكان الرهـا وتخلى عن القسوة التى اتصف بها من قبل (٤٢٢) » .

ولم يكـد جوسلين يتولى امـارة الرهـا حتى باشر حيـاة نشطة وخاصـة فيما يتعلق بمحاربة المسلمين ، ففى أثناء توجهه من بيت المقدس الى الرها ليتولى امرتها « اسرى الى وادى بطنان والى مايلى الفرات من جهـة الشـام وقتل وسبى مـا يقرب من الف نفس ، واغار على منبج والنقرة واعمال حلب الشرقية واخـذ كل ما وجده من دواب واسر رجالا ونسـاء واسرى الى الراوندان يتبع طائفة من التركمـان كـانت قطعت الفرات فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم جماعة (٤٢٣) » . وعند وصوله الرها وجـد امامه موقفا يتطلب العمل فورا لانقاذ المدينـة . ذلك أنـه حـدث قبل وصول جوسـلين مباشرة ان رأى بعض الارمن أن الأتراك قـد نهبوا اقليم الرهـا وتقـدموا حتى اسوارهـا ففضلوا الاستسلام لهم ، وادخلوهم فى احـد الابراج ، ولكن شـاعت الناروف ان يـصـل جوسـلين فى تلك اللحظة فتصـدى للأتراك فى البرج وقتل منهم جماعـة فى حين القى الباقون بانفسهم من البرج (٤٢٤) .

على انه يلاحظ ان جوسلين دى كورتناى المعروف بجوسلين الاول اتخـذ من تل باشر مقرا لحكمـه وفعل ذلك من بعـده ابنه جوسـلين الثـانى (٤٢٥) . وربما يرجـع ذلك الى ارتباطه الشـديد بها ، فقـد كانت مقر نفوذه منذ قـدم من فرنسـا حتى صـار اميرا على الرهـا باكملهـا . وبالاضـافة الى ذلك كـان جوسـلين محبوبـا جـدا من اهلهـا (٤٢٦) .

---

(٤٢٠) Michel : Op. Cit., p. 196.
(٤٢١) Mattieu : Op. Cit., p. 126.
(٤٢٢) Mattieu : Ibid., p. 126.
(٤٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ١٩٤ .
(٤٢٤) Michel : Op. Cit., p. 196.
(٤٢٥) Cahen : Op. Cit., p. 116.
(٤٢٦) Zoé : Op. Cit., p. 296, Grousset : L'Empire, p. 300 عن (Fulcher), Archer : Op. Cit.; p. 162.

ولم يلبث أن دعم جوسلين حكمه بزواجه من أميرة ارمينية مثلما فعل الأميران اللذان سبقاه فى حكم الرهـا ، اما هـذه الأميرة فكانت اخت الأمير ليون Léon الأرمنى وهو رجل معروف بين قومه (٤٢٧) ، أو ابن قنسطنطين وانو ثوروس (٤٢٨) ، وهم جميعـا من امراء ارمينيـا الصغرى (٤٢٩) .

ثم ان جوسلين تزوج بعـد وفاة زوجته الأولى الأرمينية من ابنـة روجر حاكم انطاكية (٤٣٠) . وكانت هديـة الزواج التى قدمتها لزوجها مدينة اعزاز او عزاز الواقعة على الحـدود بين الأمـارتين (٤٣١) . وعلى ذلك فاذا كانت الزيجة الأولى قـد وطدت علاقاته بالأرمن فان الزيجة الثانية ، الى جانب انها وطدت العلاقات مع انطاكية ، فانها اضافت الى امارة الرهـا ارضـا جديدة .

اما عن حكم جوسلين للرها فقد امتاز عصره بالثروة والرخـاء ، رغم انه كان عليه ان يتابـع حربا مستمرة ضـد الاتراك ، صـادف فيهـا الأنتصـار تارة وتعرض للأسر تـارة اخرى (٤٣٢) . ذلك ان مهمـة جوسلين فى حكم الامارة بعـد اتسـاع اطرافها كانت غاية فى الصعوبة ،

---

(٤٢٧) Grégoire Le Prêtre : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 152, William : Op. Cit., V. 2, p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 8 عن L'Anonyme), Tournebize : Op. Cit., p. 173, Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٢٨) Iorga : Brève Hist. des Crois., p.p. 87 - 88.

(٤٢٩) Cam., Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 785.

روبان الأول من ١٠٨٠م الى ١٠٩٥م
قنسطنطين الاول (ابن) ١٠٩٥ — ١٠٩٩م
ثيودور الاول (ابن) من ١١٠٠ — ١١٢٩م
ليو الاول (أخ) ١١٢٩ — ١١٣٨م

(٤٣٠) Michel : Op. Cit., p. 210, Cahen : Op. Cit., p. 291. Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 875. المرجعان الأخيران عن (L'Anonyme)

(٤٣١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Cahen : Op. Cit., p. 291. Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 875.

يشير اليها ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٣ ص ١١٨ بانها عزاز ويقول انها ربما قبلت بالالف فى أولهـا . والعزاز الأرض الصـلبة وهى بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب .

(٤٣٢) E.R. Hayes : Op. Cit.. p. 290.

فاقت مهمة من سبقوه فى حكمها ، اذ كان لزاما عليه أن يثبت تلك اللبنات الأساسية فى بنساء الامسارة ، لذا امتلاء عهده بالصراع مع كل الأطراف الاسلامية المحيطة به فلم تمر فترة قصيرة دون أن يكون فى حالة حرب مع المسلمين ، وهسذا ما سنتناوله بالتفصيل فى فصل العلاقات مع المسلمين . ولكننا سنقتصر هنا فقط على بحث موضوع أسر ذلك الأمير النشط بيد المسسلمين .

اسر جوسسلين :

حدث فى سبتمبر ١١٢٢م (٤٣٣) — رجب ٥١٦هـ (٤٣٤) أن تقدم بلك بن بهرام ابن اخى ايلغازى (٤٣٥). ابن أرتق صاحب ميافارقين وماردين وحلب (٤٣٦) وامير سروج القديم (٤٣٧) وحاصر مدينسة الرهسا وبقى على حصرهسا مدة فلم يظفر بها فرحل عنهسا فجاءه أحسد التركمسان واخبره ان جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع رجاله لكبسه . وكان بلك عندئذ قد تفرق عنه أصحابه وبقى فى اربعمائة فارس ، فوقف مستعدا لقتسال الفرنسج . وفى الموقعسة التى دارت بين الطرفين حلت الهزيمسة بالصليبيين ووقع جوسلين نفسه اسيرا ، ووقع معه فى الأسر ابن خالته

(٤٣٣) Mattieu : Op. Cit., p. 131, Gibb : Op. Cit., p. 166. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 583 عن (Mattieu).

(٤٣٤) سبتمبر ١١٢٢م يقابله رجب ٥١٦هـ . وقسد ذكر هذا التاريخ كل من العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ ، (Gibb : Ibid., p. 166) الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٤٤ ، العينى عقسد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨١٧ . ولو أن الأخيران يعودان مرة أخرى فيذكران أن ذلك كان ٥١٥هـ (الطباخ ص ٤٤٢ ، العينى ص ٧٩٢) والسبب يرجسع الى أنهما نقلا مرة كلام ابى العديم ومرة أخرى كلام ابن الاثير الذى يذكر أن ذلك كان ٥١٥هـ . وشسارك ابن الاثير فى ذلك مصسادر اخرى (ابن الاثير : الكسامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٠٦ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٨ ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٢١٦ . اما ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ٥ ص ٢٢٦ ، فيذكر ان ذلك كان سنة ٥١٧هـ .

(٤٣٥) (Mattieu : Op. Cit., p. 131)

ينفرد متى الرهاوى بالقول انه ابن أخته

اما معظم المصادر العربية فتذكر انه ابن اخيه

مثسل ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : تساريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٤٨ (ب) ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ١٨٨ .

(٤٣٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٤٨(ب) .

(٤٣٧) Grousset : Hist. des Crois. V. 2. p. 875 عن (L'Anonyme)

جاليران (٤٣٨) ، الذى تسميه المصادر العربية قران (٤٣٩) أو كاليام (٤٤٠) وتشير اليــه بأنه « كان من شياطين الكفار (٤٤١) » وكان ان وضــع بلك جوسلين « فى جــلد جمل وخيط عليــه وطلب منــه أن يسلم الرها فلم يفعل وبذل فى فداء نفســه اموالا جزيلة واسرى كثيرة فلم يقبــلها بلك (٤٤٢) » وهنا يورد لنــا ابن العديم رد جوسـلين على بلك عندما عرض عليــه فداء نفسه بتسليم الرها قـــال : « نحن والبلاد كالجمـــال والحدج ، متى عقر بعير حول رحله الى آخر ، والذى بايدينا قد صـــار بيد غيرنا (٤٤٣) » .

وعندما لم تجد مفاوضات بلك معه اخذه مع ابن خالته وحبسهما فى قلعـــة خرتبرت (٤٤٤) وذلك فى ١٣ سبتمبر ١١٢٢م (٤٤٥) .

---

(٤٣٨) Michel : Op. Cit., p. 210, William : Op. Cit., V. 1, p. 540, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418,
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 583, V. 2, p. 875.

(٤٣٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٤٤ .

(٤٤٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٢ ص ٤٨ (ب) ، أبو الفدا : حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٢٨ . ويسميه ابن خلدون العبر : حـ ٥ ص ١٩٨ (كلمام) .

(٤٤١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٢ ص ٤٨ (ب) .

(٤٤٢) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٢١٦ ، أبو الفـــدا المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٨ ، كرد على : خطط الشام ، حـ ١ ص ٣٠٢ .

(٤٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ . والحدج هو الحمل يشد على البعير .

(٤٤٤)
Mathieu : Op. Cit., p. 132, Grousset . Hist. des Crois, V. 1, p. 584
(عن متى الرهـــاوى) ، ابن كثير : البداية والنهايـــة ، حـ ١٢ ص ١٨٨ . أبو الفدا المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ، ص ٢٨ ، كرد علي : خطط الشام ، حـ ١ ص ٣٠٢ .

(٤٤٥) Grousset . Ibid, V. 1, p. 584, Archer : Op. Cit . p. 162.

وهكذا اصبحت امـــارة الرها مرة اخرى دون امير يرعى شئونها ، وهى الامـــارة الأكثر تعرضـا للخطر من غيرها من الامــــارات الصليبيــة فى الشرق ، مما جعل الملك بلدوين الثانى ملك بيت المقدس يسارع بتعيين جيوفرى الـــراهب Geoffrey The Monk (٤٤٦) اميـــر مرعش ورعبـــان وكيســوم اميرا على الرها (٤٤٧) وقد وصف متى الرهاوى هذا الأمير بانه محارب مقدام لقى ورع (٤٤٨) وزاد من وقـــع اسر جوسلين انه جاء فى وقت ســاءت احوال الصليبيين فى الشرق بعد مقتل روجر امير انطاكية قبـل ذلك بثلاث سنوات (٤٤٩) فى حين تدهورت احـــوال حكومة بيت المقدس (٤٥٠) بل ان الملك بلدوين الثانى ملك بيت المقدس لم يلبث ان وقع اسيرا هو الآخر فى قبضة بلك فى العـــام التـــالى ١١٢٣م (٥١٧هـ) وكان ذلك عنـــدما توجـــه الملك بلدوين الى قلعـــة كركر (٤٥١) لانقاذها من حصار بلك بن بهرام فدارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة بلدوين واسره ومعـــه جماعة من أعيان فرسانه ، وسيق الى قلعـــة خرتبرت مقيدا فى الأغلال (٤٥٢) .

---

(٤٤٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Grousset : L'Empire, p.300
(Fulcher), Hist. des Crois. V. 2, p. 875 عن (L'Anonyme).

(٤٤٧) Michel : Op. Cit., p. 211.

(٤٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٤٩) Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena Cap LXXVI, (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 184.

(٤٥٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 584.

(٤٥١) Grousset : Ibid., V. 2, p. 875 عن (L'Anonyme)
هنا يذكر ان كركر كان
يحكمها ميخائيل بن قنسطنطين الأرمنى فتخلى عنها تلقائيا لبلدوين الثانى وتلقى بدلا منهـــا دلوك . ويذكر جروسيه رأيا آخر عن ميخائيل السريانى يذكر فيه « ان ميخـــائيل ابن قنسطنطين حاكم كركر تحـــالف مع الفرنج وعرض عليهم التنازل عن مدينتـــه خوفـــا من بلك الذى كانت غزواته لا تنتهى على اقليم ملطية لذا توجه بلك الى كركر بحملة تاديبية فى ينــــاير ١١٢٣م ، حيث كان جوسلين فى ذلك الوقت للمرة الاولى بعيدا عن بلاده .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 587 عن (Michel).

(٤٥٢) ابن العـــديم : زبدة الحـــلب ، جـ ٢ ، ص ٢١٠ — ٢١١ ، ابن الفـــرات : مخطوط جـ ٢ ص ٧٦ (ب) ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣١٣ ، العينى : عقد الجمـــان ، جـ ١٥م٤ ، ص ٨٢٣ — ٨٢٤ .
Mattieu : Op. Cit., p. 133, Michel : Op. Cit., p.p. 210-211.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419, Michaud : Op. Cit.. V. 2, p. 58, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 587, Archer : Op. Cit., p. 162

وهكذا اصبح وضع الصليبيين فى بلاد الشـــام ١١٢٣م شـائكا للغاية . فبعـــد اسر المـلك بلدوين الثـــانى أصبحت مملكة القـــدس وامــــارتى الرهـــا وانطاكية محرومة جميعا من رؤسائها . اما الامارة الرابعة وهى طرابلس فكان يحكمها بونز Pons مما جعـــل لهـــا زعامة مؤقتة على بقية الامـــارات (٤٥٣) .

ولم تمض فترة قصيرة على اسرى خرتبرت حتى بدأت الجهود تتكتل لتخليصهم من السجن . وفى هذا المجال تتعدد الروايات والأخبـــار عن كيفية تخليصـهم (٤٥٤) .

والواقع ان ارمن الرهـــا كان لهم دورهم فى تخليص سيدهم جوسلين من اسره لانهم غدوا بعــد اسره فى حزن عميق (٤٥٥) ذلك ان جوسلين كان محبوبا جدا من رعـــاياه الأرمن (٤٥٦) بسبب حبـــه هو الآخـــر الشديد لهم (٤٥٧) . بل ان حب الأرمن لجوسلين تعـــدى حـــدود الرها نفسها الى خرتبرت بمن فيها من الارمن (٤٥٨) . لذا قرر رعـــايا جوسلين الأرمن ان يبذلوا كل ما فى وسعهم لانقـــاذ حرية سيدهم (٤٥٩) . فتنكر خمسـون رجلا من ذوى الشجاعة والحنكة فى زى رهبان وتجار ومتسولين

---

(٤٥٣) Grousset : L'Epopée : p.p. 120 — 121.

(٤٥٤) تذكر المصـــادر العربيـــة ان تخليص الأسرى كان عن طريق مصانعه حراسهم وباستخدام الحيله (ابن العـــديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب : ص ٢١٨ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٢ ص ٧٦)ب) ، ٧٧ (أ) تـــاريخ أبو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط حوادث ٥١٧هـ) . اما ميخائيل السريانى فيقول ان ذلك كان عن طريق بعض عمال قلعة خرتبرت (Michel : Op. Cit., p. 211)

اما متى الرهـــاوى فيقول ان ذلك كان بمساعدة خمسة عشر من اهـــل بهسنى (Mattieu : Op. Cit., p.134)

اما جروسيه عن مصـــدر سريـــانى فيقـــول انه كان عن طريق عشرين شخصا من أهل كيسون

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876 عن (L'Anonyme)

(٤٥٥) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٥٦) Grousset : L'Empire, p. 300. عن (Fulcher)

(٤٥٧) Archer : Op. Cit., p. 162.

(٤٥٨) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٥٩) Archer : Op. Cit., p. 162.

واخفـوا أسلحتهم تحت ثيـابهم وتوجهوا الى خرتبرت (٤٦٠) . وتختلف الآراء بين المراجع الإفرنجيـة حـول ما تم فى خرتبرت ، فالبعض يشير الى انهم تضامنوا مع بعض العمال الذين كانوا يعملون داخل القلعة (٤٦١) وربمـا يقترب هذا الراى من راى ميخـائيل السريانى . والبعض يذكر « انهم هربوا الى داخل المدينة واحـدا اثر الآخر ، بحذر شـديد ، ومنها الى أسوار القلعة . هناك وجدوا حـارس القلعة غـافلا يتلهى يلعب الشطرنج مع خصمه الذى كان صديقا للمتآمرين (٤٦٢) » .

وكان ان امتلك الملك الصليبى ورفاقه القلعة ورفعوا علمـا مسيحيا على اعلى مكان فيها (٤٦٣) . وتم ذلك فى ربيع الأول ٥١٧هـ مايو ١١٢٣م ، وعلى اثـر سـماع ما حـدث هرب قـادة المسـلمين الموجـودين فى البلد (٤٦٤) . اما الملك ورفاقه فقد استولوا على كل ما لنور الدولة بلك فى القلعـة وكان شيئا كثيرا ، وعندئذ اشـار عليهم جوسلين باخـذ ما فى المكان وتركه فقال « كناقد اشرفنـا على الهلاك ، والآن فقـد خلصنا ، والصواب ان نمضى ونحمل ما قدرنا عليه . فما سمحت نفس بغـدوين بترك الحصن والخروج منه (٤٦٥) » . ومعنى هذا أن الملك بلدوين ظل فى القلعـة بعد استيلائه عليها . فى حين تشير بعض المصـادر الاسلامية الى ان بلدوين هرب هو وجوسلين (٤٦٦) بينما يذكر البعض الآخر ان المـلك هرب بمفرده (٤٦٧) . ويبـدو ان الفرنج صمموا على الصمود

---

(٤٦٠) Zoé : Op. Cit., p. 297, Grousset : L'Empire, p. 300. عن (Fulcher)

(٤٦١) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٦٢) Archer : Op. Cit., p. 162.

(٤٦٣) Archer : Ibid., p. 163.

(٤٦٥) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٦٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ٢ ، ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٤٩ .

(٤٦٦) ابن الفرات : تـاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخـطوط ، ص ٧٧ (أ) ، سبط بن الجوزى مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ، ص ١١١ .

(٤٦٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٣ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥ م ٤ مخطوط ص ٨٢٤ .

بخرتبرت حتى تصل المساعدة من انطاكية او بيت المقدس (٤٦٨) .
واتفق رأيهم على خروج جوسلين وحلفوه « على انه لا يغير ثيابه ولا ياكل لحما ولا يشرب الا وقت القربان الى ان يجمع جموع الفرنج ويصل بهم الى خرتبرت ويخلصهم (٤٦٩) .

وبالفعل غادر جوسلين المكان فى فجر ٦ اغسطس (٤٧٠) مصحوبا بحاشية من المشاه مكونة من ثلاثة من الخدم « وغلب عليه حينئذ الخوف اكثر من الشجاعة (٤٧١) » واتجه الى كيسوم ومنها الى انطاكية ايجمع القوات ويحمل النجدة للملك ورفاقه الأسرى (٤٧٢) وارشده فى الوصول انى الرها فلاح ارمنى (٤٧٣) .

اما بلك فكان بحلب عندما سمع بما حدث فى خرتبرت ، فاتى مسرعا عقب رحيل جوسلين (٤٧٤) وحاصر القلعة بقسوة ، ولغم رجاله الأسوار

---

(٤٦٨) Archer : Op. Cit., p. 163

(٤٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب حـ ٢ ، ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٤٩ .
Michel : Op. Cit., p. 211.

(٤٧٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٤٧١) Fulcherii Carnotensis : Historie... Hist. Occid. T. 3, p. 455
رهنا يذكر اولدنبرج ان الحاشية كانت عبارة عن ثلاثة من الارمن من البلاد وأن جوسلين خرج متنكرا فى زى متسول يموت من الجوع والعطش (Zoé : Op. Cit., p. 298).

(٤٧٢) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٧٣) Fulcherii Carnotensis : Historia: Hist. Occid. T. 3, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419, Zoé : Op. Cit., p. 298, Archer : Op. Cit., p. 163, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٤٧٤) Michel : Op. Cit., p. 211, William : Op. Cit., V.1, p. 543
هنا يضيف فولشر ووليم الصورى أن بلك انزعج فى تلك الليلة برؤية مرعبة ، فقد راى فى منامه أن الأمير جوسلين يفقده بصره بواسطة يديه لذا قام مذعورا وارسل رسلا عند طلوع النهار الى القلعة لقتل جوسلين حتى لا يقتل هو بيديه ، لكن قبل ان يصل الرسل كان جوسلين قد هرب ، وكانت القلعة قد سقطت بالفعل ، فتراجعوا بسرعة .
واخبروا سيدهم بما حدث . فاستدعى الأمير فى الحال القوات من كل مكان واسرع الى هناك .
(Fulcherii : Ibid., p. 455, William : Ibid., p. 543.

وقلبوا البرج الاكبر بعد ان فشلت محاولات اخذ القلعة باسلوب التفاوض مع الملك (٤٧٥) . بل قيـل انه نصب عليها اربعـة منجنيقات فانهارت الجدران (٤٧٦) . اما المصـدر العربى فيـذكر « ان بلك فتح خرتبرت بالسيف ثالث وعشرين من رجب وقتل كل من كان بها من اصحابه الذين كفروا نعمته ومن كان فيها من الفرنج ولم يستبق سوى بغـدوين الملك وقران وابن اخت بغدوين وسيرهم الى حران وحبسهم بها (٤٧٧) » .

هكذا استطاع بلك ان يسيطر من جديد على خرتبرت (٤٧٨) وبينما كان جوسلين يتقـدم لنجدتهم ومعـه جيوفرى الراهب على رأس جيش فرنجى « سمعوا بذلك الحـادث المشئوم فتوقفوا فى حزن بالغ وعادوا بقلوب داميـة كل الى جهتـه (٤٧٩) » ويحكى ابن العـديم الكثير عن اعمـال الانتقام التى قام بها جوسلين ضد مسلمى حلب بالذات (٤٨٠) ، وهـذا ما سنتناوله بالتفصيل فى فصل العلاقات مع المسلمين .

ثم ان جوسلين لم يهدأ مرة اخرى فى صراعه ضـد المسلمين بل ان الفرنج استطاعوا تحت قيادته أن يصلوا فى ١١٢٨ — ١١٢٩م (٥٢٣ —

---

(٤٧٥) Mattieu : op. cit., p. 134 - 135, William : Op. Cit., V. 1, p. 543, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٤٧٦) Michel : Op. Cit., p. 211
ويذكر ميخائيل هنا ان عدد من قتلوا كان حوالى سبعين رجلا ، اما متى الرهاوى فيذكر ان الأمير بلك ابـاد كل اسرى الصليبيين الموجودين بالمكان وكانوا حوالى خمسـة وسـتون شخصا
Mattieu : p. 135.

(٤٧٧) ابن العـديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٠ .

(٤٧٨) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١١٢ ، تاريخ أبو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ . هنا قال ان ذلك كان فى ١٦ سبتمبر
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420).

(٤٧٩) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Fulcherii : Op. Cit., Hist Occid T. 3, p. 456.

(٤٨٠) ابن العـديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ٢١٤ — ٢١٦ .

(٥٢٤هـ) الى آمد ونصيبين وراس العين (٤٨١) .

وهكذا استمر جوسلين امير الرهـا يقـاتل المسـلمين فى شجاعة لا تعرف اليأس حتى كانت وفاته فى دلوك سنة ١١٣١م (٤٨٢) (٥٢٦هـ)، كما سنرى فى الفصـل الخاص عن علاقة الرهـا بالمسلمين .

جوسلين الثـانى : ١١٣١ ــ ١١٤٤ ــ ١١٤٦م (٥٢٦ ــ ٥٣٩ ــ ٥٤١هـ) .

كان جوسلين الثـانى من ام ارمينيـة هى اخت ليون الأرمنى (٤٨٣) السـابقة الذكر . ومعنى ذلك انه كان من أمراء الفرنج الذين ولدوا فى الشرق ؛ وقد اتصف جوسلين الثـانى بالبراعة الحربيـة ، مع حب اللهو والأسراف فى الشراب (٤٨٤) .

تزوج جوسلين الثانى من بياتريس ، ارملة وليم حاكم صهيون بالقرب من اللاذقية (٤٨٥) . وانجب منها ولدا هو جوسلين الثالث وبنتين : الأولى هى آجنى Agnes التى تزوجت نيها بعـد رينـو Renaud حـاكم مرعش ثم من بعده عمورى امير يافـا الذى اصبح ملك القدس .

---

(٤٨١) Grousset : L'Empire, p. 300 عن (Bar Hebraeus)
وآمد بلد قديم حصين على نشز دجلة . فتحت سنة عشرين من الهجرة وسـار اليها عيـاض بن غنم بعـد ما افتتح الجزيرة (يـاقوت : حـ ١ ص ٥٦) و ونصيبين مدينـة بالجزيرة ايضا (ياقوت : حـ ١٩، ص ٢٨٨) أما راس العين فهى مدينة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودينسر ، وفى راس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها فى موضع فتصيرنهر الخـابور (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٩ ص ١٤) .

(٤٨٢) Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 878.

(٤٨٣) William : Op. Cit., V. 2, p: 52. Iorga · Breve Hist. des Crois., p. 87.

(٤٨٤) William : Ibid., V. 2, p. 53.

(٤٨٥) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 8.

والثانية ــ وهى الصغرى ــ ازابيلا (٤٨٦) .

وكان جوسلين محبوبا من رعاياه ، وهو حب ورثه عن والده فضلا عن ان امــه كانت ارمينيــة (٤٨٧) . ولكن جوســلين كان دون شك اقــل من والده بكثير فى المقــدرة الحربيــة والشجاعة (٤٨٨) .

والواقع أن امارة الرها كانت عندئذ فى حاجة الى محارب فذ من طراز والده جوسلين الأول . ولكن شــاءت الظروف الا يخلف ذلك الأمير القوى على عرش امــارته المعرضة للخطر الا ابنه المتهاون فى شئون امــارته ، وهو أمر افــاد منه المسلمون .

ذلك ان تهــاون جوسلين الثــانى أدى الى ضياع الأراضى والممتلكات التى اجهــد والده نفسه فى الحفاظ عليها والدفاع عنها (٤٨٩) ، فهجــر مدينــة الرهــا وانسحب ليقيم فى تل باشر ، مثلما فعــل والده ، ولكن على العكس منــه ، اقــام اقــامة مترفة على شــواطىء الفــرات ، وهنــاك استسلم كليــة لميوله المنحرفة واهمل تقوية الجيوش وتحصينات المــواقع ، ونسى العنــاية بالحكومة أمــام تهديد المســلمين (٤٩٠) .

وهذا هو ما اشــار اليــه نيرسيس فى قصيدته عن رثاء الرهــا . فهو عندما يشير الى أن زنكى هــاجم المدينــة اثنــاء غيــاب جوسلين الثانى منها يقول (٤٩١) :

اختبــأ فى الحقــــول (يعنى زنكى)
ثم اجهز على على حين غرة

---

(٤٨٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 53, Grousset : Ibid, p. 8.
(٤٨٧) Zoé : Op. Cit., p. 399.
(٤٨٨) Zoé : Ibid., p. 292.
(٤٨٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 53.
(٤٩٠) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 102.
(٤٩١) Nersès : Op. Cit. (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 246.
الأبيات من ٦٢٤ ــ ٦٣٠

فى ســـاعة لا انتظرهـــا
اذ أنه ما أن تحقق وتيقن
من غيـــاب رجالى وحماتى
حتى حاصرنى من كل جانب
وهـــــاجمنى بقســـوانه

والواقع ان تلك الظروف ، الى جـــانب ظروف اخرى ــ سنذكرها فيما بعـــد عند الكلام بالتفصـــيل عن عمـــاد الدين زنكى والرهـــا ــ شجعت عماد الدين زنكى على التوجـــه الى الرهـــا ١١٤٤م (٥٣٩هـ) وانتزعها من الفرنج . حقيقة انهم استعادوها بعد وفاته ١١٤٦م ، ولكن ذلك كان لفترة قصيرة الى ان استرجعها منهم ابنـــه نور الدين فى نفس السنة . والواقع ان الكلام عن سقوط امـــارة الرهـــا يعتبر من أبرز الموضوعات التى يمكن بحثـــها فى عهد جوسلين الثـــانى .

وباعطاء فكرة عن جوسلين الثـــانى وعهده تكن صـــورة الوضـــع الداخلى للامارة قد اتضحت ، وســـوف تتضح معـــالمها أكثر بالكلام عن العلاقات الخارجية للامـــارة سواء مع المسلمين او الصـــليبيين او مع الأرمن أو البيزنطيين ، وهو ما سنتعرض له بالدراسة فى الباب الثـــانى من بحثنـــا هذا . ولكن قبـــل أن ننتقل من هـــذا الباب الى ما يليـــه ، يجدر بنا أن نوضح نقطة هـــامة ربما تتردد على السنة المتسائلين وهى :

مدى الانجازات المعمارية بوجه خاص والحضـــارية بوجـــه عـــام لامارة الرها الصليبية ؟ الحقيقة اننا لم نعثر فى اى مصدر من المصـــادر التى رجعنا اليها على مجرد اشـــارة عـــابرة عن أى نوع من المنشآت التى خلفها الصليبيون فى الرهـــا . وربمـــا نجـــد تفسيرا لذلك فى أن الفترة التى عاشتها الامارة كانت اقصر من غيرها من الامارات الاخرى فى الشرق ، فهى لم تعش اكثر من نصف قرن تقريبـــا ، قضى حكامها ــ اذا استثنينا جوســـلين الثـــانى ــ معظمها فى صراع مستمر مع جيرانهم المتعددين . لذا لم تكن هنـــاك اية فرصة للشعور بالاستقرار والطمأنينة بسبب موقع الامـــارة المعرض للخطر كما رأينـــا . والمعروف أن النشاط الحضارى لابد له من سياج من الاستقرار والأمن ، وهو مـــا لم يتوافر لتلك الامـــارة القصيرة العمر .

الباب الثانى

علاقة امارة الرها الصليبية بجيرانها

أ ـ علاقتها بالقوى الاسلامية المحيطة بها .
ب ـ علاقتها بالامارات الصليبية فى بلاد الشام .
جـ ـ علاقتها بالأرمن خارجها .
د ـ علاقتها بالدولة البيزنطية .

أولا : علاقتها بالقوى الاسلامية المحيطة بها :

من الواضح أن موقع امارة الرها وسط اقليم الجزيرة ، جعل منها قلعة مسيحية وسط محيط اسلامى كبير ، أحاط بها من جميع النواحى والجهات . ولا شك فى أن هذه الحقيقة تعنى أن امارة الرها الصليبية كانت أكثر تعرضا من غيرها لضغط القوى الاسلامية عليها ، مما جعلها تعيش حتى سقوطها قرابة منتصف القرن الثانى عشر الميلادى فى صراع مستمر مع جيرانها المسلمين .

أما من تلك القوى الاسلامية التى أحاطت بامارة الرها ودخلت معها فى صراع طويل ، فأولها سلاجقة فارس الذين سيطروا على العراق والخلافة العباسية فى بغداد .

والى جانب تلك القوة الاسلامية الكبرى وجد بالعراق مركز آخر من مراكز القوى الاسلامية ممثلا فى بنى مزيد أمراء الحله (١) . وهؤلاء لعبوا دورا هاما ـ وخاصة أميرهم دبيس بن صدقة ـ فى مناهضة الفرنج كما سنرى فيما بعد . والى الغرب من نهر الفرات وجد فرع آخر من السلاجقة ، هم سلاجقة الروم أو سلاطين قونية(٢) . أما فى الشمال الغربى من الرها ، فقد وجد مركز آخر للاتراك المسلمين ممثلا فى بنى دانشمند الذين استقروا فى شرق آسيا الصغرى(٣) .

---

(١) الحلة مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد وكانت تسمى الجامعين (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٢ ص ٣٣٢ ـ طهران ١٩٦٥ ، منشورات مكتبة الأسدى رقم ٧) .

(٢) Michel : Op. Cit., p. 232, William : Op. Cit. V. 2, p. 200.

(٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372.

فاذا اضفنا الى هؤلاء جميعا الأراتقة أو بنى أرتق وهم زعماء مجموعة هامة من التركمان اتحدوا مع السلاجقة فى غزوهم لبلاد الشام (٤) ونجحوا فى الاستقرار بالقدس قبيل قدوم الصليبيين ، لولا أن الفاطميين نجحوا فى استرداد القدس منهم مما جعل زعيمهم ايلغازى يسير الى بغداد فى حين اتجه اخوه سقمان الى الرها ثم ملك حصن كيفا وماردين ونصيبين (٥) . . . ادركنا أن امارة الرها الصليبية كانت محاطة فعلا بمجموعة قوية من جيراتها المسلمين .

اما عن علاقة الرها بسلاجقة فارس ، فيبدو أن محور هذه العلاقة كان اتابكية الموصل التى كانت تتبع سلطنة السلاجقة وبالتالى فقد مهد اليها سلاطين السلاجقة بمواصلة سياسة الجهاد باسمهم ضد الصليبيين فى اقليم الجزيرة فضلا عن بلاد الشام . وقد سبق أن اشرنا الى انه ما كاد الصليبيون يحاصرون انطاكية غداة وصولهم الى بلاد الشام ١٠٩٧م — (٤٩١هـ) (٦) حتى خرج كربوغا اتابك الموصل (٧) على رأس حملة كبيرة لتخليص انطاكية من الحصار الصليبى . وفى طريقه من الموصل الى انطاكية مر كربوغا بالرها فى مايو ١٠٩٨م (٨) . (٤٩٢هـ) ، فشرع فى حصارها بهدف استردادها من الصليبيين وطردهم وزعيمهم بلدوين منها (٩) . ويبدو أن كربوغا أرسل مقدما الى الرها

---

(٤) Setton : Ibid., V. 1, p. 451.

(٥) القرمانى : اخبار الدول ، ص ٢٧٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ١٨٥ — ١٨٦ .

(٧) كان كربوغا قد سجن فى حمص بواسطة تاج الدولة تتش اثناء الصراع بينه وبين بركياروق وكان كربوغا من المناصرين لبركياروق ، فلما قتل تاج الدولة ٤٨٩هـ خلص الأمير كربوغا من السجن وتوجه الى حران فملكها . ثم صار الى نصيبين فملكها ايضا وذلك فى ذى القعدة من هذه السنة وكان بها على بن شرف الدولة العقيلى - الذى استنابه بها تتش بن الب ارسلان . فلما ضاق الأمر على عى هرب من الموصل الى صدقة بن مزيد بالحلة . ثم سار كربوغا نحو ماردين فملكها ايضا (الباهر : ص ١٥ — ١٦ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٠٨) .

(٨) Setton :Op. Cit., V. 1, p. 316.

(٩) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IV ; T. 4, p. 396.

بعض القوات للقيام بتلك المهمة وهو الأمر الذى يفهم مما ذكره البرت (١٠) .

على انه يبدو ان فريقا من جيش كربوغا لم يكن متفقا معـه تماما فى فكرة حصـاره للرها (١١) . ولكن كربوغا ـ على قول وليم الصورى ـ « صمم عندئـذ قبـل عبور الفرات ، أن يهاجم الرهـا وان يأخذهـا بالقوة (١٢) » . وبمجرد ان تلقى بلدوين البولونى انذارا بتقدم كربوغا جمع رجاله من كافة المناطق المحيطة بالرهـا لمسـاعدته ، واختزن فى المدينـة كميات كبيرة من الطعام والسـلاح ، استعداد لحصـار طويل ، ولم يبد تاثرا لتهديدات كربوغا (١٣) . ولكن يبدو أن الأمر كان اصعب مما تصور كربوغا ، فقـد ظل امام الرهـا حوالى ثلاثـة أسابيع دون أن يحقق غرضـه (١٤) . وعندئذ نصحه بعض اعوانه بأن يتخلى عن تلك المحاولة ويستأنف طريقه الى انطاكيـة ، على ان يعودوا الى الرهـا لحصـارها وتاديب صـاحبها بلـدوين بعـد الفراغ من الاستيلاء على انطاكية (١٥) . وفعلا ترك كربوغا الرهـا واسرع الى انطاكية لمسـاعدة صـاحبها (١٦) ياغى سيان .

وعندما عبر كربوغا الفرات اتصـل بدقاق بن تتش وطغتكين اتابك وجناح الدولة صـاحب حمص وارسـلان تاش صاحب سنجار وغيرهم من زعماء المسلمين واتجـه الجميع قاصـدين انطاكيـة (١٧) . ومن

---

(١٠) Alberti : Ibid., p. 397.

(١١) Alberti : Ibid., p. 397.

(١٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 245.

(١٣) William : Ibid., V. 1, p.p. 245 - 246.

(١٤) Gesta Francorum : Op. Cit., Hist. Occid. T. 3, p. 500, Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 345, William : Ibid., V. 1, p. 246.
(يذكر وليم انها من ٤ الى ٢٥ مايـو)
Zoé : Op. Cit., p. 124, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210 عن (Fulcher, Mattew).

(١٥) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IV, T. 4, p. 397, William : Ibid., V. 1, p. 246.

(١٦) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 345.

(١٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ١٨٧ .

الواضح أن اخفاق كربوغا امامها أدى الى « رفـع مكانة بلدوين ، كما أن الصليبيين أمام انطاكية أفادوا من الوقت الذى أضـاعه كربوغا أمام الرهـا (١٨) » . ويؤيد وليم الصورى هـذا الرأى فيشير الى أن التأخير من جانب جيش المسلمين أمام الرهـا انقذ الصليبيين أمام انطاكية لأنه لو كان كربوغا قـد سـار مباشرة الى انطاكية قبل وقوعها فى قبضـة المسيحيين ، لوقـع الصليبيون فى مازق (١٩) .

أما (الجستا) فتشير الى أن بلدوين تعمد تعويق كربوغا وجيشـه أمام الرهـا رغبة منه فى مسـاعدة اخوانه الصليبيين امام انطاكية (٢٠). ومهما يكن من أمر ، فان كربوغا لم يقدر له أن يصبح مصدر خطر على الرهـا بعد فشله امام الصليبيين فى الشـام . وقـد خلف كربوغا فى حكم الموصل الأمير جكرمش (٢١) . الذى رأينا انتصـاره على الصليبيين فى موقعه حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) مما أثر على الرهـا تأثيرا شـديدا خاصة بعـد أسر اميرهـا بلدوين دى بورج وجوسـلين دى كورتناى أخطر اعوانه . هـذا الى أن جكرمش لم يكتف بأسر بلدوين بل أسرع الى الرها وحاصرها ولكنه أخفق فى الاستيلاء عليها بسبب بسـالة تكريد فى الدفاع عنها وصمود سكانها الأرمن (٢٢) ، لذا عـاد جكرمش الى الموصـل بأسيره بلدوين (٢٣) .

ويبـدو أن جكرمش صمم على أن ينتقم من هزيمته هو وقواته أمام أسوار الرهـا ١١٠٤م فعـاد الى الرها ١١٠٥م (٤٩٩هـ) على رأس

---

(١٨) (Fulcher, Mattew) عن Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210

(١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٢٠) Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 500.

(٢١) كان بينهما لفترة قصيرة موسى التركمانى الذى كان نائبا عن كربوغا بحصن كيفا ، فلما مات كربوغا كاتبه أعيان الموصل ليسلموا اليه البلد فسـار اليها وقتل سنقرجة الذى عهد اليه كربوغا بالموصل عند وفاته وتسـلم البلـد وقـد قتل موسى فى نفس السنة (٤٩٤هـ) ابن الأثير : الباهر ص ١٦ .

(٢٢) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IX, T. 4, p. 616.
(Alberti) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408

(٢٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٣٣ .

قواته ، ووصل الى المدينـة وقت الحصـــاد (٢٤) . وكانت أوضـــاع الرهـــا قـــد تبدلت فى ذلك الوقت اثناء اسر بلدوين دى بورج بسبب المظالم التى انزلها ريتشارد دى ســـالرنو بأهالى المدينـــة ، مما أتاح ظروفا مناسبة لجكرمش وجيوشـــه .

ذلك أن ريتشـــارد اندفع على راس قواته المشـــاه ، ليشتبك مـــع جكرمش ، ولكن قوات الاخير كانت على قدر أكبر من التدريب فأوقعت برجـــال ريتشـــارد والقت بهم داخل الخنـــادق المحيطـــة بالبلد . وخسر المسيحيون فى تلك الموقعـــة أربعمائة وخمسين رجلا (٢٥) . وبذلك اضـــافت تلك الحملة التركية الاسلامية بزعامة جكرمش صاحب الموصل ، جرحـــا جـــديدا الى جرح العـــام الســـابق فى الرهـــا .

وجدير بالذكر ان المؤرخ وليم الصورى انفرد بالاشـــارة الى حملة قام بهـــا الأتراك الســـلاجقة اثناء اسر بلدوين وجوسلين . وفى الفترة التى حكم فيها ريتشـــارد دى سالرنو . وبدراســـة هذا النص (٢٦) . الذى ذكره وليم الصورى نجد هناك تشـــابها بين احداث تلك الحملة وبين حملة مودود على الرهـــا ١١١٠م ــ ٥٠٤هـ ، على انه لا يمكن أن نتصور أن وليم يقصـــد هنا حملة مودود لأن هـــذه الحملة كما سنرى فيما بعـــد كانت قـــد تمت بعد اطلاق سراح بلدوين دى بورج وجوسلين ، ولم تكن فى فترة وصاية تنكريد على الرهـــا ، وانما حدثت فى وقت استحكم فيه الخلاف بين كل من بلدوين وتنكريد ، حتى أن تنكريد لم يحضر لمســـاعدة الرهـــا ضد حملة مودود هـــذه الا تحت ضغط ملك القـــدس سيده الأعلى . وحقيقة هـــذه الحملة التى اشـــار اليها وليم الصورى أمر يحيطه الغموض .

ومهما يكن من أمر ، فقد امتلك الموصـــل بعد جكرمش ، جاولى سقاو الـــذى حكمها من ٥٠٠ ــ ٥٠٢هـ (١١٠٦ ــ ١١٠٨م) وهو الـــذى عصى الســـلطان محمد كما اشرنا ، كما أطلق سراح بلدوين دى بورج ، وبعد أن تم اتفاق بين الجانبين بان ينجد كل منهما الآخر وبان يطلق بلدوين من لديه من اسرى المسلمين « فسلم القمص الى سنقرادار صـــاحب جاولى مايه

---

(٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 79, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 437 عن (Mattieu)

(٢٥) Mattieu : Ibid., p. 79, Grousset : Ibid., p.p. 437 - 438.

(٢٦) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 472 - 473.

وستين اسيرا من المسلمين بعد ان كساهم جميعهم ، وكان هـذا من عجيب الأشياء (٢٧) » .

كذلك اتضح هـذا التعاون بين الجانبين سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م عنـدما لبى جاولى نداء بلدوين دى بورج وجوسلين وسـاعدهما فى هجومهما على تنكريد أمير انطاكية (٢٨) . وعلل متى هـذا العداء بين امراء الصليبيين بأن تنكريد انتهز فرصـة اسر بلدوين وجوسلين وانتزع اجزاء من اراضيهما ورفض رد تلك الأراضى بعد اطلاق سراحهما (٢٩) .

ويشير ابن العديم الى هـذا الحـدث فيقول انه « فى ٥٠١هـ أو ٥٠٢هـ اجتمع جاولى سقاوه وجوسـلين الفرنجى على حرب تنكريد صـاحب انطاكية واستنجد تنكريد برضوان فأمده بعسـكر حلب والتقوا فقتل من الفرنج جماعة (٣٠) » .

لكن ما نحب ان نشير اليه هو أنه اذا كان الخلاف بين بلدوين وجوسلين من ناحية وتنكريد من ناحية اخرى من اجل استرجاع أراضى امارة الرهـا لصـاحبها الشرعى بلدوين بعـد اطلاق سراحه كان من الأسباب التى دفعت بلدوين الى ان يمد يده لجاولى ، فان جاولى من ناحية اخرى مـد يده لبلدوين لأنه بعد طرده من الموصل بواسطة مودود ــ كما سبق أن اشرنا ــ كان يطمع فى تكوين امارة لنفسـه ، ان لم يكن فى الجزيرة فليكن فى حلب على حسـاب رضوان من ذلك ما ذكره ابن الفرات من ان جاولى صمم العبور الى الشـام والاستيلاء على حلب بعـد مهاجمة رضوان للجماعة الرهوية التى كانت تحمل مال الفداء الخاص ببلدوين دى بورج (٣١) .

وكان جاولى قـد استولى بالفعل ٥٠٢هـ سبتمبر ١١٠٨م على مدينة بالس وهى من اعمال حلب (٣٢) . وانتزعها من اصـحاب رضوان بن

---

(٢٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢٢ (ب) ، العينى : عقـد الجمان حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ .

(٢٨) Mattieu : Op. Cit., p. 86.

(٢٩) Mattieu : Ibid., p. 86.

(٣٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ١٥٣ .

(٣١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ص ٢٤ (ب) ، ٢٥ (أ).

(٣٢) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394,

نفس وقتل جماعـــة من اهلها (٣٣) . ولـما تحقق الملك رضوان من عزم الأمير جاولى على قصـــده استنجد بتنكريد امير انطاكية وخوفه عاقبة استيلائه على حلب لانه فى هـــذه الحالة لن يكتفى بتهديد انطاكية وحدها وانما سيهدد الصليبيين جميعا بالشـــام « والصواب أن اكون أنا وأنت يدا واحـــدة عليه حتى نجليه من هذه الديار فاجابه طنكريد الى ذلك (٣٤) » . ولم يلبث أن خرج تنكريد من أنطاكية فأرسل اليـــه الملك رضوان باحد اعوانه من الاتراك ومعـــه ستمائة فارس (٣٥) .

ولـــما علم جاولى بذلك كاتب بلدوين صـــاحب الرهـــا يستدعيه الى مســـاعدته ووهب له ما بقى عليه من مال المفاداة الذى قرره عليه حين اطلقه من أسره فســـار فى عسكره ولحق بالأمير جاولى وهو بمنبج (٣٦) ويبـــدوا أن بلدوين لم ينس أن جاولى اكرمه فى الموصل (٣٧) .

وفى تلك الاثناء وصلت الأخبار الى جاولى بأن الموصل أخذت واستولى عليها مودود ، وبذلك ضـــاعت خزائنه وامواله فتالم لذلك (٣٨) . وبقى جاولى فى الف فارس وانضم اليه خلق من المتطوعـــة ونزل على تل باشر والتجأ الى جوسلين (٣٩) .

ومن الواضـــح أن احداث تلك الفترة تبدو مضطربـــة متداخلـــة فى

وبنسعيد عاشور . الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٣ . وبالس مدينة بالشـــام بين حلب والرقـــة (ابن الأثير الباهر ص ١٨) .

(٣٣) ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ .

(٣٤) ابن الأثير : الكـــامل ، حـ ٨ ص ٢٥٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ، حـ ٢٥ (أ) ، العينى : عقـــد الجمـــان ، حـ ١٥م ٣ ، ص ٦٤٠ ، الطبـــاخ الحلبى . اعلام النبـــلاء حـ ١ ص ٤٠٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ وهو يسمى تنكريد هنا (شكرى)
Michel : Op. Cit , p. 215,

(٣٥) ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٢٥ (أ) - العينى : حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠ .
Grousset : L'Empire, p. 83.

(٣٦) ابن الفرات : المصـــدر الســـابق نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ ـــ ٤١ الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٣ .

(٣٧) Michel : Op. Cit., p. 215.

(٣٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ، ص ٢٥ (أ) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٤١ .

(٣٩) ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٢٥ (ب) ، ابن خلدون ، حـ ٥ ، ص ٤١ ، الطباخ ، حـ ١ ص ٤٠٣ .

المصـــادر ، اذ يصعب التوفيق بين ما سبق أن ذكرنا من أن جاولى قـــد أخرج بالفعل من الموصـــل عندما عبر الى الشـــام واستولى على بالس واستعان ببلدوين مما يتعارض مع ما ذكرتــه بعض المصـــادر من أن أخبار استيلاء مودود على الموصل بلغت جاولى وهو بالشـــام . ويبدو أن المقصود بذلك هو الاستيلاء الكـــامل على الموصل من قبل مودود بدليل مـــا ذكره ميخائيل السريانى من أن رجـــال جاولى كـــانوا متحصنين فى القلعة (٤٠) . وأن زوجته كانت بالقلعة لتتولى أمر الدفاع عنها (٤١) .

وبذلك تكون حلفان كل منهما فرنجى اسلامى ، الأول ويضم جاولى وبلدوين دى بورج وجوسلين ، فى حين يضم الثـــانى تنكريد ورضوان حاكم حلب (٤٢) . وحـــدث الاشتباك بين الفريقين عند أطراف تل باشر حيث دارت معركة طاحنة بدأت بتفوق الفريق الأول ، ولكنها تحولت بسرعة الى جانب تنكريد الذى نجح فى أن ينزل هزيمة ساحقة بخصومه (٤٣) .

وبعـــد ذلك النصر العظيم عاد تنكريد الى أنطاكية (٤٤) ، فى حين فر بلـــدوين هاربـــا واحتمى بقلعـــة الراوندان (٤٥) ، وقيـــل بقلعـــة دلوك (٤٦) . أما جوسلين ففر الى تل باشر حيث أصبح فى مأمن (٤٧) . ولابن الفرات وصف شيق لتلك المعركـــة سنذكره عندما نتناول العلاقـــة

---

(٤٠) Michel : Op. Cit., p. 215.

(٤١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394.

(٤٢) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٣ .
Grousset : L'Epopée, p. 83.

(٤٣) ابن العديم : زيدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٣ ،
Mattieu : Op. Cit., p. 87
الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٠٣
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394,

(٤٤) Mattieu : Op. Cit., p. 87.

(٤٥) Mattieu : Ibid., p. 87, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٤٦) Alberti Aquensis : Historiae Liber X... T. 4, p. 649.
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 442 عن (Albert),
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٣ عن
Zoé : Op. Cit., p. 240 (Albert) .

(٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 87
أمـــا ابن الأثيـــر : الكـــامل ، حـ ٨ ، ص ٢٥٥ فيـــذكر (أن القمص وجوسلين هربا الى تل باشر) يذكر هـــذا أيضـــا ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤١ .

بانطاكية . اما عسكر حلب فعاد الى رضوان وتسلم بالس من أصحاب جاولى (٤٨) .

ولم تلبث حركة الجهاد ضد الصليبيين أن دخلت على يد مودود حاكم الموصل دورا جديدا ذلك أن السلطان محمد بن ملكشاه ـ ٤٩٩ ـ ٥١٢هـ/١١٠٥م ـ ١١١٨م (٤٩) . الذى خلف اخاه بركياروق فى حكم سلاجقة فارس ـ استاء من تقدم الفرنج فى الشام فعزم على تجهيز جيش قوى ليشرع فى حركة جهاد ضد الصليبيين (٥٠) .

وهكذا جمع السلطان محمد قواته فى ديسمبر ١١٠٩م/٥٠٣هـ وأرسل الى الأمير سكمان القبطى أو سكمان بن أرتق (٥١) . صاحب ارمينيا وأخلاط وميافارقين ، والأمير شرف الدين مودود صاحب الموصل يأمرهما بالسير فى العساكر الى جهاد الفرنج وحماية بلاد الموصل (٥٢) . وقد عهد السلطان بقيادة تلك الحملة الى الأمير مودود أمير الموصل (٥٣) .

وهكذا اجتمع جيش اسلامى كبير زاد عدده عن مائة الف مقاتل (٥٤) . تحت قيادة مودود ونزلت الجيوش الاسلامية على الرها فى شوال ٥٠٣هـ (٥٥) (مايو ١١١٠م) (٥٦) . وحاصروها . وهنا

---

(٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، هـ ٢ ص ١٥٣ .

(٤٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289.

(٥٠) Zoé : Op. Cit., p. 241.

(٥١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٩ . يسميه شالندون ، كقمان Kokman

Chalandon : Essai sur le Règne d'Alexis 1er., p. 251.

(٥٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٥٤ ، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٩ ، تاريخ ابو الهيجاء، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث ٥٠٣هـ .

(٥٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289, Grousset Hist. des Crois. V. 1, p. 449.

(٥٤) Michel : Op. Cit., p. 196.

(٥٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٥٤ Gibb : p. 101

(٥٦) ابن القلانسى : نفس المصدر والصفحة . Gibb : Ibid., p. 102.

يصور متى الرهـــاوى ضخامة ذلك الجيش بقوله « وصل مودود بجيش انتشر حول المدينـــة وغطى بجنوده الجبل والتلال . كل الشرق كان مصطفا تحت اعلامه (٥٧) » .

وعندما احاط المســـلمون بالمدينـــة منعوا الداخل والخـــارج بالمسير اليها ، مما اثر تاثيرا سيئا فى المدينـــة فاشرف من بها على الهلاك وغلا بها السعر (٥٨) . وفى ذلك الوقت كان ملك القـــدس وامير طرابلس يحاصران بيروت فارســـل اليهم الامير بلدوين دى بورج الأمير جوسلين دى كورتناى يطلب النجدة السريعة (٥٩) .

وسرعان ما اتحد زعماء الصليبيين بالشـــام ، واجتمعت قوات بيت المقـــدس وطرابلس وأنطاكية لحاربة المسلمين (٦٠) . وبعبارة اخرى « اتفق الفرنـــج كلهم وازالوا ما كان بينهم من الشحناء فتصـــافى طنكريد وبغدوين وابن صنجيل بعـــد النفار (٦١) » . وعندما سمع طغتكين فى دمشق باجتماع كلمة الفرنج ســـار هو الآخر ليلحق بالجيوش الاســـلامية المحـــاصرة للرهـــا (٦٢) .

وعندما علم المسلمون باقتراب الصليبيين منهم قرروا الرحيل عن الرها

---

(٥٧) Mattieu : Op. Cit., p. 91.

(٥٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط ، حوادث سنة ٥٠٣هـ
Mattieu : Ibid., p. 92, Gibb : Op. Cit., p. 102.

(٥٩) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣١ ،
Gibb : Ibid., p. 99
Cahen : Op. Cit., p. 257, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449.

(٦٠) ابن القلانسى : الذيـــل ، ص ١٦٦ Gibb : Ibid., p. 102.
وهذا ما اشار اليه البرت بقوله « تم الأتفاق واتحدت القوات والاسلحة » .
Alberti Aquensis : Historiae Liber XI... T. 4, p. 674.

(٦١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٤ ، أبو المحـــاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٦ تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط حوادث ٥٠٣هـ .

(٦٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ حوادث ٥٠٣هـ .
Gibb : Op. Cit., p. 102, Chalandon : Essai sur le Règne d'Alexis 1er., p. 251.

، وملاقات خصومهم شرقى الفرات فرحلوا عن الرها فى آخر ذى الحجة سنة ٥٠٣هـ ــ الموافق ١٩ يولية سنة ١١١٠م ونزلوا أرض حران على سبيل الخديعة والمكر (٦٣) . وظنوا انه من الممكن تكرار ما حدث فى موقعة حران ١١٠٤م بأن يوقعوا الفرنج فى فخ ولكن الفرنج استفادوا من التجربة السابقة (٦٤) . ومعنى ذلك أن تراجع المسلمين الى حران لم يكن نوعا من الهزيمة او من الخوف كما يفهم من كلام بعض المصادر والمراجع (٦٥) .

وفى ذلك الوقت وصل الجيش الدمشقى (٦٦) . أما الفرنج الذين عبروا الفرات ليتعقبوا المسلمين فى حران فقد فطنوا لهذا التدبير فخافوا واستشعروا الهلاك واسرعوا بالانسحاب الى شاطىء الفرات وعندئذ تعقبهم المسلمون وغنموا كثيرا من متاعهم واتوا على عدد كبير من أتباعهم قتلا وأسرا وتغريقا فى الفرات ، حتى امتلأت أيدى المسلمين من الغنائم والأسلاب والسبى والدواب (٦٧) .

وكان أن أسرع الفرنج الى الرها ليجلوا عنها كافة السكان الضعفاء ثم تركوا بها حامية من الارمن للدفاع عنها وزودوها بالمؤن

---

(٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، تاريخ ابو الهيجاء حـ ١ ، حوادث سنة ٥٠٣هـ. Gibb : Ibid., p. 103.

(٦٤) Cahen : Op. Cit., p. 258, Grousset : Hist. des Crois. V, 1 p. 453.

(٦٥) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 421, Michel : Op. Cit., p. 196, Archer : Op. Cit., p. 148.

(٦٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٨ .

(٦٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٥ ، تاريخ ابو الهيجاء ، مخطوط ، حـ ١ حوادث ٥٠٣هـ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٨ ، وهذا ما اشار اليه البرت بقوله « ان الملك وتنكريد تتبعوا المسلمين الى حران كى يحاربوهم ولكن عندما علموا بخطتهم بدأوا فى الهرب وانتشروا خلال المناطق المنعزلة لكن ارهق الكثير من بلاط الملك واحتجزت الكثير من القطعان والأطعمة وحملت بعيدا

Albertí : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 674.

الكافيــة (٦٨) . ويعلل المؤرخون انسحاب الصليبيين عن الرها بحرصهم على حماية ممتلكاتهم فى الشــام من هجمات المسلمين . فيقول ابن خلدون « أن الملك رضوان صــاحب حلب لمــا عبر الفرنج الى الجزيرة ، ارتجع بعض الحصون التى كان الأفرنج أخذوها باعمال حلب (٦٩) » . فى حين يشير (كاهين) الى أن من أهم الأسباب التى جعلت الصليبيين يجلون من الرهــا وعلى راسهم الملك بلدوين هو « انه سمع ان الفاطميين انتهزوا فرصـــة غيابه وهاجموا بيروت والقــدس (٧٠) » .

على ان الســكان الذين اجلوا من الرهــا لم يسلموا من المسلمين فقد باغتهم مودود وقــامت مذبحــة كبيرة بينهم على نهر الفرات ، ثم انتشر الترك بعــد ذلك فى كل ديــار مضر ينهبوا ما تبقى (٧١) . ولكن عندما طالت اقامة الجيش الاسلامى حول الرهــا اخــذ المسلمون يعانون مشــاكل الامــداد والتموين ممــا اضطرهم الى التفرق وانصرف كثيرون منهم (٧٢) . وهكــذا تبددت الحملة الاسلامية بعــد ان أشرفت على النجــاح ، فعاد بلدوين دى بورج الى الرها ناعيا امارته الخربة (٧٣) .

ومهما يكن من فشــل هــذه المحاولة ، فى سلســلة الجهاد ضــد الصليبيين فى تحقيق اهدافها ، فانها تدل فى الوقت ذاته على افاقة القوى الاسلامية (٧٤) . والواقــع أن تلك الحملــة تركت آثارا واضحة على

---

(٦٨) ابن القلانسى : الذيل : ص ١٧٠

Gibb : Op. Cit., p. 104

هنا يذكر فولشر أن الرهــا زودت بمحصول عــام ، لأن المواطنين كانوا فى حاجــة اليه كثيرا بعــد أن دمر الاتراك المنطقــة المحيطة بالمدينــة .

Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 421.

(٦٩) ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ١٩٤ .

(٧٠) Cahen : Op. Cit., p. 258.

(٧١) Mattieu : Op. Cit., p.p. 93-94. Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 421, Cahen : Op. Cit., p. 258.

(٧٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٠ .

Gibb : Op. Cit., p. 105

(٧٣) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٠٥ عن Albert .

Gibb : Ibid., p. 105

(٧٤) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٤ .

الرها من الناحيتين الاقتصادية والسكانية سنتناولهما بالتفصيل فى مكان آخر من هذا البحث .

على ان المسلمين ظلوا يستنفرون سلطان السلاجقة للجهاد من ذلك انه على الرغم من ان تنكريد لجأ الى شراء مسالمة أمير حلب بالمال ١١١٠م الا أنه عاد فى العام التالى وقام بغزوة على حلب اثارت الرعب فى قلوب الأهالى (٧٥) . الأمر الذى جعل رضوان صاحب حلب يرسل مستصرخا كلا من السلطان السلجوقى والخليفة العباسى فى بغداد (٧٦).

ويقال أن جماعة من أهل حلب ساروا الى بغداد « مستنفرين الناس على الفرنج فاجتمع منهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم وقصدوا جامع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان بتجهيز العساكر وارسل من دار الخليفة منبرا الى جامع السلطان . فلما كانت الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم اهل بغداد فمنعهم صاحب الباب من الدخول فغلبوا عليه ودخلوا الجامع وكسروا الشباك وهجموا على المنبر فكسروه وبطلت الجمعة وارسل الخليفة الى السلطان فى المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق (٧٧) » .

وفى ذلك الوقت كان العداء قد بلغ اشده بين البيزنطيين والصليبيين مما جعل الأمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين يرسل مبعوثا الى السلطان محمد السلجوقى يحضه على محاربة الفرنجة وطردهم من البلاد (٧٨) . « وترك التراخى فى أمرهم واستعمال الجد والاجتهاد فى الفتك بهم قبل

---

(٧٥) Archer : Op. Cit., p. 148,

(٧٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400

(٧٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦١ ، العينى : عقد الجمان ، هـ ١٥م ٣ ص ٦٥٢ ، سعيد عاشور : الحركة ، ١ ص ٤٦٠ عن ابن الأثير ، وكان ذلك ٥٠٤هـ — ١١١٠م . بة

(٧٨) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦٠ — ٤٦١ عن (Chalandon : Alexis).

اعضال خطبهم واستفحال شرهم (٧٩) » . وقد كان وصول رسول ملك الروم الى بغداد فى نفس ٥٠٤هـ ١١١٠م التى وصلت فيها استغاثة اهل حلب بل سبقتها لذلك اندفع أهالى حلب الى السلطان قائلين « أما تتقى الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية منك للاسلام حتى قد أرسل اليك فى جهادهم (٨٠) » . وغير بعيد ان أن يكون الكسيوس قد رمى من وراء ذلك كله الى ضرب القوات الصليبية بالاسلامية ليفرغ له الجو وليضعف كلا من الجانبين ، ومع أن هذا الراى قد خفى على المسلمين الا أن عزيمة بغداد استقرت على وجوب تسيير الجيوش للجهاد (٨١).

وادى هذا التيار الى استئناف حركة الجهاد ضد الصليبيين ، فقامت سنة ١١١١م (٥٠٥هـ) حركة تعبئة حقيقية داخل الدولة السلجوقية فى فارس (٨٢) ، وجهز السلطان جيشا كبيرا ضم « الأمير مودود صاحب الموصل وسكان القطبى صاحب خلاط وتبريز وبعض ديار بكر و الاميران ايلنكى وزنكى أبنا برسق حاكم همدان وخوزستان والأمير احمد بك واحمديل أو احمد الثانى الكردى (٨٣) صاحب مراغة فى آذربيجان ، وابو الهيجاء صاحب أربل (٨٤) » . وتحركت جميع تلك

---

(٧٩) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٧٣ ، المرجع السابق ، ص ٤٦١ عن ابن القلانسي ، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٥ . ويذكر الأخيران الامبراطور بعث الى السلطان بالكثير من التحف والهدايا بل ان الامبراطور عرض على السلطان اتفاق القوات البيزنطية والاسلامية فى طرد الفرنج .

(٨٠) ابن الأثير ، الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٢ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٦ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٦١ عن ابن الأثير

Archer : Op. Cit., p. 148

(٨١) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٥ .

(٨٢) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

(٨٣) Cahen : Op. Cit., p. 261.

(٨٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٢ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٠١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٢ (وهو يذكر ان ذلك كان ٥٠٤هـ والراجح ان ذلك غير صحيح) ، ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ١٩٤

Cahen : Op. Cit., p. 261, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

القوات تحت قيـادة مودود من جديد لمحاربة الفرنج (٨٥) .

ولم يشـأ مودود ان يضيع الوقت ، وانمـا رأى أن يهـاجم بعض القلاع الصليبية فى منطقة الرها ، ونجح فى الاستيلاء على بعضها (٨٦) ، حتى اذا ما تكامل تجمع الجيوش الاسـلامية فى سنجار (٨٧) ، تحرك مودود لمهاجمة الرهـا ذاتها . وحاصرها ولكنهم لم ينجحوا فى الاستيلاء عليـها (٨٨) . ذلك ان مدينة الرها كانت محصنة ومزودة بالمؤن منـذ العـام السابق (٨٩) ، فى الوقت الذى كان الجيش الاسلامى يعانى من نقص المؤن ، ممـا اضطر مودود الى التخلى عن حصـارها (٩٠) .

وهنـا نلاحظ أن بعض المصادر والمراجع قد خلطت بين حملة ١١١١م (٥٠٥هـ) هـذه وبين حملة مودود الأولى ١١١٠م (٥٠٣هـ) . فذكرت

---

(٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 96, Michel : Op. Cit., p. 216.

(٨٦) ابن الأثير : البـاهر ص ١٧ ،
Mattieu : Ibid., p. 96, Michel : Ibid., p. 216
ابو شـامه : الروضـتين ، جـ ١ ق ١ ص ٦٨ (وهو يذكر أن ذلك كان سنة ٥٠٢هـ والصحيح ٥٠٥هـ)
Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 244, Cahen : Op. Cit., p. 261.
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463 من (Rey: Colonies)

(٨٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٦٢ . سعيد عاشور : الحركة جـ ١ ص ٤٦١ من ابن الأثير .

(٨٨) ابن الأثير : البـاهر ، ص ١٧ ،
Michel : Op. Cit., p. 216, Bar Hebraeus : V. 1, p. 244,
ابو شامه : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٦٨ ، ابو الفـدا : المختصر جـ ٢ ص ٢٢٥ ابن لوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ص ٢١ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥م ٣ ص ٦٥٤ .

(٨٩) Fulcherii : Op Cit., T. 3, p. 421, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463, L'Epopée, p. 89.

(٩٠) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

ان المسلمين عندما فشلوا فى الاستيلاء على الرها ٥٠٥هـ تراجعوا الى حران يتبعهم الفرنج ولكن الفرنج حصنوا الرها وحملوا اليها المؤن والذخائر ثم اجلوا الضعفاء من المدينة ونقلوهم الى الجانب الشامى (٩١) .

والواقع هو ان الجيوش الاسلامية قضت امام الرها ١١١١م (٥٠٥هـ) بضعة ايام ثم تركتها بعد ذلك واتجهت الى سروج ولكنهم قبل ان يعبروا نهر الفرات توقفوا امام قلعة تل باشر (٩٢) ، وكان ذلك فى نهاية يوليو ١١١١م (٩٣) (٥٠٥هـ) وكان بها عندئذ صاحبها الأمير جوسلين . وقد ضغط الاتراك باعدادهم الضخمة على القلعة وهاجموها عدة هجمات طوال خمسة واربعين يوما لكنهم اخفقوا فى الاستيلاء عليها (٩٤) ، فاكتفوا بتخريب ما حولها من بلاد (٩٥) .

وفى تل باشر حدثت بعض الظروف التى حالت بين مودود وبين تكملة مهمته فى امارة الرها ، اذ توفى عندئذ سكمان القطبى وحمل جثمانه الى ميافارقين ومنها الى خلاط حيث دفن بها (٩٦) . وهنا يتشفى متى الرهاوى من موت سكمان ويعتبر ذلك « عقابا انزله به السيد المسيح بسبب تخريبه لاقليم الرها والمذابح التى قام بها فيه (٩٧) » .

---

(٩١) ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ١٩٤ ، عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٤ (من تاريخ بيبرس) ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ، ص ٤٠٦ .

(٩٢) Mattieu : Op. Cit., p. 96, Archer : Op. Cit., p. 149, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463.

(٩٣) Cahen : Op. Cit., p. 261.

(٩٤) ابو شامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ، ص ٦٨ ، الذهبى : العبر حـ ٤ ص ٩ . Mattieu : Op. Cit., p. 96.

(٩٥) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463.

(٩٦) الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٧ ، الفارقى : تلخيص تاريخ ميافارقين ، ميكروفيلم رقم ١٢٤٩ تاريخ ص ١٦٧ .

(٩٧) Mattieu : Op. Cit., p. 97.

كذلك كان البورسقى صاحب همذان قد وصل وهو مريض (٩٨) .

وهكذا كانت وفاة بعض زعماء المسلمين ومرض البعض الآخر من اهم العقبات التى فككت وحدة الجيوش الاسلامية وقتذاك هذا بالاضافة الى ما دب فى صفوفهم من خلاف « فقد طمع احمد يل فى بلاد سكمان وهى أرمينية وخلاط وديار بكر (٩٩) » .

ولا ادل على تفرق كلمة المسلمين وهم على تل باشر من ذلك الاتحاد الذى تم بين جوسلين وبين أحمد يل . ذلك انه « منذ فترة طويلة سمع احمد يل من تمجيد شجاعة جوسلين فتم بينهما اتفاق ودى اصبحا عن طريقه اخين »(١٠٠) . ولتفصيل ذلك نجد أن المصادر والمراجع تشير الى انه فى الوقت الذى كانت تل باشر على وشك السقوط فى ايدى المسلمين التمس جوسلين النجدة من احمد يل الكردى وحمل اليه مبلغا من المال فى مقابل قيامه بابعاد الجيش المحاصر فوافق احمد يل على ذلك (١٠١) .

هذا الى أن المسلمين بالشام ارسلوا الى مودود يستنجدونه ضد الصليبيين ، فاستنجد سلطان بن منقذ صاحب شيزر ضد تنكريد الذى هدد شيزر وقطع عنها كل وسائل الحياة (١٠٢) كذلك استنجد رضوان صاحب حلب بمودود واحمد الكردى وارسل يستحثهما على الاسراع اليه قائلا

---

(٩٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٥ — ١٧٦ ،
سبط بن الجوزى : مرآة الزمان . حـ ٨ ق ١ ص ٣٥ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٠١

(٩٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٦ ،
سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ .

(١٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 97, Cahen : Op. Cit. p. 261.

(١٠١) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 464,
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦٢
المرجعين عن (ابن العديم)، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٦ (عن ابن العديم ، ابن القلانسى) .

(١٠٢) Cahen : Op. Cit., p.p. 261 - 262.

« اننى قد تلفت واريد الخروج عن حلب فبـادروا الى الرحيل » وعندئذ اقتنـع احمـد الكردى الاتراك بترك حصـار تل باشر والاتجـاه الى حلب لنجدة صاحبها رضوان (١٠٣) .

وعندما اطمأن جوسلين الى ابتعاد المسلمين عن قلعته خرج على رأس مجموعة من فرسانه ، تقدر بحوالى مائة وخمسين فارسا ومـائة من المشـاة وباغتت مؤخرة الجيش المنسحب وقتـل منـه حوالى الف رجـل وعـاد الى تل بـاشر بغنيمة ضخمة (١٠٤) . وبينما يذكر متى الرهـاوى أن مودود غـادر تل باشر الى شيزر (١٠٥) نجـد المصادر الأخرى تشير الى توجهه الى حلب (١٠٦) . وهى المفروض ان يمر عليها أولا بحكم موقعها .

وليس هذا موضع علاج تلك الحملة بالتفصيل بعد خروجها من الرها وانما سنكتفى بالاشـارة الى موقف رضوان حاكم حلب منها وهو الذى استنجـد بالسـلطان والخليفـة منذ البداية ثم ما فتىء يستنجد بجيوش المسـلمين وهم امـام تل باشر . ذلك انه حـدث عندما اقترب الجيش الاسلامى من حلب أن خـاف رضوان على امارته من جيش المسـلمين وبدأ يعمل حسابا لأطمـاع امراء المسـلمين اكثر ممـا عمـل لأطمـاع تنكريد (١٠٧) . لذلك ارسل الى مودود وأحمد الكردى يخبرهم « بانه قد انتهى الى حل مع تنكريد(١٠٨) » وبـادر عند وصول الجيش الاسلامى

---

(١٠٣) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦٢ (عن ابن العديم) .
(١٠٤) المرجع السابق نفس الصفحة عن (Albert)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 464.
(١٠٥) Mattieu : Op. Cit., p. 97.
(١٠٦) Michel : Op. Cit., p. 216, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 244.
سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ ، أبو الفـدا : حـ ٢ ص ٢٢٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ .
(١٠٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400.
(١٠٨) Cahen : Op. Cit., p. 262, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 464, L'Epopée, p. 90.

الى حلب ، باغلاق ابواب المدينة فى وجههم (١٠٩) . ورد جنود المسلمين على ذلك بـأن عاثوا فى ضـواحى حلب و « فعـلوا أقبـح من فعـل الفرنج »(١١٠) .

وفى ١١١٢م (٥٠٥ — ٥٠٦هـ) قـام مودود بحملتـه الثـالثة على الرهـا وفى تلك المرة توجه اليـها بمفرده (١١١) . دون أن يشاركه أحد من باقى أمراء المسلمين . وربما يرجع ذلك الى الظروف التى أحاطت ببقية الأمراء فى ذلك الوقت وانشغالهم بخلافاتهم أو بمرض بعضهم أو وفـاة البعض الآخر .

اشارت المصادر العربية الى تلك الحملة بشىء من الايجـاز فوصفت كيف سـار مودود صـاحب الموصل الى الرها فى المحرم ٥٠٦ هـ (١١١٢م) فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ثم رحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك واهمل شأن الفرنج ولم يحترز منهم ، فلم يشـعر الا وجوسـلين صاحب تل باشر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة فى المراعى فأخذ الفرنج كثيرا من العسـكر فلمـا تأهب المسلمون للقـائه انصرف عنهم (١١٢) .

والواقع أن مودود ظل محاصرا للرهـا حوالى شهرين من ابريل الى

---

(١٠٩) سـبط بن الجـوزى : مرآة الزمـان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ ، ابو الفـدا : المختصر ، هـ ١ ص ٢٢٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر حـ ٢ ص ٢١ ، كرد على خطط الشـام ، حـ ١ ص ٢٩٧ ،
Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 244, Michel : Op. Cit., p. 216, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(١١٠) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ .

(١١١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١١٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٦٥ ، سبط بن الجـوزى : مرآة الزمـان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٩ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٦٧١ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .

يونيه ١١١٢م (١١٣) (ذو القعدة ٥٠٥هـ ، المحرم ٥٠٦هـ)(١١٤) كما ذكر ابن القلانسي . وفي خلال هذين الشهرين حاول مهاجمة الرها مرتين(١١٥) ، ويبدو ان هجومه كان مباغتا لم يتوقعه أهل الرهـــا الذين كانوا مشغولين ببعض أعيــادهم (١١٦) .

وعندما وجـد مودود أن الرها صعبة المنـــال تحول الى سروج المركز الفرنجي الثـاني شرقي الفرات(١١٧) . وهنـــاك ترك خيوله ترعى في المناطق المحيطة دون أن يعني باتخاذ اية تدابير وقائية ضد أعدائه(١١٨) . ونسي أن جوسلين أسرع الى سروج ليعاقبه بضربة قاسية(١١٩) . ذلك ان جوسلين اسرع على راس ثلثمائة فارس ومائة من المشاه الى سروج حيث انقض على الاتراك البـالغ عـددهم الف وخمسمائة ، فاوقع بهم واخذ خمسة من زعمائهم اسرى وغنم امتعتهم ، وعندئذ أسرع من نجـــا من الاتراك بالفرار الى حيث مودود قرب الرهـــا . وعندما علم مودود بما حـدث تقدم ضد جوسلين الى سروج لكن جوسلين كان قد رحل سرا الى الرهـــا (١٢٠) .

---

(١١٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١١٤) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٨١
Gibb : Op. Cit., p. 127.
والراجح ان التـــاريخ الذى حدده ابن القلانسي هو الصحيح لانه المعاصر اكثر لتلك الأحداث وان بقية المصـــادر السابقة قد اخرت بداية تلك الحملة شـــهرا عنـــه .

(١١٥) Cahen : Op. Cit., p. 264.

(١١٦) Mattieu : Op. Cit., p. 100.

(١١٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

(١١٨) ابن القلانسي: الذيل ، ص ١٨١ Gibb : Op. Cit., p. 127.

(١١٩) ابن القلانسي : نفس الصفحة Cahen : Op. Cit., p. 264.

(١٢٠) Mattieu : Op. Cit., p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

وبعد ان قضى مودود سبعة ايام امام سروج عـاد مرة اخرى الى الرهـا (١٢١) ، حيث كان جوسلين قد سبقه اليـها ليسـاعد بلدوين دى بورج (١٢٢) . ولكن حدث أن قـام الأرمن بمؤامرتهم فى الرها ، وهى المؤامرة التى سنتعرض لها بالتفصيل فى فصل طبقات المجتمع . ويهمنـا من امر هذه المؤامرة الآن ان بعض المراجع اشارت الى أن مودود اوشك ان يستفيد من تلك الأحداث ويستولى على الرها(١٢٣) .

ومهما يكن من أمر ، فان مودود لم يوفق فى حملته هذه ، وانسحب دون أن يحقق غرضه (١٢٤) .

وتشير المصادر العربيـة الى حملة اخرى قـام بهـا مودود ٥٠٧هـ (١١١٣م) بالاشـتراك مع « تميرك صـاحب سـنجار والأمير ايـاز بن ايلغـازى وطغتكين صاحب دمشق . وسـاروا جميعا الى الشـام فالتقوا بالفرنج الذين اجتمع منـهم عندئذ بغـدوين صـاحب القـدس وجوسلين صـاحب الجيش واقتتلوا بالقرب من طبرية فى ثالث عشر المحرم فهزم الفرنج وكثر القتـل فيهم (١٢٥) » . ومعنى ذلك أن جوسلين كان يحـارب عندئـذ بوصفه تابعـا لملك بيت المقـدس . ولم يكن فى ذلك الوقت « صـاحب تل باشر والرهـا » . كما ذكر ابن الأثير (١٢٦) لأن تلك الحملة كانت بعد الخلاف بينـه وبين بلدوين دى بورج وبعد طرده من امارة الرها .

ويهمنا من أمر هذه الحملة انها كانت أول بادرة للاتحاد بين الأمراء

---

(١٢١) Mattieu : Ibid., p. 101.

(١٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

(١٢٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 402.

(١٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 102.

(١٢٥) ابن الأثير : الكامـل ، حـ ٨ ص ٢٦٦ ، ابن الفرات : تـاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ٦٦ (ب) ، ابو الفـدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٢٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ .

(١٢٦) ابن الأثير : البـاهر ، ص ١٨ .

المسلمين بشمال العراق وبلاد الشام منذ مقدم الصليبيين الى الشرق (١٢٧) .

لكن اذا كانت المصادر الاسلامية لم تشر الى اية علاقة لتلك الحملة بالرها ، فان متى الرهاوى يذكر انه كان لها تأثيرها البالغ عليها . وهو ينفرد برواية مؤداها انه حدث ١١١٣ م (٥٠٧ هـ) أن تقدم الأمير مودود قائد جيوش المسلمين على رأس جيش كبير ضد الفرنج ووصل الى حران فى الوقت الذى كان بلدوين امير الرها موجودا بقواته فى مدينة تل باشر . فنقل بعض الفرنج كلاما مؤداه أن حشدا من الأهالى تحالفوا على تسليم الرها للأتراك ، وصدق الأمير تلك الوشايات فارسل فى الحال الى امير سروج بأن يحضر الى الرها وامره باخراج الأهالى المشتبه فى سلوكهم . وهكذا سفكت دماء كثير من الابرياء وهلك اناس لا ذنب لهم مما ترك أثرا سيئا فى نفوس أهل الرها الأرمن (١٢٨) .

أما عن مودود ، فلم يلبث ان قتل بيد احد الباطنية وذلك فى ربيع الأول (١٢٩) أكتوبر ١١١٣م (١٣٠) . وبعد مقتل مودود « اقطع السلطان

---

(١٢٧) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٦ — ١٧

(١٢٨) Mattieu : Op. Cit., p.p. 104-105.

(١٢٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٩ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٦٧ (أ) . ويبين ابن الاثير ذلك بقوله : ان الأمير مودود كان قد اذن للعسكر الاسلامى بالرجوع الى بلادهم والاجتماع اليه فى الربيع بسبب شدة الحر ونفاذ المؤن ، فلما تفرقوا دخل دمشق واقام بها فخرج يوما يصلى الجمعة فلما صلاها وخرج الى صحن الجامع ممسكا بيد طغدكين فوثب عليه شخص وضربه بسكين فجرحه اربع جراحات ، وكان صائما فحمل الى دار طغدكين الذى حاول ان يجعله يفطر فرفض وقال : « لا لقيت الله الا صائما فاننى ميت لا محالة » . وتوفى بعد ذلك فقيل ان الباطنية بالشام خافوه فقتلوه ، وقيل بل خافه طغدكين فوضع عليه من قتله .

(١٣٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.

محمد الموصل للأمير جيوش بك وسير معه ولده الملك مسعود (١٣١) » . ويبدو ان ولاية الأمير جيوش هذه تمثل فترة انتقال حتى يولى السلطان مكانه من هو أكفأ ، ولم يلبث ان سير السلطان الأمير قسيم الدولة آقسنقر الى الموصل واعمالها واليا عليها (١٣٢) .

وقد أمر السلطان محمد آقسنقر بقتال الفرنج وكتب الى سائر الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصلت به عساكرها ومنهم عماد الدين زنكى بن آقسنقر وتميرك صاحب سنجار وغيرهما (١٣٣) . وكان ان زحف البرسقى على ماردين فنازلها حتى اذعن له ايلغازى صاحبها وسير معه عسكرا يقدر بثلثمائة فارس مع ولده آياز (١٣٤) . ثم وصل الجميع الى الرها فى ذى الحجة ٥٠٨هـ (١٣٥) — ١٥ مايو ١١١٤م (١٣٦). وبلغ عدد جيش البرسقى فى تلك الحملة حوالى خمسة عشر الف فارس (١٣٧) .

على ان الرها صمدت لآقسنقر « واصابوا من بعض المسلمين غرة فاخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ

---

(١٣١) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٩ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٩ .

(١٣٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٢٩ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٧٩ (ب) ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٥ ص ٢٠٧ . Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 491, Setton : Op. Cit., p. 403.

(١٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ٧٩ (ب) .

(١٣٤) المصدرين السابقين نفس الصفحات .

(١٣٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٦٩ .

(١٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٣٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ ، الباهر ، ص ١٩ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٩ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٨٠ (أ) .

وحمى المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من أعيانهم (١٣٨) » . وقد ظل حصار الرها مدة « شهرين وأيام (١٣٩) » . وقيل شهرا (١٤٠) .

وكان أن دفعت هذه المقاومة مع قلة المؤن آقسنقر الى رفع حصاره عن الرها ولكن قبل عودته خرب مدينتي سميساط وسروج (١٤١) ، ويقول متى الرهاوى أنه وصل الى الفرات وخرب كل البلاد الواقعة على امتداد ضفتيه ثم قصد مدينة البيرة فاجتمع كل الفرنج فى تلك الضفة الغربية من النهر ضده فعاد البرسقى الى نصيبين عن طريق الرها (١٤٢). والراجح أنه اشتبك وهو فى طريق عودته فى معركة مع ايلغازى بن ارتق أمير ماردين لأنه لم يلحق به بنفسه.(١٤٣) . فقاتله ايلغازى « والحق به الهزيمة واسر ابن السلطان ولكنه اطلقه بعد فترة (١٤٤) » . وعاد آقسنقر بعد حملته هذه الى بغداد . وترك الموصل ليقيم بها الملك مسعود والأمير جيوش بك حتى سنة اربع عشرة وخمسمائة (١٤٥).

---

(١٣٨) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٨٠ (أ) .

(١٣٩) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثانى ص ٤٧٢ .

(١٤٠) Mattieu : Op. Cit., p. 109, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 491.

(١٤١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ ، الباهر ص ١٩ — ٢٠ ، الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٦٩ أما ابن الفرات مخطوط حـ ١ ص ٨٠ (ب) فيذكر أنه نزل على سروج خمسة ايام واكل العسكر غلاتها وزرعها . أما ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٢٩ فيقول (سروج وسنجار وسميساط) والراجح أنه اخطأ ووضع سنجار بينهما .

(١٤٢) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٤٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ .

(١٤٤) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٤٥) ابن الأثير الباهر ، ص ٢٠ .

اما اثر الهزيمة التى حلت بآقسنقر على يد ايلغازى فيبدو ان ايلغازى خشى انتقــام السلطان ، مما دفعه الى التحالف مع طغتكين حاكم دمشق من ناحية ومــع روجر حاكم انطاكية من ناحية اخرى هــذا بالاضــافة الى ان السلطان احل برسق بن برسق حاكم همذان ، محل آقسنقر قائدا عاما لحركة الجهاد ضــد الصليبيين (١٤٦) .

وبناء على ذلك جمع برسق القوات الاسلامية ووصــل امام الرهــا ١١١٥م (٥٠٩هـ) وبعــد أن « اســتراح بضعة أيــام (١٤٧) » . عبر الفرات وتوجه الى حلب (١٤٨) . فى حين يشير متى الرهــاوى الى انه توجه الى شيزر واستولى عليها ثم نهب تل باشر ومنطقة انطاكية (١٤٩) . والراجح انه بعد أن استراح امام الرهــا ونهب تل باشر ، توجه الى حلب ثم الى انطاكية وشيزر . وفى تلك الحملة كانت هناك جبهتان متصارعتين ، الأولى تشمل جيش برسق والثانية ضمت المعسكر الفرنجى وانضم اليها ايلغازى ابن أرتق وطغتكين أمير دمشق ولؤلؤ الخصى امير حلب والوصى على ابن رضوان ، تاج الدولة الب ارسلان (١٥٠) . وقــد اوقع الفرنج هزيمة بجيش برسق بفضل مساعدات حلب لهم (١٥١) ، ولو ان البعض ينكر انه لم تقم اية معركة بين الطرفين (١٥٢) .

ثم مرت فترة ست سنوات تقريبــا لم تخرج فيها حملات من قبــل الســلاجقة او الموصل ضــد الرها ، وان كانت الرها قــد تعرضت فى

---

(١٤٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.
(١٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 114.
(١٤٨) Setton : Op. Cit., p. 404.
(١٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 114.
(١٥٠) Mattieu : Ibid., p. 115.
(١٥١) Mattieu : Ibid., p. 115, Cahen : Op. Cit., p. 274.
(١٥٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 404.

• ربما يكون الفاصــل هنا هو راى ابن الأثير الذى ذكر عن تلك الحملــة أنه عندما توجــه جيش برسق ابن برسق الى حمــاه للاستيلاء عليهــا ســار ايلغازى وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستجاروا بصــاحبها روجيل وسألوه ان يســاعدهم على حفظ مدينة حمــاه فلما بلغهم فتحها ووصل اليهم بأنطاكية بغدوين صــاحب القــدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رايهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة افامية واقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول ورآوا عزم المسلمين على المقــام تفرقوا فعــاد ايلغازى الى ماردين وطغتكين الى دمشــق والفرنج الى بلادهم (ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٧٢) » .

تلك الفترة لهجمات من جانب الأراتقة كما سنرى ، وفى أثناء تلك الفترة توفى الخليفة المستظهر بالله فى سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة (١١١٨م) وتولى مكانه ابنه المسترشد بالله (١٥٣) . كذلك توفى السلطان محمد بن ملكشاه ابن الب أرسلان ، سلطان بلاد العراق وخراسان ٥١١هـ (١١١٧م) (١٥٤) . وتولى مكانه ابنه السلطان محمود (١٥٥) .

وفى صفر ٥١٥هـ (١١٢١م) اقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها وما ينضاف اليها كالجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها للأمير آقسنقر البرسقى (١٥٦) . وهذه هى ولايته الثانية على الموصل ، وكانت الأولى بعد وفاة مودود كما مر بنا فى عهد السلطان محمد السلجوقى .

وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) تولى البرسقى الى جانب حكم الموصل ، حكم حلب ، بعد استنجاد أهلها به عندما انشغل عنهم حاكمها الأرتقى تمرتاش بن ايلغازى حاكم ماردين وحلب بأموره الخاصة (١٥٧) . وقد ظلت حلب فى حوزة البرسقى حتى وفاته . والواقع أن فترة حكمه لحلب كانت فترة احتكاكات دائمة بين حلب والرها . وعلى ذلك فسوف نرجىء

---

(١٥٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨١ ، الباهر ص ٢٢ .

(١٥٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ، ص ١٨٠ — ١٨١ ويذكر ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٧ انه توفى فى ٢٤ ذى الحجة ٥١١هـ .

(١٥٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٢ . وكان ذلك فى الخامس والعشرين من ذى الحجة (الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٧) .

(١٥٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٢ ، الباهر ص ٢٤ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ هنا يذكر ابن الأثير فى الكامل سبب توليته فيقول « انه كان فى خدمة السلطان محمود ، ناصحا له ملازما له فى حروبه كلها وكان له الأثر الحسن فى الحرب بين السلطان محمود واخيه الملك مسعود وهو الذى أحضر الملك مسعود عند أخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولى عليها البرسقى ونقدم الى سائر الأمراء بطاعته وامره بمجاهده الفرنج واخذ البلاد منهم فسار اليها فى عساكر كثيرة وملكها واقام يدبر أمورها ويصلح احوالها » .

(١٥٧) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٥ . العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٢٠ .

تنـاول العلاقات بينه وبين الصليبيين فى تلك الفترة ـ أى حملاته ضـد الفرنج عامـة والرهـا خاصـه فى سـنة ٥١٨هـ (١١٢٤م) ، ٥١٩هـ (١١٢٥م) ، ٥٢٠هـ (١١٢٦م) ـ الى الجزء الخـاص بالعلاقات بين حلب والرهـا حتى تولى حكم حلب عماد الدين زنكى ٥٢٢هـ (١٥٨) (١١٢٨م) .

وفى سنة ٥٢٠هـ قتل آقسنقر البرسقى بالجامـع العتيق بمدينـة الموصل بعد صـلاة الجمعـة بيـد الباطنية (١٥٩) . فلما توفى ولى السلطان مكانه ابنه عز الدين مسعود الذى سـار فى الحكم سيرة حسنة ولكنه لم يلبث ان توفى ٥٢١هـ (١٦٠) . (١١٢٧م) بعـد ثلاثة اشهر فقط قضـاها فى حكم الموصل (١٦١) .

وقـد استولى مسعود قبل وفاته مباشرة على الرحبـة (١٦٢ ، وهى التى توفى اثنـاء حصـارها . ولم يكن لهـذه الوفاة الفاجئة من نتيجـة سوى ان جوسلين اسرع بالاستيلاء على رأس العين وقتل عددا كبيرا من اهلها بخنقهم وأسر الباقين رجالا ونساء (١٦٣) .

وبعـد وفاة مسعود قام اخوه الأصغر بالحكم بدلا منه وسـاعده فى ذلك جاولى مولى أبيه فارسـل الى السـلطان محمود يطلب « تقرير البلاد على ولد آق سنقر البرسقى وبذل الأموال الكثيرة فى ذلك (١٦٤) » . لكن السلطان ولى عماد الدين الزنكي على الموصـل وذلك فى رمضـان

---

(١٥٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٨ .
(١٥٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٢٠ ، الباهر ، ص ٣١ .
(١٦٠) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٢ .
(١٦١) Michel : Op. Cit., p. 228
(١٦٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٢٣ ، أبو الفدا ، المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ .
Michel : Ibid., p. 228.
(١٦٣) Michel : Ibid., p. 228.
(١٦٤) ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣١ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ١٠٩ (ب) .

٥٢١هـ (١٦٥) (١١٢٧م) .

وكان السلطان سنجر قد ارسل الى السلطان محمد يسأله ان يولى دبيس بن صدقة على الموصل فقبح الخليفة المسترشد

---

(١٦٥) ابن الاثير : الباهر ، ص ٣٤ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٥ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٢ ص ١١١ (ب) ابو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ، ١٦٤ .

ويقال ان سبب تولية عماد الدين زنكى ان الوفد المرسل الى السلطان كان يضم القاضى بهاء الدين ابو الحسن على بن القاسم الشهرزورى ، وصلاح الدين محمد الياغيسيانى — امير حاجب البرسقى « فحضرا دركاة السلطان ليخاطباه فى ذلك ، وكان يخافان جاولى ولا يرضيان بطاعته ، فاجتمع صلاح الدين محمد الياغيسيانى ونصر الدين جقر وكانت بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وأفشى اليه سره فخوفه نصر الدين من جاولى وقبح عنده طاعته وقرر فى نفسه أنه انما أبقاه وأمثاله لحاجته اليهم ومتى أجيب الى مطلوبه لا يبقى على احد منهم » .

وتحدث معه صلاح الدين فى أن يخاطب السلطان فى ولاية عماد الدين زنكى وضمن له الولايات والاقطاعات الكثيرة وكذلك للقاضى بهاء الدين ابن الشهرزورى ، وخاطباه فى ذلك وضمن له كل ما أراده لموافقتهما على مطلبا . وركب هو وصلاح الدين الى دار الوزير شرف الدين انوشروان ابن خالد فقالا « انه قد علمت انت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقد قويت شوكتهم فاستولوا على اكثرها وقد أصبحت ولايتهم من حد ماردين الى عريش مصر — ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين — وقد كان البرسقى — مع شجاعته — يكف بعض عاديتهم ، فمنذ قتل زاد طمعهم وولده طفل ولابد للبلاد من رجل شهم شجاع يذب عنها ويحمى حوزتها . وقد انهينا الحال اليك لئلا يجرى خلل أو وهن على الاسلام والمسلمين فنحصل نحن الاثم من الله واللوم من السلطان . فانهى الوزير ذلك الى السلطان فشكرهما عليه ، واحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكى ، وبذلا عنه — تقربا الى خزانة السلطان — مالا جليلا ، فاجاب السلطان الى ذلك لما يعلمه من كفايته وولاه البلاد كلها .

(ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٣٢ — ٣٣ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ص ٧٥) . ابن الأثير : الباهر ص ٣٥ ، ابن خلدون ، العبر حـ ٥ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

ذلك (١٦٦) . وكاتب السلطان محمود « أن هذا أعان الفرنج على المسلمين وكثر سواد الكفار » فبطل هذا التدبير (١٦٧) .

تولية عماد الدين زنكي على الموصل :

واصدر السلطان محمود منشوره بتولية عماد الدين زنكي على الموصل ، وضم السلطان اليه ولده الملك الب ارسلان او فروخ شاه المعروف بالخفاجي ليربيه وجعل زنكي اتابكه ومن ثم عرف زنكي بالاتابك (١٦٨) . وبالفعل تولى زنكي الموصل وولى الأمير جاولي على الرحبة واعمالها (١٦٩) .

وفي ٥٢٣هـ (١١٢٩م) « سار اتابك ووطىء بساط السلطان وعاد بالتواقيع السلطانية بملك الغرب كله (١٧٠) » .

ومنذ تولى اتابك زنكي حكم الموصل هذا الى جانب « الجزيرة والرحبة وحلب مع التوقيع له بجميع البلاد الشامية (١٧١) » فانه لم يهدأ لحظة عن الجهاد الاسلامي وعن التفكير في الحرب المقدسة ضد الفرنج . والواقع اننا اذا حاولنا الكلام عن شخصية ذلك البطل

---

(١٦٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ٢ ص ١١٠ (ب) ، ١١١ (أ) .

(١٦٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٤ .

(١٦٨) القرماني : اخبار الدول وآثار الأول ، ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣٣ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ٢ ، ص ١١١ أ ، ب ، الذهبي : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ . ويذكر القرماني هنا أن معنى اتابك أي الذي يربي أولاد الملوك .

(١٦٩) ابن الأثير : الباهر ص ٣٥ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٢ ص ١١١ (ب) ؟ أبو شامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٧٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣٤ ، أبو الفدا : المختصر حـ ٢ ص ٢٣٦ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ .

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٣ .

(١٧١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٤ .

الاسلامى فاننـــا سنجد أنفسنا فى حاجـــة الى أن نفرد لتلك الشخصية بحثا باكمله ، لذلك سنكتفى هنا فقط بتناول جهود ذلك القائد الاســـلامى العظيم ضـــد الرهـــا قبل سقوطها فى يده ، لنستكمل ذلك الفصل عن العلاقات السلجوقية الرهوية ، والتى مثل السلاجقة فيها ولاتهم بالموصل .

كان زنكى منذ اللحظة الأولى لتوليه حكم الموصل يفكر ويخطط للقضاء على النفوذ الصـــليبى فى الشرق . لكنـــه لم يرغب أن يقتصر الأمر على حملات روتينية فقط ترسل الى الشـــام ، وانما كان يرمى الى أبعـــد من ذلك . ولكى يحقق ما صمم عليه رأى أن يتانى ليستطيع أن يحقق مآربه ، لذا فعندما استنجد به أهل حران سنة ٥٢١هـ (١١٢٧م) بسبب ماكانوا يعانونه من ضغط من جـــانب الصـــليبيين فى الرهـــا وسروج والبيرة وغيرهـــا (١٧٢) ، من المراكز الصليبية التابعة لامارة الرها الصليبية ، نجـــده بالفعل يتقدم الى حران مستجيبا لطلبهم ولكنه اتجه الى اسلوب السياســـة ، فارســـل الى جوسلين وهادنه حتى يتفرغ له وتم الصـــلح بينهما (١٧٣) . وربما كان هـــذا هو السبب فى أن ابن العديم عند كلامه عن توجـــه زنكى الى حلب فى تلك السنة اقتصر على القول بأنه « رمى عسكره زرع الرهـــا (١٧٤) » .

وهكذا لم يقم زنكى بمحاولة جـــادة ضـــد امارة الرهـــا فى بدايـــة حكمه للموصـــل ، وان كان هـــذا لم يمنعه من ارســـال بعض القوات لمهاجمة الصليبيين فى الرهـــا وغيرها بين حين وآخر من ذلك انه ارسل ٥٢٤هـ (١١٢٩ — ١١٣٠م) الفى فارس لمهاجمة معرة مصرين — وهى للفرنج — فاغارت تلك القوة على تل باشر واوقعوا بخيل من الفرنج وقتلوا منهم جماعة كبيرة (١٧٥) . كذلك حـــدث حوالى ١١٣١م — ٥٢٦هـ أن

---

(١٧٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٢٥ ، أبو شـــامة : الروضتين، حـ ١ ق ١ ص ٧٧ ، ابن خلـــدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٤ يـــذكر الأخير أن ذلك كان ٥٢٣هـ أما متى الرهـــاوى فيـــذكر أنـــه كان ١١٢٨م — ٥٢٢هـ
Mattieu : Op. Cit., p. 148.

(١٧٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٢٥ .

(١٧٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٧٢ .

(١٧٥) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك، حـ ٣ مخطوط، ص ٢٠ (ب) .

توجهت قوات زنكى امير الموصل ضد الرهـا ولكن الصليبيين تصدوا لهم وهزموهم واضطروهم للفرار (١٧٦) .

سلاجقة قونية وامارة الرهـا :

المقصود هنا بسلاجقة قونيه ، سلاجقة الروم . وجد هـذه الدولة ومنشئها هو سليمان بن قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق (١٧٧) . فبعد موقعة ماتريكـرت افسـطس (١٠٧١م — ٤٦٣هـ) التى منى فيهـا البيزنطيون بهزيمة منكرة(١٧٨) ، جـاء سليمان بن قتلمش الى آسـيا الصغرى ، وتمكن من بسط نفوذ السلاجقة على ثلاثة رباعها تقريبا(١٧٩) . وقـد اختـار سليمان مدينـة نيقيـة لتكون مراكزا له وهى المدينـة التى اصبحت اول عاصمة لسلطنة سلاجقة الروم فى الاناضول حتى حلت محلها قونيـه . والواقع انه فى ١٠٩٢م/٤٨٥هـ قامت سلطنة قونيـه على يد قلج ارسلان الأول بن سليمان(١٨٠) .

كـانت أولى احتكاكات سـلاجقة قونيـة بامارة الرهـا ، فى عهد قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش (١٨١) . وهو الذى امتد حكمه من ١٠٩٢م الى ١١٠٧م(١٨٢)/(٤٨٥ — ٥٠٠هـ (١٨٣) . ذلك انه وصـل فى ٤٩٩هـ (١١٠٦م) فى عسكر كثير وقصد الرهـا ونزل قريبا منها فارسـل اصحاب جكرمش المقيمون بحران يستدعونه لتسليمها اليـه ، فوصـل اليهم وتسلمها منهم واستبشر النـاس بوصوله الى الجهاد واقـام اياما

---

(١٧٦) Michel : Op. Cit., p. 233.

(١٧٧) دائرة المعـارف الاسلامية ، مادة سلاجقة .

(١٧٨) Ostrogorsky ; Op. Cit., p. 344 (1968),
ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ، ص ٨٦ (١٩٣٥م) ،
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ، ص ٨٨

(١٧٩) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٩٠ .

(١٨٠) نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ — ٩٣ .

(١٨١) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٥٠ .

(١٨٢) Grousset : Hist des Crois. V. 2, p. 6.

(١٨٣) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢١٥ .

ولكنه مرض مرضا اوجب عودته الى ملطيـة فى حين اقـام اصحابه بحران (١٨٤) .

ويشير متى الرهاوى الى هـذه الحملة بانهـا كانت فى ١١٠٦م اى (٤٩٩ هـ) ويضيف الى ما سبق ان قلج أرسلان قـدم بجيش هـائل وحاصر الرهـا لبضعة أيـام مؤملا ان يصبح سيد هـذه المدينـة لكنه اخفق . وعند انسحابه استولى على حران بعد ان اخضع الجهات المجاورة ثم عـاد الى بلاده (١٨٥) .

وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) يذكر متى الرهاوى ان سلطان ملطية السلجوقى كان من جملة اعضاءالتحالفالفرنجى الاسلامى ضد حلب وهو التحالفالذى كان يضم الملك بلدوين الثـانى وجوسـلين الاول ودبيس بن صـدقه وآخرين (١٨٦) والذى سنتكلم عنـه بالتفصيل عند الكلام عن بنى مزيد ، وهـذا يعنى انه كانت هنـاك علاقات ود وتحالف بين سلاطين الروم فرع ملطيـة وبين الرهـا . كما يعنى ايضا ان سلطنة سلاجقة الروم او سلاطين قونيـة تفرع عنها سلطنة حكمها فرع من السلاجقة فى ملطية (١٨٧) .

---

(١٨٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٥٠ .

(١٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 82

(١٨٦) Mattieu : Ibid., p. 142.

ففى نفس الصفحة توجد حاشية تذكر ان
ابو الفرج قـد عين أربعة ابناء لقلج ارسلان الأول السـابق الذكر وهم : مسـعود وملكشـاه وعرب وطغرل ارسلان . خلف الأول والده واتخذ اقامتـه فى قونيـة وترك اخويه عرب وطغرل ارسلان فى ملطية وسجن ملكشاه بواسطة غازى الدانشمندى وحرم من النظر . وعلى ذلك يكون أما عرب وأما طغرل ارسلان هو الذى يشير اليـه متى الرهاوى هنا .

اما رنسيمان فيشير الى أنه حـوالى ١١١٨م (٥١٢هـ) كان الذى يحكم فى ملطيـة هو الأخ الأصغر لطغرل وهو مسـعود تحت وصـاية امه وزوجها الثـانى بلك بن أرتق لكن ربما كـان يقصـد هنـاعرب وليس مسعود باعتبار أن الأخير كان فى قونية .
Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 207 - 8.

(١٨٧) يؤكد هذا ما ذكر عن أنه « عند بداية حكم الامبراطور يوحنا
=

وفى ١١٣١م (٥٢٦هـ) قـام جوسلين بحملة ضد سـلطان قونيـه ولكن جوسلين توفى اثناءها (١٨٨) . ويذكر ميخائيـل السريانى أنه بعـد ان علم (ايلغـازى) ــ والصحيح هو مسعود بن قلج ارسلان ١١١٦ ــ ١١٥٥م (١٨٩) (٥١٠ ــ ٥٥١هـ(١٩٠)) ــ بوفـاة جوسلين الأول أوقف المعركة وارسل تعازيه وكتب الى الفرنج تلك الكلمات « لن اشتبك معكم فى معركة اليوم ، كى لا يقـال اننى احرزت النصر على جيشكم نتيجة لوفـاة ملككم(١٩١) » .

ويفهم من تلك العبـارات أن جوسلين توفى قبل احرازه النصر فى تلك المعركة وان كان وليم الصـورى يشير الى ان العـدو انسحب قبـل أن يموت جوسلين (١٩٢) » .

ويبدو أن العلاقات ظلت هادئة بين الجانبين الرهوى وسلاجقة الروم الى ١١٣٨م (٥٣٣هـ) عندما يخبرنا ابن العبرى « أن مسعود حـاكم قونيه هـاجم اقليم كيسـوم واستولى على القرى وحرقها(١٩٣) » . وبعـد ذلك بحوالى احـدى عشر عاما ١١٤٩م (٥٤٤هـ) اى بعد سـقوط الرها بنحو خمس سنوات « اوغـل مسـعود بن قلج ارسلان جنوبا فى بلاد الشـام بجيش هـائل فاستولى على عـديد من المدن والقلاع وحـاصر تل باشر وفيها جوسلين الثـانى وزوجتـه واطفاله . ثم سـاد السلام

=

الثـانى امبراطور بيزنطة وخليفة الكسيوس من ١١١٨م ــ ١١٤٣م كان يحيط بملكه فى آسيا امـارات تركية سلجوقية ثلاث : مسعود فى قونيـة وما جاورها وملك غـازى فى سيواس وجهاتها وطغرل ارسلان بن قلج ارسـلان فى ملطيـة وتوابعها » (اسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ١٤١) .

(١٨٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 52, Michaud : V. 2, p. 101.

(١٨٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 6.

(١٩٠) زامبوْر : معجم الانسـاب ، حـ ٢ ؛ ص ٢١٥ .

(١٩١) Michel : Op. Cit., p. 232.

(١٩٢) William · Op. Cit., V. 2, p. 52.

(١٩٣) Bar Hébraeus : Op. Cit., V. 1, p. 265.

بين الجانبين بعد أن اطلق الامير جوسلين سراح كل رعايا السلطان الذين كانوا فى أسره(١٩٤) » .

علاقة الرها بحلب وضواحيها :

احتلت حلب (١٩٥) مكانا بارزا الى جانب الموصل فى العلاقات بين الرها والمسلمين ، فقد مر بنا كيف كانت حلب تحت حكم رضوان ابن تتش بن الب ارسلان السلجوقى عند قدوم الصليبيين . وقد ظلت حلب تحت حكم السلاجقة حتى حوالى ٥١١هـ (١١١٧م) عندما استولى عليها الأراتقة — كما سنرى .

والراجح أنه لم يكن هناك اى احتكاك مهم بين حلب والرها فى عهد اميرها الأول بلدوين البولونى . ولكن فى بداية عهد بلدوين دى بورج ، وفى ٤٩٦هـ (١١٠٢م) على وجه التحديد خرج الجيشان الانطاكى والرهوى وتوجها الى حلب « واقاموا بها أياما (١٩٦) » وبعد مفاوضات بينهم وبين الملك رضوان اتفقوا على أن يدفع لهم « سبعة آلاف دينار وعشرة رؤوس من الخيل ويطلقوا الأسرى » ثم خرج فرنج الرها من تل باشر واغاروا على « بلد حلب الشمالى والشرقى واحرقوه وتكرر ذلك منهم (١٩٧) » .

وقد مر بنا ما كان من أسر بلدوين دى بورج وجوسلين سنة ١١٠٤م

---

(١٩٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 200.

(١٩٥) تشير (انا كومنين) فى الالكسياذه الى أن حلب كانت تسمى برويا Berroea او خالب Chalep
(Anna Comnena : The Alexias, p. 355.)
أما ياقوت الحموى : معجم البلدان . حـ ١ ص ١٢٧ فيشير الى اسم مشابه لذلك عندما يسميها (باروا) عن يحيى بن جرير الطبيب التكريتى النصرانى .

(١٩٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٧ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٠ .

(١٩٧) المصدرين السابقين نفس الصفحات .

(٤٩٧هـ) الى أن تم اطلاق سراح بلدوين ١١٠٨م (٥٠٢هـ) على يد جاولى بعد اتفاق تم بينهما على أساس دفع فدية عن بلدوين لجاولى . ثم أطلق جاولى سراح جوسلين ايضا وسيره الى بلدوين كى يرسل الأسرى والمال الذى اتفقا عليه « فلما وصل جوسلين الى منبج اغار عليها ونهبها . وكان معه مجموعة من أصحاب الأمير جاولى فانكروا عليه ذلك واعتبروه غدرا (١٩٨) فرد عليهم جوسلين بقوله « ان هذه البلاد ليست لكم (١٩٩) » .

وبالرغم من ان بلدوين دى بورج أطلق بالفعل — كما تعهد لجاولى — حوالى « مائة وستين اسيرا من المسلمين كلهم من سواد حلب بعد أن كساهم (٢٠٠) » ، الا أنه فى نفس ١١٠٨م — ٥٠٢هـ « خرج الملك رضوان من حلب ليتسلم الرقة فظهر فى طريقه بسبعين رجلا من الفرنج معهم المال الذى قرره الأمير جاولى ستاوه على قمص الرها فاخذ الملك رضوان المال وقتل جماعة من الفرنج واسر جماعة وتسلم الرقة من بنى نمير وعوضهم قلعة الجسر(٢٠١) » .

---

(١٩٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢٢(أ) ، الطباخ الحلبى : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٣٩٩ .

(١٩٩) ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ١٩١ (وهو يذكر أن ذلك كان ٥٠٣هـ — ١١٠٩م ولكن الراجح انه اخطا فى ذكر السنة) .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 435.

(٢٠٠) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٢٨ ،
Grousset : Ibid., V. 1, p. 436

(٢٠١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢٤(ب)، ٢٥ (أ) . أما العينى عقد الجمان ؛ حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٩ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٠ فيذكر « أنه بينما كان الملك رضوان متوجها من حلب الى الرقة لنجدتها من بنى نمير الذين استولوا على البلدة من على بن سالم بن مالك ، وقتلوه . وعند صفين صادف رضوان تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره الى جاولى فاخذه واسر عددا منهم فلما وصل الرقة صالحه بنو نمير على مال فرحل عنها الى حلب » .

وفى سنة ٥٠٨هـ ١١١٤م توفى الملك رضـــوان صاحب حلب — وهو الذى سبق ان اشرنا الى تحالفه مع تنكريد ٥٠٢هـ (١١٠٨م) — وخلفه فى حلب ابنه تاج الدولة الب ارسلان الأخرس تحت وصاية لؤلؤ الخصى . وعندما علم لؤلؤ بأن الســلطان ارسل برسق بن برسق على رأس حملة ضد الفرنج ٥٠٩هـ — ١١١٥م ، خشى أن يستولى برسق على حلب ولذا انضم الى الجانب الفرنجي الذى سبق أن اشرنا ان طغتكين حــاكم دمشق وايلغــازى كانا قــد انضما اليــه (٢٠٢) .

وهكذا يبدو ان حلب فى علاقتها مع الفرنج فى ذلك الدور كانت تنضم فى غالبيــة الأحيــان الى الجــانب الفرنجى وخاصــة امــارة انطاكية القريبة منها . هذا وان كانت قد وقفت على الحيــاد فى حركة الجهاد التى قام بها مودود ١١١١م (٥٠٥هـ) والتى جاءت أصلا نتيجة لاستنجاد حلب بالخليفة . واخيرا أدى تخــوف رضــوان من السلاجقة اكثر الى ان «يعلن لمودود انه لا يمكنه الاتحــاد معهم لأنه اصطلح مع تنكريد وانه يحتــفظ بالحيــاد (٢٠٣) » .

وفى سنة ٥١١هـ (١١١٧م) دخلت حلب فى حوزة الاراتقة . وانتهت حــالة الهدنة التى كانت قائمــة بين حلب والفرنج . ففى هــذه الســنة « اشتد الغلاء بانطاكية وحلب لأن الزرع عرق ولحقــه هواء عند ادراكه اتلفه (٢٠٤) » . وعندئذ انتهز الفرنج الفرصة واغاروا على حلب واخذوا « ما لا يحصيه الا الله » . فاستنجد الأهالى بدمشق ولكن جوســلين ومعه عساكر الفرنــج أوقفوا تلك النجــدة . وفى نفس الوقت استنجد اهــل حلب بالموصــل ولكن بدون جدوى بسبب عدم استقرار أحوالها (٢٠٥) . ثم نزل الفرنج على اعزاز « وضــايقوها واشرفت على الأخــذ وانقطعت قلوب اهل حلب اذ لم يكن يقي حلب معونة الا من عزاز وبلدهــا وبقيــة

---

(٢٠٢) Mattieu : Op. Cit., p. 115.

(٢٠٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455.

(٢٠٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٨١

(٢٠٥) المصدر السابق ص ١٨١ — ١٨٢ .

بلد حلب في أيدي الفرنج والشرقي خراب مجــدب (٢٠٦) » لذا استنجد اهل حلب بايلغازي بن أرتق ، فحضر الى حلب وملكها من سلطان شـــاه بن رضوان بن تتش ٥١١هـ(٢٠٧) .

وهكذا اصبح ايلغازي حــاكما على ماردين وحلب ، وحاول عن طريق التفــاوض مع الفرنج ٥١٣هـ (١١١٩م) ان يجعلهم يرحلون من اعزاز مقــابل اعطائهم مبلغا من المــال « فلم يلتفتوا لقــوة طمعــهم في امر الاسلام ، وكان ايلغــازي يعجز بحلب من قوت الدواب وحلب على حــد التلف(٢٠٨) » . فلمـــا يئس أهل عزاز سلموها الى الفرنج فتم الصلح بينهم وبين حلب على أساس أن يسلموا للفرنج تل هراق (٢٠٩) والف دينار وتكون لهم من حلب شمالا وغربــا . وزرعــوا اعمــال عزاز وصــار يدخل الى حلب ما يتلمون به من القوت (٢١٠) .

وفي نفس سنة ١١١٩م (٥١٢هـ) واستنادا الى ما ذكره متى الرهاوي يبدو انه حدث خلاف بين ايلغازي وبين روجر حاكم انطاكية مما جعل الاول يجمع جيشا كبيرا يبلغ حوالي ثمانين الف رجلا ويتوجه ضد انطاكية ووصل بقواته هذه أمام اسوار الرهــا حيث توقف أربعة أيــام ثم اتجـــه الى

---

(٢٠٦) المصدر السابق ص ١٨٢ .

(٢٠٧) المصدر السابق ص ١٨٦ ، الذهبي : العبر حـ ٤ ص ٣٦ امـــا ابو الفضــايل الحموي : التــاريخ المنصوري ص ١٦٢ فيذكر أن دخول ايلغازي حلب وفتح الفرنج لاعزاز كان ٥١٢هـ . في حين يشير ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣١٠ ، « أن الفرنج استولوا على عزاز في شهر رمضان ٥٠١هـ (١١٠٧م) ولقي أهــل حلب منــهم شــدة عظيمة الى أن فتحــها نــور الدين محمود بن زنكي في ٥٤٥هـ » والراجح أن التــاريخ خطأ بدليل أن ابن العــديم نفســه هو الذي ذكر أنها اخــذت سنة ٥١١هـ .

(٢٠٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨٦ .

(٢٠٩) يذكر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٥ (انهــا من حصــون حلب الغربيــة) .

(٢١٠) ابن العــديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨٦ .

الفرات وعبره (٢١١) . أما ميخائيل السريانى فيشير الى أن ايلغـازى جمع بعض القوات فى تلك السنة وغزا بلاد الرهـا وأحرق المحاصيل . وعندما لم يجـد أحدا يخرج لمنـازلته رجع ودخل اقليم انطاكية واخـذ معـه بعض الأسرى ثم عـاد الى بلاده (٢١٢) .

أما ابن العديم فيشير الى أن ايلغازى توجـه فى ٥١٣هـ « فى عسـكر يزيد على أربعين ألفا وقطـع الفرات وامتدت عساكره فى أرض تل باشر وتل خالد (١١٣) وما يقاربهـا يقتل وينهب ويأسر وغنموا كل ما قـدروا عليـه (١١٤) » .

ومهما يكن بين الروايات السـابقة من تباين فانها تشير الى الـدور الايجابى الذى قام به ايلغازى الأرتقى فى تلك السنة ضد الرهـا .

وقـد رد جوسـلين فى بداية حكمـه للرهـا على تلك المحـاولات العداونيـة من جانب ايلغازى بالاغارة على « منبج والنقرة واعمال حلب الشرقية ، واخـذ كل ما وجـده من دواب وأسر رجالا ونساء (١١٥) » .

وفى ١١٢٠م (٥١٤هـ) قاد ايلغازى من جـديد حملة ضـد الفرنج وهى الحملـة التى تركت أثرا واضحا على الرهـا والتى ذكرهـا متى الرهـاوى بالتفصيل . ذلك انه خرج على رأس قوات كبيرة بلغت مائـة

---

(٢١١) Mattien : Op. Cit., p. 122.
ويقال أن تلك الحملة كانت فى بداية شهر يونيه ١١١٩م .
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 412-13)

(٢١٢) Michel : Op. Cit., p. 205.
ربما تكون هذه هى الحملة التى اشار اليها
(Iorga : Bréve Hist., p. 82).
عندما ذكر أن ايلغازى قاد حملة غير ناجحة ضد الرها فى ١١١٩م .

(١١٣) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٠١ انها قلعة من نواحى حلب .

(١١٤) ابن العـديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨٧ الطبـاخ الحلبى ، حـ ١ ص ٤٣٠ .

(١١٥) ابن العديم : المصدر السـابق حـ ٢ ص ١٩٤
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 415.

وثلاثين الف محارب . وتوجـه مسرعا الى أسوار الرهـا حيث عسكر امامها اربعة ايام حرب خلالها كل الحقول ثم عبر الى سروج واجتاز الفرات بجزء كبير من قواته وانتقل من تل باشر الى كيسوم . وهكذا ظل يقتـل ويأسر وينهب ويخرب حتى جمع الأمير جوسلين قواته وخـرج لمطاردة الاتراك ، وانقض عليهم وقتل الفـا وعندئـذ انسحب ايلغازى ليعسـكر قرب عزاز (١١٦) . وهناك اجتمع الفرنج فى جانب واجتمع ايلغازى وطغتكين فى جانب آخر . لكن لم يحدث بينهما اشتباك ما بل عقدت هدنة بين الطرفين تنازل فيها ايلغازى للفرنج فى انطاكية عن « المعرة وكفر طاب والجبل والباردة وضياعا من جبل السماق برسم هاب وضياعا من ليلون برسم تل أغدى ، وضياعا من عزاز برسم عزاز (١١٧) » .

ويبدو ان ايلغازي عقد تلك الهدنة حتى يستطيع اعادة تنظيم قواته من جـديد وحتى يتمكن من اضـافة فرق جديدة الى جيشـه ثم يعود ثانية الى مهاجمة الفرنج . وبالفعل نجـده يتوجه بعد تلك الهدنة « الى ماردين ليجمع العساكر (١١٨) » . بعد ان ترك بحلب ابنه شمس الدولة سليمان بن نجم الدين ايلغازى مع نائبه مكي ابن قرناص الحموى (١١٩) .

ورغم الهدنة القائمة بين ايلغازى والفرنج فان جوسلين امير الرهـا

---

(١١٦) Mattieu : Op. Cit., p. 127, Cahen : Op. Cit., p. 291.
ويذكر ابن العديم : ان ذلك كان فى ٢٥ صفر ٥١٤هـ (ابن العديم : الزبدة ، جـ٢ ، ص ١٩٥) .

(١١٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٩٥ ــ ١٩٦ وهو يسمى تلك الموقعة (موقعة دانيث) وكفر طاب بلدة بين المعرة ومدينـة حلب (ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١٦ ص ٤٧٠) . وجبـل السماق هو جبل عظيم من اعمال حلب الغربية (ياقوت : جـ ٥ ص ١٠٢) اما ليلون ويقال ليلول فهو جبل مطل على حلب بينها وبين انطاكية (ياقوت جـ ١٧ ص ٢٩) .

(١١٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٩٦ .

(١١٩) المصـدر السـابق ص ١٩٨ ــ ١٩٩ .

غــدر بالصلح واغار على النقرة والأخص (١٢٠) واحتج بانه اسر له والى منبج اسيرا وانــه كاتب فى ذلك فلم ينصف وذلك فى شوال ٥١٤هـ / يناير ١١٢١م (١٢١) . وقتل وسبى واحرق كل ما فى النقرة والأخص ؛ ثم اخــذ المشــايخ والعجائز والضعفاء فنزع عنهم ثيابهم وتركهم فى البرد عراة فهلكوا جميعهم (١٢٢) . ثم عاد الى تل باشر وخرج من جــديد فكرر ما فعله فى المرة الســابقة . لذلك ارسل والى حلب الى ملك بيت المقــدس يقول « أن نجم الدين لم يترك هــذه البلاد خاليــة من العساكر الا ثقة بالصلح » فكان رد الملك « مالى على جوسلين يد » وبذلك تتابعت غارات جوسلين (١٢٣) .

وعندما وجــد جوسلين ان ايلغازى قــد انشغل عن امر الشــام فى ماردين بدبيس بن صــدقة (١٢٤) ، توجــه الى حلب « واستولى على معظمـه (١٢٥) » ، كما اغــار على صفين جنوب الفرات وسبى العرب والتركمان ونزل بزاعة والواقعة شمال حلب قرب وادى بطنان ونجح فى خرق جزء من جدرانها ، ولم يرفــع حصــاره عنها الا بعد ان دفــع له

---

(١٢٠) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ص ١١٤ ان الأخص بنواحى حلب كورة كبيرة مشهورة ، قصبتها خناصرة وهى المدينــة التى كان ينزلها عمر بن عبد العزيز .

(١٢١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٩٧

(١٢٢) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة .

(١٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ص ١٩٧
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416,

(١٢٤) ابن العديم : المصدر الســابق ، ص ١٩٧ — ١٩٨ ويفسر ذلك بقوله « انه فى هــذه السنة هرب ملك العرب دبيس بن صــدقة الأسدى فاكرمه نجم الدولة مالك ثم ســار الى ايلغازى الى مادين وتزوج ابنته فاسند به واجاره ووصل معه الأموال العظيمة والنعمة الوافرة وحمل اليه ايلغازى ما يفوت الاحصــاء فاشتغل ايلغــازى بدبيس عن العبور الى الشــام .

(١٢٥) ابن العديم : المصــدر الســابق ، ص ١٩٨ .

مبلغا من المـــال (١٢٦) . وفى مايو ١١٢١م (٥١٥هـ) هاجم جوســـاين قلعة الأثارب الى الجنوب الشرقى من حلب واحـــدث مذبحة ضخمة فى اهلها من المسلمين (١٢٧) .

عندئذ « كتب ايلغازى الى ولده ونوابه يأمرهم بصـــلح الفرنج على ما يريدون فصـــالحوهم على سرمين والجزر وليلون واعمال الشمال على انها للفرنج . وما حول حلب للفرنج فيه النصف حتى أنهم ناصفوهم فى رحى العربيـــة وعلى ان يهدم تل هراق بحيث لا يبقى للفئتين فيه حكم (١٢٨) » . كذلك طالب الفرنج بتسليم الأثارب فوافق ايلغازى لكن الاهالى ناضـــلوا بشـــدة من أجلها لذا احتفظ المسلمون بها (١٢٩) .

ولـــا كانت تلك الشروط مجحفة باهل حلب فانهم لم يستكينوا فخرجوا ٥١٦هـ (١١٢٢م) فى عـــدد هائل الى عزاز لكن الهزيمـــة حلت بهم وقتل عـــدد كبير منهم (١٣٠) .

وفى نفس السنة تقـــدم ايلغازى من ماردين الى حلب ليقاتل الفرنج بعـــد أن جمع جيشـــا كبيرا وبعـــد أن وصل الى حلب اتجه الى شيزر فاجتمع ملك القـــدس وجوسلين أمير الرهـــا لمقاومته ولكن لم يحـــدث اى اشتباك بينهما وعـــاد كل منهما الى بلاده فى سبتمبر ١١٢٢م (١٣١) .

---

(١٢٦) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٠٢ ، ابن العديم : المصـــدر السـابق ، ص ١٩٨ ،
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416,

(١٢٧) سعيد عاشور : الحركـــة ، حـ ١ ص ٥٠٩ من ابن العـــديم
محمد أحمد حسين : اسامة بن منقذ ، ص ٤٦ .
Setton : Ibid.. p. 416.
والأثارب قلعة معروفـــة بين حلب وانطاكية (ياقوت : حـ ١ ص ٨٩) .

(١٢٨) ابن العديم : زبـــدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٩٩ . وهو يـــذكر ان جوسلين كان ممن تولوا المفاوضـــات .

(١٢٩) ابن العديم المصدر السابق نفس الصفحة
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416.

(١٣٠) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٠٥ .
(١٣١) Mattieu : Op. Cit., p. 131, William : Op. Cit., V. 1, p. 537.

وفى الوقت الذى دخل فيه ايلغازى حلب توجه بلك ابن اخيه ليقتفى اثر الفرنج حتى تمكن كما راينا من قبل من اسر جوسلين نفسه ومعه ابن خالته جاليران (١٣٢) .

ورغم اسر امير الرها جوسلين الا أن ذلك لم يمنع فرنج الرها من محاربة اهل حلب انتقاما منهم لما حدث لرئيسهم فتوجه فرنج الرها فى شعبان ٥١٦هـ - اكتوبر ١١٢٢م « من تل باشر وكبسوا تل قباسين (١٣٣) ، فخرج النائب بيزاعا مع اهلها فالتقوا وانهزم المسلمون وقتل منهم تسعون رجلا (١٣٤) » .

وفى رمضان ٥١٦هـ - نوفمبر ١١٢٢م « توفى ايلغازى بن ارتق ابن اكسب نجم الدين التركمانى الذى كان فارسا شجاعا كثير الغزو كثير العطاء تولى بعده ماردين ابنه حسام الدين تمرتاش (١٣٥) » .

وقد راينا كيف اسر الملك بلدوين الثانى نفسه مع جوسلين وجاليران ثم كيف افلت جوسلين من الأسر ٥١٧هـ (١١٢٣م) وعاد الى الرها ليجمع نجدة من انطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقدس (١٣٦) . ولكن عندما علم بعودة بلك الى خرتبرت واحتجازه للملك مرة أخرى ثارت ثائرته وقام بالعديد من اعمال التخريب فى اقليم حلب ٥١٧هـ (١١٢٣م)

---

(١٣٢) Mattieu : Ibid., p. 131, William : Ibid., V. 1, p. 540, Michel : Op. Cit., p. 201. سماه متى الرهاوى واليران

(١٣٣) قرية من قرى العواصم من اعمال حلب (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٣) .

(١٣٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ ، Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 584.

(١٣٥) الذهبى العبر ، حـ ٤ ص ٣٦ ، زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٣٤٥ ، محمد احمد حسين : أسامة بن منقذ ، ص ٢٧ ويضيف الأخيران ابنه شمس الدولة سليمان استولى على ميافارقيين ، فى حين كانت حلب من نصيب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق .

(١٣٦) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

وهى السنة التى تعتبر من اهم سنى الصراع بين الرهـا وحلب لما شهدته من اشتباكات جمة بينهما . وقـد وضـح فى كل اطوار تلك العلاقات فى هـذه السنة دور الهجوم من جانب جوسلين ، فقـد راى أن ذلك هو خير وسيلة للدفاع عن حـدوده الخاصـة وحدود امارة انطاكية المعدومـة القيادة (١٣٧) .

والواقـع أن الفرنج اتفقوا على أن يخفوا فشـل الحملة الموجهـة لانقاذ الملك بأن يوجهوا جهودهم الى اعمال التخريب بحلب ، (١٣٨) ؛ انتقاما لأسر الملك مرة اخرى . فسـار جوسلين بمن معه ٥١٧هـ / ١١٢٣م الى «الوادى وقاتل بزاعا واحرق بعض جـدارها ثم احرق الباب وقطـع شجرة واحرق ما سواه من الوادى . ثم نزل جيلان ثم حلب من ناحيـة مشهد الجف من الشمال ، وخرب المشـاهد والبسـاتين وكسر الناس عند مشـهد طرود بالقـرب من بسـتان النقرة وقتـل وسبى مقـدار عشرين نفرا (١٣٩) » .

ثم رحل « ونزل الجانب الغربى فى البقعة السوداء وخرب مشـاهد الجانب القبلى وبسـاتينه ونبش الضريح الذى به مشهد الدكة فلم يجـد فيه شيئا فالقى فيـه النـار (١٤٠) » . وفى رمضـان « نزل السعدى وقطع شجرة (١٤١) » .

---

(١٣٧) Setton : Ibid., V. 1, p. 420.

(١٣٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 545, Setton : Ibid., 420.

(١٣٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ ، الطبـاخ الحلبى : أعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٥٠ وبزاعة بلدة من اعمال حلب فى وادى بطنان بين منبج وحلب (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٠٩) أما جيلان فهى قرية من قرى حلب فيها عين تصل مياهها الى حلب (ابن العديم زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤) .

(١٤٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٨ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ .

(١٤١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٠ (المقصود هنا رمضـان ٥١٧هـ) .

هنا يذكر ابن العديم انه كرد فعل لنبش جوسلين اضرحة المسلمين سنة ٥١٧هـ (١١٢٣م) امر قاضي حلب ابن الخشاب بموافقة مقدمي حلب أن تهدم محاريب الكنائس التي للنصارى بحلب وان تعمل لهما محاريب الى جهة القبلة وتغير ابوابها وتتخذ مساجد (١٤٢) . ولم يبق للنصارى في حلب سوى كنيستان (١٤٣) .

---

(١٤٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ — ٢١٥ أما ابن شداد (ت ٦٨٤هـ) ، سبط بن العجمي (ت ٨٨٤هـ فيذكران أن تحويل الكنائس الى مساجد كان سنة ٥١٨هـ ١١٢٤م . والراجح ان ذلك كان سنة ٥١٧هـ استناداً لراى ابن العديم (ت ٦٦٠هـ) فمثلا ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، حـ ١ ق ١ ص ٤٥ يذكر « انه كان بحلب نيف وسبعون هيكلا للنصارى منها الهيكل المعظم عندهم الذى بنته هيلانه أم قسطنطين بأنى القسطنطينية وهى التى بنت كنائس الشام كلها والبيت المقدس وهذا الهيكل كان فى الكنيسة العظمى التى هى تجاه الجامع الغربى وكانت هذه الكنيسة معظمة عندهم ولم تزل على ذلك الى ان حاصرت الفرنج حلب ٥١٨هـ » .

اما سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ مخطوط ص ١٩١ فيذكر انه كان بقلعة حلب جرس عظيم يعلق على برج من ابراجها ، علق هذا الجرس سنة ٤٩٦هـ وسبب تعليقه ان الفرنج لما ملكوا انطاكية طمعوا فى حلب وضواحيها ، فصالحهم رضوان بن تاج الدولة تتش ، فاقترحوا عليه اشياء من جملتها ان يعلق هذا الجرس بقلعة حلب ويضع صليبا على منارة المسجد الجامع فوافق . فانكر القاضى أبو الحسن بن الخشاب — الذى كان بيده زمام البلد — وضع الصليب على منارة الجامع ، لذا راجع رضوان الفرنج فى ذلك فاذ نواقى وضعه على الكنيسة العظمى فلم يزل بها الى ان حاصرت الفرنج حلب ٥١٨هـ ونبشوا ما حولها من القبور فاخذ ابن الخشاب الكنائس ورمى الصليب ، اما الجرس فظل باقيا حتى ٥٨٧هـ وربما كان الخطا فى تحديد السنة هو الذى جعل سامى الدهان ينشر ذلك الجزء من أحداث سنة ٥١٧هـ تحت سنة ٥١٨هـ .

(ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦) اما اهم الكنائس التى حولت الى مساجد فيذكر ابن العديم ص ١٤ — ١٥ « فعل ذلك بكنيستهم العظمى ، وكنيسة الحدادين وكنيسة بدرب الحراف وهى مكان مدرسة ابن المقدم » اما الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ فيقول (كنيسة هيلانة والحدادين وموغان والمقدمية) .

(١٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٥ .

وفى تاسع عشر رمضان ٥١٧هـ ١١٢٣م خرج جوسلين الى الوادى والنقرة والأخص واخذ ما يزيد على خمسمائة فرس من الدواب والبقر والغنم والجمال ما لايحصى وقتل وسبى وخرب ما امكنه وعاد الى تل باشر (١٤٤) . ثم اغار جوسلين على اقليم شبختان واستولى على كل ما كان موجودا به (١٤٥) . كذلك اغار جوسلين « على الجبول (١٤٦) . وما حولها واخذ دواب كثيرة وتوجه الى دير حافر وهى قرية بين حلب وبالس فخنق اهلها بالدخان فى المغاير وفتح المقابر وسلب الموتى اكفانهم (١٤٧) » .

وهكذا كانت حلب هى اكثر المناطق الاسلامية تعرضا لتخريب جوسلين بعد هربه من الأسر وبعد ان أضاع بلك عليه الفرصة فى اطلاق سراح الملك بلدوين الثانى .

وفى صفر ٥١٨هـ (١١٢٤م) توجهت مجموعة من أصحاب بلك بن بهرام الى عزاز فوقع بينهم وبين الفرنج موقعة انتصر فيها الاتراك واخذوا من الفرنج حوالى اربعين رجلا وفر الباقون الى عزاز وهم مصابون بجراح كثيرة (١٤٨) . وفى نفس السنة وقعت موقعة منبج بين بلك ابن ارتق من ناحية وبين حاكم منبج وجوسلين من ناحية أخرى وهى التى راح ضحيتها بلك نفسه .

---

(١٤٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٥ ؛ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٢٨ .

(١٤٥) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢١٦

Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٤٦) قرية كبيرة الى جنب ملاحة حلب ، ينصب فيها نهر بطنان ونهر الذهب ثم يجمد ملحا فيمتار منه كثير من بلدان الشام وبعض الجزيرة (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ١٠٧) اما ابن الشحنه : الدر المنتخب ص ٢١٨ فيسميها الجبل .

(١٤٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٦ ، ابن الشحنه ، الدر المنتخب ص ٢١٨ .

(١٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٧ ، الطباخ الحلبى : حـ ١ ص ٤٥٢ .

ذلك أن حسان بن كمشتكين كان يحكم منبج (١٤٩) منذ ١٠٩١م (١٥٠) (٤٨٥هـ) تقريبا . وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) حـدث سوء تفاهم بين حسـان وبلك فانفذ بلك اليه جيشا مع ابن عمه تمرتاش بن ايلغازى بن أرتق (١٥١). « وتقـدم اليهم ان يمروا على منبج ويطلبوا من حسـان أن يخرج معهم للأغـارة على تل باشر فاذا خرج قبضوه (١٥٢) » . وبالفعل نفذوا ما طلبه منهم بلك وأخـذوا حسـان اسيرا « حيث حبس فى حصن بالو بعد أن عوقب وعرى وسحب على الشوك (١٥٣) » .

ورغم ذلك التعذيب الـذى وقـع بحسـان ، رفض أخوه عيسى أن يسلم البلد الى اتباع بلك . بل اكثر من ذلك ارسل عيسى يستنجد بجوسلين امير الرهـا قائـلا : « ان وصلتنى وكشفت عنى عسـكر بلك سـلمت اليك منبج (١٥٤) » .

وعندما راى بلك تشدد عيسى فى موقفه جمـع بعض القوات وسـار ضـد الفرنج وتوجه اولا الى حلب ومنها توجـه لمهاجمة منبج (١٥٥) . فى نفس الوقت كان جوسلين قـد توجـه الى بيت المقـدس وطرابلس

---

(١٤٩) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢١٨ . الطباخ نفس الصفحة .

(١٥٠) Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٥١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٨ ,Setton : Op. Cit. V. 1, p. 422,

(١٥٢) ابن العـديم : المصـدر السـابق والصفحة ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٥٢ .

(١٥٣) المصدرين السابقين نفس الصفحات . ويذكر ابن العديم هنا ان بالو قلعة حصينة وبلدة من نواحى ارمينية بين ارزن الروم وخلاط .

(١٥٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٨ (وهو يذكر ايضـا ان عيسى نادى بشعار جوسـلين بمنبج اما متى الرهـاوى فيـذكر ان الاستنجاد كان بجوسلين وجيوفرى .
(Mattieu : Op. Cit., p. 138), Michel : Op. Cit., p. 211.
Cahen : Op. Cit., p., 298, Setton : Op, Cit., V. 1, p. 422.

(١٥٥) Mattieu : Op. Cit., p.p. 137 - 138.

وبقية المراكز الصليبية يجمع القوات لحرب بلك (١٥٦) .

وكان ان التقى الجيش الصليبي مع جيش بلك الأرتقى بالقرب من منبج فى يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول ٥١٨هـ ، ٤ مايو ١١٢٤م (١٥٧) . ويصف لنا متى الرهـاوى تلك المعركة فيقول أن الاشتباك كان مخيفا . ورغم ان أعداد المسلمين فاقت أعـداد الصـليبيين الا أن كفة الصـليبيين كانت هى الراجحة فى البداية ، فطوقوا الأتراك وأجبروهم على الفرار . ولكن مجموعة من الأتراك تمكنت من تطويق أمير مرعش — جيوفرى — ومعـه مجموعة من نبلاء الصليبيين ، وقتلوا بعضهم وعندما سمع جوسلين بذلك هرب متجها الى مدينته تل باشر (١٥٨) .

أما ابن العديم فيصور لنا نفس المعركة بقوله : « اقتتل العسـكران وانهزم الفرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى آخر النهار . وحمل فيهم بلك ذلك اليوم خمسـين حملـة يفتك فيهم ويخرج سالمـا ، يضرب بالسيوف ويطعن بالرماح ولا يكلم ، وعاد الى منبج فبات مصليا مبتهلا الى الله تعالى لـما جـدده على يده من الظفر بالفرنج (١٥٩) » .

وفى اليوم التالى تجـدد القتال بعـد أن تخلص بلك من كل أسراه فى اليوم السـابق (١٦٠) ، وأعطى بلك أوامره بتشـديد الهجوم « وهو فى غمرة فرحـة بنجاحـه (١٦١) » . فى اليوم السـابق . ولكن بينما

---

(١٥٦) Mattieu : Ibid., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 422,
وكان أهم المنضمين الى جوسلين وقتذاك جيوفرى أمير مرعش الى جانب أمير دلوك .
Cahen : Op. Cit., p. 298

(١٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢١٨ — ٢١٩
Mattieu : Ibid. p. 138,

(١٥٨) Mattieu : Ibid. p. 138,

(١٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢١٩ .

(١٦٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢١٩ .

(١٦١) Mattieu : Op. Cit., p. 139.

وقف بلك يدير المعركة اذ جاءه سهم من القلعة قتله فى الحال (١٦٢) ، عندئذ استدعى « تمرتاش بن ايلغازى وعهد اليه بحكم بلاده (١٦٣) » ، ومن جملتها حلب (١٦٤) . وعندئذ نكت قواته الحصار عن منبج (١٦٥) . ويصور متى الرهاوى صدى موته بقوله « سبب موته فرحة عامة بين الفرنج ، ولكن على العكس بالنسبة للبلاد التابعة له فقد حملت الحزن العميق فقد كان دائما مشهود له بالتسامح والعطف على الأرمن الذين تحت نفوذه (١٦٦) » ، وهذا يدل بالفعل على تسامحه مع الأرمن لان متى الرهاوى كان ارمنى الجنسية .

وبوفاة بلك تشجع نائبا جوسلين بالهجوم على اقليم شبختان فى مايو ١١٢٤م ، أواخر ربيع الأول ٥١٨هـ (١٦٧) . « فاغار على شبختان ونهبها فسار اليه نائب تمرتاش بحلب وهو عمر الخاص الذى ركب اليه فى ثلثمائة فارس فلحقه على مرج اكساس فقاتله وقتل اكثر من

---

(١٦٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٩ ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٥ ،
Mattieu : Op. Cit., p. 139, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 423, V. 2, p. 876.
ويذكر ابن العديم (انه قيل ان السهم كان من يد عيسى فوقع فى ترقوته اليسرى فانتزعه وبصق عليه وقال « هذا قتل المسلمين كلهم » ومات لوقته) اما متى الرهاوى فيقول أن قاتل بلك كان احد عباد الشمس .
(Mattieu : Op. Cit., p. 139)

(١٦٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٥ .
Mattieu : Ibid., p. 139,

(١٦٤) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٢٤ — ٨٢٥
Setton : V. 1, p. 423,

(١٦٥) Mattieu . Op. Cit., p. 139, Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٦٦) Mattieu : Ibid., p. 139,

(١٦٧) Setton : Op. Cit., V. I, p. 423,
ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٠

كان معه من الفرنج وعاد غانما وأنفذ رؤوسهم وما غنمه الى تمرتاش الى حلب (١٦٨) » . لذا كافأ تمرتاش عمر الخاص بمنحه حكم حلب (١٦٩) . ومضى تمرتاش الى ماردين فى الخامس والعشرين من رجب (١٧٠) .

لم يمض شهر واحد حتى حوصرت حلب من جديد بواسطة الفرنج فى شعبان ٥١٨هـ (١٧١) (اكتوبر ١١٢٤م) (١٧٢) . اذ حاصرها الملك بلدوين الثانى وجوسلين أمير الرها (١٧٣) . فضلا عن دبيس بن صدقة أمير العرب وسلطان شاه بن رضوان وآخرين (١٧٤) . وهو ما سنتناول أسبابه بالتفصيل عند الكلام عن بنى مزيد . وقد أقام الفرنج وحلفاؤهم الحصار على حلب وارتكبوا الكثير من الفظائع التى

---

(١٦٨) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٤ .

(١٦٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 423,

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٤٠ (عن ابن العميد) .

(١٧١) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة . أما التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥١٩ فيذكر أن ذلك كان ٥١٩هـ .

(١٧٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876, Setton. Op. Cit., V. 1, p. 452.

(١٧٣) يسميه التاريخ المظفرى ، حوادث ٥١٩هـ (جوسلين الرومى)

(١٧٤) Mattieu : Op. Cit., p. 141 - 142, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 452, Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p.p. 876-877.

ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ .

فصلها لنا ابن العديم (١٧٥) . وسبط بن العجمى (١٧٦) . بل ان الفرنج عزموا على ان يداوموا حصار المدينة لمدة طويلة حتى يجبروا اهلها على التسليم لهم « حتى انهم بنوا لهم بيوتا لاجل الحر والبرد (١٧٧) ». ويقال ان الحصار استمر حوالى أربعة اشهر (١٧٨) . وكان بحلب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار والحاجب عمر الخاص ومعهما قرابة خمسمائة فارس (١٧٩) .

وقد فكر اهل حلب في ان يرسلوا الى تمرتاش يستنجدون به وبالفعل خرج وفد منهم الي ماردين « مستصرخين اليه ومستغيثين (١٨٠) » . ولكنه لم ينجدهم لاسباب اوردتها بعض المصادر الاسلامية ، فبعضها يذكر « انهم وجدوا ان اخاه سليمان بن ايلغازى صاحب ميافارقين كان قد توفى فى رمضان وسار

---

(١٧٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٤ — ٢٢٥ . فقد ذكر أن الفرنج « اقاموا على حلب يزاحمونها وقطعوا الشجر وخربوا المشاهد الكثيرة ونبشوا قبور موتى المسلمين ، واخذوا توابيتهم الى الخيم وجعلوها اوعية لطعامهم ، وسلبوا الأكفان وعمدوا الى من كان من الموتى لم تنقطع اوصاله . فربطوا فى رجلهم الحبال وسحبوهم مقابل المسلمين . . . . » .

(١٧٦) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ . فقد قال : « اكل اهل البلد القطاط فى هذه الشدة ولما طال الحصار عليهم وقلت ازوادهم وقع فيهم المرض والفناء » .

(١٧٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ كرد على : خطط الشام حـ ١ ص ٣٠٤ .

(١٧٨) التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم ، حوادث ٥١٩هـ .

(١٧٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٥ ، الطباخ الحلبى ، حـ ١ ص ٤٥٧ ، اما ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٥ فيذكر « أن حلب كانت قد خلت من الرجال ولم يبق فيها غير مئتى وستين رجلا » .

(١٨٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٥ ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٧ وكان تمرتاش قد تولى أمر ماردين من ٥١٦هـ وظل بها حتى ٥٤٧هـ . (زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٣٤٥) .

تمرتاش الى البلاد ليملكها واشتغل بملك تلك البلاد عن حلب (١٨١) » .
والبعض يقول « انه قال لهم خلوهم اذا اخذوها عدت واخذتها (١٨٢) » .

والبعض يشير الى أنــه « ظهر لهم من صـــاحبهم تمرتاش بن ايلغازى الوهن والعجز والفتور (١٨٣) » . وآخرون يذكرون « لم ينجدهم صاحبها تمرتاش لايثاره الرفاهية والدعة (١٨٤) » .

وكــان ان اتجــه أهــل حلب الى طــلب النجــدة من آقســنقر البرسقى (١٨٥) . الذى كان مريضـــا ، فنذر أن عافاه الله تعالى ليفرجن من حلب الشــدة (١٨٦) . فلما شفى توجــه الى حلب « فلما قاربها رحل الفرنج ونزلوا على جبل جوشن وابعدوا عن المدينــة ، فلما وصــل مــاق وعسكر خلفهم مــع أهل البلد فانهزموا بين يديــه (١٨٧) » وحفظت المدينــة (١٨٨) . ويقال أن ذلك كان بتأييد الطبيعة (١٨٩)

---

(١٨١) ابن العديم : نفس المصــدر والصفحة .
(١٨٢) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ .
(١٨٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ .
(١٨٤) الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ ، كرد على ، خطط الشام ، حـ ١ ص ٣٠٤ .
(١٨٥) يسميه ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٤ — ٤٩٥ (كنجاك البرشيقى) .
(١٨٦) التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم حوادث ٥١٩هـ .
(١٨٧) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، جـ ١ ص ٥١ .
(١٨٨) Mattiey : Op. Cit., p. 142,
(١٨٩) يذكر ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٥ أن الفرنج « أقاموا على حلب تسعة ايام فلما كان اليوم العاشر ، تشــاور اهل حلب ، على انهم يخرجون ويطلبون الأمان من القتل . فلما كان بعــد العصر أرســل الله عز وجل سيلا عظيما أخــذ الفرنج ودوابهم وجميع مالهم » . اما العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ص ٨٤٠ — ٨٤١ (عن ابن العميد) =

وان وصول آقسنقر البرسقى الى حلب كان فى ذى الحجة ٥١٨هـ يناير ١١٢٥م (١٩٠) .

وبذلك انتهت فترة الحكم الأرتقى لحلب واستكمال العلاقات الحلبية الرهوية من ذلك الوقت وحتى استولى عليها عماد الدين زنكى ، يصبح مكملا للعلاقات بين ولاة الموصل والرها كما سبق أن اشرنا .

وفى ربيع الآخر ٥١٩هـ (١٩١) ١١٢٥م جمع الأمير سيف الدين قسيم الدولة آقسنقر البرسقى صاحب حلب والموصل عساكره واستولى على كفر طاب من الفرنج ثم سار الى قلعة عزاز التى كانت تابعة لامارة الرها (١٩٢) . وكان يصحب آقسنقر فى حملته هذه طغتكين حاكم دمشق بعد أن تم التحالف بينهما (١٩٣) . وقدر متى الرهاوى جيشهما « بأربعين الف رجل من صفوة الفرسان (١٩٤) » .

= فيذكر انه « فى اليوم التاسع جاء قد عظيم فى نهر قويق وذلك قبل العصر فاخذ خيام العدو وغرق خلق كثير وتلف لهم عظيم » .

(١٩٠) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣١٦
Mattieu : Op. Cit., p. 142,
العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥م ٤ ص ٨٤٠ .

(١٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٣١ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء جـ ١ ص ٤٦١ .

(١٩٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣١٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ٢ ص ٩٢ (ب) ؛ روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥م تاريخ احداث ٥١٩هـ ، أبو الفدا المختصر ، جـ ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ص ٣٣ ، الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ص ٨٧ ، اما ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ١٩٦ فيسميها (عزز) .

(١٩٣) Mattieu : Op. Cit., p. 143, William : Op. Cit., V. 2, p. 24, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 425.

(١٩٤) Mattieu : Ibid., p. 143.

والواقع ان غالبية المصادر العربية اكتفت بالاشارة الى هذه الحملة اشارة موجزة بقولها « اقتتل المسلمون والفرنج فانهزم البرسقى وقتل من المسلمين خلق كثير (١٩٥) » . ولم يشر اليها بشيء من التفصيل منهم سوى ابن الفرات (١٩٦) ، في حين وصفها متى الرهاوى وصفا تفصيليا (١٩٧) .

ومهما يكن من أمر فقد عقدت هدنة بين البرسقى والفرنج على « ان يناصفهم فى جبل السماق وغيره مما كان بأيدى الفرنج (١٩٨) » ثم رحل البرسقى إلى الموصل ليجمع العساكر ويعاود القتال (١٩٩) . بعد أن ترك فى حلب ابنه عز الدين مسعود (٢٠٠) . واصطحب معه ابنه ملكا بيت المقدس وابن جوسلين الى قلعة جعبر حيث أودعهم هناك ثم رحل الى الموصل (٢٠١) .

ولم يكد آقسنقر يرحل الى الموصل حتى تقدم الفرنج الى رفنية فأخذوها من ابنه فى صفر ٥٢٠هـ (٢٠٢) (١١٢٦م) فخرج صاحبها شمس الخواص الى آقسنقر مستنجدا وعندئذ جمع لبارسقى الجند وسار الى الشام فوصل الرقة فى أواخر شهر ربيع الآخر ثم « نزل

---

(١٩٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٨ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ، ص ٢٣٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ ، روض المناظر : مخطوط أحداث ٥١٩هـ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٧ .

(١٩٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٩٢(ب) .

(١٩٧) Mattieu : Op. Cit., p.p. 143 - 144.

(١٩٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣١ .

(١٩٩) Mattieu : Op. Cit., p. 145,

ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٢ ص ٩٢ (ب)

(٢٠٠) ابن الفرات : المصدر السابق والصفحة ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٧ .

(٢٠١) Mattieu : Op. Cit., p. 145,

(٢٠٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣٢ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٦٢ .

بالنقرة على الناعورة واقام به اياما والفرنج يراسلونه فراسله جوسلين على أن تكون الضياع ما بين عزاز وحلب مناصفة (٢٠٣) » . فاتفق على ذلك . وفى جمادى الآخره رحل البرسقى الى الاثارب فتوجه اليه ملك القدس وجوسلين وطلبوا منه ان يرحل عن الاثارب ويعود الوضع بينهما الى ما كان عليه ٥١٩هـ (١١٢٥م) ويعيدوا اليه الآثارب فصالحهم على ذلك لانه « خشى أن يتم على المسلمين ما تم على عزاز (٢٠٤) » . ثم غدر به الفرنج واستمر تردد الرسل بين الجانبين وكل منهما متربص بالآخر وفى النهاية نفذت امدادات الفرنج فعادوا الى بلادهم وعاد البرسقى الى حلب (٢٠٥) .

وبعد وفاة البرسقى خلفه ابنه عز الدين مسعود ؛ لفترة قصيرة ثم توفى هو الآخر . وبعد وفاته حدثت فوضى فى حلب وعاد ليها الحكم الأرتقى لمدة سنة تقريبا (٢٠٦) . فانتهز جوسلين امير الرها فرصة الفوضى الموجودة فى حلب وتقدم اليها ٥٢١هـ (١١٢٧م) « فصونع بمال وانصرف عنها (٢٠٧) » .

ويذكر ميخائيل السريانى أنه حدث فى نهاية ١١٢٧م (٥٢١هـ) أن اجتمع الأتراك والفرنج فى سهل حلب للقتال ولكن الأتراك خافوا واتفقوا على اعطاء جوسلين اثنا عشر الف دينارا سنويا فى مقابل اقرار السلام.

---

(٢٠٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ٢٣٢ ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٦٢ .

(٢٠٤) ابن العديم : حـ ٢ ص ٢٣٣ ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٦٣ .

(٢٠٥) ابن العديم : حـ ٢ ص ٢٣٣ — ٢٣٤ ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٦٣

(٢٠٦) يذكر الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٨ أنه فى ٥٢١هـ ولى قتلغ حلب وبعد ايام ظهر منه جور وعسف عظيمان ومد يده الى الأموال لا سيما التركات وقرب اليه الاشرار فنفرت منه القلوب وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار الأرتقى الذى كان صاحبها قديما فأطاعه اهل البلد واقاموه واليا يوم ٢ شوال ٥٢١هـ .

(٢٠٧) ابن العديم : زبدة الحلب ؛ حـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٨ .

ثم دبر الاتــراك مؤامرة لدس السم لجوســلين ولكن محــاولتهم باءت بالشل (٢٠٨) .

ثم انقضت بعد ذلك حوالى ثلاث سنوات بدون اشتباكات تقريبــا بين حلب والرهــا وهى الفترة التى استولى خلالها عماد الدين زنكى على حلب ووطد سلطانه فيها من ٥٢٢هـ (١١٢٨م) .

وفى ٥٢٥هـ (١١٣٠م) كان نــائب زنكى بحــلب هو ســوار بن أيتكين (٢٠٩) . فوقعت بينه وبين جوســلين وقعــة بنــاحية حلب الشمالية فانتصر فيها جوسلين وقتل من المسلمين جماعة (٢١٠) .

لكن لم تمض ســنة حتى تجمع الأتراك فى اقليم حلب فتصــدى لهم جوســلين ، فلمــا علموا ذلك دخلوا اقليم تل باشر ونهبوه (٢١١) . وبعد أن ترك الأتراك حوالى سبعين فارسا فى المكان ليحرسوه خرجوا لمنازلة الفرنج مرة أخرى ، ولكن الأتراك تربصوا لهم وأبادوا الفرنج جميعا(٢١٢). وهــذه هى الموقعة التى أصيب فيها جوسلين الأول بكسور شديدة فى كل جسمه والتى أودت بحياته فى النهاية(٢١٣) .

وفى مستهل حكم جوسلين الثانى ١١٣٢م (٥٢٧هـ) أوقع الأميرسيفالدين ســوار بفرنج تل باشر وقتــل منهم خلقا كثيرا(٢١٤) . وفى العام التالى ١١٣٣م (٥٢٨هـ) اغــارت فرســان الرهــا على شمال حلب فأوقع بهم ســوار وحســان صــاحب منبج وقتلوهم بأسرهم وحمــلوا الرؤوس والأسرى الى حلب(٢١٥) .

---

(٢٠٨) Michel : Op. Cit., p. 224.

(٢٠٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 6.

(٢١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٧ ، الطبــاخ : حـ ١ ص ٤٧٨ .

(٢١١) بن العــديم : زبدة الحلب : حـ ٢ ص ٢٥١
Michel : Op. Cit., p. 233,

(٢١٢) Michel : Ibid., p. 233.

(٢١٣) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 6.

(٢١٤) الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٧٩ .

(٢١٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٥٢ ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٨٠ .

ومرت حوالى تسع سنوات لم تتم فيها أى اشتباكات تقريبا بين الرها وحلب ولكن فى ٥٣٧هـ/١١٤٢م يذكر ابن العديم « ان ملك انطاكية خرج الى وادى بزاعا فخرج سوار فردهم الى بلد الشمال واجتمع سوار وجوسلين بين العسكرين فاتفق الصلح بينهما (٢١٦) » .

اما العينى فيشير الى ان جوسلين هو الذى « اغار على شط الفرات وسبى خلقا ثم وقع الصلح بينه وبين سيف الدين اسوار(٢١٧) » .

هكذا استطعنا أن نلم بعلاقة الرها بالسلاجقة فى فارس ونوابهم فى الموصل البلد الرئيسى لديار ربيعة فى الجزيرة(٢١٨) . كذلك علاقة الرها بسلاجقة قونية ثم بسلاجقة حلب كى نصل منها الى اولى العلاقات الارتقية بالرها منذ دخلها ايلغازى ٥١١هـ حتى ٥١٨هـ (١١١٧ م — ١١٢٤ م) عندما استنجد أهل حلب بالبرسقى وظلت تحت تبعيته وتبعية اولاده الى ان استولى عليها عماد الدين زنكى .

ولكى نستكمل علاقة الرها بالاراتقة ، لابد وان نشير الى اراتقة سروج الذين تناولناهم بالبحث عند دراسة ضم سروج الأرتقية للرها فى عهد اميريها الأولين ، لذا لا داعى لاعادة دراسة ذلك الفرع مرة اخرى .

علاقة الرها باراتقة ماردين :

أما اراتقة ماردين فقد مر بنا أيضا بعد استيلاء بلدوين دى بورج على سروج من بلك الأرتقى ٤٩٤هـ (١١٠٠م) أن هذا الانتصار شجع بلدوين على الاغارة على المنطقة المجاورة لماردين واسر الكثيرين .

فقد ذكر لنا متى الرهاوى انه فى ١١٠٣ — ١١٠٤ م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) « جمع بلدوين دى بورج بعض القوات وقام بحملة عسكرية ضد الأتراك فى اقليم ماردين فأبادهم وأسر أميرهم (٢١٩) » .

---

(٢١٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٧ .

(٢١٧) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ١٣٢ .

(٢١٨) Le Strange : Op. Cit., p. 86.

(٢١٩) Mattieu : Op. Cit., p. 70.

كذلك نستطيع ان نلم بجانب كبير من علاقات الرها بماردين من خلال علاقات الرها بحلب ، لأن حكام ماردين الأراتقة مدوا نفوذهم الى حلب فترة طويلة كما أشرنا (٥١١ ــ ٥١٨هـ / ١١١٧ ــ ١١٢٤م) وبعد ذلك اصبحت العلاقات بين أراتقة ماردين فقط ــ بعد مد ولاة الموصل سلطانهم على حلب ــ وبين الرها .

ففى عهد جوسلين الأول وبالتحديد حوالى ١١٣٠ م (٥٢٥هـ) حدث صدام بين حكام ماردين وامارة الرها (٢٢٠) . وفى بداية حكم جوسلين الثانى استمرت العلاقات العدائية بين الرها واراتقة ماردين اذ حدث ١١٣١م (٥٢٦هـ) « ان طلب احد الأمراء الأراتقة من حسام الدين حاكم ماردين ان يتخلى له عن اقليم شبختان ليحارب الفرنج . فدخل بصورة متتابعة اقليم الرها ونهبه ولكن لحق به حوالى ستمائة فارس فرنجى وقتلوا الف تركى وقبضوا عليه . فأحرقوه على باب الرها . ثم استولى جوسلين على قلعة شبختان ودكها تماماً (٢٢١) » .

علاقة الرها باراتقة ديار بكر :

اما عن اراتقة ديار بكر فيقال انهم كانوا قد تحالفوا مع الأرمن فى الرها ضد السيادة الفرنجية فى البداية المبكرة لامارة الرها الصليبية وذلك ١٠٩٨ م (٢٢٢) (٤٩٢هـ) وهى المؤامرة التى كشف أمرها بلدوين البولونى ونكل بالمشتركين فيها أو المشتبه فيهم .

ولكن يبدو ان هذا الفرع من الاراتقة تحالف مع امراء الرها فى أواخر عمر امارتهم بدليل ما ذكر من انه « فى خريف ١١٤٤م هاجم زنكى قرا ارسلان الأمير الأرتقى لديار بكر ، الذى كان قد تحالف مع جوسلين فسار جوسلين خارج الرها بكل جيشه جنوبا الى الفرات ليحمى حليفه ويقطع بطريقة عملية اتصالات زنكى مع حلب (٢٢٣) » .

---

(٢٢٠) Michel : Op. Cit., p. 246.

(٢٢١) Michel : Ibid., p. 233.

(٢٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, Runciman : Op. Cit., p. 211 عن (Albert).

(٢٢٣) Runciman : Ibid., V. 2, p. 235.

علاقة الرها بآمد :

ولما كانت مدينة آمد تعتبر المدينة الرئيسية فى ديار بكر(٢٢٤) ، لذا رأينا ان نورد علاقتها بالرها فى هذا المكان من البحث . وقد انقسمت علاقتها بالرها خاصة فى عهد جوسلين الأول الى نوعين : علاقات حربية وعلاقات دينية . اما عن الأولى ففى ١١٢٨م (٥٢٢هـ) يشير ميخائيل السريانى الى « أن جوسلين غزا بلاد آمد ونهب الأتراك والأكراد وخرب القرى حتى أبواب المدينة لأن الأتراك غزوا اقليم الرها بينما كان جوسلين فى انطاكية ؛ فلحقت بهم قوات آمد(٢٢٥) » .

اما فى الجانب الدينى فيشير ميخائيل ايضا الى انه فى ١١٢٩ م (٥٢٣هـ) « أثير حاكم ماردين ضد البطريرك اثناسيوس Athanasius بسبب حرمانه لبطريرك آخر اسمه اسحاق ومنعه فى نفس الوقت من الخروج من آمد . وفى الواقع ان حاكم ماردين أرسل اكثر من مرة يطلب السماح عن اسحاق هذا وطلب من البطريرك العفو عن اسحاق فلم يوافق ابدا ثم حرض الأمير على الا يترك البطريرك يخرج من آمد وقيل له : « ان هذا البطريرك رجل مسن وعن قريب سوف يموت هنا وتاخذ انت ثرونه » . ولما بقى البطريرك بآمد — كما لو كان فى سجن — ارسل الى جوسلين حاكم الرها يطلب منه أن يتشفع له لدى امير آمد . وبصورة عاجلة انبأ جوسلين لأمير آمد هذه الكلمات « اذا لم تطلق سراح البطريرك فسأخرب البلاد » . وهكذا سمح الأمير للبطريرك بالرحيل . فخرج من آمد الى الرها ليشكر جوسلين ، ومن هنا صعد الى دير ماربارسوما (Mar Bar Çauma) (٢٢٦) .

ولاستكمال علاقات الرها بالأراتقة نشير الى انه فى ٥٢٣هـ (١١٢٨م) « هزم جوسلين الأول على يد صاحب حصن كيفا (٢٢٧) » . والمرجح انه كان داود بن سقمان الأرتقى(٢٢٨) . لأن المعروف ان حصن كيفا

---

(٢٢٤) Le Strange : Op. Cit., p. 86.
(٢٢٥) Michel : Op. Cit., p. 22.
(٢٢٦) Michel : Ibid., p. 228.
(٢٢٧) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٠ .
(٢٢٨) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٣٤٤ (من ٥٠٢هـ — ٥٣٩ هـ) .

كان احـــدى القلاع الارتقيـــة . كان اول من ملكها منهم سقمان الارتقى نفسه اخو ايلغازى وذلك ٤٩١هـ (٢٢٩) (١٠٩٧م).

والى جانب العلاقات الأرتقيه والسلجوقية بالرها فقد عثرنا على بعض العلاقات بأماكن أخرى تركية ولكن لم يأت ذكرها الا فى سنة واحدة او اثنين ولذا أوردناها فى نهاية الكلام عن العلاقات المسلسلة مع الترك عامة.فمثلا أخرى تركية ولكن لم يـأت ذكرهـا الا فى ســنة واحــدة.او اثنين ولذا أوردناها فى نهاية الكلام عن العلاقات المسلسلة مع الترك عـامة . فمثلا نجد انه كانت للرها علاقة بالعقيليين فى قلعــة جعبر بدات عــدائية ثم تحولت الى علاقــة ودية فى عهد جوســلين الأول امير الرهــا . وربمــا يرجع ذلك الى الدور الذى لعبه دبيس بن صدقة بينهما . « ففى ٤٩٧ هـ (١١٠٣م) اغــار الفرنج من الرهــا على الرقة وقلعــة جعبر فاستاقوا المواشى واسروا من وقع بأيديهم من المسلمين وكانت القلعـــة والرقـــة لســـالم بن مالك ابن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها اليه السـلطان ملكشاه ٤٧٩هـ(٢٣٠) » .

ويشير اسامه بن منقذ الى انه فى عهد جوسلين الأول « اغار جوسلين على الرقـــة والقلعة وأخذ كل ما عليها وسبى وســاق غنائم كثيرة ونزل مقابل القلعة فركب نجم الدولة مالك صاحب القلعة زورقا وعبر الفرات الى جوسلين وكان بينهما معرفــة قديمة(٢٣١) ، ولمـالك عليــه جميل . وظن جوســـلين ان فى الزورق رسولا من مالك فجاءه واحــد من الافرنج وقال « هـــذا مالك فى الزورق » فقـــال « ما هو صحيح » فأشار آخر قـال « قــد نزل مالك من الزورق وهو جاءنى يمشى » . فقام جوسلين والتقاه واكرمه ورد عليه جميع ما كان أخذه من الغنائم والسبى(٢٣٢) » .

---

(٢٢٩) القرماني : اخبار الدول ، ص ٢٧٨

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 451.

(٢٣٠) ابن الأثـير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٠ ؛ ابن الوردى تتمـــة المختصر ، حـ ٨ ص ١٤ ؛ زامبور معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٢٣١) بسبب علاقة دبيس بن صدقة بمالك وتوسط الأخير له عند جوسلين كما سنرى .

(٢٣٢) اسامة بن منقذ : الاعتبــار ،ص ٩٠ .

كذلك اغار جوسلين سنة ٥١٤هـ (١١٢٠م) على العربان والتركمان النازلين بصفين قربقرية جعبر على الفرات « فغنم من اموالهم ومواشيهم شيئا كثيرا »(٢٣٣) .

ومن العلاقات التركية الرهوية ما ذكره ميخائيل السريانى فى ١١٣٤م (٥٢٩هـ) « انه عندما توجه جوسلين للصلاة فى القدس نهب الأتراك بقسوة كل الاقليم وخربوا واحرقوا قرية حسارم(٢٣٤ » .

علاقة الرها ببنى دانشمند :

سبق أن رأينا انه عند قيام امارة الرها الصليبية كان شرق الأناضول تحت حكم امير تركى قوى هو الملك غازى كمشتكين بن الدانشمند حاكم سيواس(٢٣٥) .

حقيقة ان ما عثرنا عليه فى المصادر والمراجع بالنسبة لعلاقة الرها بالأتراك من بنى دانشمند يعتبر بسيطا لكن هذا لا يمنع من الاشارة اليه .

كانت أولى تلك العلاقات واهمها فى المصادر هى علاقة الرها ببنى دانشمند فى سميساط منذ قيام الامارة — كما سبق ان أشرنا(٢٣٦) . يلى ذلك انه عندما اسر الأمير الدانشمندى ، الأمير بوهيموند كان يأمل ايضا ان يأسر الأمير بلدوين البولونى ومما يدل على ذلك ما ذكره (البرت) على لسان ابن الدانشمند عندما قال : « انى آمل فى الحصول على بلدوين ذاته كما حصلت على بوهيموند فى وقت قصير(٢٣٧) .

---

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٢ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٤ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٨ ؛ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٧٦٨ ، الطباخ الحلبى اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٣٥ — ٤٣٦ .

(٢٣٤) Michel : Op. Cit., p. 253.

(٢٣٥) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٢٠ حكم من ٤٧٧ هـ الى ٤٩٥ هـ .

(٢٣٦) انظر ص ٧٤ — ٧٥ .

(٢٣٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII., T. 4, p. 525.

وفى ١١٤١م « توفى غازى الداشنمندى (٢٣٨) فلم يمكن الاحتفاظ بوحدة ارثه اذ استقر لبنه ذى النون فى قيصرية(٢٣٩) واحد اخوة المتوفى المسمى ياغى سيان احتل سيواس كما احتل أحد بنى دانشمند ايضا ملطية وبذلك صارت هناك عندئذ ثلاث امارات لبنى دانشمند هذا الى جانب مسعود السلجوقى فى قونيه والذى اتحد مع ذى النون فى مواجهة امارة الرها(٢٤٠) » .

علاقة الرها ببنى مزيد فى الحلة :

وبالنسبة لعلاقة امارة الرها ببنى مزيد فى الحلة ، فيجدر بنا أن نعطى نبذة عن الحلة وملوكها المعاصرين لامارة الرها الصليبية ثم موقفها من الامارة . والحلة هى مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين (٢٤١) . اختطها الأمير سيف الدولة بن بهاء الدولة الاسدى الناشرى ، صدقه بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد سنة خمس وتسعين واربع مئة(٢٤٢) . . وساعده على ذلك انشغال سلاطين السلاجقة من أولاد ملكشاه ابن الب ارسلان بالخلافات بينهم خاصة بركياروق ومحمد وسنجر(٢٤٣) وكانت اجمة يأوى اليها السباع فنزل بها باهله وعساكره وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة وقد قصدها التجار فصارت افخر بلاد العراق وأحسنها فى حياة

---

(٢٣٨) كما ذكر زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٢٠ هو ابو المظفر محمد بن ناصر الدين بن كمشتكين (توفى ٥٣٧هـ) .

(٢٣٩) تولى ذو النون عماد الدين بن محمد سنة ٥٣٧هـ فى سيواس زامبور : معجم الأنساب حـ ٢ ص ٢٢٠ .

(٢٤٠) Cahen : Op. Cit., p. 365.

(٢٤١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثانى ، طهران ١٩٦٥ (منشورات مكتبه الأسدى رقم ٧ ، ص ٣٣٢ .

(٢٤٢) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١ ، ٢ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ وهنا نجد زامبور يذكر أن سيف الدولة صدقه تولى حكم الحلة من ٤٧٩ الى ٥٠١ هـ (زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٠٧) .

(٢٤٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان (المصدر السابق) ص ٣٣٢. ص ٣٤٥ — ٤٣٦ .

سيف الدولة صدقة فلما قتل بقيت على عمارتها(٢٤٤) . وكانت تسمى ايضا الحلة السيفية (٢٤٥) او الحلة المزيدية (٢٤٦) . كان صدقه هذا يلقب بملك العرب(٢٤٧) . وفى ٥٠١هـ (١١٠٧م) قتل سيف الدولة صدقه(٢٤٨) فملك العرب بعده ابنه نور الدولة ابو الاغر(٢٤٩).

وقد لعب دبيس دورا ايجابيا فى تاييد الفرنج ضد المسلمين وكانت بينه وبين الخلفاء العباسيين فى تلك الفترة خلافات شديدة ، ربما هى التى دفعته الى اتخاذ مثل هذا الموقف وخاصة خلافه مع المسترشد بالله « اذ خرج دبيس عليه اكثر من مرة (٢٥٠) » . وكان ينهب القرى ويزعج البلاد (٢٥١) . وفى ٥١٢هـ (١١١٨م) طلب دبيس من السلطان محمود « أن يرده الى الحلة وغيرها مما كان ابوه يتولاه من الأعمال فاجابه الى ذلك وولاه ما كان ابوه يتولاه من ذلك فعظم ورفع شانه (٢٥٢) » .

والواقع أن اكثر السنوات التى برز فيها التحالف بين الامير دبيس

---

(٢٤٤) ياقوت : المصدر السابق ص ٣٣٢ .

(٢٤٥) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٢ .

(٢٤٦) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ .

(٢٤٧) الذهبى : العبر ، حـ ١ ص ١ ، ٢ ، ٧٨ ، ابن الجوزى بالمنتظم، حـ١٠ ص ١٣٢ .

(٢٤٨) الذهبى : المصدر السابق ص ١ هنا يذكر ابن الفرات تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ١٤ (أ) أنه لما قتل أضاف السلطان محمد مملكته اليه وولاها اصحابه فدخلها الخبط والضياع .

(٢٤٩) ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ٥٢ الذهبى : العبر حـ ٤ ص ٧٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب حـ ١ ص ٥٢ ، زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٠٧ .

(٢٥٠) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٧٨ سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ .

(٢٥١) ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ٥٣ .

(٢٥٢) ابن شاكر الكتبى : عيون التواريخ ميكروفيلم بدار الكتب حـ ١٣ رقم ١٦٧٢ تاريخ ص ٧٩ .

العربى وبين امـــارة الرهـــا هى ١١٢٤ م (٥١٨هـ) اى فى عهد الأمير جوسلين دى كورتنـــاى . اذ يبدو انه تم تحـــالف سرى بين دبيس وبين الفرنـــج بعـــد الصراع الشـــديد بينـــه وبين الخليفـــة المسترشـــد ، ولذا أراد تمرتاش بن ايلغازى حـــاكم حلب ان يأمن جانب دبيس . وكان الملك بلدوين الثـــانى قد انتقل من سجن بلك بعد وفاته الى حلب(٢٥٣) ، وعندئذ بدأت مفاوضات بين الملك بلدوين وبين تمرتاش ، استقر الراى فيها على ان يسلم الملك فى مقابل اطلاق سراحه « الأثارب وزردنا(٢٥٤) وكفر طاب والجزر(٢٥٥) وعزاز وثمانين الف دينار والا يكون له علاقـــة بدبيس(٢٥٦) » .

لذا كاتب دبيس قومـــا من اهل حلب وارســـل اليهم بعض الدنانير « وسامهم تسليمها » فكشف ذلك رئيسها فضـــائل بن صاعد بن بديع فاطلع عليـــه تمرتاش بن ايلغـــازى فاخذهم وعـــذبهم وشنق بعضـــهم وصـــادر بعضـــا وأحرق بعض(٢٥٧) » وبذلك فشلت محـــاولة دبيس هذه فى الاستيلاء على حلب .

---

(٢٥٣) Mattieu : Op. Cit., p. 189, Setton : Op. Cit., V. 1, p: 423.

(٢٥٤) بليدة من نواحى حلب الغربية (يـــاقوت الحموى : معـــجم البلدان حـ ١٠ ص ١٣٦) .

(٢٥٥) كورة من كور حلب (ياقوت حموى : معجم البلدان ، حـ ٦ ص ١٣٣) .

(٢٥٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢١
Setton : Op. Cit., V. 1,p. 452,

هنا يذكر ابن العديم : ان دبيس كان قد وصل منهزما من المسترشد بعد أن كسره وقتل خلقا من عسكره فترك بلاده وحمل ما قدر عليه من العين والعروض على ظهور المطـــايا ووفد على ســـالم بن مالك بن بدرن الى قلعـــة دوبـر واستجار به فأجاره وغاضب المسترشد والسلطان محمود فى أمره » .

(٢٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢١ ـــ ٢٢٢ ؛ الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٥٥ .

ثم كان أن تم اطلاق سراح الملك بلدوين الثاني على الشروط المتفق عليها بعد أن دفع من المبلغ المحدد عليه وهو عشرين الف دينار(٢٥٨) »« وكان القائم بالمفاوضات بين الملك وتمرتاش هو الأمير أبو العساكر سلطان ابن منقذ . وانتقل الملك الى شيزر حتى حضرت رهائن بدله اهمهم ابنته وابن جوسلين وتم اطلاق سراحه يوم الجمعة سابع عشر ، رجب ١٨ه٥ه (٢٥٩) (١١٢٤م) . ولكن بمجرد أن اصبح الملك حرا تنكر للعهد الذى بينه وبين تمرتاش ورفض التنفيذ قائلا « ان للبطريرك الذى لا يمكن خلافه سالنى عما بذلت وما الذى استقر ، فحين سمع حديث عزاز وتسليم حصنها منى ابى ، وامرنى بالدفع عنها وقال ان خطيئتك تلزمنى ولا اقدر على خلافه (٢٦٠) » هنا بدات المفاوضات من جديد ولكن لم تنته الى حل .

ومن هنا بدأ يبرز دور دبيس بن صدقة ملك العرب وأمير الحلة ، فاتصل بالفرنج وقدم لهم خدماته فى مقابل مساعدته هو الآخر فى تحقيق مآربه . وهناك روايتان ، تذكر الأولى أن دبيس « خالط جوسلين وبغدوين وصافاهم وصافوه بواسطة الأمير مالك بن سالم صاحب جعبر واتفق دبيس والفرنج على قواعد تعاهدوا عليها منها أن تكون حلب ادبيس والأموال والأرواح للفرنج (٢٦١) » . أما الرواية الثانية فتذكر « انه لما ملك الفرنج مدينة صور طمعوا وقويت نفوسهم فاكثروا من الجموع ثم وصل اليهم دبيس ابن صدقة صاحب الحلة فاطمعهم طمعا ثانيا لاسيما فى حلب وقال أن أهلها شيعة وهم يميلون الى لأجل المذهب ، فمتى راونى سلموا البلد الى وبذل لهم المساعدة وقال انى اكون ههنا عنكم نائبا ومطيعا (٢٦٢) » . ومهما تختلف الروايات فقد تم بالفعل تحالف بينهم وساروا جميعا الى حلب لحصارها .

---

(٢٥٨) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

(٢٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ح ٢ ص ٢٢٢ .

(٢٦٠) المصدر السابق نفس الصفحة،الطباخ ، ح ١ ص ٤٥٥ — ٤٥٦

(٢٦١) ابن العديم نفس الصفحة ، الطباخ ، ص ٤٥٦ .

(٢٦٢) العينى : عقد الجمان ، ح ١٥م ٤ ص ٨٣٩ ، الغزى : نهر الذهب ، ح ٣ ، ص ٨٦ ، كرد على : خطط الشام ، ح ١ ص٣٠٣ — ٣٠٤

وقــد اشترك فى هــذا الحصــار لمدينة حلب كل من الملك بلدوين الثـانى ملك القدس وجوسلين الأول أمير الرهـا (٢٦٣) . ودبيس ابن صــدقة وســلطان شـاه بن رضوان (٢٦٤) . وكان بصحبـة دبيس عيسى بن ســالم بن مالــك ويفــى ســيان بن عبد الجبــار صـاحب بالس (٢٦٥) ، كمـا يضيف اليهـم متى الرهـاوى ايضـا ســلطان ملطيـة (٢٦٦) .

وحاصر هؤلاء الحلفاء ، الفرنج والعرب الاتراك والمسلمون ، حلب من كافة الجهـات اذ خرج دبيس وجوســلين من تل باشر وقصــدوا ناحية الوداى فأفسدوا الزرع ، ثم رحــلا ونزلا مــع الملك بلــدوين على حلب (٢٦٧) . ثم وصــل اليهم الملك ســلطان شاه بن رضوان . «ونزل بغدوين مقدم الفرنج من الجانب الغربى من حلب فى الحلبة ونزل جوســلين على طريق عزاز وما يجاوره يمنه ويسره ، ونزل دبيس وســلطان شـاه بن رضــوان مما يلى جوســلين من الشرق وفى صحبة دبيس عيسى بن

---

(٢٦٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 141 - 142.

(٢٦٤) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ، ص ٥١ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ٢٢٤ . هنا يشير متى الرهاوى الى دبيس باسم (صدقة — Sadaka, Sale) ابن دبيس ، والواقــع انه ربما خلط بين الأب لابن . ومما يرجح ذلك أن متى نفســه يعرفه بانــه صهر ايلغازى ، وبــذلك يكون دبيس وليس صــدقة . اما ابن ايبك : كنز الدر ، حـ ٦ ، ص ٤٩٤ فيشير الى دبيس خطأ بانــه دبيس البرسقى سيف الدولة . والصحيح ان سيف الدولــة الذى قصــده هو آقسنقر البرسقى وليس دبيس . اما عن ســلطان شــاه فيذكر متى انه الابن الأصغر للســلطان تتش ، ولكنه فى الحقيقة حفيده وابن رضوان بن تتش .
(Mattieu : Op. Cit., p. 142).

(٢٦٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٤
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 452,

(٢٦٦) Mattieu : Op. Cit., p. 142,
وهو هنا كما سبق ان اشرنا أما عرب او طغرل ارســلان بن قلج ارســلان .

(٢٦٧) ابن العــديم : زبــدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٨ — ٢١٩ .

ســالم بن مالك . ونزل يغى سيان بن عبد الجبــار بن ارتق صــاحب بالسن مما يلى دبيس من الشرق (٢٦٨) » .

وبعــد أن قاسى اهــالى حلب كثيرا من قلــة الأرزاق ومن كثرة الهجمات (٢٦٩) . كما سبق أن شرحنا ـــ التجأوا الى آقسنقر البرسقى أمير الموصل يتوســلون اليه أن يحضر لنجدتهم (٢٧٠) . ولكن البرسقى كان مريضــا لا يستطيع الحركة لشــدة ضعفه ومنع الدخول اليه فوصل الى دبيس من أخبره بذلك « فضرب البشـــارة فى عســكره وارتفع عنده التكبير والتهليل ونادى بعض أصحابه فى اهل حلب ، قــد ملت من أملتم نصره (٢٧١) » . ولكن البرسقى سرعان ما شفى فتوجه الى حلب فلما اقترب منها ارسل اليهم يقول « اننى لا أقــدر على الوصـــول اليكم والفرنج يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابى وصــار أصحابى فيها فاجبوه الى ذلك (٢٧٢) » . عندئذ وصــل الى حلب فرحل الفرنج عنهـا بدون أى خســائر (٢٧٣) . واراد جنده أن يتعقبوهم فرفض ذلك (٢٧٤) .

---

(٢٦٨) ابن العديم : المصدر الســابق ص ٢٢٤ الطبــاخ الحلبى : حـ ١ ص ٤٥٦ .

(٢٦٩) Mattieu : Op. Cit., p. 142,

سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١

(٢٧٠) Mattieu : Ibid., p. 142,

ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٧

(٢٧١) الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٨ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣١٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ .

(٢٧٣) Mattieu : Op. Cit., p. 142, Grousset : Hist. des Crois V. 2 p. 877 عن (L'Anonyme).

(٢٧٤) هنا يذكر ابن الأثير : الكــامل ، حـ ٨ ص ٣١٧ أن البرسقى منعهم بنفســه وقال « قــد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحــة تركهم حتى يتقرر أمر حلب وتصــلح حالهــا وتكثر ذخائرهــا ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم » .

=

وبعــد انسحاب دبيس عن حلب اتجــه الى الموصــل فخربهــا وخرب كل الاقاليم التــابعة للبرسقى (٢٧٥) .

والراجح ان دبيس ظل بعــد تلك الهزيمة على موقفــه العــدائى من الخلافــة والمسلمين آملا ان يجد الفرصــة مرة أخرى كى يجــد فى الفرنج سندا له . والدليل على ذلك ما ذكره ابن العديم ٥٢٥هـ ١١٣٠م من « ان دبيس وصــل منهزما من المسترشــد وخفى خبره فترة ثم ظهر بعــد مدة انه وصــل الى قلعة جعبر ، وأودع ابن الســلطان عند مالك صــاحبها ، وســار الى جوســلين واســتند الى الفرنــج فلم ير مــا يعجبــه (٢٧٦) » .

وفى ٥٢٩هـ ١١٣٤م قتل دبيس بن صــدقة وقيل أن السلطان ميسعود هو الذي قتله بعد مقتل المسترشــد بثمانيــة وعشرين يوما (٢٧٧) . وهكذا استراح المسلمون من هذا الأمير العربى الخائن للقضية الاسلامية فى ذلك الوقت ، والذى لم يكن يعنيه الا المنفعة الشخصية فقط .

ولاستكمال علاقات الرهــا بالمسلمين عامة يجــدر بنا الاشــارة الى علاقــة الرهــا بالقبائل العربية القريبة من دمشق الى جانب علاقتها ببيروت .

اما ســبط بن العجمى : كنوز الــذهب ، جـ ١ ص ٥١ ، العينى : عقــد الجمان ، جـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ ـ ٨٤٠ ، فيذكر أن سبب عــدم تعقبه لهم أنه « عندما طلب منه ابو الفضــل بن الخشــاب أن يتعقبهم قائلا : لوسقت خلفهم لاخذناهم باسرهم فانهم منهزمون فقال له : تعلم ان فى بلدكم ما يقوم بكم وبعسكرى لو قدر والعياذ بالله علينا كسرة .

فقــال : لا فقال : وما يؤمننا انهم لو كسرونا ودخلنا البلد وتوا علينا ما نفعنا انفسنا ولكن الله تعالى قد دفــع شرهم » .

(٢٧٥) Mattieu : Op. Cit., p. 142.

(٢٧٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٢٧٧) التاريخ المظفرى : ميكروفيلم حوادث ٥٢٩هـ . ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ١٠ ص ٥٢ ، ٥٣ ، الذهبى : العبر ، جـ ٤ ص ٧٨ . ويذكر زامبور : معجم الأنســاب جـ ٢ ص ٢٠٨ ان مقتل نور الدولة دبيس كان فى ذى الحجة ٥٢٩هـ .

ففى ٥١٣هـ ١١١٩م سار جوسلين فى مائتى فارس فكبس طائفة من طى يعرفون ببنى خالد — وهم بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية ٢٧٨ — فأغار عليهم وغنم أموالهم (٢٧٩) ، وسالهم عن بقية قومهم من بنى ربيعة فأخبروه أنهم بوادى السلالة بين دمشق وطبرية فاسرع اليهم بقوة مكونة من خمسين فارسا كما سير اليهم قوة أخرى مكونة من مائة وخمسين فارسا وتواعدوا على كبس بنى ربيعة . وعندما علم بنو ربيعة بذلك ارادوا الرحيل ، لكن اميرهم مر بن ربيعة منعهم . وكان عدد بنى ربيعة مائة وخمسين ، فلما وصل المائة وخمسين فارسا الفرنجيا دارت معركة بين الجانبين . « فظهرت من أمير بنى ربيعة شجاعة وحسن تدبير وجودة راى (٢٨٠) » . فقتل من الفرنج سبعين وأسر اثنا عشر من مقدميهم فبذل كل منهم فى فداء نفسه « مالا جزيلا وعدة من الأسرى » أما جوسلين فانه ضل فى الطريق وبلغه خبر الموقعة فاتجه الى طرابلس فجمع جيشا ورحل الى عسقلان فهزمه المسلمون هناك وعاد مفلولا (٢٨١) .

أما عن علاقة الرها ببيروت فما عثرنا عليه فى المصادر يتركز فى فترة حكم بلدوين دى بورج امير الرها الثانى .

وفى ذلك الوقت كانت بيروت تابعة للفاطميين فى مصر بعد زوال معظم ملكهم فى الشام ، ولم يبق لهم السيادة الا على بعض الثغور البحرية التى منها بيروت . ففى ٤٩٥هـ (١١٠١م) « وصل قمص

---

(٢٧٨) القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب ، ص ٢٤٢ وهم بنو خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٢٧٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨٩ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩٨ .

(٢٨٠) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٧٥٣ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣١ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٥ .

(٢٨١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ٢٨٩ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩٨ .

«الرهـا مقـدم الفرنج فى عسكره الى ثغر بيروت فنزل طامعـا فى افتتاحه وحاربه وضايقه وطال مقامه عليه ولم يتهيأ فيه مراد فرحل عنه (٢٨٢) ».

وفى ٥٠٣هـ (١١١٠م) سـار جوسـلين صاحب تل باشر والتـابع الأول لبلدوين دى بورج الى بيروت « لمعاونة النازلين عليـه من الافرنج ويستنجد بهم على عسـكر مودود النازلين على الرهـا وفى شوال من السنة سقطت بيروت فى يـد الفرنج (٢٨٣) » . وقـد ذكر متى الرهاوى « ان جوسـلين سـاعد فى الاستيلاء على المدينـة وابدى شجاعة كبيرة فى ذلك (٢٨٤) » .

بهـذا امكننا اعطاء صورة مفصـلة عن علاقة امارة الرهـا الصليبية بالقوى الاسلامية بقدر ما أسعفتنا به المصادر الأصلية والمراجع المختلفة .

ثانيا : علاقتها بالامارات الصليبية فى بلاد الشـام :

نقصـد هنـا بالامارات الصليبية فى بلاد الشـام ، بيت المقـدس وانطاكية وطرابلس . وسنبدأ أولا بدراسـة علاقات امارة الرهـا مع الصليبيين عامـة قبل تأسيس الامارات الثلاث ثم نتلوها بالعلاقة مـع بيت المقـدس باعتبارها كانت أبرز الوحدات الصليبية فى الشرق بل كانت تمثل القيادة العليا بالنسبة لبقية الامارات ثم نتبعهـا بامارة انطاكيـة القريبة من امارة الرهـا والتى كانت على صلة دائمـة بهـا سواء ودية او عدائية ونتلوها اخيرا بتناول علاقة الرهـا بامارة طرابلس ، وهى كما سنرى لم تكن كبيرة .

اما عن علاقة الرها بالصليبيين فى الدور الأول ، فيلاحظ انه ما كاد يتم قيام امارة الرهـا الصليبية ، حتى شـارك بلدوين البولونى بنفسـه فى الحصـار الذى فرضـه الصليبيون على انطاكية فاشـارت المصـادر اللاتينية الى انه « غادر الرهـا بعد شهرين فقط من تبنى ثوروس لـه

---

(٢٨٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٤٠ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ; مخطوط رقم ٤٢ تاريخ حوادث (٣٠١ — ٥٠٠هـ) ص ٢٧٦ .
Gibb : Op. Cit., p.p. 54 - 55,

(٢٨٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٧ .

(٢٨٤) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

الى انطاكيـة (٢٨٥) » . ويؤكـد مشـاركة بلدوين للسليبيين فى تلك المهمة ماذكرته المصـادر الاسلامية ايضـا من انه كان يوجـد فى انطاكية فى ذلك الوقت « الملك بردويل وصنجيل وكنـدفرى والقمص صـاحب الرهـا وبيمند صـاحب انطاكية (٢٨٦) » . والواقـع اننا لا نعرف من المقصود (بالملك بلدوين هنا) حيث انه لم يكن هناك ملكا للصليبيين عندئذ وكان بلدوين البولونى كما راينا أميرا للرها فقط كذلك (بيموند او بوهيموند لم يكن قـد أصبح (صـاحب انطاكية) حتى ذلك الوقت . ولعل المصادر العربية تشير اليهما بحكم ما اصبحا عليه بعد ذلك لابحكم ما كانا عليـه فعلا عندئذ وقت حصـار انطاكية .

والراجح ان بلدوين لم يلبث أن عـاد الى الرهـا للأهتمام بامارتـه الجديدة وحمايتها مما احاط بهـا من أخطار فضلا عن الاحتفاظ للصليبيين عامـة بركيزة اولى فى المشرق الاسلامى . ولكن بلدوين حرص فى الوقت نفسـه على الا يفقـد الارتباط بينه وبين بقيـة الصليبيين المحـاصرين الانطاكية فكان يتلقف أخبارهم ويتابع المصـاعب التى واجهوها وخاصـة فى الميرة والمؤن (٢٨٧) . ويقال أن بلـدوين أسرع بارسـال الكثير من المؤن اليهم (٢٨٨) . كما أرسل أيضـا « كميات كبيرة من الذهب والفضة والملابس الحريرية والخيول الممتازة ذات القيمة العاليـة الى أخيه الدوق جودفرى والى زوبرت فلاندر وروبرت النورماندى وغيرهم من الأمراء (٢٨٩) » . ويبدو أن تلك الهبات كانت كثيرة جـدا مما اكسبه حب الجميع (٢٩٠) .

---

(٢٨٥) Baldrici Episcopi Dolensis : Historia ... T 4, p. 81

(٢٨٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ١٨٧ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥ م ٣ ص ٥٠٣ .

(٢٨٧) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 237 - 238.

(٢٨٨) Archer : Op. Cit., p. 63, Cahen : Op. Cit., p. 213.

(٢٨٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber IV, T. 4, p. 395, William : Op. Cit., V. 1, p. 238.

هنـا يضيف (ميشو) الى قائمـة الصـليبيين امراء (شـارترس وبلوا (Chartres, Blois ويذكر ان بلدوين نسى عن قصـد ان يقدم شيئا من العون لبوهيموند .

(Michaud ; Op. Cit., V. 1, p. 287).

(٢٩٠) Alberti Aquensis : Op. Cit., p. 395.

وفى تلك الرحلة يعطينا وليم الصورى أول صورة للانقسام بين المسلمين بسبب تباين المصالح الفردية فدب الخلاف بين رضوان امير حلب وبين حاكم مدينة عزاز (٢٩١) . واستنجد الأخير بجودفرى أخي بلدوين الذى طلب من أخيه المشاركة معه بجيشه لنجدة ذلك الصديق المسلم . وكان أن تم ذلك ثم عاد بلدوين الى الرها وجودفرى الى انطاكية (٢٩٢) .

ويهمنا انه فى خلال تلك الحملة ، قام بلدوين بدعوة أخيه جودفرى لزيارة الرها – كما سبق أن أشرنا – وكان الدافع الأول لجودفرى على الموافقة على تلك الدعوة هو « استمرار الوباء بأنطاكية بصورة مثيرة واستمرار ارتفاع الموت الجماعى بين الناس (٢٩٣) » . وصحب جودفرى معه الى الرها حاشيته وعددا كبيرا من الناس المحتاجين ليمدهم بحاجاتهم الضرورية (٢٩٤) ، وهؤلاء حصل بعضهم على اقطاعات بالرها واستقروا فيها (٢٩٥) . فى حين عاد البعض الآخر إلى إخوانهم الصليبيين فى انطاكية بعد أن أغدق عليهم بلدوين الكثير من الهبات (٢٩٦) .

ثم كان أن استولى الصليبيون على بيت المقدس ومن ثم بدأت علاقات مباشرة بين امارة الرها من ناحية وبيت المقدس الصليبية من ناحية أخرى

ويتبلور جزء من هذه العلاقات فى الزيارة التى قام بها بلدوين امير

---

(٢٩١) William : Op. Cit., V. 1, p. 301.

(٢٩٢) William : Ibid., V. 1, p.p. 301,-304.

(٢٩٣) William : Ibid, V. 1, p. 304.

(٢٩٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber V. T. 4, p. 435, William : Op. Cit., V. 1, p. 304

(٢٩٥) Chalandon : Hist. de la Première Crois., p. 234.

(٢٩٦) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 304-305.

الرهـــا بوهيموند امير انطاكية لبيت المقدس ١١٠٠م (٢٩٧) ، (٤٩٤هـ) ويبدو أن بلدوين وبوهيموند صادفا متاعب جمة خلال رحلتهما الى المدينة المقدســـة حتى وصــــلا ســـالمين (٢٩٨) ، وعندئذ استقبلهم جودفرى وتنكريد واتباعهم بفرحة عظيمة (٢٩٩) . ثم زاروا الأماكن المقدســـة فى القدس فى الوقت الذى كانت المدينـــة تفوح منها رائحـــة جيف المسلمين الـــذين ســــقطوا قتلى بحراب الصـــليبيين عنـــد اســـتيلائهم على بيت المقدس (٣٠٠) .

هـــذا الى ان بلدوين امير الرها شـــارك فى اختيار دايمبرت بطريركا على بيت المقـــدس (٣٠١) ، وان كانت المصـــادر المعاصرة لا تشير الى أن دايمبرت اعطى تفويضـــا بحكم امارة الرهـــا لبلدوين اسوة بالتفويض الذى حصـــل عليه جودفرى وبوهيموند (٣٠٢) . وربما يرجع ذلك الى ما كان هناك من خلافات بين بلدوين ودايمبرت .

واخيرا عزم كـــل من بلـــدوين وبوهيموند على الرحيل والعودة فتم توديعهما « فى فرح شامل وسعادة واشترك فى التوديـــع رجـــال الدين وجمهور القـــادة وجودفرى نفســـه بل انهم صاحبوهم الى نهر الأردن ،

---

(٢٩٧) تذكر المصـــادر اللاتينية المعاصرة ان الرحلة بدأت فى نوفمبر ١٠٩٩م وكـــان الوصـــول الى بيـــت المقـــدس فى مـــارس ١١٠٠م .
Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 366.
Gesta Tancrédi : Op. Cit., T. 3, p. 704.
اما المراجع الافرنجيـــة الحديثـــة فتشير الى ان تلك الزيـــارة كانت فى ديسمبر ١٠٩٩م .
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 261, Zoé : p 177.
والراجح هو ما ذكرته المصـــادر اللاتينية ، خاصـــة وأن المؤرخ فولشر كان مصـــاحبا لبلدوين فى تلك الرحلة .

(٢٩٨) Fulcherii : Ibid., T. 3, p.p. 365 - 366.

(٢٩٩) Zoé : Op. Cit., p. 178.

(٣٠٠) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 366.

(٣٠١) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII. T. 4, p. 512.

(٣٠٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 403.

وهناك اغتسلوا جميعا فى النهر لينتعشوا ا ثم افترقوا (٣٠٣) » . وبذلك عاد بلدوين الى الرهـا وعاد بوهيموند الى انطاكية (٣٠٤) .

ثم كان ما سبق أن ذكرناه من وفاة جودفرى حـاكم بيت المقـدس ، وحلول أخيه بلدوين محله ليتوج ملكا على المدينـة المقدسـة باسم الملك .

ومن الطبيعى ان تكون العلاقات قوية بين مملكة بيت المقـدس فى عهد ملكها بلدوين الأول وبين امارة الرهـا بحكم ما بين بلدوين والرهـا من علاقات سـابقة ، وتتضـح هـذه العلاقة عندما اسر أمير الرها بلدوين دى بورج اذ يقال ان جكرمش ارسـل الى تنكريد يعرض عليـه اطلاق سراح الأمير بلدوين مقابل اطلاق سراح اميرة سلجوقية نبيلة كانت لديه أو ان يدفـع مقابل اطلاق سراحها خمسـة عشر الف بيزانت (٣٠٥) . هنا اسرع ملك القـدس بلدوين الأول بالكتابة الى بوهيموند أن يسـلم الأميرة ولا يفوت فرصـة اطلاق سراح بلدوين ، لكن امير انطاكية كان يفضـل ان يظل الأمير بلدوين فى الحبس (٣٠٦) ؛ وسوف نتناول موقف انطاكية بالتفصيل من هـذا الموضوع عند تناول علاقتها بالرهـا .

وعندما اطلق سراح بلدوين ـــ كما سبق أن اوضحنا ـــ واحتدم النزاع بين الرهـا وانطاكية لم تدخل انطاكية ضمن نطـاق النفوذ الاقطـاعى لملك بيت المقـدس وانما كانت الرهـا هى التى تتبعه فقط » لذا احضر تنكريد امام مجلس البارونات واجبر سريعا على الصلح مع بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى ولم يقف الأمر فقط عند حـد اعلانه الولاء للملك القـدس ، بل اجبر على الركوع أمامه (٣٠٧) » . وبفضل تدخل الملك

---

(٣٠٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 512.

(٣٠٤) Alberti Aquensis : Ibid., p. 512, Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 704, William : Op. Cit., V. 1, p. 403.

(٣٠٥) Alberti : Ibid. Liber IX, T. 4, p. 619. كانت تلك الأميرة قـد اسرها تنكريد اثنـاء تتبعـه لجكرمش عند حصـار الأخير للرهـا بعـد حران .

(Zoe : Op. Cit., p. 215.)

(٣٠٦) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 45.

(٣٠٧) Zoé : Op. Cit., p. 241.

بلدوين عندئذ تم الصلح بين انطاكية والرهـا من ناحيـة وبين طرابلس وانطاكية من ناحية اخرى (٣٠٨) . اما عن الرهـا « فقد حصل الملك من تنكريد على تنـازل بدون مقابل عن كل ما وضـع يـده عليـه من امارة الرهـا (٣٠٩) » .

وعندما هاجم مودود الرهـا ١١١٠م (٥٠٤هـ) وهددهـا الجيش السلجوقي التركي الاسلامي ، خـاف بلدوين دى بورج من تكتل القوى الاسـلامية وفى المشرق ضـده واسرع بالاستنجاد بالملك بلدوين الاول، فأرسل اليه جوسلين دى كورتناى ليطلب منه المساعدة العاجلة (٣١٠) .

وكـان الملك بلـدوين فى ذلك الوقت يحاصر بيروت كمـا مر بنا . فلم يستطع أن يتوجـه الى الرهـا الا بعد انتهاء حصـار بيروت وخاصـة وان المدينة كانت عندئذ على وشـك السقوط (٣١١) . وبعـد أن تم الاستيلاء على بيروت عاد بلدوين وحشـه الى بيت المقـدس (٣١٢) .

---

(٣٠٨) Cahen : Op. Cit., p. 251.

(٣٠٩) Cahen : Ibid., p. 251.

اما (سيتون) فيذكر ان ذلك كان فى مقابل ممتلكات اخرى فقد قال « انه من اعظم منجزات الملك بلدوين الاول انه جعل تنكريد يتخلى عن ادعائه فى الرها وان يعترف باعادة بلدوين دى بورج قريب الملك اليها . وفى مقابل ذلك منح الملك بلدوين لتنكريد اقطاعات طبريـة ، الناصرية وحيفا واصبح تنكريد تابعا رسميا لبلدوين بسبب تلك الاقطاعات » .

(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 398)

(٣١٠) Mattieu : Op. Cit., p. 91, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449, L'Epopée, p. 87, Archer : Op. Cit., p. 147.

(٣١١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 451, Archer : Op. Cit., p. 147,

سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧ (عن صالح بن يحى : تاريخ بيروت)

(٣١٢) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Alberti Aquensis : Historiae Liber XI,. T. 4, p. 671.

ليعطي الصليبيين فيها فكرة عن خطورة وضـــع الرهـــا (٣١٣) ، ويطلب منهم المســـاعدة (٣١٤) .

وبالفعل جمـــع قواته ولنضمت اليها قوات طرابلس وتوجـــه مـــع جوسلين الى الرهـــا وبصحبتهم بعض القوات الأرمينية (٣١٥) . وكان ذلك فى بداية يونية (٣١٦) . أو فى منتصف مايو (٣١٧) .

والواقـــع أن الملك بلدوين استطاع أن يجمع جيشـــا ضخما بلـــغ عـــدده حوالى خمســـة عشر ألفا (٣١٨) ، ولم يلبث أن انضم تنكريد الى ذلك الحلف الفرنجى (٣١٩) . بعـــد أن أرســـل اليه الملك يدعوه أن يتصـــل ببقية الفرنج وتصفية ما بينهم من خلافات (٣٢٠) . ولعل هـــذا ما دفـــع بعض المؤرخين الى القول « بأن ســـنة ١١١٠م شهدت وحـــدة صليبية بين اماراتهم فى الشـــام (٣٢١) » .

وكانت فرحة بلدوين دى بورج عظيمة عند رؤية الجيوش الصليبية وعلى رأســـها الملك بلدوين وقد أتت لنجدته (٣٢٢) . وقد سبق أن ذكرنا

---

(٣١٣) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

(٣١٤) Alberti : Op. Cit., Liber XI, T. 4, p. 671,
سيأتى التفصيل فى الملاحق

(٣١٥) Mattiue : Op. Cit., p. 92, Zoé : Op. Cit., p. 242,
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 451 عن (Albert),
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٧،
Cahen. : p. 257, Archer : p. 148

(٣١٦) Cahen : Ibid., p. 257.

(٣١٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(٣١٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452 عن (Albert),
L Epopée, p. 87.

(٣١٩) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Alberti : Op. Cit.,
Liber XI ... T. 4, p. 672, Jean Richard : Op. Cit., p. 42.

(٣٢٠) Alberti : Ibid., p. 672, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399,

(٣٢١) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

(٣٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452 عن (Albert),
'L'Epopée, p. 87.

احداث تلك الحملة عند كلامنا عن العلاقات بالموصل ، ولكن ما نود الاشارة اليه هنا هو ان ملك بيت المقدس ظل يقود حركة المقاومة الصليبية من الرها حتى جاءته بعض الأخبار بأن الفاطميين انتهزوا فرصة غيابه وهاجموا ممتلكاته مما جعله يعجل بالعودة الى القدس (٣٢٣) .

وفى سنة ١١١٣م (٥٠٧هـ) مر بنا كيف وقع الخلاف بين بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى وطرد الأخير من الرها وتوجه الى القدس فاقطعه الملك بلدوين الأول طبرية والجليل ليستفيد من خبراته العسكرية فى محاربة المسلمين .

وكانت أول تجربة مر بها جوسلين وهو فى القدس هى موقعة طبرية (ثالث عشر محرم ٥٠٧هـ) (٣٢٤) . (١١١٣م) بين الفرنج والمسلمين وهى الموقعة التى ذكر ابن الفرات ان الجيش الفرنجى فيها كان بقيادة ملك بيت المقدس ومعه جوسلين فضلا عن أمير انطاكية روجر (٣٢٥) . وفى تلك الموقعة حلت الهزيمة بالصليبيين « واسر ملكهم بغدوين واخذ سلاحه لكنه افلت من الأسر وغرق من الفرنج خلق كثير فى بحيرة طبرية واختلط الدم بالماء حتى امتنع الناس من شربه الماء ايام (٣٢٦) » . وتؤيد بعض المصادر الاسلامية الاخرى (٣٢٧) . رأى ابن الفرات فى ان بلدوين دى بورج لم يشارك فى تلك المعركة ، وربما شغلته أمور امارته واخطار الترك المتحفزين للانقضاض عليها واخذها ، من المشاركة فى ذلك . ويخرج عن هذا الرأى اسامة

---

(٣٢٣) Zoe : Op. Cit., p. 242, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 458, سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٨

(٣٢٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ١ ص ٦٧ (أ) ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٦ أما ابن خلدون فيخطىء فى ذكر التاريخ حيث يقول ان ذلك كان فى منتصف المحرم ٥١٠هـ .

(٣٢٥) يسميه ابن الفرات المصدر السابق ص ٦٧ (أ) (سروجال) .

(٣٢٦) ابن الفرات : المصدر السابق ، ص ٦٧ (ب) ، ٦٨ (أ) .

(٣٢٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٦ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٦٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ .

بن منقذ وحده ينفرد بالقول بأن حاكم الرها شارك فى تلك المعركة (٣٢٨) .
ومن الواضح أن أسامة أخطأ فى اعتبار جوسلين حاكم الرها وقتذاك .

ثم تعاقب الأحداث ومات الملك بلدوين الأول كما مر بنا ١١١٨م وتولى مكانه بلدوين دى بورج أمير الرها بفضل موقف جوسلين دى كورتناى الذى تولى حكم الرها . ويعلق جروسية على وضع الرها وعلاقتها ببيت المقدس فى تلك المرحلة فيقول : « كانت امارة الرها فى اول الامر مستقلة تماما عن القدس واتصلت اول مرة بمملكة بيت المقدس عندما اصبح بلدوين الأول ملكا فاقطع بلدوين دى بورج الرها ، ثم ازداد ذلك الاتصال قوة عندما اختير بلدوين الثانى (دى بورج) ملكا على بيت المقدس ، فاقطع الرها لجوسلين (٣٢٩) » .

ثم كان أن توجه ايلغازى لمهاجمة الفرنج فى زردنا ، فاجتمع الملك بلدوين مع جوسلين امير الرها وبعض البارزين من امراء انطاكية لصده ، على انه لم يحدث اشتباك مع المسلمين عندئذ بسبب مرض ايلغازى وحمله الى حلب حيث توفى (٣٣٠) .

وعندما وقع جوسلين فى اسر بلك الأرتقى ١٣ سبتمبر ١١٢٢م (٣٣١) .
(٥١٦هـ) غدت امارة الرها فى وضع قلق مما جعل ملك بيت المقدس يضعها تحت قيادة حامية بامرة جيوفرى الراهب ، حاكم مرعش حتى يتكشف امر جوسلين . وهكذا ادت جهود الملك بلدوين ونائبه جيوفرى الراهب الى المحافظة على امارة الرها ، وقام الملك بعدة اجراءات ادارية وسياسية وعسكرية ، توجت بالمعاهدة بينه وبين سليمان بن عبد الجبار حاكم حلب فى ٩ ابريل ١١٢٣م (٣٣٢) . ومن هذا يبدو ان الملك بلدوين الثانى تحمل عبئا جسيما فى ذلك الوقت بسبب الأوضاع الصليبيةالعامة التى غدا فيها الصليبيون ، بعد مقتل روجر حاكم

---

(٣٢٨) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١١٤ .
(٣٢٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 538.
(٣٣٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 537.
(٣٣١) Mihel : Op. Cit., p. 210, William : Ibid., V. 1. p. 540.
(٣٣٢) Setton : Op. Cit., V .1, p. 419.

انطاكية قبل ذلك بثلاثة سنوات ثم اسر جوسلين ، فضلا عن ان مملكة بيت المقدس ذاتها احاطت بها المخاطر كما بينا من قبل . وحسب الملك بلدوين انه قام بوصايتين في وقت واحد على الرها وانطاكية (٣٣٣) .

وهكذا حتى كان اسر ملك بيت المقدس نفسه — كما مر بنا — ١١٢٣م . وذكر البعض ان اسره كان اثناء توجهه ليرفع حصار بلك عن قلعة كركر (٣٣٤) . في حين ذكر البعض الاخر انه توجه ضد بلك للانتقام من اسر جوسلين ، فاسر (٣٣٥) . اما وليم الصوري فيذكر ان اسره كان نتيجة لاهمال حراس الملك نفسه اثناء تجوله في بلاد جوسلين للاطمئنان على سير الأمور فيها « فقد تقدم الملك الى ارض امير الرها ، وتمنى أن يقدم بعض العون لأولئك الناس الذين حرموا من زعيمهم . وبينما كان يتجول ، يستقصي الأحوال بعناية فائقة . ويشرف بدقة على تحصين القلاع تحصينا طيبا وعلى اعداد الفرسان والمشاه والامدادات الوافرة من الأسلحة والمؤن . . . اذ هاجمه بلك فجأة في غفلة حراسة (٣٣٦) » .

وهكذا خلت ثلاث امارات صليبية هي انطاكية والرها وبيت المقدس من حماتها الذايين عن بيضتها (٣٣٧) .

وقد رأينا كيف بذل الارمن سواء في داخل خرتبرت او خارجها أو من اهل الرها نفسها اقصى ما في وسعهم حتى اطلقوا سراح جوسلين ، الذى اخذ على عاتقه اطلاق سراح الملك .

كان جوسلين عند وصوله الى الرها « مثقلا بالمهمة التي عهدت اليه (٣٣٨) » ، فلم يتمكن من الاقامة في الرها مدة طويلة (٣٣٩)

---

(٣٣٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥١١ .

(٣٣٤) ابن الأثير : الكامل : حـ ٨ ص ٣١٣

عن (L'Anonyme) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 872

(٣٣٥) Mattieu : Op. Cit., p. 133.

(٣٣٦) William : Op. Cit., V. p. 540.

(٣٣٧) حسن حبشي : نور الدين والصليبيين ، ص ٢٠ .

(٣٣٨) William : Ibid., p. 544

(٣٣٩) Fulcherii : Op. Cit., ... T. 3, p. 456.

لذلك رحل الى انطاكية ولكنه لم يجد فيها القوات الكافية لتحرير الملك فاتجه وفقـا لنصيحـة البطريرك برنارد الى القـدس (٣٤٠) . « حيث شرح البطريرك ولامراء المملكة ظروف الكارثـة التى لحقت بالملك وروى كل التفاصيل الخاصـة بالحـادث ورجاهم أن يرسلوا نجـدة فى الحال لان وضـع الملك محفوف بالمخاطر ، لا يسمح باى تباطىء (٣٤١) » .

ونتيجة لتوسـلات جوسلين « اجتمع كل اهالى المملكة كرجل واحـد وحملوا صليب الصلبوت معهم ، وبدأوا الرحيل فى الحـال ثم انهم حملوا من المـدن التى مروا بهـا على تعـزيزات سما زاد من اعـدادهم حتى وصلوا الى انطاكيـة وهناك انضمت اليهم جموع غفيرة وسـاروا تحت قيادة جوسلين الى تل باشر (٣٤٢) » .

اما عن الملك بلـدوين الثـانى فقـد ظل فى حبس بلك بحران حتى توفى بلك فى موقعـة منبج ١١٢٤م (٥١٨هـ) كما مر بنا فنقل الجـيع الى حلب (٣٤٣) ، التى كان يحكمها آنذاك تمرتاش بن ايلغازى . ومع ذلك لم تتوقف جهود الامير جوسلين من اجل تخليص الملك من الحبس ، من ذلك أنه تم ١١٢٤م الاتفـاق بينه وبين الملكة زوجـة بلدوين الثـانى من ناحية وبين تمرتاش من ناحية اخرى على فداء الملك مقابل مبلغ كبير من المـال ،

---

(٣٤٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 544, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٣٤١) William : Ibid, p. 545.
وهنـا يـذكر جروسـيه أن بطـريرك القـدس فى ذلـك الـوقت كان Gormond de Picquigny (Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 592)
وكان القائم بالوصـاية على القـدس هو الكنـستابل ابو سـتاس جزنيـة
Cahen : Op. Cit., p. 298.

(٣٤٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 545, Zoé : Op. Cit., p. 298, Cahen : Op. Cit., p. 297, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٣٤٣) Mattieu : Op. Cit., p. 139.

على ان يقدموا رهائن ابنه الملك وابن جوسلين ، ومعهما خمســـة عشر شخصـــا من كبار القوم (٣٤٤) .

وكان ان تم اطلاق سراح الملك بلدوين الثـــانى بعد ان دفـــع عشرين الف دينار (٣٤٥) . ويعلق متى الرهـــاوى على اطلاق سراح الملك بان الفضـــل فيه يرجع الى جهود جوسلين (٣٤٦) .

وقـــد برزت جهود الملك بلدوين الثـــانى فى مســـاعدة امارة الرهـــا بعد اطلاق ســـراحـــه عندمـــا حـــاصر البرسقى عـــزاز التابعـــة للرهـــا ١١٢٥م ـــ ٥١٩هـ وقـــد أوضح متى الرهـــاوى ذلك بالتفصيل (٣٤٧) . وفى ١١٢٦م (٥٢٠هـ) هاجم البرســـقى الأثـــارب فتوجـــه لملاقاتـــه ملك بيت المقـــدس وجوسلين دى كورتناى ثم تم الصلح بينهما ، كما سبق أن بينا فى علاقة الرهـــا بحلب .

والواقـــع ان امارة الرهـــا شـــاركت بمجهودات واسعة فى مساعدة التوســـع الفرنجى الذى قاده ملك القـــدس ١١٢٦م على حساب المسلمين وخاصـــة على حســـاب اتابكة دمشق (٣٤٨) .

وفى ١١٢٧م (٥٢١هـ) تدخل ملك بيت القـــدس بين كل من جوسـلين الأول وبوهيموند الثـــانى أمير أنطاكية والتى خلافا نشـــأ بينهما (٣٤٩) ، كما سنرى بعد ذلك . وفى ١١٢٨م (٥٢٢هـ) (٣٥٠) ، توفى طغتكين حاكم دمشق وخلفه ابنه بورى الـــذى نكل بالباطنية فى دمشـــق ، لذا خـــاف الباطنية فى بانياس على انفسهم وسلموها للفرنج (٣٥١) . عندئذ تحركت

---

(٣٤٤) وابن جوسلين هنا هو جوسلين الثانى. Mattieu : Ibid, p. 139. (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428).

(٣٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٢ .

(٣٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 140.

(٣٤٧) Mattieu : Ibid., pp. 143 - 144.

(٣٤٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 426.

(٣٤٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(٣٥٠) ابن الأثير الباهر : ص ٣٨ .

(٣٥١) Cahen : Op. Cit., p. 348.

فى نفوس الفرنج رغبة شديدة لامتلاك دمشق والاقليم المحيطة بها (٣٥٢) . وكان ان ارسل الملك بلدوين الى الغرب يستحثه لارسال حملة صليبية جديدة للمساعدة فى الاستيلاء على دمشق ، وبالفعل قدم عدد كبير « من الرفاق من الرجال النبلاء الى المملكة (٣٥٣) » ، والى جانب هؤلاء القادمين شارك كبار امراء الصليبيين فى الشرق فى القيام بتلك المهمة وعلى راسهم « فولك امير انجو وبونز Pons امير طرابلس وبوهيموند الثانى امير انطاكية وجوسلين الأول امير الرها (٣٥٤) » .

وقد وصلت الى الشرق مجموعات من الصليبيين على رأس كل منها امير وتقدم الجميع نحو دمشق فى دسمبر ١١٢٩م (٣٥٥) (٥٢٣هـ) ولكن باءت المحاولة بالفشل لسببين أوضحهما وليم الصورى : الأول انشغال كل فريق بالحصول على غنائم لنفسه فقد عمدت الجيوش « الى الاحتفاظ بكل فريق بعيدا عن الآخر حتى تستطيع كل جماعة ان تطالب شيئا مما تجده ولا تقتسمه مع الآخرين (٣٥٦) » . وهو ما شجع بورى حاكم دمشق (٣٥٧) ، على أن يدبر هجوما مفاجئا ضدهم وهم متفرقون على هذا النحو (٣٥٨) .

والسبب الثانى للهزيمة كان تدخل العناية الالهية لصالح المسلمين فقد هبت عاصفة شديدة ممطرة مصحوبة بالضباب على الصليبيين (٣٥٩) .

---

(٣٥٢) Gibb : Op. Cit., p. 195.

(٣٥٣) William : Op. Cit., V. 2, p. 40.

(٣٥٤) William : Ibid., V. 2, p. 41, Cahen : Op. Cit., p. 348, Gibb : Op. Cit., p. 195.

(٣٥٥) Cahen : Op. Cit., p. 348.

(٣٥٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 41.

(٣٥٧) هنا اخطأ وليم الصورى فاشار اليه بانه (طغتكين) .

(٣٥٨) William : Ibid., V. 2, p. 41.

(٣٥٩) William : Ibid., p.p. 41 - 42.

ثم حدث في أواخر أيام الملك بلدوين الثاني أن توفى بوهيموند الثاني أمير انطاكية ١١٣٠م (٣٦٠) . — كما سنرى — وحاولت زوجته اليس ابنة الملك بلدوين نفسه ان تحرم ابنتها كونستانس من حقها الشرعى فى الحكم ولكن بلدوين أسرع الى انطاكية وعهد الى جوسلين الأول بأن يحكم انطاكية بوصفه وصيا على كونستانس حتى تتزوج ويصبح زوجها أميرا لأنطاكية (٣٦١) . وهذا يشهد على مدى ثقة بلدوين فى الأمير جوسلين . واخيرا توفى بلدوين الثانى ملك القدس فى ٣١ أغسطس ١١٣١م (٣٦٢) ، فحل محله فى ١٤ سبتمبر فولك الأنجوى Foulque d'Anjou زوج ابنته ميلزاند التى كان قد تزوجها فى ١١٢٩م (٣٦٣) .

والواقع أن عهد الملك بلدوين الثانى يظهر فيه الارتباط الشديد جدا بين الرها وبيت المقدس ، فلم يبخل الملك بحمل النجدة اللازمة الى امارة الرها فى غالبية الظروف عندما تهدد الامارة بأى خطر خارجى يهدد مصالحها ، وبالتالى مصالح الصليبيين عامة ، لأنها كما سبق ان ذكرنا الحصن الشرقى الواقى للامارات الصليبية عامة .

أما عن خليفة بلدوين الثانى على عرش القدس ، فانه لم يستطع فى غالبية الأحيان ان يفرض سلطانه على امراء الشمال — نعنى أميرى الرها وانطاكية — ونتج عن ذلك سقوط امارة الرها (٣٦٤) ، كما سنرى .

ولكن مع ذلك فقد حدث ٥٣٤هـ/١١٤٠م أن حلت الهزيمة بالملك فولك أمام زنكى وطلب الملك نجدة أميرى الرها وانطاكية فخفا بالفعل لنجدته (٣٦٥) . وفى ١١٤٤م (٥٣٩هـ) عندما حاصر زنكى الرها

---

(٣٦٠) Michel : Op. Cit., p. 230, G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient Latin, p. 32.
(٣٦١) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 255, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.
(٣٦٢) G. Schlumberger : Op. Cit., p. 3.
(٣٦٣) G. Schlumberger : Ibid., p.p. 4 - 5.
(٣٦٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.
(٣٦٥) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ٣٠ (عن الاعتبار) .

وارسل جوسلين الثـالى يستنجد بمملكة بيت المقـدس ارسلت الملكـة ميلزاند جيشـا بقيادة حاكم نابلسـ وحـاكم طبرية (٣٦٦) . وانتظر جوسلين فى تل باشر وصول جيش الملكة لكنه جاء متاخرا جـدا (٣٦٧) . وسـوف نتناول موقف القـدس بالتفصيل عنـد دراسـة ردود الفعل المختلفة لسقوط الرهـا .

والواقـع ان علاقات الرهـا بالقـدس كان يغلب عليها باستمرار الطـابع الودى .

اما عن علاقة الرهـا بانطاكية : وهى اقرب امارة صليبية الى الرها فى الشمـال ، فانها اتصفت بالعـداء وسوء التفاهم بعكس العلاقـة بين الرهـا والقـدس ، التى اتسمت غالبا بطابع الود والتحالف كما رأينا .

وقبل ان نتناول علاقات امارتى الرهـا وانطاكية ، يجدر بنا الرجوع قليلا الى الخلف للوقوف على جذور تلك العلاقة . فقـد اهتمت المصادر اللاتينية والافرنجية بتوضيح الخلاف الذى قام بين بلدوين البولونى من ناحية وبين تنكريـد ابن اخت بوهيموند امير انطاكيـة الأول من ناحيـة اخرى امام طرسوس،ثم امام المصيصـة سنة ١٠٩٧م (٤٩٠هـ) عند مجىء الحملة الصليبية الأولى الى الشرق ولكننا سنكتفى بالاشـارة الى ذلك بايجاز لأنه وان كانت خارجـة عن نطاق العلاقات بعد تأسيس الامارات ، ولكن كان لها فى نفس الوقت تأثيرها بعـد ذلك .

اما عن الخلاف امـام طرسوس فقـد كـان ذلك مبكرا فى سبتمبر ١٠٩٧م (٣٦٨) . عندما سبق تنكريد بلدوين البولونى فى الوصول الى تلك المدينة « مستفيدا من الطرق القصيرة ، وبذلك كان الأول فى الوصول الى قيلقية (٣٦٩) » . ثم حضر بلدوين بعده الى نفس المكـان فاستقبله تنكريد بحب وكرم (٣٧٠) . لكن عندما رأى بلدوين اعلام تنكريد ترفرف

---

(٣٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

(٣٦٧) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 236.

(٣٦٨) Harold Lamb : Op. Cit., p. 126.

(٣٦٩) مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ١٧٩
William : V. 1, p. 178,

(٣٧٠) William : Ibid., V. 1, p. 180.

على المكـــان تنـــافق وطلب مقاسمة تنكريـــد فى المدينـــة فرفض قائلا :
«انى ارفض كل قسمة معك (٣٧١) » .

وبعـــد جدل طويل بينهما أصر بلدوين على رأيه فأشـــار عليه تنكريد بتحكيم الاهالى الذين كانوا بالفعل يميلون الى جانب تنكريد (٣٧٢) . لكن بلدوين هددهم « ان لم ينزلوا علم تنكريد ويرفعوا علمـــه بدلا منه فسوف يســـلم المدينـــة وكل الضواحى المجاورة للتـــدمير (٣٧٣) » . لذا خشى الأهالى لأن جيش بلدوين كان الاكثر عـــددا (٣٧٤) . فرفـــع علم بلدوين مكـــان علم تنكريد « وضبط تنكريد مشـــاعره وانسحب خوفا من قيـــام شقاق بين القوات الفرنجية واتجه الى مدينة إذنة (٣٧٥) » .

وبعـــد رحيل تنكريد أمر بلدوين أهالى طرسوس بفتح أبواب المدينـــة أمـــام جنـــده ليدخلوها ، مستخدما فى ذلك مزيجـــا من التهديد والانذار ؛ ففتحوا الأبواب وسمحوا لبلدوين وقواته كاملة بالدخول ، ودخلوا له عن برجين وضعوهما تحت تصرفه فى حين احتفظ الأتراك الذين كانوا لا يزالون بالمدينـــة بملكية الابراج الأخرى (٣٧٦) .

وفى نفس تلك الليلة كان بوهيموند قد أرسل قوة من ثلثمائة نورماندى

---

(٣٧١) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقـــدس ص ٤٥
Harold Lamb : p. 127, هنا يذكر المؤلف المجهول أن الأهالى
تدخلوا بين الأميرين وطلبوا تعيين تنكريد حاكما لمدينتهم . هنا احتج بلدوين بقوله «فلندخل المدينـــة معا وننهبها وليقم على حراستها من يصيب النصيب الا ولى وليحتلها من يستطيع غزوها . فقال تنكريد« ما ابغض هـــذا المسلك الى نفسى وابعدها عنه اننى لا أريد أن أسلب النصـــارى ولقد اختـــارنى رجال هـــذه المدينـــة أميرا عليهم وهم لا يريدون سواى أميرا .
(٣٧٢) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٤٥ .
(٣٧٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 180.
(٣٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300, Zoé : Op. Cit., 137, المؤلف المجهول المصدر الســـابق نفس الصفحة .
(٣٧٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 181, Zoé : Op. Cit., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.
(٣٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 182.

لمســـاعدة تنكريد ، فلما وصلت الى طرسوس وعلمت ما تم لجيش تنكريد طلبوا من بلـــدوين السماح لهم بالدخول للمبيت فرفض واضطروا للمبيت خـــارج ابـــوار المدينـــة (٣٧٧) . « وفى ســـكون الليل خرج الاتراك الموجودين بالمدينـــة خلسة فى هدوء تام مصطحبين معهم زوجاتهم واطفالهم وعبيـــدهم وامامهم وكل ما يملكون . لقـــد كانوا لا يستطيعون الشعور بالاطمئنان فى ديارهم مـــع الضيوف الذين وفدوا عليهم (٣٧٨) » . وفى اليوم التالى قام الفرنج فوجـــدوا المدينـــة خالية من السكان « فاستغربوا لهرب العـــدو الصـــامت (٣٧٩) » . لكنهم اكتشفوا مذبحـــة احدثها الاتراك الراحلون فى الجيش المسيحى النورماندى الـــذى رفض بلـــدوين ادخاله الى المدينـــة فى اليوم الســـابق (٣٨٠) .

والواقع ان هذا الحادث الب على بلدوين الكثير من رجاله البارزين « ونسبوا اليـــه قتل رفـــاقهم » (٣٨١) وكان أن تعرض بلدوين بسبب هذا الحدث للتجريح والنقد حتى من اتباعه انفسهم(٣٨٢) بل لقد افتقدته الاعتبـــار لدى الكثير من الرؤساء الصليبيين (٣٨٣) ولم يهدأ الحـــال نوعا ما الا بعـــد ان « اقسم بلدوين ان السبب الوحيد الذى منعـــه من السماح بدخول الحجاج النورمان الى المدينة ، انه وعد مخلصا بعـــدم السماح بدخول اى شخص المدينة حتى يصل الدوق (جودفرى) وهكذا هـــدأ الناس وتم الصـــلح »(٣٨٤) .

ثم تقدم بلدوين بعد ذلك حتى وصل الى المصيصة التى كان قد سبقه اليـــها ايضـــا تنكريد ، وعندما علم تنكريد باقتراب بلدوين « عزم على

---

(٣٧٧) William : Ibid., V. 1, p. 182, Zoé : Op. Cit., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

(٣٧٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 183.

(٣٧٩) William : Ibid., V. 1, p. 183.

(٣٨٠) مؤلف مجهول اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقـــدس ص ٤٥ عن William : Ibid., V. 1, p. 183, Zoé : O. Cit., p. 138 (Albert),, Setton : Op. Cit., p. 300.

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 1, p. 183.

(٣٨٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

(٣٨٣) Zoé : Op. Cit., p. 138.

(٣٨٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 184.

ان يرد من نفس الزاوية المعادلة الشريرة التى تلقاها (٣٨٥) ؟ لذا انقض تنكريد بنفسه ومعه خمسمائة فارس مدرع على معسكر بلدوين ونشبت معركة قاسية سقط فيها الكثير واخذ بعض الأسرى من كلا الجانبين ، وفى اليوم التالى هدأت مشاعر الكراهية وسكن الغضب وارسلت الرسل لطلب شروط السلم واعيد الأسرى الى كلا الجانبين وعاد السلم(٣٨٦) .

وبعد ذلك توجه بلدوين الى مرعش وانضم الى الجيش الأصلى وهناك وبخه اخوه بشدة عما حدث وكذلك فعل بقية الزعماء الصليبيين (٣٨٧) . وبعد ذلك اتجه تنكريد الى الاسكندرونه فاستولى عليها(٣٨٨) .

من خلال هذا العرض السريع للعلاقة بين بلدوين وتنكريد قبل تاسيس الامارات الصليبية . يمكن أن نستشف بعض الرواسب التى اثرت فيما بعد على علاقتهما ببعض . والواقع أن المصادر المعاصرة كانت عند عرضها لتلك الأحداث السابقة تقف فى صف تنكريد وتمتدح جانبه فى حين اعتبرت سلوك بلدوين نوعا من القسوة وحب الذات .

ثم كان أن قامت امارة انطاكية كوحدة سياسية مستقلة ، وعندئذ ظهر موقف الرها منها عندما اسر بوهيموند(٣٨٩) امير انطاكية ووقع فى قبضة بنى دانشمند كما سبق أن اشرنا . ويهمنا هنا ان نتناول موقف أمير الرها من بنى دانشمند والى اى مدى تحرك لنجدة بوهيموند .

---

(٣٨٥) Gesta Tancredi in Expeditione hierosolymitana : Auctore Radulfo Cadomensi (R.H.C.), Hist. Occid., T. 3, p. 637, William : Op. Cit., V. 1, p. 185.

(٣٨٦) William : Ibid., V. 1, p. 185, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301, Zoé : Op. Cit., p. 138.

(٣٨٧) Zoé : Ibid p. 138.

(٣٨٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301.

(٣٨٩) هو بوهيموند الأول بن روبرت جوسكارد أمير تازنت . كان بوهيموند اميرا لانطاكية من ١٠٩٨م . وتوفى فى كانوذادى بوجليا Canossa de Puglia (G. Schlumberger : Op. Cit., p. 31.

هنا يقـــال ان بلدوين عرف بالحـــادث « عن طريق بعض الفـــاريين الذين وصفوا له تلك الكارثة »(٣٩٠) أو ان بوهيموند نفسـه هو الذى استنجد ببلدوين (٣٩١) .

وعندما سمع بلدوين بذلك « تعـــاطف مع الأمير كما لو كان اخـــا شقيقا له ، وحركته تلك الكارثة بقـــوة » (٣٩٢) بل قيل انه « حزن على زميله ورفيقه وبكى على ما آل اليه أمره (٣٩٣) » لذا تقـــدم بسرعـــة لنجـــدته (٣٩٤) . ونزل بلدوين « مع مائة من الرجال المشـــاه المختارين واربعين من الفرسان المجهزين الى سهول ملطية لتخليص بوهيموند(٣٩٥)» كما ضم اليـــه جمـــاعة من رجـــال انطاكية لمســـاعدته (٣٩٦) . ولكن بلدوين لم يســـتطع تقـــديم أى عـــون لبوهيموند بعـــد ان اخذه بنـــو دانشمند وانسحبوا ، وبعد أن تعقبهم بلدوين ومن معـــه لمدة ثلاثة أيـــام بدون جـــدوى عـــاد الى ملطيـــة فخضعت له ثم عـــاد الى الرهـــا . أمـــا اهـــالى انطاكيـــة فقـــد تملكهم الغضب الشـــديد وانصرفوا الى شئونهم (٣٩٧) .

وفى ١١٠٠م (٤٩٢هـ) عندما تقدم بلدوين البولونى الى القدس ليتولى حكمها مكان أخيه جودفرى الذى ماتقبل فترة قصيرة،اتجه أولا الى انطاكية

---

(٣٩٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 411, Secunda Pars : Historiae... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 552.

(٣٩١) Fulcherii : Op. Cit ... T. 3, p. 368, Gesta Francorum: T. 3, p. 519, Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 525.

(٣٩٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٣٩٣) Secundo Pars : Historiae ... Op. Cit., T. 3, p. 552.

(٣٩٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٣٩٥) Alberti : Op. Cit., Liber VII ... T. 4, p. 525

(٣٩٦) Gest.a Francorum : Op. Cit. ... T. 3, p. 519, Michaud Op. Cit., V .1, p. 52.

(٣٩٧) Fulcheri : Op. Cit. ... T. 3, p. 368.

حيث استقبل استقبالا حافلا من أهلها . وبعد أن استراح فيها ثلاثة أيام استأنف رحلته الى بيت المقدس (٣٩٨) .

وقد حدث في يناير ١١٠١م (٣٩٤هـ) أن خرج بلدوين دى بورج الى سروج لحمايتها من سقمان الأرتقي فحلت به الهزيمة في أول الأمر ، واضطر الى الفرار الى الرها ومنها أسرع لطلب المعونة من انطاكية(٣٩٩) وبعد الحصول عليها تقدم الى سروج .

وفي ١١٠٢م (٤٩٦هـ) اشتركت جيوش الرها وانطاكية في القيام ببعض الهجمات على المسلمين في شمال الشام فهاجموا « قرية المسلمية (٤٠٠) وقتلوا بعض أهلها وقطعوا على عدة مواضع قطائع أخذوها (٤٠١) » ثم توجهوا الى حلب واقاموا بالبلد عدة أيام وبعد التفاوض مع رضوان أميرها استقر الحال على أن يدفع لهم مبلغا من المال وبعض الخيول ويطلقون الأسرى المسلمين الموجودين عندهم(٤٠٢).

وفي ١١٠٣م — ٤٩٧هـ أطلق سراح بوهيموند بعد أن ساهم بلدوين دى بورج في فديته(٤٠٣) وبعد اطلاق سراحه مباشرة تم التحالف بينه وبين بلدوين دى بورج واتخذ موقفا هجوميا ضد مسلمي حلب وفرض ضريبة على أميرها (٤٠٤) .

---

(٣٩٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 527.

(٣٩٩) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 370.

(٤٠٠) قرية على طريق حلب تبعد عنها احد عشر كيلو مترا (ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧) .

(٤٠١) ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧ .

(٤٠٢) ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧ — ١٤٨ .

(٤٠٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé : Op. Cit., p. 212, Harold Lamb : p. 249.

(٤٠٤) Bréhier : Vie et Mort de Byzance, p. 315, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

ثم كانت معركة حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) التى شـــارك فيها كل من بوهيموند وتنكريد (٤٠٥) . كما شـــارك فيــها بطريرك انطاكية اللاتينى برنارد دى فالنس (٤٠٦) . ومر بنــا كيف ادى شك بلدوين فى الانطاكيين الى عدم تسلمه مفاتيح حران من أهلها ، (٤٠٧) ، الى جانب النزاع مع الانطاكيين حول ايهما يرفع علمهأولا على المدينة (٤٠٨)، مما ادىالى هزيمتهم بعــد ذلك والواقع انه اذا كان يفهم من كلام ابن الاثير كما مر بنا عند الكلام عن موقعة حران — ان الجيش الانطاكى لم يحارب فى تلك المعركة اطلاقــا(٤٠٩) . فان المصـــادر اللاتينية تشير الى الاشتراك الفعــلى للانطــاكيين فى تلك المعركة (٤١٠) . امــا (كاهــين) فيعتبر نجـــاح الانطاكيين غير كامل فى تلك المعركة (٤١١) . والحقيقة انه ربما دفع الى هــذا الاختــلاف فى مدى مشـــاركة الانطاكيين ، أن المعسكر الانطاكى لم يصب بضرر (٤١٢) .

وبعد أسر بلدوين دى بورج وجوسلين وفرار بوهيموند وتنكريد الى الرهـــا اختار الاهالى تنكريد وصيا على الرهـــا الذى صد عنها هجوم

---

(٤٠٥) Alberti Aquensis Historiae Liber IX... T. 4, p. 615, Gesta Tancredi : Op. Cit. ... T. 3, p. 710, Matieu : Op. Cit., p. 71,
ابن القلانسى : الذيل ص ١٤٣ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمـــان ، هـ ٨ ق ١ ص ٩ .

(٤٠٦) Alberti : Ibid., p. 615, William : Op. Cit., V. 1, p. 456, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 403 عن (Albert), Runciman : Op. Cit. V. 2, p. 42.

(٤٠٧) Michel : Op. Cit., p. 195.

(٤٠٨) Mattieu : Op. Cit., p. 72, William : Op. Cit., V. 1, p. 458, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 33.

(٤٠٩) ابن الاثير : الكامل ، هـ ٨ ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٤١٠) Gesta Tancredi : Op. Cit... T. 3, p. 710, Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 615-616.

(٤١١) Cahen : Op. Cit., p. 238.

(٤١٢) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

جكرمش ١١٠٤م — (٤٩٧هـ) ثم خضعت الرها لحكم ريتشارد دى سالرن الذى ازهق الامارة كثيرا بحكمه كما بينا من قبل .

والواقع أنه كان من الممكن أن يتم اطلاق سراح بلدوين دى بورج سنة ١١٠٤م بعد العرض الذى قدمه جكرمش بانه مستعد ان يطلقه فى مقابل اطلاق تنكريد لأميره سلجوقية كان قد أسرها فى نفس السنة ، او ان يدفع لتنكريد خمسة عشر الف بيزانت لاطلاق سراح الأميره(٤١٣) . وبالرغم من أن ملك بيت المقدس ارسل الى انطاكيه يطلب من بوهيموند وتنكريد الا يفوتا تلك الفرصة لأطلاق سراح بلدوين لكن بوهيموند وتنكريد كانا يحتاجان الى المال بينما عودة بلدوين سوف تقصى تنكريد بعيدا عن وصايته على الرها ، ويعود خالى الوفاض . لذا اجابا بانه ليس من السياسة أن يظهروا فى صورة المتلهفين على الموافقة على العرض لأن ذلك من شأنه ان يجعل جكرمش يرفع الثمن اذا ترددوا ولكن فى نفس الوقت فانهما رتبا مع الأمير جكرمش الحصول على المبلغ ويبقى بلدوين فى الأسر (٤١٤) فقد كانت الرها « ممر عظيم جدا وذو اهمية تجارية كبيرة (٤١٥) » .

وبعد اطلاق سراح بلدوين وجوسلين ، قدم تنكريد لبلدوين مبلغا كبيرا من المال . ولكنه عرض على الأميرين الرجوع الى الرها « بشرط ان يكونا تابعين لامارة انطاكية مرفضا (٤١٦) » .

هنا يعود بلدوين الى تل باشر ويطلب مؤازرة جاولى والاتراك من ناحية وكوغ باسيل الأرمنى من ناحية أخرى (٤١٧) . اما تنكريد

---

(٤١٣) Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 619.
(٤١٤) Alberti : Ibid., p. 619, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 45, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Cahen : Op. Cit., p. 246.
نص خطاب الأميرين الى الملك مع الملاحق.
(٤١٥) Zoé : Op. Cit., p. 215.
(٤١٦) Mattieu : Op. Cit, p. 86.
(٤١٧) Mattieu : Op. Cit,. p. 85, Alberti : Op. Cit., Liber X... T. 4, p. 649, Cahen : Op. Cit., p. 249, Zoé : Op Cit., p. 239, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 436.

فقـد استدعى لمؤازرته رضوان حـاكم حلب ، وأمير قلعة جعبر(٤١٨). وقـامت بين الامارتين حرب طاحنـة « كـان جوسـلين فيها — على وجه الخصوص — نشطا ضد تنكريد لأن قلعته كانت تقع فى ذلك الجانب من الفرات وكان بذلك قريبـا من أراضى أنطاكية(٤١٩) ».

ولمـا كانت هـذه الحرب تعتبر نوعـا من الانقسـام بين الفرنج وكانت تهدد الوجود الصليبى فى شمال الشـام لذا تدخل كبار الشخصيات الصـليبية(٤٢٠) ، الى جـانب بطريرك انطاكية برنـارد وتمكنوا من فض النزاع (٤٢١) . وعـادت الرها الى أميرها الشرعى (٤٢٢) .

وما كاد أمير الرهـا يسترجع امارته حتى نشأ خلاف بين جـاولى ورضوان واستنجد جاولى ببلدوين ورضوان بتنكريد وبدأ الصراع من جديد بين الامارتين . والواقع اننـا فصلنا ذلك الصراع عند الكلام عن علاقة الرهـا بالموصل ٥٠٢هـ (١١٠٨م) ولكن ما نود أن نضيفه هنـا هـو ما ذكره ابن الفـرات وأكده فولشر من أن المعركة بين الرهـا وانطاكية كانت حوالى ثلاثة اشتباكات متتالية انتهت بانتصار تنكريد (٤٢٣) .

وهكذا فبعد اطلاق سراح بلدوين دى بورج حـدث اصطدامان بين

---

(٤١٨) Cahen : Op. Cit., p. 249.

كان أمير قلعة جعبر فى ذلك الوقت شمس الدولة سـالم بن مـالك بن بدران ٤٧٩ — ٥١٩هـ (١٠٨٦ — ١١٢٥) زامبور : معجم الأنسـاب،حـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٤١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 474.

(٤٢٠) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 410, William : Op. Cit., V. 1, p. 475.

(٤٢١) ابن الأثير : الكامل،حـ ٨ ص ٢٥٣ — ٢٥٤ ابن الفرات : مخطوط، حـ ١ ص ٢٣ (أ) ،

Cahen : Op. Cit., p. 250, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p 438.

(٤٢٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٤ ؛ ابن الفرات مخطوط ، حـ ١ ص ٢٣ (أ) .

(٤٢٣) Fulcherii : Op. Cit. ... T. 3, p. 410,

الرهـا وانطاكية : الأول اثير بسبب تشدد تنكريد فى عدم ارجـاع الرها لبلدوين والثـانى بسبب استنجاد رضوان بتنكريد ضـد جاولى وبالتالى استنجاد جاولى ببلدوين ضـد رضوان .

ولم يمر عـام واحد حتى شرع مودود بأمر من السلطان السـلجوقى فى سياسة الجهاد ضـد الفرنج كما مر بنـا . وهنا نجـد رايا ينفرد به منى

=

ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ١ ص ٢٥ (ب) — ٢٦(ب)

وهنا يعطينا ابن الفرات وصفا شيقا لبعض ما حدث فقال ان تنكريد برز اثنـاء القتال بين الصفين المتحاربين واستدعى جوسلين وتحـادثا والأمير جاولى ينظر اليهما . « ولم يعـلم ان هـذه عـادة القوم وان العـدو يجتمع بعـدوه ويحادثه ويقرر حـاله » فخشى ان يكون الأميران الصليبيان قد اصطلحا ضد مصلحة المسلمين . ولكن لم يصل الطرفـان الى شىء من هذا ، وتنادوا بالحرب من جديد . وهنـا راى جوسـلين ان الأمير جـاولى قـد اعتزل من العسـكر فوصـل اليه وقـال له : « يا مولاى هذا زينا فلا تظن غير هـذا فلم يجبـه الى قولـه وظل على اعتزاله » وعاد جوسلين وتنكريد للاشتباك من جديد وكانت الحملة الأولى من اشـد حملاتهم . وفى الحملـة الثانيـة « كـان جوسـلين لا يقصـد الا طنكريد ، وطنكريد مثله فتطاعنا وتضـاربا بالسيوف وابلى كل واحد منهما ثم اسـتل كل منهما رمحـا وتطاعنا فسبقت طعنـة طنكريد الى جوسلين فقنطره عن ظهر فرسـه وحمل صـاحب مرعش على طنكريد بطعنة فصرعه ايضـا وظن ان جوسـلين قد قتـل ، وكان صاحب مرعش هو حامل علم جوسلين » . فلما راى اصحاب جوسلين انه قد سقط على الأرض انهزموا ، لكن جوسلين نهض وسار الى الحصن فمنعته أمه من الدخول وقالت « الى اين ليتنى لم أكن رزقتك » . فقـال لها « والله ما انهزمت حتى طعنت طنكريد حق الطعن ونازلته حق المنازلة » فقالت « والله لا اصدقك حتى اتاكد من ذلك من طنكريد نفسه » . وبالفعـل ذهبت لتنكريد وسـالته هل قاتله ابنها حق قتـال ، فقـال لها « والله ما انهزم ولكن سـقط على الأرض كرهـا وانهزم عنـه اصحابه وقـد ضربنى فى الثلاث حملات وضربته عدة ضربات » واكد كلام تنكريد جماعة من الفرسان فانصرفت .

الرهاوى عن سبب قدوم تلك الحملة ولو أننا نستبعد الأخذ به ، وهو « ان كلا من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى أراد ان يعلن الحرب ضد تنكريد ، فقد كانت قلوبهما مليئة بالحقد ضده — ربما لهزيمة العام السابق — ففكرا تفكيرا غير لائق بمسيحى وهو الاستنجاد بشرف الدولة مودود(٤٢٤) » ثم يعود متى بعد ذلك ويذكر « أن الأمير وجد ان بلدوين دى بورج تحاشاه لتوجه ضد الرها وبذلك أسرع بلدوين فى ارسال جوسلين دى كورتناى ليستنجد بالملك بلدوين اثناء حصاره لبيروت ضد مودود (٤٢٥) » . وهذا يكفى لدحض النص السابق وتاييد القول بأن الحملة ارسلت أصلا من جانب السلاجقة ضد الفرنج . ويؤيد رأينا هذا ما ذكر من أن تنكريد لم يعبأ بانقاذ الرها فى باديء الأمر لان بلدوين الثانى دى بورج اتهمه بتحريك تلك الحملة الاسلامية ضد الرها والتآمر مع المسلمين ضده(٤٢٦) .

والواقع ان جروسيه يعزو ذلك — أى الصاق كل أمير التهمة للآخر بتحريك تلك الحملة ، الى ما سبق من تعاون كلا الجانبين مع الترك ضد بعضهما (٤٢٧) . لذلك كانت أولى كلمات بلدوين دى بورج للملك بلدوين عندما حضر لنجدته ، هى شكواه من « تنكريد عدوه المحرك للغزو التركى(٤٢٨) » . وعلى ذلك فقد « كان أمير انطاكية على علاقة سيئة مع الرها بسبب تعهداته مع المسلمين ضدها(٤٢٩) » لذلك فقد دعا الملك بلدوين الأول تنكريد الى أن يتصل ببقية الفرنج واذا كان لديه

---

(٤٢٤) Mattieu : Op. Cit., p 91.

(٤٢٥) Mattieu : Ibid., p. 91.

(٤٢٦) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber XI. T. 4, p. 670.
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٤٥٦ عن (البرت).

(٤٢٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449.

(٤٢٨) Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 672, Grousset : Ibid., p. 459.

(٤٢٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289.

شـكاوى يحضرها (٤٣٠) . وقـد تردد تنكريد وقـوانه فى المشـاركة مع الصليبيين ضـد تلك الحملة التركية ، ولكنه عـاد وادرك ان عـدم تعـاونه مع اخـوانه الصليبيين فى حربهم ضـد الاتراك يسىء الى سمعته فى المحيط الصليبى بل يعتبر خيـانة فى حقهم ، لذا سـار بقـوة تقـدر بحوالى الف وخمسمائة فـارس الى الرهـا ، حيث اسـتقبل من الملك استقبالا وديـا (٤٣١) وبعـد ذلك سـاله عن سبب موقفه العـدائى من امير الرهـا فأجاب بان الرها كانت منذ عهد بعيد — ايـام الحـكم البيزنطى أو التركى — ضمن نفوذ انطاكية(٤٣٢) عنـدئذ رد الملك على تنكريد قـائلا : « اخى تنكريد ان ما تطلبـه غير صحيح . انك تستند على وضـع البلاد زمن السيادة الاسلامية لكن يجب ان تعلم اننـا عندما رحلنا من اجـل الحـروب المقدسـة ، كان معروفـا ان ما سينتزعه كل منـا من المسـلمين سيؤول اليه .. لذا قانا باسم كل المسيحية الموجودة هنا احثك على صلح صـادق مع بلدوين دى بورج . واذا فضلت التآمر مع الأتراك فلن تستطيع البقـاء بيننـا وسوف نحاربك بدون شفقه (٤٣٣) » وامـام هذا الشعور العـام الذى تلى الخطبة الملكية اضـطر تنكريد للخضوع(٤٣٤)وتخلى عن مشاعر الكره والحسد(٤٣٥)أى أن خضوع تنكريد كان تحت ضـغط الظروف المحيطة به فى ذلك الوقت — هنـا يجب أن نستعيد الى ذاكرتنا ما حـدث قبل تأسيس الامارات من صراع بين تنكريد

---

(٤٣٠): Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 672, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(٤٣١) Alberti : Ibid., p. 672, Grousser : Ibid., p. 452, سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٥٧ عن (Stevenson).

(٤٣٢) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 452.
هنـا يذكر البزت أن تنكريد كـان يرغب فى الحصـول على ضريبة سنوية على الرهـا .
(Alberti : Op. Cit., p. 672).

(٤٣٣) عن Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 453, L'Epopée, p. 88 (Albert), Zoé : Op. Cit., p. 242.

(٤٣٤) Grousset : Op. Cit, V. 1, p. 453

(٤٣٥) Archer : Op. Cit., p. 148.

وبلدوين وكيف رجحت كفة بلدوين ايضا ــ وفى المعركة التى دارت بين المسلمين والصليبيين بعــد ذلك نجــد رايين احدهمــا يذكر أن تنكريد اضطر للانسحاب الى سميساط لأنه عــلم ان مؤامرة تدبر ضــده هــو وجماعتــه (٤٣٦) . والراى الثانى يشير الى انه بمجرد أن اجتمع الجيش الفرنجى للتوجه ضد الأتراك ، بادر الجمع النورماندى بالانسحاب(٤٣٧).

وفى ١١١١م (٥٠٥هـ) كانت حملة مودود الثانية كما رأينا على الرها وهى التى توجهت الى حلب بعد ذلك وفقا لرغبة رضوان ، حتى اغلق رضوان ابواب البــلد فى وجه الجيش التركى مدعيا أنه انهى خلافاته مع تنكريد وعندئذ توجه هــذا الجيش الى أنطاكيــة وتوقف فى شيزر فما كان من تنكريد الا ان جمع حوله كل الفرنج فلحق به الملك بلدوين الأول ملك بيت المقــدس وبرترام امير طرابلس وبلدوين دى بورج امير الرها(٤٣٨). واجتمعوا عند افــاميــة أو فــاميــة (٤٣٩) وتقــابل الفريقــان بعــد ذلك عنــد شيزر ولكن لم تحــدث معركــة وانسحب الجانبان كل الى بلاده(٤٤٠) . هكذا فشــلت حمــلة مودود ١١١١م فى كل خطواتها لأن المســلمين كانوا مفتقرين الى وحدة تنظم صفوفهم فى الوقت الذى اتحد فيــه الصليبيون جميعا من أطراف العراق وشمال الشــام الى جنــوب فلســطين تحت رعــاية بلدوين الأول ملك بيت المقــدس (٤٤١) . تلك الوحــدة التى اكد (بروبــه) وجودهــا فى سنتى ١١١٠م ــ ١١١١م بين الصليبيين بفضل جهود الملك بلدوين الأول(٤٤٢) .

---

(٤٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 93, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 45 عن (Mattieu).

(٤٣٧) Zoé : Op. Cit, p. 242.

(٤٣٨) Mattieu : Op. Cit., p. 97, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(٤٣٩) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٦٥ عن (Setton) Grousset : d., p. 90.

(٤٤٠) Mattieu : Op. Cit., p. 97, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(٤٤١) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٦٥ عن (Ru man)

(٤٤٢) J. Pra . . Op. Cit., T. 1, p. 28.

وفى ١٢ ديسمبر ١١١٢م توفى تنكريد أمير انطاكيا (٤٤٣) . فحل محله فى حكم امـــارة انطاكية روجر السـالرنى ابن ريتشـارد(٤٤٤) ؛ الذى تولى ادارة الرهــا فترة ، اثناء أسر بلدوين دى بورج كومى عليها من قبـل تنكريد .

ويبدو انـــه قبل وفـــاة تنكريد وبالتقريب فى الفترة ما بين ١١١٠م — ١١١٢م (٥٠٤ — ٥٠٦هـ) أيدت الرهـــا جـانب انطاكية ضـد بيزنطـــة مثلها فى ذلك مثل القـــدس التى ايدت هى الأخرى انطاكية . وقـــد عثرنا على نص ذكرته (انا كومنينا) ويشير الى ان الامبراطور الكسيوس ارسل سفارة للتفاوض مـــع ملك بيت المقـــدس ضد تنكريد ويدفع له الأمبراطور مبلغـــا من المـــال فى مقابل ذلك فرفض الملك ؛ لـــذا اتجهت السفارة الى الأمير جوسلين دى كورتناى الذى كان يزور القـــدس للعبادة فى كنيســـة القيامة . فكان جوابه مشـــابها لجواب الملك (٤٤٥) . والراجح ان تلك الســـفارة ذهبت الى القـــدس قبـــل ان يطرد جوسلين من الرهـــا وان جوســـلين فى ذلك الوقت كان يمثل التـــابع الرئيسى لبلدوين دى بورج .

وفى عهد روجر تم ارتباط ودى عن طريق الزواج بين امارة الرهـــا وامـــارة انطاكيـــة ؛ فقـــد تـــزوج روجر من اخت بلـــدوين دى بـــورج نفســـه (٤٤٦) . ويبدو أن ذلك الزواج تم قبل ١١١٣م لأن وليم الصورى يذكر أنه « فى ١١١٣م ارســـل الأمير بلدوين دى بورج بعض رســـله فى مهمة خاصـــة الى روجر بن ريتشـــارد حاكم انطاكية ؛ الذى كان قـــد تزوج احـــدى اخوات الأمير بلدوين (٤٤٧) » .

---

(٤٤٣) Grousset : L'Epopée, p. 91.

(٤٤٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 482, Cahen : Op. Cit., p. 273,
يسميه ابن الاثير (روجيل) ابن الاثير الكامل ، جـ ٨ ص ٢٧٢

(٤٤٥) Anna Comnena : The Alexiad ; p. 367.
سيأتى النص كاملا فى الملاحق .

(٤٤٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 498, Zoé : Op. Cit., p. 246, Grousset : L'Epopée, p. 93, Hist. des Crois. V. 1, p. 482.

(٤٤٧) William : Ibid., V. 1, p. 498.

ويعبر عن تلك العلاقات الوديسة المتينسة فى ذلك السدور ، ما ذكره جروسية من أنه « عندما أصبح بلدوين دى بورج ملكا ١١١٨م ، استفادت امارة انطاكية بكل تأييد المملكة الفرنجية (٤٤٨) » .

وفى ١١١٥م (٥٠٩هـ) كانت حملة البرسقى على أنطاكيسة والتى مر فيها بالرهسا (٤٤٩) ثم توجه الى انطاكية وفى نيته تخريب كل الاقليم المحيط بها (٤٥٠) . وكسان أن استنجد الأمير روجر بالملك بلدوين ملك القسدس وببلسدوين أمير الرهسا (٤٥١) ، هسذا الى جسانب بونز أمير طرابلس (٤٥٢) . وكان بلسدوين أمير الرهسا « فى الطليعة بفرقتسه العسكرية وحالمسا وقع نظره على العدو ، حتى اندفسع عليهم غير مروع باعدادهم العظيمة ، وذلك بهجوم ضسار ، هز كل جيشهم وتبعت الكتائب الأخرى مثاله فقذفوا بانفسهم بروح مشسابهة ضسد قلب قوات العسدو وحاربوها بالسيوف يدا ليد (٤٥٣) » . ويقال ان لؤلؤ (٤٥٤) ، اخبر الفرنج بتحركات البرسقى لذا باغتسه روجر وبعسد أن كسان متفوقسا فى البداية اضطر للهرب (٤٥٥) .

وفى بداية عهد جوسسلين دى كورتناى كأمير للرهسا غزا ايلغسازى الاقليم المحيط بانطاكية وكان بصحبته طغتكين حاكم دمشسق ودبيس أمير الحلة العربى السسابق الذكر . عندئذ استنجد روجر بالملك بلدوين — اخو زوجته — وبجوسسلين أمير الرهسا وبونز أمير طرابلس « وتضرع اليهم بالحاح وعجلة الا يتاخروا فى المجىء لمساعدته فى الهجوم الطارىء (٤٥٦) » .

---

(٤٤٨) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 482.

(٤٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 114.

(٤٥٠) Mattieu : Ibid., p. 115.

(٤٥١) Galterii Cancellarii Bella Antiochena : II Bellum — Art X. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 188, William : Op. Cit., V. 1, p. 504, Mattieu : Op. Cit., p. 115.

(٤٥٢) Cahen : Op. Cit., p. 273, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 404.

(٤٥٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 504.

(٤٥٤) لؤلؤ الخصى الوصى على الب ارسلان بن رضوان حاكم حلب .

(٤٥٥) Cahen : Op. Cit., p. 274.

(٤٥٦) William— : Op. Cit., V. 1, p. 528.

تخفوا جميعا لنجدته ولكن رغم ذلك كان النصر لايلغازى (٤٥٧) . ومعنى ذلك انه فى عهد جوسلين الأول استمرت العلاقات قوية بين الرها وانطاكية ، وازدادت هذه العلاقات قوة « عندما تزوج جوسلين دى كورتناى اخت روجر حاكم انطاكية وهى ماريا السالرنية والتى سبق أن ذكرنا انه تلقى عزاز مهرا لها (٤٥٨) . فى حين اشار رأى آخر انها كانت ابنه روجر نفسه وأن ذلك كان حوالى ١١٢٠م (٤٥٩) .

ثم حدث ١١٢٥م (٥١٩هـ) أن حاصر البرسقى عزاز التابعة للرها فخف اليها الفرنج جميعا لمساعدة جوسلين ضد أعدائه وساهم رجال انطاكية البارزين بدور كبير فى المعركة (٤٦٠).

والواقع انه بعد ذلك الدور بدأت العلاقات الرهوية الأنطاكية تدخل فى صراع مكشوف اكثر مما كان بين سنتى ١١٠٨ — ١١١٠م (٥٠٢هـ — ٥٠٤هـ) . وسوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد كأحد العوامل المسببة لسقوط امارة الرها ، لكننا نذكره هنا بحكم تسلسل العلاقات وحتى لا تكون هناك فجوة غير مشار اليها فى علاقات الرها بانطاكية .

ففى خريف ١١٢٦م (٥٢٠هـ) وصل الى انطاكية ابن بوهيموند الأول ، الذى رحل من روما وحكم انطاكية ، وحمل نفس اسم ابيه (٤٦١) . فكان يحمل اسم بوهيموند الثانى (٤٦٢) . (Bohenmond II).
تزوج بوهيموند هذا الأميرة (اليس Alix) ابنة بلدوين الثانى ملك القدس (٤٦٣) ، وفى نفس السنة ٥٢٠هـ قتل البرسقى (٤٦٤) .

---

(٤٥٧) William : Ibid., p. 528.
(٤٥٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418.
(٤٥٩) Cahen : Op. Cit., p. 291. عن (l'Anonyme Syriaque)
(٤٦٠) Mattieu : Op. Cit., p. 143, William : Op. Cit., V. 2, p. 24.
(٤٦١) Michel : Op. Cit., p. 224, Schlumberger : Op. Cit., p. 32.
وكان وصول بوهيموند الثانى إلى بلاد الشام فى (١٨ رمضان ٥٢٠هـ) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ج ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ .
(٤٦٢) Schlumberger : Op. Cit, p. 32.
وهو ابن بوهيموند الأول وكنستانس (Constance)
(٤٦٣) Schlumberger : Ibid., p. 32, Grousset : Hist: Hist. des Crois. V. 1, p. 651.
(٤٦٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٢٠ ، الباهر ص ٣١ .

نوفمبر ١١٢٦م (٤٦٥) . وقد أدى ذلك الى قيام فوضى بحلب فانتهزها كل من جوسلين الأول وبوهيموند الثانى واسرعا الى حلب آملين اخذ المدينة وسط الفوضى وكان ذلك ١١٢٧م هنا نشب بين الجانبين الرهوى والأنطاكى عداء علنى (٤٦٦) . وهنا يذكر وليم الصورى « أن أسباب هذا العداء الخطير بين بوهيموند الثانى وجوسلين الأكبر كانت غير معروفة (٤٦٧) » . ولكن من الراجح ان سبب ذلك هو ان جوسلين كان يأمل أن يعتلى عرش القدس بعد الملك بلدوين الثانى ولكن زواج بوهيموند من ابنة الملك بلدوين ضيع عليه تلك الفرصة (٤٦٨) .

واذا كان جوسلين قد انصرف عن حلب بعد أن « صونع بمال (٤٦٩) » فان الصراع انتقل الى انطاكية بعد ذلك ، وقد استعان فيه جوسلين بالأتراك ضد بوهيموند (٤٧٠) . وقد أشار وليم الصورى الى ذلك بقوله « دعا جوسلين لمساعدته مجموعات من الأتراك واقام اسما سابقة سعيبة لاعقابه وبمساعدتهم انتقم من أراضى انطاكية بالنار والسيف واجبروا اهلها — الخدم الحقيقيين للمسيح . على أن ينحنوا لغير عبودية غير مستوجب (٤٧١) » . أما ميخائيل السريانى فيذكر أن جوسلين « استولى على كل شىء وجده فى اقليم انطاكية ماعدا الرجال (٤٧٢) » . لذا أسرع الملك بلدوين الى انطاكية وعن طريق مؤازرة البطريرك برنارد دى فالنس ، تم الوفاق بينهما (٤٧٣) . فقد « غضب البطريرك وأقفل الكنائس وأوقف القداسات والصلوات وأوقف

---

(٤٦٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥٣٠ .
(٤٦٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.
(٤٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.
(٤٦٨) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 651.
فقد كان جوسلين يأمل فى العرش لقرابته اولا من الملك بلدوين وثانيا بحكم السوابق التى حصلت فكلا من بلدوين الأول والثانى ، أرتقى بعد امارة الرها عرش القدس (سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٣١) .
(٤٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٨ .
(٤٧٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.
(٤٧١) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.
(٤٧٢) Michel : Op. Cit., p. 224.
(٤٧٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

الأجراس والجنازات على الموتى ، لذا اجبروا على عقد الصلح واعاد جوسلين كل الغنيمة (٤٧٤) » .

ويبدو أن الوضع بين امارتى الرها وانطاكية عاد الى هدوئه النسبى حتى فبراير ١١٣٠م — رمضان ٥٢٤هـ ، عندما قتل بوهيموند الثانى فى معركة ضد الأمير غازى الدانشمندى (٤٧٥) . وعندئذ حاولت أرملته اليس السيطرة على الحكم وحرمان طفلتها كونستانس صاحبة الحق الشرعى فى الحكم عن طريق تدبيرها للمكائد (٤٧٦) . فما كان من رجال انطاكية البارزين الا أن جمعوا مجلسا ثم استنجدوا بالملك بلدوين للمساعدة (٤٧٧) . ويقال أن اليس وصلت فى تحديها للأنطاكيين الى درجة الاستنجاد بزنكى لمساعدتها ، ولكن لسوء حظها وقع خطاب الاستنجاد فى يد والدها وعرف بالمؤامرة (٤٧٨) . عندئذ اسرع الملك بلدوين الى انطاكية كما اتجه اليها أيضا جوسلين دى كورتناى امير الرها (٤٧٩) . ولكن اليس منعتهم من الدخول الا أن بعض القادة المدنيين والدينيين عصوا أوامرها وفتحوا أبواب المدينة لهم (٤٨٠) . وعندئذ أصدر الملك بلدوين مرسوما بأن يتولى جوسلين الوصاية على

---

(٤٧٤) Michel : Op. Cit., p. 224.

(٤٧٥) Michel : Ibid., p. 230, Schlumberger : Op. Cit., p. 32, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431,
ابن شداد : الأعلاق الخطيرة،حـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ . (هنا يخطىء أحد مؤرخى الأرمن فيجعل تاريخ وفاة بوهيموند الثانى هو تاريخ توليته . فيذكر أن بوهيموند خلف روجر ١١٢٠م فى حكم انطاكية :
Jacques D. Issaverdens : Hist. de l'Arménie, T. II, p. 316.

(٤٧٦) اسحاق عبيد : روما وبيزنطه ، ص ١٥٧ .

(٤٧٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

(٤٧٨) Setton : Ibid., V .1, p. 431, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.

(٤٧٩) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1 p. 255.
هنا يذكر ابن العبرى : أن ذلك كان سنة ١١٣١م.ولكن الراجح انه كان ١١٣٠م .

(٤٨٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431, Prawer : Op .Cit. T. 1, p. 317.

كونستانس ابنه بوهيموند الثانى فى حكمها لأنطاكية والمناطق التابعة لها حتى تتزوج فيصبح زوجها اميرا على انطاكية (٤٨١) .

وفى ١١٣٠م ايضا قامت بين الرها وانطاكية علاقة دينية ذلك أن (حنا ماديانا) عندما توجه الى مدينة كيسوم ليتم اختياره بواسطة مجمعها الدينى ، بطريركا يعقوبيا على انطاكية ، وجد المدينة محاصرة بواسطة سلاجقة الروم - كما سبق الذكر - لذا توجه ذلك البطريرك الى تل باشر حيث تمت رسامته تحت رعاية جوسلين الأول فى كنيسة تل باشر اللاتينية فاصبح بطريركا لدير — Dovair — وبذلك خلف البطريرك اليعقوبى لانطاكية اثناس وتم ذلك بالتصديد فى ١٧ فبراير ١١٣٠م ؛ بفضل تأييد جوسلين الأول ومساعدته (٤٨٢) .

وفى ١١٣١م — ٥٢٦هـ توفى جوسلين الأول وخلفه فى حكم امارة الرها جوسلين الثانى الذى رغب فى ان يحكم انطاكية مكان ابيه لكن اهالى انطاكية والبطريرك لم يوافقوا على ذلك واحتفظوا بالمدينة لابنه بوهيموند (٤٨٣) .

وفى اغسطس ١١٣١م توفى الملك بلدوين الثانى(٤٨٤) فحاولت اليس تحقيق اطماعها من جديد ولكن فولك ملك بيت المقدس الجديد منعها من ذلك بالقوة واجبرها على الفرار الى اللاذقية ثم تمت خطبة كونستانس لريموند دى بواتييه Raimond de Poitiers الذى كان وقتها فى بلاط هنرى الأول ملك انجلترا(٤٨٥) .

هنا يقال أن اليس استعانت فى محاولتها الأخيرة بجوسلين امير الرها (٤٨٦) . ونحن لا نستبعد هذا الرأى وخاصة أن جوسلين الثانى كان قد تقدم الى انطاكية ١١٣٢م (٥٢٧هـ) لمساعدتها ضد غزو الأتراك لها (٤٨٧) .

ومهما يكن الأمر فانه بزواج ريموند دى بواتييه من كونستانس ابنه

---

(٤٨١) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : V., 1, p. 255. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

(٤٨٢) Groussét : Hist. des Crois., V. 2, p. 7.

(٤٨٣) Michel : Op. Cit., p. 233.

(٤٨٤) Schlumberger : Op. Cit., p. 3.

(٤٨٥) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٥٧ — ١٥٨ .

(٤٨٦) Sétton : Op. Cit., V. 1, p. 433, Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 317.

(٤٨٧) Michel : Op. Cit., p. 234.

بوهيموند الثاني اصبح اميرا لأنطاكيسة من ١١٣٦ — ١١٤٩م (٤٨٨) (٥٣١هـ — ٥٤٤هـ) مما قضى على أطماع الطامعين فى امارة انطاكيسة ومن بينهم جوسلين الثانى نفسه .

وفى ١١٣٧ — ٥٣٢هـ جدت ظروف فى امارة انطاكية استدعت تدخل الأمير جوسلين الثانى . وترجع جذور تلك الأحداث الى ١١٣٥م عندما توفى قنسطنطين ملك ارمينيا الصغرى (٤٨٩) فخلفــه على العرش ليو الأول أخــو توروس الذى انتزع من البيزنطيين ، المصيصـــة واذنــه وطرسوس وتقدم منتصرا حتى شــواطىء البحر المتوســط . وعنـــدما تولى ريموند دى بواتيه امــارة انطاكية ١١٣٦م اصبحت حدوده متقاربة جدا مع حــدود ليو الأرمنى فكان لابد من الاحتكاك بينهما بحكم كونهما رئيسين طموحين . وكان أن وقع ليو الأرمنى فى كمين(٤٩٠) نصــبه له ريموند بالاشتراك مع بلدوين أمير مرعش(٤٩١) وظل ليو اسيرا داخل احــدى القلاع لمدة شهرين حتى تم الاتفــاق على اطلاق سراحه مقابل التنــازل عن بعض المــدن ودفع مبلغ من المــال وان يقدم ابنه كرهينــة ومن ناحية أخرى وعــده ريموند بمساعدته ضــد الامبراطور البيزنطى حنــا كومنين(٤٩٢) .

ومع ذلك فانه ما كاد يتم اطلاق سراح ليو حتى حنث بعهده وهاجم

---

(٤٨٨) Schlumberger : Op. Cit., p. 32.
(توفى ريموند ٢٩ يونيه ١١٤٩م) Tournebize : Ibid., p. 173.

(٤٨٩) Tournebize : Ibid., p. 173.

(٤٩٠) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit. p. 173, Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 316.
ولو أن الأخير يخطىء فيعتبر ان ذلك كان فى عهد بوهيموند .

(٤٩١) Gregoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Cahen : Op. Cit. p. 358.

(٤٩٢) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques D. Issaverdens : Op., Cit., T. II, p. 316, Cahen: Op. Cit., p. 358.

أما المدن التى وعــد ليون بتسليمها فهى المصيصة واذنه Sarovanticar، وكان المبلغ حوالى ٦٠,٠٠٠ دينــار . او Roc de Saravant

ريموند واستولى من جديد على المدن التى كان قد تنازل عنها(٤٩٣) مدعيا « أنها اغتصبت منــه بالخــديعة والقــوة » (٤٩٤) لذا اشتبك الجانبان فى حرب أريقت فيها دمـــاء كثيرة (٤٩٥) رغم تدخل الملك فولك لاصلاح الموقف (٤٩٦) وجـــاء ذلك العداء كارثة على الأرمن والفرنج جميـــعا ؛ لأن المسلمين انتهزوا الفرصـــة للانقضاض على الجانبين المتحاربين(٤٩٧) هـــذا الى جـــانب الأخبـــار التى بـــدأت تنـــذر باقتـــراب الجيـــش البيزنطى (٤٩٨) . لذا توسط جوسلين الثانى بين الجانبين فى ذلك الوقت ، بحكم ان والده كان متزوجـــا من اخت الأمير ليـــو . وأوقف العداوات واصلح بين الطرفين وتم ذلك ١١٣٧م (٤٩٩) .

فى نفس الوقت الذى وصلت فيـــه اخبـــار استعدادات الامبراطور لحملته على الشـــام ١١٣٧م وصلت أنبـــاء ايضا بأن فولك ملك بيت القـــدس لقى هزيمة على يد زنكى فارســـل الملك يستنجد بريموند أمير انطاكيـــة . وكان وضع ريموند عنـــدئذ حرجـــا للغـــاية من ناحيـــة لم يكن يـــود ان يبرح امـــارته فى ذلك الوقت حتى لا يتمكن العـــدو البيزنطى من الاستيلاء عليها . وفى نفس الوقت كان عليـــه أن يلبى نداء الملك ، لذا « عهد الى كل من جوسلين الثـــانى أمير الرها وبلدوين أميرا مرعش بمهمة حماية امـــارته » واسرع هو ليقدم العون للملك ، وعندئذ آثر زنكى التفـــاوض مع فولك وبذلك عـــاد ريموند الى امـــارته(٥٠٠).

---

(٤٩٣) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٤٩٤) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٩٥) Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 317.

(٤٩٦) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 317.

(٤٩٧) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٩٨) Cahen : Op. Cit., p. 358.

(٤٩٩) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 173, Cahen : Op. Cit.. p. 358.

ويذكر كاهين ان ذلك كان فى شتاء ١١٣٦م — ١١٣٧ .

(٥٠٠) اسحاق عبيد : رومـــا وبيزنطة ، ص ١٥٩ . ولكن الراجح أن جوسلين لحق بريموند لنجدة الملك هو الآخر عندما وصـــله استنجاد الملك به أيضا . وربما يكون أمر انطاكية ترك لأمير مرعش وحده ويرجح

وقد حدث ١١٣٨م (٥٣٢ هـ) عندما تقدم الامبراطور حنا كومنين الى شيزر للاستيلاء عليها وفقا لما تم عليه الاتفاق بمقتضى الحلف الفرنجي البيزنطي ١١٣٧م والذى سنتناوله بالتفصيل فى موضع آخر من البحث أن تقاعس جوسلين وريموند عن مساعدة الامبراطور فى الاستيلاء على شيزر . ولذا سخط الامبراطور عليهما ، وعندما التمس منه حاكم شيزر أن يترك حصارها مقابل مبلغ من المال وافق وانصرف عنها (٥٠١) .

على أن الامبراطور انسحب من شيزر ليطالب بانطاكية ، وعندئذ أرسل جوسلين الى انطاكية عناصر استثارت غضب الجماهير وحقدها . وفى الوقت الذى تظاهر هو بأن الجماهير فى انطاكية تتهمه بالخيانة وتطالب بقتله وكان أن نجحت حيلته . وانسحب الامبراطور من المدينة بعد أن أصيب بعض أفراد حاشيته(٥٠٢) ويبدو أن جوسلين دبر تلك الخدعة لا بدافع مصلحة أمير انطاكية فحسب بل أيضا خوفا من أن يسيطر الامبراطور البيزنطي على الرها اذا تمت له السيطرة على انطاكية .

وثمة نص يذكره وليم الصورى يشير الى تجدد العداء ١١٣٨م بين انطاكية والرها اذ يذكر أن جوسلين أرسل فى تلك السنة الى بطريرك انطاكية الذى كان موجود فى صقلية اثر نزاع بينه وبين ريموند حاكم انطاكية (٥٠٣) فاظهر جوسلين الثانى الود تجاه البطريرك نكاية فى ريموند ودعاه للحضور ومعه بطانته الى الرها لتأييده ومناصرته . فلبى البطريرك الدعوة وحضر الى الرها حيث استقبل باحترام كبير من كل الاساقفة ورحب به الأمير جوسلين ترحيبا فائقا (٥٠٤) .

= هذا رأى ابن الفرات الذى ذكر أن جوسلين أسرع فى ذلك الوقت لنجدة الملك (ابن الفرات . تاريخ الدول والملوك حـ ٣ ص ٩١) (أ) .

(٥٠١) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 95 — 96.

(٥٠٢) William : Ibid., V. 2, p. 100, Brêhier : Vie et Mort, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

(٥٠٣) قيل أن سبب ذلك النزاع هو موافقة ريموند على اقرار بطريرك بيزنطي فى انطاكية .
(William : Op. Cit., V. 2, p. 117, J. Prawer : Op. Cit., T. 1,. p. 327).

(٥٠٤) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 116 — 117.

وعندمـا علم الأمير ريموند بذلك أرسـل سـفارة الى الرهـا تطلب الى البطريرك الرجوع الى وظيفته فاستجاب البطريرك لذلك(٥٠٥).

وفى ١١٤٤م (٥٣٩) وهى التى سقطت فيها امارة الرها كما سنتناول ذلك بالتفصيل فيما بعد ـ كان العـداء لا يزال قائما بين الرها وانطاكية أو بالأحرى بين جوسلين الثانى وريموند . ولذا حدث عندما استغاث جوسلين بريموند لنجدته بوصفه أقرب جيرانه الصليبيين ، اعتذر ريموند باعـذار شتى (٥٠٦) بل قيل ان ريموند لم يستطع أن يخفـى سروره وشماتته لمـا حل بجوسـلين (٥٠٧) . ويعلق وليم الصـورى على ذلك بأنه نسى قول (هورس) « عندما يكون منزل جـارك يحترق فان منزلك يصبح فى خطر (٥٠٨) » . ومن جهة اخرى فانه يقال أن سبب اعتـذار ريموند فى ذلك الوقت عن نجـدة الرهـا كان مرجعه انشغاله بمنازعاته مع الامبراطور البيزنطى الجديد مانويل (٢٠٩) .

والواقع أنه مهما تكن ظروف ريموند فان الواجب كان يملى عليه أن ينجد جوسلين أولا ثم يفكر فى مصالحه الخاصـة بعد ذلك لأن ما يهدد الرهـا سيهدده هو بالدرجة الثانية . وهذا ما بينه نيرسيس شنورهالى فى مرثيته عن سقوط الرهـا فى يد زنكى حيث يقول مخاطبا انطاكية على لسان الرها :

اليك حـديثى وعتـابى
يا شقيقتى الحبيبة انطاكية
ايه ايهـا القرينـة الحبيبة
لـم لـم تـهرعى الى
وانت فى اليسر والسـعة ؟
لم لم تمدى الى يد المعونة
بل شمت بى وتركتينى
اقع فى ايدى الكافرين ؟
هلمى واصغى الى نحيبى
وشاطرينى حسرة أضرمت فؤادى

---

(٥٠٥) William : Ibid., p. 117.
(٥٠٦) William : Ibid.. V. 2, p. 142.
(٥٠٧) William : Ibid., V. 2, p. 201, Grousset : L'Epopée, p. 163.
(٥٠٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 201.
(٥٠٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 447.

وولولى مص وانتحبى
وواسى قلبى الجريح(٥١٠)

وحتى بعد سقوط الرها وعند محاولة جوسلين استرجاعها للمرة الثانية ١١٤٦م (٥٤١ هـ) رفض ريموند تقديم المساعدة بدعيا « أن الحملة تخطيطها سيء »(٥١١) ورغم أنه كان واضحا لدى جوسلين أن زنكى سيهاجمه بسرعة ، الا انه لم يستطع ان يغفر لريموند رفضه مساعدته ، لذلك دخل معه فى نزاع علنى (٥١٢) .

وهكذا تقلبت العلاقات بين الرها وانطاكية بين العداء حينا والتحالف أحيانا فضلا عن العلاقات الدينية . وان كان الغالب على تلك العلاقات هو الطابع العدائى .

اما عن علاقة الرها بامارة طرابلس : فاننا لم نعثر على نصوص كاملة تشير الى تلك العلاقات (لذا استقينا معلوماتنا من بين النصوص الخاصة بالعلاقة بين الرها وبيت المقدس من ناحية والرها وانطاكية من ناحية أخرى ، وذلك فيما عدا النادر اليسير الذى شاركت فيه الرها وزميلاتها ، بقية الامارات الصليبية فى نجدة طرابلس مثل حصار بارين (٥١٣) ١١٣٧م (٥٣١هـ) والغالب أن العلاقة بين امارتى

---

(٥١٠) Nersés Schnorhali : Op. Cit.. p. 231.
(٥١١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.
(٥١٢) Runciman : Ibid., V. 2, p. 238.
(٥١٣) بارين « بليدة بين حمص والساحل تتلفظ به العامة (بعرين) وهو خطأ والصحيح بارين (ابن الأثير : الباهر - ص ٥٩) ولذا نجد بعض المصادر والمراجع تكتبها بعرين والبعض الآخر يكتبها بارين .
فممن كتبوها بعرين (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٠ (ب) ، النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن الوردى جـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، أما من كتبوها بارين فهم (ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الأثير : الباهر ص ٥٩ ، أبو شامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥) والغريب أن ابن الأثير ذكر التسميتين فى كتابيه .
اما المصادر والمراجع الأجنبية فتشير اليها باسم (Montferrand)
=

الرهـــا وطرابلس كانت ذات طابع ودى فى اطار تبعية الجـــانبين لمملكة بيت المقـــدس وذلك منذ قيـــام امـــارة طرابلس ١٢ يوليو ١١٠٩م(٥١٤) (ذى الحجة ٥٠٢هـ(٥١٥)) .

والواقع ان العلاقات بين طرابلس والرهـــا كانت ودية حتى قبـــل قيـــام امـــارة طرابلس الصليبية . ففى أوائل سنة ١١٠٠ م (٤٩٣هـ) عندما كان بلدوين البولونى امير الرهـــا متوجها الى القدس بعد سماعه بخبر وفـــاة اخيه ، ســـار كما ذكرنا وســـط بلاد المســـلمين وتحمـــل هو ورفاقه المشقات الكثيرة ولكنه ما كاد يصل الى طرابلس ، التى كان يحكمها عندئذ فخر الملك ابن عمار(٥١٦) . حتى استقبله امير طرابلس المسلم « بالترحاب وتوطدت الصـــداقة بينهما وقـــدم له امير طرابلس الخبز والنبيذ واخبره ان دقاق حـــاكم دمشق والقـــائد جنـــاح الدولة اقاموا له كمينا على الطريق حتى يأخذ حذره »(٥١٧) .

ويبدو ان موقف ابن عمـــار هـــذا انما يعزى الى سوء العلاقات بينه وبين دقـــاق صاحب دمشق (٥١٨) .

وكانت اول علاقة للرها بطرابلس بعد ان اصبحت الأخيرة امـــارة صليبية هو مشاركة طرابلس فى الحملة المتوجهة من بيروت بعد الاستيلاء عليها ١١١٠م (٥٠٤ هـ) الى الرهـــا لنجـــدتها من خطر الأمير مودود وجيشـــه المحاصر لها . ذلك ان برترام الصنجيل (٥١٩) توجـــه لنجـــدة الرهـــا « بكل قواته صحبة الملك بلدوين ملك القـــدس (٥٢٠) » .

ثم حـــدث ١١٢٣م (٥١٧هـ) بعـــد اسر الملك بلدوين الثـــانى ان صارت كل من بيت المقـــدس والرها وانطاكية محرومة كلها من رؤســـائها

=

(William : Op. Cit., V. 2, p.p. 86-87, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70).

(٥١٤) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٣٧٢ .

(٥١٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٣ .

(٥١٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٧٩ .

(٥١٧) Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 520

(٥١٨) Zoé : Op. Cit., p. 184.

(٥١٩) هو برترام امير تولوز والابن الأصغر لريموند الصنجيل .
(G. Schulmberger : Op. Cit., p. 58).

(٥٢٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber XI... T. 4, p. 671.
Grousset : Hist. de Crois., V. 1, p. 451 عن (Albert).

فى حـين كانت طرابلس تحت حكم الأمير بـونز Pons (٥٢١) تتراس تلك الامــارات كما مر بنــا(٥٢٢) .

وفى ١١٢٤م (٥١٨هـ) عندما استنجد عيسى أمير منبج بجوسلين ضد بلك الأرتقى ســار جوســلين الى بيت المقــدس وطرابلس وجميع بلاد الفرنج وحشــد ما يزيد على عشرة آلاف فارس وراجـل وتقـدم الى منبج (٥٢٣) . واشترك بهم فى تلك المعركة .

كذلك حـدث ١١٢٥م (٥١٩هـ) عندمــا حاصر البرســقى عزاز ان سار لنجدتها ملك بيت المقــدس ومعــه بقيــة الأمراء الفرنج ومن بينهم أمير طرابلس بونز بن برترام (٥٢٤) . وكان جيش طرابلس يكون الجناح الأيسر للجيش الصليبى فى تلك المعركة (٥٢٥) .

وفى ١١٣٧م شوال ٥٣١هـ (٥٢٦) عندما تعرضت امــارة طرابلس لتهديد زنكى وحصاره اسرعت الرهــا لتقديم المعونة لشقيقتها الصليبية .

---

(٥٢١) بونز بن برترام هو أمير طرابلس من ١١١٢ — ١١٣٦م ، تزوج أرملة تنكريد بعد وفـــاته .
(Schumberger : Op. Cit., p. 58).

(٥٢٢) Grousset : L'Epopée, p.p. 120 — 121.

(٥٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٨ .
Setton : Op. Cit., V. 6, p. 422.

(٥٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 143. William : Op. Cit., V. 2, p. 24.

(٥٢٥) William : Ibid.. V. 2, p. 24.

(٥٢٦) تشير غالبية المصــادر والمراجع الاسلامية الى ان ذلك كان ٥٣١ هـ ومنها :
ابن الأثير : الكامــل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ ، النويرى : نهــاية الارب ، مخطوط ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٠ (ب) ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥ والعينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٩٤ . فى حين ينفرد مصــدران فقط بأن ذلك كان ٥٣٤هـ وهما ابن الأثير : البــاهر ص ٥٩ ، ابو شــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ . وبذلك يكون ابن الأثير : ذكر الرأيين فى كتابيه والراجح أن ذلك كان ٥٣١هـ بمقابلتها بسنة ١١٣٧م التى ذكرتها المصادر والمراجع الأجنبية
William : Op. Cit., V. 2, p. 86.
Cahen : Op. Cit., p. 358, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

وبما أننا سنتناول حصار بارين على يد زنكى بالتفصيل فى الجزء الخاص بجهاده الاسلامى قبل اسقاطه للرها فسوف نحاول هنا بقدر الامكان التركيز فقط على دور الرها فى تلك المعركة .

ذلك ان بارين كانت ذات موقع استراتيجى هام لأنها تشرف على الطريق الرئيسى لبلاد الشام الاسلامية من حماه الى حمص (٥٢٧) . وكانت عند حصار زنكى لها تابعة لأمير طرابلس ريموند الثانى (٥٢٨) . وموقعها فى الجزء الشرقى من الامارة (٥٢٩) . وقد حدث عند تعرضها لحصار زنكى أن طلب ريموند المعونة من القدس أولا(٥٣٠) ولكن عندما ادرك الملك تفوق زنكى اضطر للجوء الى حصن بارين نفسه للاحتماء به فاصبحوا شبه مسجونين بعد أن حاصرهم زنكى داخله (٥٣١) وفى تلك الاثناء كان قد قتل فى المعركة بينهم وبين زنكى جودفرى الأخ الأكبر لجوسلين (٥٣٢) .

وبعد ان استقر الملك بالحصن ومعه مجموعة من النبلاء تشاوروا واتخذوا قرارا بان يستنجدوا بأميرى الرها وأنطاكية ، وببطريرك القدس ليأتى لنجدتهم ومعه كل اهالى المملكة (٥٣٣) .

وبالفعل توجه احد الرسل الى الرها متوسلا بأميرها الذى جمع كل قواته واسرع لنجدة الملك ، وصحبه امير انطاكية فى تلك المهمة(٥٣٤). فضلا عن بطريرك القدس (٥٣٥) . وعندما علم زنكى باقتراب تلك الجيوش

---

(٥٢٧) J. Prawer : Ibid., T. 1, p.p. 322 — 323.

(٥٢٨) Cahen : Op. Cit., p. 398, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٥٢٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

(٥٣٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70.

(٥٣١) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.
ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مخطوط حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، أبو شامة ، الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، النويرى : نهاية الارب مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٣٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 86.

(٥٣٣) William : Ibid., V. 2, p. 87.

(٥٣٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) .

(٥٣٥) J. Prawer : Op. Cit., p. 323.

الصليبية الى جانب احتمال وصول الجيش البيزنطى بعد أن استنجد الصليبيون بالروم(٥٣٦) ، اختار ان يفاوض اعداءه الموجودين داخل القلعة والذين كانت حالتهم قد وصلت الى درجة شديدة من السوء مما دفعهم الى قبول شروط الصلح بسرعة ، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد .

وما كاد الملك ورفاقه يفلتون من الحصار ويتوجهون الى عكا حتى علم الملك بمقدم اميرى الرها وانطاكية فقابلهم بتأثر عظيم وشكر حبهم ومروءتهم (٥٣٧) ، وبعد ذلك انسحب الأميران كل الى بلاده (٥٣٨) .

هكذا كان الود والتحالف هو السمة البارزة فى علاقةالرها بطرابلس.

ثالثـا : علاقة الرها بالأرمن خارجها :

سبق أن اشرنا الى الدور المهم الذى قام به الأرمن خارج الرها ١٠٩٧ م (٤٩٠هـ) فى ارشاد بلدوين البولونى ، عبر مسالك قيليقية الوعرة وخاصة جهود باكراد الأرمنى وغيره من الأرمن الذين كان لمساعدتهم الأثر الاكبر فى تسهيل مهمة بلدوين فى تحقيق هدفه بتأسيس امارة صليبية له فى الشرق .

والواقع أن علاقة امارة الرها الصليبية بالأرمن خارجها كانت أغلبها علاقات ود وتحالف يدخل ضمنها زواج غالبية امراء الرها بأرمينيات — وبعضها عبارة عن توسع من جانب الامارة على حساب الأرمن ، ولكن يندر ان نجد علاقة عداء شديد بين الامارة والأرمن خارجها . ولا اقل من تتبع تلك العلاقات وفقا لفترات حكم أمراء الرها المختلفين .

أما عن اول أمراء الرها الصليبية وهو الأمير بلدوين البولونى فانه لكى يدعم حكمه فى الامارة ويكتسب رضاء الأرمن ، وبعد وفاة زوجته الفرنجية بادر بالزواج من الأميرة (اردا) (٥٣٩) الأرمينية وكان أبوها

---

(٥٣٦) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦١ ، الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٣٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Setton : Op. Cit., V. 1. p. 438

(٥٣٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ٣ ، ص ٩١ (ب) .

(٥٣٩) Fulcherii : Op. Cit., ... T. 3, p. 433. Alberti Aquensis : Op. Cit.,... Liber III... T. 4, p. 361, Setton : Op. Cit.,

باتفـاق المصـادر ، احـد امراء الارمن ذوى النفوذ والثروة فى ذلك الوقت حتى ان صداقتها بلغ حوالى ستين الف بيزانت (٥٤٠) .

ويهمنا من امر هـذا الزواج ان الكتاب الارمن اعتبروه « تحـالفا للمصـالح اقر بواسطة التعصب ودخل عن طريقه مسيحيو الشرق ضمن نطاق التنظيمات الاقطاعية الصليبية » (٥٤١) فى حين اشـار اليه بعض الكتـاب الاوربيين المحدثين بانه « كان زواجـا سياسـيا (٥٤٢) » . والواقع اننا لا نستطيع ان نقرر ان تلك الزيجة كانت بعيدة كل البعد عن تلك الصورة ، فالواقع ان ثراء والد الزوجة ربما اغرى بلدوين بالحصول على ثروة وافرة مما يدعم المركز المـالى لامارته الناشئة .

امـا عن علاقة بلدوية البولونى بكوغ باسيل واخوة باكراد ، فـان كوغ باسيل كان عند قيام امارة الرهـا ، يحكم كيسوم ورعبان وقلعـة الروم (٥٤٣) ، اما باكراد فقد اعطاه بلدوين حكم مدينـة الراونـدان بعد الاستيلاء عليها كما مر بنا هنا يشير كل من البرت ووليم الصورى الى العلاقة بين بلدوين واخيه جودفرى وهذين الاميرين الارمنيين فى نص خلاصته انه بينما كان جودفرى مقيـما بالقرب من تل باشر وراوندان ، بلغته شكوى النـاس من الاخوين باكراد وكوغ باسيل وكيف انهّما اثقلا كاهل الاهـالى وعلى وجـه الخصوص اهل الاديرة بالالتزامات الثقيلة ومن ناحيـة اخرى فان هذين الاخوين ارسـلا الى الأمـير بوهيموند يستثيرانه ضـد امير الرهـا . ولذا سـخط جودفرى عنـد سماعه تلك الاتهامات وارسل ضد كوغ باسيل وباكراد قوة حطمت قلاعهم (٥٤٤) . وهكذا يبدو كيف غـدر بلدوين بالأمير باكراد رغم الخدمات الجليلة التى قـدمها له الاخير .

كذلك تركز جانب هـام من العلاقات بين امـارة الرهـا الصليبية والأرمن فى عهـد بلدوين البولونى فى علاقته بجبريل أمير ملطيـة ، وهى

= V. 1, p. 372, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64, L'Epopée, p.p. 104, 205.

(٥٤٠) Alberti : Op. Cit., p. 361, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 64.

(٥٤١) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 169.

(٥٤٢) Grousset : L'Epopée, p. 104.

(٥٤٣) عن (Albert) Grousslt : L'Empire, p. 386.

(٥٤٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V ... T. 4, p. 441. William : Op. Cit., V. 1, p.p. 304 — 305.

العلاقة التى سبق ان تكلمنا عنها بالتفصيل اثناء الكلام عن عهد بلدوين البولونى فى الرها وعند الكلام ايضا عن علاقة الرها بانطاكية عندما اسر بنو داشمند بوهيموند امير انطاكية ١١٠٠م حتى انتهى الأمر بأن اعلن جبريل امير ملطية ولاءه لبلدوين ودخل تحت طاعته فى تلك السنة (٥٤٥) .

والراجح ان جبريل كان قد عرض على بلدوين القدوم الى ملطية منذ اللحظة الأولى لتاسيس الامارة بدليل ما ذكره ميخائيل السريانى من انه « بعد ان وصل الفرنج الى الرها وحكموها بذل جبريل جهده ليجعل الفرنج يحضروا ويستولوا على ملطية (٥٤٦) » . ويبدو أن انشغال بلدوين بتدعيم امارته فى بادىء الأمر ثم باخماد المؤامرة التى قامت ضده فى مستهل حكمه هو الذى منعه من تلبية طلب جبريل بسرعة ، لذا لجأ جبريل كما رأينا الى بوهيموند ، وانتهى الأمر الى دخول ملطية بالفعل تحت سيطرة الرها .

على أنه ما كاد بلدوين يغادر ملطية عائدا الى الرها بعد ان ترك بها حامية مكونة من خمسين جنديا حتى عاد بنو دانشمند من جديد لمحاصرة ملطية دون جدوى (٥٤٧) .

ثم كان ان شهد عهد بلدوين دى بورج نشاطا واسعا فى للعلاقات بين الرها والأرمن خارجها ، من ذلك ان بلدوين دى بورج لجأ الى نفس اسلوب بلدوين البولونى لتاكيد مكانته لدى الأرمن فتزوج من مورفيا ابنه جبريل (٥٤٨) . حاكم ملطية كما سبق ان ذكرنا والتى حملت اليه صداقا كبيرا جدا (٥٤٩) ، اشبع خزانة بلدوين . ومع ذلك فان هذا التحالف لم يحل دون هجوم الاتراك من بنى دانشمند على ملطية واخذها ١١٠٣م (٥٥٠) (٤٩٧هـ) ومن أهم الزيجات التى تمت أيضا

---

(٥٤٥) Alberti : Op. Cit., Liber VII ... T. 4, p. 525, Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 519, R.H.C. : Hist. Occid., T. 1, p. XLII, William : Op. Cit., V. 1, p. 412.

(٥٤٦) Michel : Op. Cit., p. 187.

(٥٤٧) Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII. .T. 4, p. 525.

(٥٤٨) Michel : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménîe Ciliciénne, p. 93, Cahen : Op. Cit., p. 230, Setton: Op. Cit., V. 1, p. 392, Zoé : Op. Cit., p. 228, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 868. عن (L'Anonyme).

(٥٤٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 450, Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٥٥٠) Zoé : Ibid., p. 210.

فى عهــد بلدوين دى بورج التى ربطت بين امارة الرهــا من ناحيــة وبين ارمينيا الصغرى من ناحيــة اخرى ، زواج اخت بلدوين د ى بورج من ليون الأول ملك ارمينيا الصغرى (٥٥١) .

ولم تقف علاقات الرهــا بالأرمن فى ذلك العهد على المصــاهرات وانما حــدث « فيما بين سنتى ١١٠٢ — ١١٠٣م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) ان ســاعد ثوروس بن قنسطنطين (١١٠٠ — ١١٢٩م) (٥٥٢) . الصليبيين فى رد هجمــات البيزنطييــن عن الرهــا وانطاكيــة (٥٥٣) » . وفى ١١٠٤م (٤٩٨هـ) تنازل طاطول الأرمنى صــاحب مرعش عن مدينتــه لجوســلين دى كورتناى (٥٥٤) .

وقــد مر بنــا كيف اسر بلدوين دى بورج حــوالى خمس سنوات بعــد ذلك وكيف عارضت انطاكية فى رد امارته اليه بعــد ذلك مما ادى الى الخــلاف بينــه وبين تنكريد ١١٠٨م (٥٠٢هـ) بسبب ذلك . بل ان بلدوين اضطر الى اعــلان الحرب ضــد تنكريد وهى الحرب التى لستنجد فيها بلدوين بجاولى . كذلك توجــه بلدوين فى ذلك الوقت الى كوغ باسيل حــاكم رعبان وكيسوم بالقرب من بهسنى (٥٥٥) . الــذى كان قــد

---

(٥٥١) Iorga: L'Arménie Ciliciénne, p. 94, Zoé: Op. Cit., p. 296

هنا يضيف (ايورجا) ان اخت بلدوين اسست بعد زواجهــا فى ارمينيــا ديرا لاتينيا .

(٥٥٢) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٥٣) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 203.

(٥٥٤) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا ، ص ١٤٣ عن (Runciman)

ويسميه ميخائيل هنا امير الأمراء ويذكر انه باع فى نفس الوقت صــورة العذراء المقدســة الى ثوروس بن قنسطنطين بن روبان فى مقابل مبلغ ضخم من المــال ثم رحل الى القسطنطينية .

Michel : Op. Cit., p. 75.

(٥٥٥) Michel : Op. Cit., p. 187, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393,

Cahen : Op. Cit., p. 250, Grousset : Hist. des Crois.. V. 1, p. 52.

يسميه (كوئســيل) كل من ابن الأثير : الكــامل : حـ ٨ ص ٢٥٣ ؛ ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٢٣ (أ) اما ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ فيسميه (ابو ســيل الأرمنى) .

«جمع الجيش الأرمنى القومى فى قلعته العسكرية الحصينة فى الجزء الشرقى من طوروس المواجه للفرات (٥٥٦) » .

وعندما ذهب بلدوين الى كوغ باسيل يلتمس منه المساعدة ضد تنكريد ، استقبله كوغ باسيل استقبالا وديا واغدق عليه الهدايا (٥٥٧) ، اذ وجد أن مصالحهما تتفق فى مواجهة تنكريد الذى طمع فى الاستيلاء على قيليقية باكملها ، بعد أن استولى على مدينة المصيصة فعلا ، ومن ناحية أخرى فقد عانى أهل الرها الكثير من ابن عمه ريتشارد دى سالرنو الذى حكم امارتهم حكما استغلاليا (٥٥٨) . لذلك لم يبخل كوغ باسيل بتقديم معونته الى بلدوين دى بورج ضد تنكريد « فأنجده بألف فارس وألف راجل (٥٥٩) » . أما متى الرهاوى فيقدر المعونة التى قدمها كوغ باسيل لبلدوين « بفرقة عسكرية مكونة من ٨٠٠ محارب (٥٦٠) » . وقيل انه أرسل معه كذلك فرقة من المرتزقة تعمل لحساب الامبراطور البيزنطى (٥٦١) .

وربما يتساءل البعض لماذا لم يتجه بلدوين الى جبريل ، والد زوجته ليمده بما يحتاج اليه من نجدة ؟ الراجح ان كوغ باسيل كان اغنى بالقوات البشرية التابعة له ، بينما كان جبريل اغنى بماله .

لذا نجد أن بلدوين لم يفوت فرصة الاستفادة من جبريل بعد عودة امارته اليه ، حتى وصل الأمر الى حد ابتزاز أمواله كما أشار وليم الصورى (٥٦٢) .

وعندما تعرضت الرها لتهديد مودود ١١١٠م (٥٠٤هـ) أسرع اليها الملك بلدوين الأول لنجدتها مع بقية الفرنج كما مر بنا وساهم بعض الرؤساء الأرمن فى مؤازرة امارة الرها وعلى راسهم كوغ

---

(٥٥٦) (Mattieu) من Grousset : Hist. des Crois.. V. 1, p. 436.

(٥٥٧) Grousset : Ibid.. p. 436, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٥٥٨) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥١ (عن البرت)
Grousset : Ibid., p. 437,

(٥٥٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٢٣ (أ) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩١ ، سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٢ عن (Stevenson),
Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٥٦٠) Mattieu : Op. Cit., p. 86.

(٥٦١) Mattieu : Ibid., p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٥٦٢) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 479 - 481.

باسيل (٥٦٣) . الذى « اصدر أوامره الى قواته الشعبية بالاستعداد والتوجه الى سميساط (٥٦٤) » .

وفى ٥٠٦هـ (٥٦٥) (اكتوبر ١١١٢م) (٥٦٦) . توفى كوغ باسيل « فحكمت زوجته بعده مرعش وكيسوم ورعبان وتحصنت من الفرنج وكانت امرأة عاقلة فدبرت أمر البلاد احسن تدبير (٥٦٧) » . وقد مر بنا كيف حاصر البرسقى الرها ١١١٤م (٥٠٨هـ) وعندئذ ارسلت اليه زوجة كوغ باسيل تقول « ان زوجى أوصانى بعد موته أن اخالط المسلمين وان أجانب الفرنج وانا من الموالين لك فارسل الى من اجتمع به واكون تحت أمرك ، فقبل ولاءها (٥٦٨) » . ويقال ان السبب فى تقديمها الولاء للبرسقى هو ان زوجها قاسى من عدوان تنكريد ١١١٢م (٥٦٩) (٥٠٦هـ) بل ان تنكريد كان يطمع فى امارته بعد موته هذا الى انه يبدو ان بعض الأرمن الذين طردهم بلدوين الثانى من الرها ١١١٣م (٥٠٧هـ) نزحوا الى كيسوم حيث حرضوا دفا باسيل — ابن كوغ باسيل المتبنى — (٥٧٠) . على محالفة السلاجقة ضد الصليبيين (٥٧١) .

ويقال أن الفرنج الموجودين فى كيسوم ورعبان لما كانوا يعلمون بذلك حتى غادروها الى انطاكية (٥٧٢) . وقد رأى الفرنج ان ذلك خيانة كبرى فى حق المسيحية فضلا عما فى ذلك التحالف من تهديد صريح للامارات الصليبية فى الشمال (٥٧٣) .

---

(٥٦٣) Mattieu : Op. Cit.. p. 92, Cahen : Op. Cit., p. 257,
Setton : Op Cit., V. 1, p. 299 ؛ سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٧
عن (Stevenson) Archer : Op. Cit., p. 148.

(٥٦٤) Mattieu : Op. Cit.. p. 92

(٥٦٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .

(٥٦٦) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٢ .

(٥٦٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ، مخطوط ص ٨٠ (أ) .

(٥٦٨) ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٨٠ (أ) .

(٥٦٩) Setton : Op. Cit., V. 1. p. 403.

(٥٧٠) Michel : Op. Cit., p. 198.
كانت زوجة كوغ باسيل قد ارضعته فقط .

(٥٧١) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٢ عن (Runciman)

(٥٧٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٨٠ (ب) .

(٥٧٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٧٣ .

لذلك ففى ١١١٥م (٥٠٩هـ) شرع بلدوين دى بورج فى الحرب ضد باسيل دغا Vasil - Dgha محاصر رعبان الحصينة واستمر على ذلك فترة دون الوصول الى نتيجة رغم انه كان يحاصرها من كل الجهات (٥٧٤) . ثم توجه باسيل دغا بعد ذلك الى صاحب ارمينية الصغرى الأمير الأرمنى ليون بن قنسطنطين بن روبان واخو ثوروس ليتزوج ابنته « فدعا ثوروس باسيل وقبض عليه غدرا وقاده الى الرها (٥٧٥) » .

وفى الرها عذب باسيل بقسوة على يد بلدوين حتى اضطره ليسلم كيسوم ورعبان بل وكل بلاده وذلك ١١١٦م (٥١٠هـ) (٥٧٦) . لذلك اشار ميخائيل السريانى الى ان بلدوين دى بورج امتلك كيسوم ورعبان فى تلك السنة (٥٧٧) .

وفى نفس ١١١٦م استولى بلدوين على قلعة الروم الى الشرق من سميساط والى الجنوب من الرها قرب الضفة الغربية للفرات وكانت جزءا ايضا من ممتلكات باسيل دغا (٥٧٨) .

أما عن كركر التى كانت تابعة للأمير قنسطنطين الأرمنى الذى سبق ان ساعد بلدوين الأول فى الاستيلاء على الرها (٥٧٩) . فنجد ان ميخائيل السريانى يشير الى ان بلدوين دى بورج ضمها لامارة الرها ١١١٦م (٥٨٠) ، فى حين يشير متى الرهاوى ان ذلك حدث ١١١٧م (٥١١هـ) (٥٨١) وأن بلدوين دى بورج سجن قنسطنطين فى

---

(٥٧٤) Mattieu : Op. Cit.. p. 116, Cahen : Op. Cit., p. 275. Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 493.

(٥٧٥) Mattieu : Op. Cit., p. 116.

(٥٧٦) Mattieu : Ibid., p. 116, Cahen : Op. Cit., p. 275, Grousset Op. Cit., V. 1, p. 493, L'Empire, p. 387 عن (Matieu).
سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٧٣ عن (متى الرهاوى) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 408 هنا يضيف متى الرهاوى « ان باسيل دغا لجأ بعد ذلك الى القسطنطينية حيث استقبل بحفاوة كبيرة — هو والقوات التى صحبته — من الامبراطور البيزنطى » .

(٥٧٧) Michel : Op. Cit., p. 199.

(٥٧٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 154.

(٥٧٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

(٥٨٠) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٨١) Mattieu : Op. Cit., p. 117, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

حميساط حتى هلك فى احد الزلازل الأرضية (٥٨٢) .

وفى ١١١٧م ايضا توجه بلدوين دى بورج ضد احد الرؤساء الارمن المشهورين هو ابو الغريب — Abelgh'arib — حاكم البيرة (٥٨٣) . وصحبه فى حملته هذه أمير سروج . وكانت البيرة ذات موقع استراتيجى فى المكان الأول من الاهمية على مجرى الفرات على طريق الرها عينتاب (٥٨٤) . وظل بلدوين يحاصر البيرة حوالى سنة كاملة حتى فقد ابو الغريب كل امل فسلم البيرة وكل الاقليم الى بلدوين (٥٨٥) .

وهكذا يكون بلدوين قد استولى بين سنتى ١١١٥م ، ١١١٨م على ممتلكات كل من دفا باسيل حاكم كيسوم ورعبان وقلعة الروم وأبو الغريب حاكم البيرة وقسطنطين حاكم كركر ، وذلك عن طريق القوة والضغط حتى أن متى الرهاوى يذكر صدى ذلك بقوله « اننا نود أن نحصى الجرائم العديدة للفرنج ، ولكننا لا نجرؤ او نتجاسر لاننا تحت نفوذهم (٥٨٦) » .

والواقع ان سياسة بلدوين التوسعية عن طريق العنف لم تستمر طويلا ففى ١١١٨م توجه كما مر بنا الى القدس حيث توج ملكا . هنا يعقب او لدنبرج على سياسة بلدوين البولونى ودى بورج مع الأرمن فيقول « انه بالرغم من صلابتهما فان سياسة التحالف والامتيازات المتبادلة فرضت على الفرنج بحكم ظروف الساعة نفسها (٥٨٧) » .

وهكذا كان عهد بلدوين دى بورج عهدا ظهرت فيه علاقات امارة

---

(٥٨٢) Mattieu : Op. Cit., p.p. 117-118. Grousset : Op. Cit., p. 494.

(٥٨٣) Mattieu : Op. Cit., p. 116-117.

(٥٨٤) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٣ عن (Setton)
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 493
هنا يذكر جروسية انه رغم أن البيرة دانت بالطاعة لبلدوين الأول ١٠٩٩م الا أنه تركها تتمتع بكيانها كامارة ارمينية . ولكن كانت تعترض بطريقة مكدرة بين الرها وتل باشر .

(٥٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 117. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

(٥٨٦) Grousset : Ibid., V. 1, p. 494 عن (Mattieu)

(٥٨٧) Zoé : Op. Cit., p. 210

الرهـا بالأرمن خارجيـا فى ثلاثة انماط . اما زواج متبادل أو ود وتحالف أو عـداء وتوسـع بالقوة من جانب الرهـا .

وفى عهد جوسلين دى كورتناى تجددت علاقات الزواج من أرمينيات ، فقد اتخذ جوسلين من اخت ليون الاول ملك أرمينيا الصغرى (٥٨٨) . (١١٢٩ ــ ١١٣٦م) (٥٨٩) . أو أخت ثوروس الاول (٥٩٠) . أو بمعنى آخر ابنـة قنسطنطين (٥٩١) . زوجـة له ، لان ثوروس وليون كانا ولدى قنسطنطين .

ومن أبرز العلاقات بين الارمن والرهـا فى عهد جوسلين دى كورتناى. تلك المحاولة البطولية التى سـاعد بها الأرمن فى اطلاق سراح جوسلين من سجن خرتبيرت كما مر بنا . ذلك أن الأمر لم يقتصر عندئذ على جهود رعايا جوسلين الأرمن فحسب (٥٩٢) . بل تعداه الى الأرمن فى خرتبرت سـواء فى قلعتها أو فى البلد نفسها (٥٩٣) . أو فى طريق عودتـه الى الرهـا خاصـة جهود أحـد الفلاحين الأرمن الذى اسهبت المصـادر المعاصرة فى الاشـادة بجهوده فى هـذا المجال (٥٩٤) .

وما أن علم تلك بأمر هرب جوسلين ووقوع القلعة ــ كما مر بنا ــ

---

(٥٨٨) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٥٨٩) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٩٠) Zoé : Op. Cit., p. 296.

(٥٩١) Iorga : L'Arménie ciliciénne, p. 93 عن (Alishan Sissouan)

(٥٩٢) Mattieu : Op. Cit., p. 134, Cahen : Op. Cit., p. 297, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 541 - 542, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876, عن (L'Anonyme), Archer : Op. Cit., p. 162.

(٥٩٣) Mattieu : Op. Cit., p. 134, Michel Op. Cit., p. 211 Cahen : Op. Cit., p. 297, Setton : Op Cit , V 1, p. 419 Grousset : L'Empire, p. 300, عن (Foulcher), Archer : Op. Cit., p. 163.

(٥٩٤) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 456 Cahen : Op. Cit., p. 297, Archer : Op. Cit., p. 163, Setton : Op. Cit. V. 1 p.420, Zoé : Op. Cit., p. 298, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 592, L'Epopée, p. 123 . عن (Foulcher)

بيد الملك ورفاقه حتى اسرع اليهـا واستعادها (٥٩٥) ؛ ولم يتم ذلك بالطبع فى سلام بل راح ضحيتـه كل الأرمن تقريبا الذين وجـدهم بالك فى التلعة(٥٩٦) وحتى الذين ظلوا على قيد الحياة وقعوا فى قبضته(٥٩٧).

وقبل أن ننتقل الى عهد جوسلين الثـانى نحاول التعرف على علاقة الرها بكركر فى عهد جوسلين الاول . فقد كانت زوجة قنسطنطين حاكم المدينـة قد ظلت تحكمها ــ بعـد ان زج بلدوين دى بورج زوجـها فى السجن ــ حتى عهد جوسلين الثـانى (٥٩٨) . وعند اسر الملك بلدوين الثانى كان يحكم كركر ١١٢٣م ــ (٥١٧هـ) ميخائيل بن قنسطنطين (٥٩٩). وثمة نص لميخائيل السريانى يوضح علاقة كركر بامارة الرها بعـد ذلك يقول « فى عهد بلك خرج ميخائيل الأرمنى من قلعة كركر وتنـازل عنها . وبعد مقتل بلك استولى عليها من جديد الى أن هاجمه بعض الأتراك ؛ ولمـا لم يكن قـادرا على حماية نفسـه فانه هرب فى الفرات ، ثم تنازل لجوسلين عن كركر . حتى باعها جوسلين بخمسمائة دينار (٦٠٠) » .

وفى ١١٣٧م تمت فى عهد جوسـلين الثانى رابطة قـوية بين امارة الرها والأرمن فى أرمينيا الصغرى . ذلك انه حدث فى تلك السنة خلاف بين ريموند الثانى أمير انطاكية من ناحية وبين ليون ملك ارمينيا من ناحية اخرى ، وبحكم قرابة الاخير من جوسلين فقد توسط بينهما واقام الصلح بين الجانبين الذين تحالفا ضد الامبراطور البيزنطى (٦٠١) .

على أن البيزنطيين احتلوا تيليقيـة بين سنتى ١١٣٨ ــ ١١٤٥م ــ

---

(٥٩٥) أبو الفدا : المختصر حـ ٢ ص ٢٣٧ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص٣١
Mattieu : Op. Cit., p. 134, William : Op. Cit., V. 1. p. 543,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٥٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Michel : Op. Cit., p. 211, Zoé
Op. Cit., p. 298.

(٥٩٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 544.

(٥٩٨) Cahen : Op. Cit., p. 276.

(٥٩٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2 p. 875 من (L'Anonyme)

(٦٠٠) Michel : Op. Cit., p. 244.
وهو يقصـد هنـا ميخائيل الأرمنى ، ميخائيل بن قنسطنطين

(٦٠١) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques de Morgan
Op. Cit., p. 172. Tournebize : Op. Cit., p. 173. Cahen :
Op. Cit., p. 358.

(٥٣٣ — ٥٤٠هـ وكان آخر حاكم لارمينيا عند الغزو البيزنطي هو ليو الأول (٦٠٢) .

رابعا : علاقة الرهـا بالدولة البيزنطية :

للتعرف على أهم العلاقات بين امارة الرها الصليبية والدولة البيزنطية في الفترة التي ندرسها ، ينبغي الرجوع الى الوراء ، أي الى ٩٤٣م (٣٣١هـ) عندما حاصر القائد البيزنطي حنا كوركاس الرها(٦٠٣) . والواقع أن هذا الحصار لم يتبعه دخول الرها في حوزة البيزنطيين ، لأن ذلك لم يتم الا بعد حوالي قرن من تلك الحملة (٦٠٤) ولكن اهمية ذلك الحصار ترجع الى ما تبعه من مفاوضات طويلة بين البيزنطيين والخلافة العباسية محورها رغبة البيزنطيين في الحصول على صورة المسيح المقدسة التي كانت موجودة بالرها حتى ذلك الوقت . وقد بينا فيما سبق — عند الحديث عن تلك الصورة — كيف انتهت تلك المفاوضات بموافقة الخليفة المتقي ٣٣١هـ — ٩٤٣م على التخلي عنها في مقابل اطلاق سراح الأسرى المسلمين الموجودين في القسطنطينية(٦٠٥) . وبالفعل تم نقل ذلك الاثر المقدس الى القسطنطينية في ١٥ اغسطس ٩٤٤م وسط احتفال ديني عظيم (٦٠٦) .

---

(٦٠٢) Iorga : L'Arménie Ciliciénne : p. 94, Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, p. 785.

(٦٠٣) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 245, Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 785.

(٦٠٤) Cam. Med. Hist. : Ibid., p. 140.

(٦٠٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ص ٢٩٤ ، ابن الساعي : اخبار الخلفاء ، تاريخ تيمور رقم ٩٠٢ مخطوط ص ٨٠.
Le Strange : Op. Cit., p. 104.
أما ابن العبري فيذكر ان ذلك كان ٩٤٢م
(Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1. p.p. 162 - 3)

(٦٠٦) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 246, Encyclopaedia of Islam V. 3, Part 2, p. 996, Cam. Med. Hist.: Ibid, p. 141.
ويضيف المرجع الاخير أن نقل ذلك الاثر كان آخر انتصارات عهد الامبراطور (Romanus Lecapénus) لانه بعد حوالي أربعة اشهر بالتحديد في ١٦ ديسمبر ٩٤٤م قبض على الامبراطور ووضع في جزيرة Prote حيث توفي في ١٥ يونية ٩٤٨م
Cam. Med. Hist., p. 143.

وفى ١٠٣٠م (٤٢٠هـ) « كان يحكم الرهـا اميران عربيان فأرسـل احدهما الى الامبراطور ميخائيل وباع له نصيبه ، فجاءت القوات البيزنطية وتولت السلطة واقاموا اماكن دفاعية قوية هناك وعندما سمع حاكم حلب بذلك ارسـل الى الرها جيشـا اسـتولى عليها وهرب المسيحيون الى الكنيسة العظمى حتى حل الشتاء ونزلت الثلوج وعندئذ جعلوا الشـتاء ذريعة وتنازلوا عن البلد ورحلوا(٦٠٧) » .

وفى ١٠٣٢ (٤٢٤هـ) توجه القائد البيزنطى جورج مانياكس الى الرهـا واسـتولى عليها محققا بذلك قمة انتصـاراته(٦٠٨) . ففى تلك الحملة استولى البيزنطيون على الاثر المقدس الثـانى فى الرهـا وهـو خطاب المسـيح المشـهور الى ابجر ملك الرهـا السـابق الذكر واحتفل فى القسطنطينية « احتفالا كبيرا بوصول ذلك الأثر اليها(٦٠٩) . وبعد ذلك ظلت الرها ضمن الممتلكات البيزنطية حتى قدوم الصليبيين (٦١٠) أو على الأصح حتى بداية غزوات الأتراك السلاجقـة (٦١١) ». « فبينما كانت نيقية على مشارف البسفور بيد الأتراك السلاجقة منذ ١٠٨١م (٤٧٤هـ) كان مدنـا اخرى متطرفة فى الشرق مثل انطاكية بالشـام والرهـا شرقى الفرات ـــ ظلت تابعة للدولة البيزنطية فقامت بها حاميات بيزنطية وزعماء من الأرمن يعترفون بالسيادة للقسطنطينية ، وقـد استمرت الرها على ذلك الوضع حتى ١٠٨٧م ـــ ٤٨٠هـ (٦١٢) » .

ويؤكد تبعية الرها لبيزنطة قبيل وصول الصليبيين ما قاله الشـاعر

---

(٦٠٧) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p.p. 192 - 193.
وكان حاكم حلب آنذاك هوشبل الدولة ابو كامل نصر بن صالح بن مرداس الذى حكم من ٤٢٠ : ٤٢٩هـ (الطباخ الحلبى:اعلام النبلاء،حـ ٢ ص ٣٢٢ ، العينى : عقد الجمـان ، حـ ١٤ م ٥ ص ٨٢٧ ـــ ٨٢٨) .

(٦٠٨) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 285
اما ابو الفضائل الحموى:التاريخ المنصورى،ص ١٥٠ فيذكر ان الرها سلمت للروم ٤٢٣هـ ويتفق معه فى ذلك ميخائيل السريانى الذى يقول انها دخلت ضمن حوزتهم ١٠٣١م Michel : Op. Cit., p. 280. ولكن الراجح أن حملة جورج مانياكس كانت فى العام التالى وانها هى التى اكدت استيلاء البيزنطيين على الرهـا .

(٦٠٩) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 725.

(٦١٠) Cam. Med. Hist : Ibid., p. 726.

(٦١١) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٩ Setton : Op. Cit., V. 1. p. 304.

(٦١٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية : حـ ١ ص ٩٤ .

الأرمنى نيرسيس فى قصيدته التى رثى بها الرها اذ تصور الرها تخاطب القسطنطينية فتقول .

يا مدينــة العــظمة والأبهة
يا من شادها الملك قسطنطين
على ابواب آســيا الصغرى
لقــد كنت ملـكا لك
وجزءا منك يا أم المدائن
وبنيت على أرضى هيكلا
وسميته باسم هيكلك(٦١٣) .

فاذا انتقلنــا الى علاقة امــارة الرهــا الصليبية بعــد تأسيســها بالامبراطورية البيزنطية . نجــد أن « تأسيس بلدوين البولونى للامــارة فى حــد ذاته يعتبر خروجا واضحا على الاتفاق الذى ابرمهم البيزنطيين(٦١٤). ذلك ان الرها كانت اقليما بيزنطيا وكان يجب أن تعــود لبيزنطة . وهكذا ورغم أن بلدوين كان قد حلف يمين الولاء للامبراطور الكســيوس الا انه لم يقم أى وزن لهذا القسم وكان على استعداد لخرقه متى دعت الظروف الى ذلك ، لذا رفض بلدوين رد الرهــا للامبراطور (٦١٥) . وقد ادعى بلدوين انه وصل الى السلطة عن طريق الارادة الشعبية ممثلة فى أهالى الرهــا الذين نادوا به أميرا عليهم (٦١٦) .

---

(٦١٣) الأبيات من ٧٦ : ٧٨ ، ٨٩ : ٩٠. Nersès : Op. Cit., p. 220.
هنا يفسر المترجم الفرنسى دولوريبه المقصــود بالهيكل هنــا : كنيســة (القديســة صــوفيا) .

(٦١٤) Bréhier : Vie et Mort, p. 313, J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 209,
اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٠٩

(٦١٥) Bréhier : Ibid., p. 313.
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٤ عن (Runciman)
جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢٠٦
عن (Ostrogorsky) هــذا الى جــانب الغــدر الذى عــامل به بلدوين الأمير ثورس كان لطمة للعاهل البيزنطى ، فثوروس كان موظفا فى خدمة الامبراطور كما انه كان عضوا فى الكنيســة الارثوذكسية البيزنطية (اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٩ — ١١٠) .

(٦١٦) J. Prawer : Op. Cit., p. 209, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 304.
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٤ .

ورغم ذلك فان الامبراطور الكسيوس الأول كومنين (Alexius I Comménus) (١٠٨١ — ١١١٨م (٦١٧) / ٤٧٤هـ — ٥١٢ هـ) لم يفعل شيئا ولم يقدم حتى احتجاجا رسميا ، بل فضل السكوت فى ذلك الوقت حتى تحين فرصة أفضل ، فقد كانت مسألة الرها عندئذ اقل نسبيا من مشكلة انطاكية الاكثر خطورة(٦١٨) .

واذا كان البيزنطيون قد انزعجوا من قيام الامارات الصليبية لما نشأ بين الطرفين من عداء مرير فاق فى قسوته العداء مع المسلمين، الا انهم اكتفوا فى البداية باستعادة جزء من ممتلكاتهم المفقودة فى آسيا الصغرى مستغلين ضعف سلاجقة الروم فى ذلك الدور(٦١٩) .

ويبدو أن هجمات البيزنطيين اخذت تشتد على الصليبيين حوالى ١١٠٢ — ١١٠٣م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) فقد سبق أن اشرنا ان ثوروس بن قنسطنطين ساعد الصليبيين فى صد هجمات البيزنطيين على الرها وانطاكية (٦٢٠) .

والواقع أن موقف البيزنطيين من الصليبيين وخاصة فى الرها وانطاكية برز واضحا جليا بعد هزيمة الفرنج فى حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) « فقد كان الامبراطور يراقب الموقف فى قلق فى بيزنطة ولم يأسف لسماع إخبار هزيمة الفرنج »(٦٢١) .

وقد سبق أن أوضحنا كيف أن هزيمة الصليبيين فى حران اضعفت مركز الصليبيين بالشام واحيت آمال كلّ من الامبراطور الكسيوس والمسلمين (٦٢٢) . ويبدو أن تمسك الامبراطور الكسيوس كومنين بحق البيزنطيين فى انطاكية جعله يفتح باب المفاوضة من جديد مع الأمير بوهيموند أمير انطاكية . ويبدو أن هذه الخطوة تمت قبل اطلاق سراح بلدوين دى بورج سنة ١١٠٨م بدليل ما اشارت اليه بعض المراجع الفرنجية من « تجدد الاتفاق بين كل من الامبراطور البيزنطى الكسيوس وبين بوهيموند سنة ١١٠٨م بعد هزيمة الأخير فى البلقان واثناء

(٦١٧) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ .
(٦١٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304.
(٦١٩) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p.p. 52 - 57.
(٦٢٠) H. Pasdermadjian : Op. Cit., p. 203.
(٦٢١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 44.
(٦٢٢) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 58.

وجوده فى السجن الامبراطورى(٦٢٣) » وفى اثناء تلك المفاوضات أدى بوهيموند يمين الولاء من جديد للامبراطور ، والراجح انه اتفق معه فى مقابل امراره على اخذ انطاكية منه ان يحصل فى مقابلها على ارض اخرى فى الشام وما بين النهرين ويفهم مما ذكرته (انا كومنينا) (٦٢٤) ان الرها كانت ضمن تلك البلاد التى سيعوض بها الامبراطور الكسيوس بوهيموند عن امارته انطاكية . وربما شجع الامبراطور على ذلك التعهد خلو امارة الرها من اميرها فى ذلك الوقت . ويفهم من النص الذى ذكرته (انا) ايضا ان التعهد من جانب الامبراطور لم يقتصر على بوهيموند فحسب بل امتد الى ورثة بوهيموند بشرط خضوعهم أيضا للامبراطور (٦٢٥) .

والحقيقة اننا لم نعثر فى اى مصدر آخر على نص يؤيد ما ذكرته (انا كومنينا) ، ولكن ذلك لا يحول دون صحة تلك الرواية اذ لا يستبعد أن يكون بوهيموند قد أراد فعلا أن يتخلص من حالة عدم الاستقرار مع بيزنطة بسبب تمسكها بحقها فى انطاكية والذى ستتمسك به باستمرار بعد ذلك مقابل افضل الشروط .

وعندما خلف تنكريد بوهيموند فى حكم انطاكية يبدو انه لم ينفذ ما تعهد به بوهيموند للامبراطور الكسيوس مما ادى الى تجدد الخلاف بينهما . ويدلنا على ذلك ما حدث عند عودة بلدوين دى بورج من الأسر ، اذ رفض تنكريد اعطاءه امارته ، مما تسبب فى قيام النزاع بين الجانبين . هنا يشير ابن الفرات الى انه بعد أن استنجد بلدوين بجاولى كما مر بنا لجأ الأخير الى جوسلين صاحب تل باشر « وكان بين جوسلين الفرنجى

---

(٦٢٣) اشار جروسيه الى ذلك الاتفاق تحت اسم معاهدة Deabolis وذكر انها كانت بين الامبراطور الكسيوس وبوهيموند ١١٠٨م عندما كان الأخير سجينا لديه .
Grousset : Hist. des Crois.. V. 2, p. 89 من (Chalandon)
اما برويبه فقد اشار الى ذلك الاتفاق بقوله (كل ما وعد به بوهيموند الامبراطور الكسيوس عند هزيمته فى البلقان سنة ١١٠٨م . (J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325) كذلك اشار ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة العريني ص ٦٣ (القاهرة ١٩٦٠) بأن ذلك كان بعد هزيمة بوهيموند فى دورازو .

(٦٢٤) Anna Comnena : Op. Cit., p.p. 355-356.
الصعوبة الوحيدة هنا ان (انا) لم تحدد التاريخ الخاص بهذا الاتفاق

(٦٢٥) Anna : Ibid., p. 356.

وطنكريد حروب كثيرة وعداوة .. وكان طنكريد اقوى بانطاكية وجوسلين اضعف بقلة ملكه وماله ، ولما راى جوسلين ان لا طاقة له بطنكريد اوصى لمن يحفظ البلاد وشحن الحصون وسار الى ملك الروم فطرح نفسه بين يديه وطلب منه المساعدة فاطلق له خمسة عشر الف دينارا وغادر من عنده (٦٢٦) » . وهذا النص نستشف منه : أن أولى الأمر فى الرها لم يكن لديهم علم بما تم بين الامبراطور وبوهيموند ، فضلا عن ان الامبراطور عندما وجد أن تنكريد غير موافق على ما تعهد بوهيموند به اراد ان يكسب حكام الرها الى جانبه ضد تنكريد وبذلك لم يتاخر فى تقديم المساعدة اليهم كفاتحة لتوطيد العلاقات بين الجانبين .

وثمة دليل آخر على عدم تنفيذ تنكريد لأتفاق الكسيوس — بوهيموند هو ان انا كومنينا نفسها تعود وتذكر ان سفارة اتجهت من بيزنطة الى بيت المقدس لتطلب من الملك بلدوين الأول عقد تحالف مع الامبراطور ضد تنكريد فى مقابل مبلغ من المال تدمه الامبراطور ، ولما رفض الملك ذلك العرض خاطب الرسل جوسلين دى كورتناى — الذى كان بالقدس عندئذ — فى نفس الأمر فرفض هو الآخر (٦٢٧) . ومعنى هذا ان الرها عندما اتضح لها الهدف الحقيقى للامبراطور من وراء كسبه ودها ، وانه يرمى الى وضعها الى جانبه ضد شقيقتها الصليبية رفضته ذلك بشدة .

وهكذا كان العداء بين الصليبين والبيزنطيين على اشده حتى أن الامبراطور نفسه لم يلبث ان ارسل يحرض سلطان السلاجقة محمد بن ملكشاه ضد الفرنج ٥٠٤هـ — (١١١٠م) وقد اورد كل من ابن القلانسى وابن الاثير اخبار تلك السفارة (٦٢٨) والتى سبق أن اشرنا اليها بالتفصيل عند تناول العلاقات بين الرها وسلاجقة فارس فى تلك السنة .

وعندما خلف الامبراطور حنا كومنين (١١١٨ — ١١٤٣م (٦٢٩) ٥١٢ — ٥٣٨هـ) الامبراطور الكسيوس الأول كانت اهم آمال الامبراطور

---

(٦٢٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ، ص ٢٥ (أ) ، (ب) .

(٦٢٧) اوردنا النص مع الملاحق Anna Comnena : Op. Cit., p. 367.

(٦٢٨) ابن القلانسى : الذيل - ص ١٣٧ ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٢ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٦٠ — ٤٦١ عن (Chalandon)

الجـديدة هى « اعـادة تاسيس القـوة البيزنطيـة فى وادى الفرات وبدا مصمما على التدخل فى شئون مملكة بيت المقدس، ووادى الفرات (٦٣٠)» هـذا يعنى ان امارة الرها نفسها كانت محط اطماع ذلك الامبراطور .

على ان العلاقات البيزنطية الصـليبية دخلت مرحلة جـديدة منـذ ١١٣٧م — (٥٣١هـ) ففى تلك السنة توجـه الامبراطور حنـا كومنين الى كل من قيليقية والشام لتاكيد حقوق الامبراطورية فى كل من الاقليمين . ذلك أنه اعتبر اعطاء امـارة أنطاكية لريموند دى بواتيه عن طريق زواجه بكنستانس ابنة بوهيموند الثـانى دون الرجوع الى القسطنطينية فى ذلك الأمر خرقـا لليمين الذى اقسمه الصـليبيون فى القسـطنطينية لوالده الامبراطور الكسيوس (٦٣١) . هـذا فضلا عن حقده على امراء ارمينيـا الصغرى فى قيليقية لخروجهم عن طاعـة الامبراطورية البيزنطية (٦٣٢) .

والواقع ان امراء انطاكية وقيليقية لم يكونوا يجهلون ذلك الشـعور وموقف الامبراطور البيزنطى من كل من الجانبين (٦٣٣) .

وقد راينا ما كان من خلاف بين كل من ليون الأول امير أرمينيا الصغرى وريموند الثـانى امير انطاكية وكيف تدخل جوسلين الثانى بينهما ١١٣٧م حتى تم الصـلح بينهما وعندئذ « تحـالف الطرفان ضد الامبراطور حنـا كومنين (٦٣٤) » . وكان ان الحق ليـو قـواته العسـكرية بالقـوات الانطاكية للقيـام بعمل مشترك ضـد الامبراطور البيزنطى (٦٣٥) .

اما الأسباب التى حركت الامبراطور ضد ارمينيا الصغرى وانطاكية فى تلك السنة بالذات فاهمها الخلاف الذى سبق أن اشرنا اليـه بين ملك

---

(٦٢٩) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 204

اسد رستم : الروم ، جـ ٢ ص ٢٩٧ ، هنـا يكنيه الكاهن جريجوار (Parphyrogénète) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٦٣٠) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 66.

(٦٣١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Bréhier : L'Eglise et l'Orient, p. 101.

(٦٣٢) Grégoire Le Prêtre : Ibid, p. 152.

(٦٣٣) Jacques de Morgan ; Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 174.

(٦٣٤) Jacques de Morgan : Ibid., p. 172, Tournebize : Ibid p. 173-4.

(٦٣٥) (Cinnamus) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

أرمينيا وأمير انطاكية وبالرغم من عقد الصلح والتحالف بين الطرفين فان الامبراطور تقدم الى قيليقية واستطاع أن يستولى على غالبيتها ويأسر ليون نفسه (٦٣٦) . كذلك عندما اشتد حصار زنكى لبارين ١١٣٧م (٥٣١هـ) « سار من بالساحل من الفرنج الناجين من المعركة ... الى بلاد الفرنج والروم يستجدونها »(٦٣٧) . بل قيل أن القساوسة والرهبان هم الذين سارعوا بطلب النجدة من بلاد الروم والفرنج « فحشدت النصرانية وجمعت وقصدوا الشام مع ملك القسطنطينية (٦٣٨) .

ولكن يبدو ان الامبراطور لم يستطع القيام باى عمل ايجابى تجاه الصليبيين المحاصرين فى بارين بدليل ما ذكر من أنه عند رجوع الأمير ريموند الثانى امير انطاكية الى امارته وجدها محاصرة بواسطة الامبراطور البيزنطى (٦٣٩). وعندئذ طالب الامبراطور ريموند بأن يتخلى له عن انطاكية، وفى النهاية اصبح اهالى انطاكية انفسهم حكما بين الطرفين (٦٤٠) ، وتم الاتفاق على انه فى مقابل دخول انطاكية تحت نفوذ الامبراطور يساعد الأخير الصليبيين فى الاستيلاء على بعض المدن التى ما زالت خاضعة للمسلمين فى الشام مثل حلب وحمص وحماه وشيزر وأن تصبح تلك المدن عندئذ تحت تصرف أمير انطاكية (٦٤١) . وهو ما يعرف بالحلف الفرنجى

---

(٦٣٦) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 204, Grégoire : Ibid., p. 152. هنا يسمى ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٢ الامبراطور حنسا (كاليانى) أما ليون فيسميه لاون بن روبال .

(٦٣٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦١ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٦٣٨) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٦٣٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 325.

(٦٤٠) Bréhier : L'Eglise et l'Orient, p. 101.

(٦٤١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153, Bréhier : Ibid. p. 101. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439,
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 147. Jean Richard : Op. Cit., p. 45,
يوسف الدبس : تاريخ سورية حـ ٦ ص ٦٤ ، سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٨٤ .

البيزنطى ١١٣٧م والذى سنتناوله بالتفصيل فى الباب القادم . وكل ما يهمنا هنا هو ابراز العلاقات الرهوية البيزنطية من خلال هذا الحلف خاصة منذ ١١٣٨م — (٥٣٢هـ) عندما بدأ يدخل فى دور التنفيذ العملى .

ذلك أن الامبراطور ارسل فى تلك السنة رسله لدعوة الأمير ريموند والأمير جوسلين الثانى وأمراء آخرين للسير معه لحرب المسلمين، وبالفعل جند الأميران القوات من كل مناطق نفوذهما وتبعوا الامبراطور (٦٤٢) . وتقدم الأمبراطور ومعه ريموند وجوسلين الثانى الى حلب ولكن بعد قتال شديد لم يستطع الفرنج والبيزنطيون الاستيلاء عليها (٦٤٣) . وكان أن توجه الجيش المسيحى الى شيزر ، وهناك دارت بين المسلمين والصليبيين وحلفائهم البيزنطيين معركة حامية ، تحمل الامبراطور فيها الجزء الأكبر من عبء المعركة فى الجبهة المسيحية ، بينما لم يبذل كل من جوسلين الثانى وريموند جهدا ايجابيا ملحوظا فى الحصار (٦٤٤) . وعندئذ اضطر الامبراطور الى رفع حصاره عن شيزر لاسباب سنتناولها بالتفصيل فيما بعد من بينها الموقف غير الايجابى لأميرى الرها وانطاكية .

ثم انسحب الأمبراطور والأميران الصليبيان الى انطاكية ، وهناك طلب الامبراطور من أمير انطاكية ان يسلم قلعة المدينة اليه تنفيذا لوعده (٦٤٥) ، وقال له « انجز وعدك وكن مطيعا واظهر ولاءك واعمل واجبك وسيكون على سمونا الامبراطورى أن ننفذ الالتزامات

---

(٦٤٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 94.

(٦٤٣) Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset: L'Epopée, p. 155, Zoé : Op. Cit., p. 328,
ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ ، يوسف الدبس : تاريخ سورية، حـ ٦ ص ٦٤ .

(٦٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 95. Bréhier : L'Eglise...p. 102, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 156, Zoé : Op. Cit., p. 328, Jean Richard : Op. Cit., p. 45.

(٦٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب حـ ٢ ص ٢٦٨ J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 362. Grousset : L'Epopée, p. 157, Zoé : Op. Cit., p. 329.

الباقيـة علينـا (٦٤٦) » . وعندئـذ تدخل جوسـلين الثـانى لينقذ الموقف فرد على الامبراطور قائلا : « سيدى ان كلمات سموك الامبراطورى مشحونة بالفصـاحة الرائعة وجديرة بكل استحسان ، لاننـا نرى انها تستهدف زيادة قوتنا ككل ، ولكن ثمة أمر جـدير بالاعتبار هو ان طلبك ليس رهينا بموافقة امير انطاكيـة وحـده ، وانما يجب استطلاع آراء نبلائـه ورايى وراى رعايـاه المخلصـين ولـذا يجب اعطـاءه مهلـة للتفكير (٦٤٧) » .

وبالفعل لاقت تلك الاجابة استحسانا من الامبراطور وترك لهم فترة قصيرة للتفكير فى الأمر .

وعندئـذ اتصـل جوسـلين سرا عن طريق بعض اعوانـه بالناس ليخبرهم بمطالب الامبراطور ويستثيرهم ويحضهم على التسلح والثورة ولـم تلبث أن شبت ثـورة فى المدينـة وانطلقت الجمـاهير تصـيح فى شوارعها (٦٤٨) . « وعندئذ اسرع جوسـلين على فرسـه الى القصر كما لو كـانت الجماهير تطـارده ثم القى بنفسـه لاهثـا عند أقـدام الامبراطور فتعجب الامبراطور من دخوله المفاجىء وسـأله بقلق لـماذا يفعل هـذا على عكس قواعـد التشريفات والسـلوك . فاجاب الامير بأن الضروريات تبيح المحظورات . وان الثورة الجماهريـة ارغمته ان يخالف القواعـد المـألوفة كى يتحاشى خطر الموت على يـد الجمـاهير الغاضبة (٦٤٩) » .

ولم تلبث ان ترامت الى مسـامع الامبراطور صـيحات الجمـاهير « الويل لانطاكية فقد بيعت للروم (٦٥٠) » . وهاجم الثوار افراد أسرة الامبراطور ونهبوهم وضربوهم ووضـعوا السيف فى كل من ابدى ايـة مقاومة (٦٥١) . مما جعل الامبراطور يقرر الرحيل عن انطاكية (٦٥٢) .

---

(٦٤٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 98.

(٦٤٧) William : Ibid, V. 2 p.p. 98 — 99.

(٦٤٨) William : Ibid., V. 2, p. 99, Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Prewer : Op. Cit., T. 1, p. 327, Grousset : L'Eppoée, p. 157.

(٦٤٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 99.

(٦٥٠) الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٦ ، ص ٦٥ .

(٦٥١) William : Op. Cit., V. 2, p. 100.

(٦٥٢) William : Ibid., V. 2, p. 100, Bréhier : Vie et Mort, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 2, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 363, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327. سعيد عاشور : الحركة حـ ١ ص ٥٨٩ (عن وليم الصورى) .

وبعـد مضى اربع سنوات عـاد الامبراطور حنا كومنين للظهور من جـديد فى شمال الشـام كى يطالب بانطاكيـة مرة اخرى ولكن قبل ان يتوجـه اليهـا بدأ أولا بامارة الرهـا ، كى يضمن جـانب جوسـلين الثانى لأنه لم يخف عليه ما دبره جوسـلين من حيلة لاجلائه عن انطاكيـة ١١٣٨ . لـذا ظهر الامبراطور فجاة امام تل باشر ١١٤٢م — (٥٣٧هـ) وطلب من جوسـلين رهائن مما اثار دهشة الأخير لوصول الامبراطور المفـاجىء ولكنـه ازاء قـوة الامبراطـور البيزنطى وجيشـه الـذى لا يضـاهى والذى لا يمكن لأى مملكة أن تصمد أمامه بادر بتقديم ابنتـه (ايزابيلا Isabella —) كرهينة للامبراطور (٦٥٣) . وهكذا فان جوسـلين الثـانى الذى انتصر على الامبراطور بالخديعـة والحيلة منـذ اربع سنوات مضت ، وجـد نفسـه فى هـذه المرة عاجزا ضعيفا فسلم للامبراطور بعض الرهـائن التى اكدت طاعته له (٦٥٤) .

وعند عودة الامبراطور حنا كومنين من انطاكية ١١٤٣م (٥٣٧هـ) توفى باذنه (٦٥٥) . فخلفه ابنه مانويل الأول (١١٤٣ — ١١٨٠م) (٦٥٦) . وفى بدايـة حكم مانويل سقطت الرهـا فى يد زنكى ١١٤٤م كما سنرى .

والواقع ان الشـاعر الأرمنى الكبير نيرسيس عندما رثى الرهـا عند سقوطها على يد زنكى ، طلب من القسطنطينية على لسـان مدينـة الرهـا ايضـا ، المعونـة والثار من المسلمين مما يبين ان بيزنطـة لم تقف موقفا متعاطفا مع الرهـا فى محنتها فهو يقول :

اليك اتوسـل : عبثى

قواتك العاتيـة

واطعنى الاعـداء فى صميمهم ثاراً وانتقاما (٦٥٧) .

لكن اذا كانت الخلافات بين البيزنطيين والصليبيين قـد ادت فى النهاية الى ضياع امارة الرهـا من ايـدى الصليبيين فان ذلك لم يمنع بيزنطة من التفكير مع بقيـة العـالم المسيحى الغربى فى استعادة الرهـا مرة

---

(٦٥٣) William : Op. Ci., p. 124, Grousset : His. des Crois.. V. 2, p. 146, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 445, Cam. Med. Hist., V. IV, p. 361 (1936).

(٦٥٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 335.

(٦٥٥) ابو الفضـائل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٦٨ .

(٦٥٦) أسـد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ٢٩٧ .

(٦٥٧) Nersès : Op. Cit., p. 230

أخرى وردها الى حظيرة الحكم المسيحى . ففى اغسطس ١١٤٦م (٥٤١هـ) أرسل الامبراطور مانويل خطابا الى البابا (٦٥٨) ، ردا على خطاب كان قد ارسله الى الامبراطور واخبره فيه ان ملك فرنسا سيتوجه على رأس حملة للانتقام للكنائس المقدسة وليعوض كارثة الرها . فقد ابتهج مانويل لهذا المسعى من أجل صالح المسيحيين ولتحطيم المسلمين . وقد رد بأنه مستعد لتسهيل مرور الجيش الصليبى وتجهيزه بالمؤن ولكنه طالب فى مقابل ذلك ولاء الصليبيين كما حدث فى عهد جده الكسيوس كومنين ورغب فى أن يجتهد البابا فى تنفيذ ذلك المطلب (٦٥٩) .

ومعنى هذا أن الامبراطور مانويل كانت لديه الرغبة فى المساعدة على استعادة الرها ولكن فى مقابل الحصول على ولاء الصليبيين له . وربما فضل مانويل أن تعود الرها الى قبضة الصليبيين خير من بقائها فى يد المسلمين . فعند عودتها الى المسيحيين يصبح من السهل على الامبراطور فرض سلطانه على شمال الشام من جديد ولو بطريقة اسمية .

والحقيقة أنه عثر على خطابين للامبراطور مانويل ارسلهما الى البابا ايوجين الثالث (٦٦٠) . بعد سقوط الرها مباشرة ولكننا سنرجىء دراسة هذين الخطابين بالتفصيل الى الباب القادم عند دراسة ردود الفعل بالنسبة لسقوط الرها .

---

(٦٥٨) كان البابا حينئذ هو ايوجين الثالث ، Eugène III — ١١٤٥ — ١١٥٣م اسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ٢١٠ .

(٦٥٩) V. Grümel : Deux Lettres de Manuel Comnéne au pape, Revue des Etudes Byzantines, T. III, 1945, p. 144.

(٦٦٠) V. Grumel : Ibid., p. 146.

الباب الثالث

نهـايـة امـارة الرهـا

جهود زنكى فى الجهاد وتكوين الجبهة الاسلامية :

ينتسب عماد الدين زنكى الى بنى زنكى الذين يعرفهم ابو المحـاسن بانهم « اواسط الـدول (١) » عرف أبوه « بالحـاجب قسيم الدولة آقسنقر التركى (٢) » . وعندما قتل قسيم الدولة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) لم يخلف من الأولاد الا ولدا واحـدا هو عماد الدين الذى كان حينئذ صبيا له من العمر نحو عشر سنين ، فاجتمع عليه مماليك والـده وأصحابه (٣) . ولمـا تخلص الأمير كربوقا من سجن حمص بعـد مقتل تـاج الدولـة تتش صـاحب دمشـق وحلب ٤٨٩هـ (١٠٩٦م) توجـه الى حران واجتمـع اليه جماعـة وملك نصيبين ثم الموصل وماردين وعظم شـأنه . ثم احضر مماليك الأمير قسيم الدولة آقسنقر وأمرهم باحضـار الأمير عماد الدين زنكى وقـال « هو ابن اخى وانا اولى الناس به فاحضروه عنـده فاقطعهم

---

(١) ابو المحـاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٧٩ فهو يذكر « بنو زكى هم أواسط الدول فان أول من ملك مـع الخلفاء وتلقب بالسـلطان والألقـاب العظيمة بنوبوية ، ثم انشـأ بنوبوية بنى سلجوق . وانشـأ بنو سلجوق بنى ارتق وآق سنقر جد بنى زنكى هؤلاء . ثم انشـأ بنو زنكى (اعنى الملك العـادل نور الـدين محمود الشهيد) بنى ايوب سـلاطين مصر وغيرها . ثم انشـأ بنو أيوب المماليك ودول الترك » .

(٢) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ ، ابن ايبك كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٩ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٧٠ (أ) هنا يضيف ابن الفرات أن قسيم الدولة سمى بذلك لانه كان مملوكا للسـلطان العـادل عضد الدولة الب ارسـلان بن داود ميكائيل بن سـلجوق ، تربى مـع ولده السـلطان العـادل جلال الدولة ابى الفتح ملكشـاه واستمر فى صحبته الى حين كبر وافضـاء اليه فجعله من اعيان دولته واكابر امرائه واخص أوليائه واعتمد عليه فى أموره كلها وعلت رتبتـه ومنزلته. الى ان لقب قسيم الدولة : ابن الفرات : حـ ١ ص ٧٠ أ ، ب .

(٣) ابن الأثير : البـاهر ، ص ١٥ ، ابن الفـرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٧٠ (ب) .

الاقطــاعات السنية (٤) » ... وأقام الأمير عماد الدين زنكى فى صحبة الأمير كربوقــا الى أن توفى ... وعندما تولى جكرمش الموصــل — وهو احــد مماليك الســلطان جلال الدولة ملكشــاه — قرب عماد الدين اليه الى أن توفى ٥٠٠هـ (١١٠٦م) ثم ولى بعــده الأمير جــاولى سقاووا ، فاتصــل به الأمير عماد الدين . ولـــا تولى الأمير مودود الموصــل من قبل الســلطان محمد بن الســلطان جلال الدولة ملكشــاه صحبة الأمير عماد الدين وحضر معــه حروبــه الى أن قتل مودود ٥٠٧هـ (١١١٣م) فعــاد عماد الدين الى الموصــل (٥) . فلمــا أمــر الســلطان محمد البرسقى بالخروج للجهــاد وكتب الى عســاكر الموصل بالخروج معــه ، ســاروا وفيهم عماد الدين فابلى فى هــذه الحرب بــلاء حسنا وعــادت العســاكر تتحــدث بما فعله وما ظهر لــه من الشجاعــة (٦) . وفى ٥١٦هـ (١١٢٢م) اقطــع مدينــة واسط وولى شحنكية البصرة (٧) . ثم ولى شحنكية بغــداد ٥٢١هـ (٨) (١١٢٧م) ثم ولى الموصــل — كما مر بنــا — هــذا الى جــانب ديار الجزيرة . ومن الموصــل ســار الى جزيرة ابن عمر فاستولى عليها ثم ضم اليه أيضــا نصيبين وسنجار والخــابور وحران ثم حلب وحماه (٩) ، وكلهــا اماكن كــانت بأيــدى المسلمين . ثم بــدأ بعــد ذلك يسترجع ما كان الفرنج قــد استولوا عليه

---

(٤) ابن الأثير : البــاهر ، ص ١٥ — ١٦ ، ابن الفرات المصــدر الســابق ص ٧٠ (ب) .

(٥) ابن الأثير : البــاهر ، ص ١٦ — ١٧ — ١٩ ، ابن الفرات المصدر الســابق والصفحة .

(٦) ابن الأثير : المصدر الســابق ص ١٩ — ٢٠ . ويبدو أن اتابك زنكى حارب مع القادة المسلمين ضد الفرنج فى الشام فى سنتى ٥١٣، ٥١٥هـ (١١١٩م ، ١١٢١م) بدليــل ماذكره ابن أيبك انــه فى ٥١٣هـ كسر اتابك الفرنــج على جبل السماق كسرة عظيمــة (ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦، ص ٤٨٢) وفى ٥١٥هـ كسر اتابك الفرنج على تل حورى . (نفس المصدر ص ٤٨٨) .

(٧) ابن الأثير : البــاهر ، ص ٢٤. والشحنة لفظ فارسى معنــاه : محافظ المدينــة ، نائب الملك ، رئيس البوليس . والمقصود هنــا من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة الســلطان .

(٨) المصدر السابق ص ٢٨ — ٣١ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ .

(٩) ابن الأثير : الباهر ص ٣٦ — ٣٧ ، الكامل حـ ٨ ص ٣٢٥ .

من بلاد وهو ما سنتناولــه بالتفصيل . ويلخص الذهبي صفات زنكى فى قوله « كــان فارســا شجاعا ميمون النقيبــة ، شــديد البــأس ، قوى المراس ، عظيم الهيبة ، فيه ظلم وزعارة (١٠) » . وأيده الأصفهانى فى ذلك بوصفه انه « كان جبــارا عسوفا ، نمرى الخلق أســدى الحنق ، لا ينكر العنف ولا يعرف العرف (١١) » .

وقبل الحــديث عن جهود زنكى فى مواجهــة الصليبيين نود أن ننقل تلك الصــورة المعبرة عن الموقف بين المســلمين والفرنــج عنــد تولى عماد الدين حكم الموصــل فقــد قال ابن الاثير : « لمــا ملك المولى الشهيد البلاد ، كان الفرنــج قــد اتســعت بــلادهم وكثرت أجنــادهم وعظمت هيبتهم ، وزادت صولتهم ، وتضــاعفت سطوتهم ، وعلا شرهم واشتد بطشهم وامتدت الى بلاد الاسلام ايديهم ، وضعف اهلها من كف عاديتهم ، وتتابعت غزواتهم ، وساموا المســلمين سوء العذاب وركبوهم بالتبار والتباب ، واســتطار فى البلاد شرر شرهم ، وعم اهلهــا شــديد حيفهم وعظيم قهرهم ، فنجوم سعد المســلمين منكدرة ، وسماء عزهم منفطرة وشمس اقبالهم مكورة ، ورايات المشركين خلال ديار الاســلام منشورة ، وانتصــارهم على أهل الايمان منصورة .

وكانت مملكة الفرنج حينئذ قــد امتدت من ناحية ماردين وشبختان الى عريش مصر لم يتخلله من ولاية المســلمين غير حلب وحمص ، وحماه ودمشــق ، وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر الى آمــد ، فلم يبقوا على موحــد ولا جاحــد . ومن ديــار الجــزيرة الى نصــيبين ورأس العين فاستأصلوا ما لأهلها من اثاث وعين (١٢) » .

والواقع ان زنكى اختار ان يبدأ بأسلوب المهادنة مع امارة الرهاالصليبية بدلا من اسلوب القوة . ففى ٥٢١هـ (١١٢٧م) ارسل الأتابك زنكى الى جوســلين امير الرهــا لمهادنه مــدة يسيرة (١٣) ، أو بمعنى آخر دخل معــه فى عــلاقة ود وصــداقة حتى أن زنــكى عندمــا أراد أن يرتبط ببوهيموند امــير انطاكيــة ، اســتخدم فى تلك المفاوضــات جوســلين وسيطا (١٤) . وكــان غرض زنكى من وراء تلك الهدنة مــع امــارة

---

(١٠) الذهبي : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ . (الزعارة هى شراسة الخلق).
(١١) الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٦ .
(١٢) ابن الأثير : البــاهر ، ص ٣٢ — ٣٣ . (التبار والتباب أى الهلاك والخسران) .
(١٣) ابن الأثير : البــاهر ص ٣٧ ، الكــامل حـ ٨ ص ٣٢٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٤ .
(١٤) Mattieu : Op. Cit., p. 148.

الرهـــا هو التفرغ للاستيلاء على ما بقى له من البلاد الشامية والجزرية واصــــلاح شــــأنها والفراغ من اقطـــاع بلادهـــا لجند يختبرهم ويعرف شجاعتهم (١٥) .

ولمـــا فرغ زنكى من ضم حلب سنة ٥٢٢هـ (١٦) (١١٢٨م) واعمالها « عاد الى الموصـــل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ، ثم أمرهم للغزاة فتجهزوا واعـــدوا واستعدوا وعاد الى الشـــام وقصـــد حلب (١٧) » . وكـــان ان عزم على الاستيلاء على حصن الأثارب ، اذ كان ذلك الحصن شـــديد الضرر على اهل حلب فقـــد اجتمع فيه عـــدد كبير من فرســـان الفرنج الشجعان وكان « من المســـلمين فى نحورهم (١٨) » . وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع اعمالها الغربيـــة « حتى على رحا لاهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق (١٩) » . لذلك ســـار زنكى الى الحصن ونازلـــه فلما علم الفرنـــج بذلك توجهوا لملاقاته فى كامل استعدادهم وكان ذلك ٥٢٤هـ (٢٠) ربيع ١١٣٠م .

---

(١٥) ابن الأثيـــر : البـــاهر ص ٣٧ ، الكـــامل ، حـ ٨ ص ٣٢٥ : ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٤ .

(١٦) (ابن الأثير : البـــاهر ص ٣٨ ، الكـــامل ، حـ ٨ ص ٣٢٦) ويذكر (ستون) من جيب أن ذلك كان فى يناير ١١٢٨م
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 429.)

(١٧) ابن الاثير : الكـــامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، أبو الفـــدا : المختصر فى اخبار البشر ، حـ ٣ ص ٣ ، العينى : عقد الجمان ، ١٦م ١ ص ٢٥ — ٢٦ .

(١٨) ابن الأثير : البـــاهر ص ٣٩ .

(١٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ٣ ص ١٣ (أ ، ب) ابو الفـــدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٣ ، ٤ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، النويرى : نهـــاية الأرب حـ ٢٥ ، مخطوط ورقة ٢٥ ، روض المناظر : مخطوط ، أحداث ٥١٣هـ العينى : عقـــد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٢٠) ابن الأثير : الكـــامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، البـــاهر ص ٣٩ ، ابن الفرات : المصدر الســـابق حـ ٣ ص ١٣ (أ) ، ابو شـــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين : ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب الســـابع ٥٢٤هـ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقد الجمان حـ ١٦م ١ ص ٢٥ ،
Setton : Op .Cit., V. 1, p. 431.

وبالرغم من اجماع كل تلك المصادر على أن ذلك كان ٥٢٤هـ ١١٣٠م . نجـــد بعض المصـــادر اشـــارت الى ان ذلك كـــان سنة ٥٢٣هـ مثل :
=

والحقيقـــة أن الفرنج عندما علموا بتقدم زنكى لقتالهم انقسموا ا
فريقين على رأى ابن الاثير ، فالبعض هونوا أمره والبعض طالبوا باتخ
اقصى الاستعدادات لملاقاته (٢١) وبالفعل توجهوا اليه فى قوة كبيرة ،
ذلك فقـد اهتموا حينئذ « بجميع الفرســـان والأجناد واحضروا من
اطراف البـلاد وجمعوا الدانى والقـاصى والمطيع والعاصى واقبلوا
جموعهم المحشورة وعساكرهم المجرورة ، واعلامهم المنشورة وصلبا
وبنودهم وملوكهم وكنودهم (٢٢) » .

ويبدو أن جند زنكى واصـــحابه تخوفوا من مقابلة ذلك الجمـع
الأعـداء (٢٣) فقـد ذكروا له « ان لقــاء الفرنج فى بلادهم خطر لايدر
على اى شــىء تكون العاقبـة » . ولكنـه لم يســتجب لهـم وقـال
ان الفرنــج متى رأونا قـد عدنـا من بين ايـديهم طمعوا وســار
فى اثرنا وخربوا بلادنــا ولابـد من لقائهم على كل حـال (٢٤) . لذ
ترك زنكى الحصن وســار لملاقاة الفرنج (٢٥) . وعندما التقى الجمـ
نصر الله المسلمين وانهزم الفرنج اقبح هزيمة ووقع كثير من فرســا
فى الأسر (٢٦) .

النويرى : نهايـة الأرب ، مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٢٥ . وروض المناظ
مخطوط احداث ٥٢٣هـ . فى حين ذكر ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ
ص ٢٧ ان ذلك كان فى صفر ٥٣٣هـ .

(٢١) ابن الأثير : البـاهر ، ص ٣٩ — ٤٠ .

(٢٢) ابن الاثير : الباهر ص ٤٠ . اما تفسير كلمة كنودهم فتذ
حاشية لمحقق الباهر ص ٤١ ان كلمة امير الفرنسية Comte عر
العرب الى (كند) ، (كند) ، (قند) .

(٢٣) tton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(٢٤) ابن الأثير : الكـامل ، حـ ٨ ، ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخط
حـ ٣ ، ص ١٢ (ب) ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٢٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : المصـ
الســابق حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، العينى : المصــدر الســابق نفس الصفح
ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٤ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ
ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ .

(٢٦) ابن الأثير : نفس المصــدر والصفحة ، ابن الفرات : نف
المصــدر والصفحة ، العينى : نفس المصــدر والصفحة ، ابو شــامـ
الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهايـة الأرب حـ ٢٥ مخط
ورقة ٢٥ ، روض المناظر : مخطوط ، احــداث ٥٢٣هـ .

وتقدم زنكى الى جنده طالبا منهم « الاثخان فى القتل (٢٧) » . قائلا ان هــذا اول مصــاف عملناه معهم فلنذقهم من باسنا ما يبقى رعبه فى قلوبهم ففعلوا ذلك (٢٨) » فلم ينــج من المعركـــة الا من هرب أثنـــاء الليل أو اختفى بين القتلى (٢٩) . ثم عاد زنكى الى الحصن « فامتلكه عنــوة (٣٠) » وقتلوا واســروا كل من فيـــه (٣١) ثم خربـــه زنكى وجعله دكا (٣٢) .

وبعـــد ذلك توجه زنكى الى حصن حارم (٣٣) . فارسل من فيـــه من الفرنج اليه يطلبون الصـــلح ويبذلوا له نصف دخل حـــارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك (٣٤) . لأن عســـكره كان قـــد « كثر فيهم الجراحات

---

(٢٧) ابن الأثير : الباهر ص ٤١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ مخطوط ٢٦ .

(٢٨) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات ، مخطوط ، حـ ٣ ص ١٣ (ب) .

(٢٩) ابن الأثير : الباهر ص ٤١ .

(٣٠) المصدر الســابق ص ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٣ ص ١٣ (ب) ابو شـــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ مخطوط ورقة ٢٥ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب السابع ٥٢٤هـ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٥٥ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٦ .
النويرى : نهايـــة الأرب ، حـ ٢٥ ورقـــة ٢٥ ، العينى : عقـــد الجمان :

(٣١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، الباهر : ٤٢ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، أبو الفدا : حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٣٥ ، النويـــرى : نهايـــة الأرب حـ ٢٥ ورقـــة ٢٥ ، العينى عقـــد الجمـــان : حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٣٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٢٥ ، روض المناظر ، مخطوط ، احداث ٥٢٣هـ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ميكروفيلم الباب السابع ٥٢٤هـ ، أبو الفدا : حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقـــد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٣٣) ذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٦ ص ٢٠٥ أنها حصن حصين وكورة جليلة تجـــاه انطاكية من أعمال حلب .

(٣٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، الباهر ص ٤٢ ، أبو شـــامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، العينى : عقـــد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٦ Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

والقتل فاراد ان يستريحوا ويريحوا (٣٥) » . وعاد زنكى وقد « اشتد أزر المسلمين بتلك الاعمال وضعفت قوى الكافرين ، وعلموا ان البلاد قد جاءها مالم يكن لهم فى حسبان وصار قصارى هممهم حفظ ما فى ايديهم بعد أن كانوا قد طمعوا فى ملك الجميع (٣٦) » .

وفى شعبان ٥٣٠هـ ابريل ١١٣٦م سارت جيوش زنكى مع الأمير أسوار نائبه بحلب فقصدوا بلاد الفرنج على حين غفلة منهم وقصدوا اعمال اللاذقية فنهبوا منها ما يزيد عن الوصف وقتلوا واسروا ، وكان الأسرى سبعة آلاف أسير ما بين رجل وامراة وصبى ومائة الف راس من الدواب وخربوا اللاذقية وما جاورها ثم توجهوا الى شيزر فى منتصف رجب بما معهم من غنائم عظيمة (٣٧) .

وفى ١١٣٧م (٥٣١هـ) أكمل زنكى عملياته العسكرية الأولى بحملته الكبيرة ضد بارين التى كانت تقع فى امارة طرابلس الصليبية (٣٨) . ويفسر وليم الصورى قيام زنكى بتلك الحملة ضد طرابلس بأنه استغل فى ذلك الوقت وضع الامارة الضعيف بعد وفاة بونز وقيام ابنه ريموند الثانى (٣٩) .

ثم سار زنكى على راس قواته واغار على حصن بارين فى شوال ٥٣١هـ (٤٠) وعندئذ ارسل ريموند أمير طرابلس الى خاله

---

(٣٥) ابن الأثير : الباهر ص ٤٢ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ .

(٣٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ١٣ (ب) .

(٣٧) ابن الأثير : المصدر السابق حـ ٨ ص ٣٥٣ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٣٨) يسمى ابن خلدون فى العبر . حـ ٥ ص ٢٣٢ حصن بارين (حصن بعدوين) وهذا غير صحيح .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

(٣٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 85.

(٤٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٥٧ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٨٩ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٨٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص٢٣٢ .

ملك القدس « بتوسلات جسادة وتضرع الى فولك ان يحضر بسرعة لمساعدتهم فى وضعهم الذى يدعو الى الشفقة (٤١) » . واستجاب الملك فولك لتلك التوسلات ، فجند قواته من المشاه والفرسان وبسرعة وصل الى طرابلس (٤٢) . وهذا ما اشارت اليه المصادر العربية بقولها « جمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا فى قضهم وقضيضهم وملوكهم وقمامصتهم وكنودهم الى اتابك زنكى ليرحلوه عن بعرين (٤٣) » .

والواقع ان ملك القدس تلقى فى ذلك الوقت استنجادين اولهما من طرابلس ضد زنكى والثانى من انطاكية ضد الامبراطور البيزنطى حنا كومنين ولكن بعد استشارة اعوانه قرر نجدة طرابلس اولا ثم انطاكية بعد ذلك (٤٤) .

وعندما التقى زنكى بالفرنج قرب حصن بارين قلم بينهما صراع شديد صمد فيه الفريقان طويلا (٤٥) لكن زنكى لجأ الى استخدام الحيلة فكمن لهم كمينا وضع فيه غالبية جنده ثم التقى بالفرنج بنفسه مع عدد قليل من رفاقه فطمعوا فيه وتبعوه فوقعوا فى الكمين (٤٦) . وانجلت الواقعة عن هزيمة الفرنج (٤٧) . عندئذ اشار البعض على الملك بالانسحاب الى داخل قلعة بارين ، فاستصوب ذلك الراى بوصفه احسن

---

(٤١) William : Op. Cit., V. 2, p. 85, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 70.

(٤٢) William : Ibid V. 2, p. 85.

(٤٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ — ٣٥٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط هـ ٣ ص ٩٠ (ب) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٢ — ٧٣ (والقمامصة جمع قمص والقومص تعريب حرفى للفظة اللاتينية (Comes) ومعناها (الرفيق) لانه كان فى بادىء الأمر يرافق الملك فى حروبه وتنقلاته ولفظة (Comes) اللاتينية هى التى حورت فى اللغة الفرنسية الى (Comte) واعتادت المراجع العربية أن تعربها الى (كند) ، (كند) ، (قند) محقق الباهر ص ٤١ .

(٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 85, Cahen : Op. Cit., p. 358, Grousset : Hist. des Crois., V. 2. p. 71.

(٤٥) ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٤٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩٠ (ب) .

(٤٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، William : Op. Cit., V. 2, p. 86.

خطة عندئذ بعد ان قتل كل المشاه أو اسروا (٤٨) . لذلك احتمى بحصن بارين (٤٩) في حين اسر امير طرابلس هو وبعض فرسانه (٥٠) . « وغنم العسكر الاسلامي سوادهم واثقالهم وكراعهم (٥١) » . ولم يحمل اللاجئون ميرة معهم الى داخل القلعة بل حملوا فقط اسلحتهم ، وقد ادرك زنكى هذه الحقيقة ولذا عزم على تجديد الحصار لبارين ، وكان واثقا انه خلال وقت قصير سيستطيع الاستيلاء على القلعة (٥٢) . « فحصرهم ومنع عنهم كل شيء حتى الاخبار فكان من به منهم لا يعلم شيئا من اخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته (يقصد زنكى) على جنوده (٥٣) » .

وفي نفس الوقت كان الفرنج الذين في الحصن واثقين من حصانته ، متيقنين انه لا يمكن لاحد ان ينالهم بسوء وهم به معتصمون (٥٤) . ولكن ذلك لم يمنعهم من الاتفاق على طلب النجدة من القدس والرها وانطاكية وبالفعل سار ثلاثة رسل الى تلك المناطق لطلب نجدة سريعة (٥٥) . ولم تقتصر طلب النجدة على الامارات الصليبية في بلاد الشام فقط بل تعدتها الى بلاد الروم وبقية البلاد المسيحية (٥٦) .

---

(٤٨) William : Ibid., V. 2, p. 86.

(٤٩) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، الباهر ، ص ٦٠ (وهو يذكر ان ذلك كان ٥٣٤هـ) ، النويري : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابو شامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى تتمة المختصر حـ ٢ ص ٤١ ، العيني : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ،

William : Op. Cit., V. 2, p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 358.

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 328.

(٥٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 358.

(٥١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ، ص ٩١ (أ) .

(٥٢) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 86 - 87.

(٥٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ، ص ٩١ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ .

(٥٤) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٠ .

(٥٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 87 - 88.

(٥٦) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج

اما زنكى فقد اشتد فى تضيقه الحصار على من بالقلعة حتى قلت الاقوات والذخائر لدى المحاصرين (٥٧) ، فاضطروا الى اكل خيولهم ودوابهم (٥٨) . واخيرا طلب المحاصرون الامان من زنكى على ان يسلموا اليه الحصن وينجوا بانفسهم الى بلادهم فلم يجبهم الى ذلك (٥٩) . « وابى الا نخذهم قهرا (٦٠) » . ولكن عندما سمع زنكى باقتراب « ملك الروم واجتماعه بمن بقى من الفرنج (٦١) » . فضلا من اقتراب الجيوش التى اتت من الامارات الصليبية الثلاث الاخرى لنجدة المحاصرين (٦٢) - وافق زنكى على طلب الامان « وقرر على المحاصرين تسليم الحصن وخمسين الف دينار فوافقوا (٦٣) » .

وبمجرد خروج الملك ورفاقه عرفوا بأخبار اقتراب جيوش النجدة

=

الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ، ص ٩١ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ .

(٥٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٨) ابن الأثير : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الفرات : المصدر السابق نفس الصفحة ، William : Op. Cit., V. 2, p. 90

(٥٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : المصدر السابق والصفحة ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ .

(٦٠) ابن الأثير : الباهر ص ٦١ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٦١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩١ (أ) .

(٦٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Cahen : Op. Cit., p. 358, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323 ,Setton : Op. Cit., V. 1, p. 438. ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) .

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ٣ ص ٩٣ (ب) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، العينى : عقد الجمان ، ١٦م ١ ص ٩٤ .

منهم وهى الجيوش التى اختلفت المصادر الاسلامية فى وصفها (٦٤) . أما المصادر والمراجع الفرنجية فتتفق على انها جيوش الرها وانطاكية وبيت المقدس (٦٥) . هذا الى أن المصادر العربية والافرنجية اختلفت من جديد فى موقف أولئك المسيحيين بعد ان اطلق سراحهم وبعد ان عرفوا بقرب النجدة منهم . فبعض المصادر الاسلامية اكتفى بقوله انهم « ندموا حيث لم ينفعهم الندم (٦٦) » . والبعض قال ان جيوش النجدة عندما قابلتهم « سألتهم عن حالهم فاخبروهم بتسليم الحصن ، فلاموهم ووبخوهم وعنفوهم ، وقالوا عجزتم عن حفظه يوما او يومين . فحلفوا لهم اننا لم نعلم بوصولكم ولم يبلغنا عنكم خبر منذ حضرنا الى الآن . فلما عميت الاخبار عنا ظننا انكم قد اهملتم امرنا وقعدتم عن نصرنا فحقنا دماءنا بتسليم الحصن وافتدينا به ماوراءه (٦٧) » .

أما وليم الصورى فيقول ان الملك ورفاقه عندما اطلق سراحهم توجهوا جنوبا من المرتفعات الى الحقول قرب عكا ، وهناك علم أن اميرى انطاكية والرها بالقرب منه ، فقابلهم الملك بتأثر عظيم وشكر شعورهم الأخوى وعنايتهم المفرطة (٦٨) .

وبعد استيلاء زنكى على حصن بارين سلمه الى شمس الدين لاجين

---

(٦٤) يذكر ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ (بلغهم اجتماع من اجتمع بسببهم) وفى الباهر ص ٦١ يقول (لقيتهم امداد النصرانية) ويذكر هذا الراى ايضا ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، وبعض المصادر تذكر (تحققوا خروج ملك الروم لنصرتهم) مثل ابن الفرات : مخطوط حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ . اما النويرى : نهاية الأرب حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، العينى . عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ فيقولوا (اجتماع الروم والفرنج) .

(٦٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Setton: Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٦٦) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ .

(٦٧) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦١ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٨ .

(٦٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 91.

فلم يزل فى يده ويد أولاده الى عهــد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى فسلم الحصن الى الأمير شمس الدين بن المقدم (٦٩) .

والواقــع ان استيلاء زنكى على بارين كان من اهم الأعمــال التى احرزها فى مواجهة الفرنج بالشـــام وهو ما عقب عليه بروبيه بقوله « كان الاستيلاء على بارين نصرا اسلاميا ذا اهمية كبيرة ، لانه اعـــاد اراضى زراعية لمـــدن حماه وحمص كانت معرضـــة على الـــدوام لخطر الهجوم الفرنجى (٧٠) » .

وفى نفس ٥٣١هـ (٧١) (١١٣٧م) استولى زنكى ايضــا على المعرة وكفر طاب وكان ذلك « فى مـــدة مقامة على بارين (٧٢) » . باجمـــاع معظم المصـــادر الاســـلامية ، فى حين انفرد ابن ايبك بالقول أن ذلك كان « بعـــد فتح بارين (٧٣) » . وقـــد دفع زنكى الى أن يخطو تلك الخطوة أن الفرنج الذين بالمعرة وكفر طاب كان ضررهم عظيما على المســـلمين لتوسطهما البـــلاد الاسلامية (٧٤) » . والواقع ان المصـــادر الاسلامية اسهبت فى الكلام عن عدل زنكى الشـــديد خاصـــة مع أهل المعرة بعـــد استيلائه على مدينتهم من الفرنج . وقـــد صور عدله هـــذا بروايتين الأولى

---

(٦٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩١ (ب) .

(٧٠) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.

(٧١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصـــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، روض المنـــاظر : مخطوط احـــداث ٥٣١هـ . فى حين ينفرد ابن الاثيـــر : البـــاهر ص ٦١ بالقول ان ذلك كان ٥٣٤هـ اما الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٧٥ فيقول أن ذلك كان ٥٢٩هـ ، بينما يذكر ابن قاضى شهبة : الـــدر الثمين فى سيرة نور الدين ميكروفيلم الباب الســـابع ٥٢٨هـ أن ذلك كان ٥٢٨هـ . ولكن المرجح أن استيلاء زنكى عليهما كان فى ٥٣١هـ .

(٧٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، أبو الفـــدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمـــة المختصـــر حـ ٢ ص ٤١ ، العينى : عقـــد الجمـــان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ ، الغزى : نهر الذهب حـ ٣ ص ٨٩ .

(٧٣) ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥ .

(٧٤) ابن الأثير : الكـــامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصـــل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٤ .

عن ابن الأثير (٧٥) ومن اخذ عنه والثانية لابن واصل (٧٦)ومن اخذ عنه .

وفى ٥٣٢هـ صيف ١١٣٨م سار اتابك الى حصن عرقه وهو من اعمال طرابلس محاصره وفتحه عنوه ونهب ما فيه (٧٧) . وفى المحرم ٥٣٣هـ ــ ٢٧ سبتمبر ١١٣٨م « فتح اتابك بزاعا بالسيف (٧٨) » . كذلك استعاد الاثارب التى كان الصليبيون والبيزنطيون قد استولوا عليها ٢١ ابريل ١١٣٨م (٧٩) . وفى ٥٣٤هـ / ١١٣٩م كانت موقعة الزيتون مع اتابك زنكى التى هزم فيها الفرنج هزيمة منكرة عظيمة وقتل منهم عشرين الف شخص على تل الثعالب (٨٠) وفى نفس السنة ايضا قتل زنكى من أهل العريش الف رجل كانوا قد اتفقوا مع الفرنج على ان يسلموهم بلاد المسلمين (٨١) .

وفى ٥٣٦هـ / ١١٤١م اغار عماد الدين زنكى على انطاكية عند جسر الحديد فهزم الفرنج هناك ثم عاد الى حلب محملا بالغنائم والسبى (٨٢) . وقيل ان الذى قام بذلك هو نائب زنكى فى حلب سيف الدين اسوار (٨٣) . وفى ٥٣٨هـ / ١١٤٣م وهى السنة التى سبقت فتح الرها على يد زنكى

---

(٧٥) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب : حـ ٣ ص ٨٩ ، العينى عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٨٣ .

(٧٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ٩٢ (أ) .

(٧٧) ابن الاثير : الباهر ، ص ٥٧ ،
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

(٧٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٩
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.
Cahen : Op. Cit., p. 363, Zoé : Op. Cit., p. 329.

(٧٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439, Cahen : p. 363, Zoé : p. 329.

(٨٠) ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٣١ .

(٨١) المصدر السابق ص ٥٣٢ .

(٨٢) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ مخطوط ص ١٢٢ ــ ١٢٣ .

(٨٣) ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٣٧ ، العينى : المصدر السابق ص ١٢٣ .

مباشرة استولى زنكى على « جملين والموزر وتل موزر وغيرها من حصون جوسلين (٨٤) » .

تصدع الحلف الفرنجي البيزنطى والصراع بين امارتى الرها وانطاكية :

يبدو من دراسة العلاقة بين الصليبيين والبيزنطيين فى عصر الحروب الصليبية أن العلاقة الطيبة التى كانت تسود بينهما احيانا بدافع العداء للمسلمين ، كانت لا تلبث أن تتحطم على صخرة المصالح المتضاربة مما ادى فى كثير من المراحل الى اثارة الشقاق والخلاف بين الجانبين مما سهل على المسلمين التغلب عليهم جميعا وخير شاهد على ذلك تمكن زنكى من اسقاط امارة الرها .

والحقيقة ان موضوع الحلف الفرنجي البيزنطى (٨٥) أو كما يسميه البعض البيزنطى الأنطاكى (٨٦) — بحكم خطورة العلاقة بين الدولة البيزنطية وامارة انطاكية — احتل مكانا مهما بين صفحات المصادر والمراجع التى تناولت دراسة الثلاثينات والأربعينات من القرن الثانى عشر للميلاد ، السادس الهجرى ، لذا سنحاول بحثه بشيء من التفصيل للتعرف على جوانبه المختلفة .

والواقع ان طبيعة الحلف الفرنجي البيزنطى لا يمكن فهمها فهما واضحا الا فى ضوء العلاقات البيزنطية الأرمينية من ناحية والعلاقات البيزنطية الانطاكية من ناحية أخرى . وقد مر بنا كيف كان البيزنطيون ناقمين على الطرفين ، اذ اعتبروا أن أمراء آل روبان الأرمن سلبوا قيليقية منهم واغتصبوا حقوقهم فيها (٨٧) . هذا الى جانب انطاكية التىكانت محط أطماع البيزنطيين دائما .

ومهما يكن من أمر فاننا فى علاجنا لسقوط امارة الرها نجد أنفسنا مضطرين للوقوف والتساؤل عن السبب المباشر لتحرك الامبراطور حنا كومنين Jean Gommène (١١١٨ — ١١٤٣م / ٥١٢ — ٥٣٨هـ) فى سنة ٥٣١هـ ١١٣٧م مما ادى الى عقد حلف فرنجى بيزنطى فى تلك السنة ؟

---

(٨٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ص ٧ .

(٨٥) Grousset : L'Empire, p. 223; Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 94.

(٨٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(٨٧) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 88.

الواقــع ان الاجابــة على هــذا الســؤال تختــلف فى المصــادر العربيــة عنها فى المصــادر والمراجع الأجنبية . فبينمــا تشير غالبيــة المصــادر العربيــة الى أن ســبب تحــرك الامبراطــور الى الشــام ٥٣١هـ ١١٣٧م هو استنجاد الصليبيين به بسبب حصــار زنكى لبــارين وانه فى طريقه اخضــع « ابن ليون الارمنى » ثم توجــه الى انطاكية (٨٨) . الا ان ابن القلانسى المعــاصر لحملة الامبراطور هــذه فيظهر فى تاريخه ان الامبراطور خرج اولا واستولى على بلاد (ابن ليون) فى الوقت الــذى كــان زنكى موجودا بالموصــل وانه عندما قــدم وحوصرت بارين كــان الامبراطــور لايزال فى بــلاد ابن ليون (٨٩) . معنى ذلك أن استنجاد الصليبيين بالامبراطور بسبب بارين كــان وهو فى أرمينيا وانه لم يعــد حملة بسبب بارين بالذات .

اما المصــادر والمراجع الأجنبيــة فتذكر انه حــدث فى ١١٣٧م أن انتهى الخــلاف بين ريموند دى بواتييه (٩٠) ، وليو الأرمنى بوســاطة جوســلين الثــانى بينهمــا وتعهــد الجــانبان بالاتحــاد معــا ضــد

(٨٨) ابن الاثير : الكــامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ؛ ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٦ ؛ ابن خلــدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ ـــ ٢٣٣ . تذكر هــذه المصــادر : « لمــا مضت القسوس والرهبان الى بلاد الروم واستنفروهم على المسلمين بسبب عماد الدين ومنازلته بارين ... فتجهز الروم وســاروا الى انطاكية وهى لهم عنعلذ فارسوا بها منتظرين المراكب التى فيها الأثقال والســلاح فلما وصلت ســاروا الى مدينــة نيقيــة فنازلوهــا وحاصروها ثم صولحوا على مــال يؤدى اليهم . ثم ســاروا الى مدينة اذنه والمصيصــة وهما لابن ليون الأرمنى فحصرهما ملك الروم وملكهما ... ثم توجه الى الشــام فحصر مدينة انطاكية فى ذى القعدة » . واذا كانت كل المصــادر تذكر ان خروج ملك الروم كان فى ٥٣١هـ فان العينى : عقــد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩١ (عن تاريخ بيبرس) يــذكر أن ذلك كان ٥٣٠هـ .

(٨٩) يذكر ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٥٨ ـــ ٢٥٩ بالتواريخ « فى ذى القعــدة ٥٣٠هـ وقيــل اول المحرم ٥٣١هـ خــرج متملك الــروم من القسطنطينية . وفى شعبان ٥٣١هـ توجــه عماد الدين اتابك من الموصل وقطع الفرات ووصــل الى حمص . وفى شوال نزل زنكى على الحصن المعروف ببعرين لينزعه من ايدى الافرنج . وفى ذى القعــدة نزل متملك الروم على انطاكية وضايقها وجرى بينه وبين صــاحبها مصــالحة ثم رحل عائدا الى الدروب ، فافتتح ما بقى فى يد ابن ليون الأرمنى » .

(٩٠) يســمى ميخــائيل الســريانى ريموند دى بواتييــه (Bedawi)
Michel : Op. Cit., p. 245.
أما العينى : عقــد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩١ (عن المظيمى) فيسميه بيمند بن بيدنس الافرنجى) .

البيزنطيين (٩١) . وجــاء هــذا التحــالف الجـديد مهـددا لمصــالح الامبراطور حنا كومنين الذى كان يرغب حينئذ فى اثبات حقوقه فى كل من انطاكيــة وقيليقية (٩٢) لهذا غزا الامبراطور حنا قيليقية « وكان ممتلئا بالغضب ضـد ليون (٩٣) » . واستولى على المصيصــة وطرسوس واذنه بل واخـذ ليو نفســه اسيرا الى القسطنطينية مع زوجته وبعض اولاده (٩٤) .

ومعنى هــذا ان الامبراطور كان قـد رتب بالفعل لحملته التى قــام بها ضـد قيليقية وان تلك الحملة كانت مقصودة لذاتها ولم تكن شيئا عابرا عن للامبراطور أثناء توجهــه الى الشــام كما ذكر بربيه « ان الأمبراطور اثناء عبوره قيليقية بجيشــه الكبير أستولى على طرسوس ثم ظهر امام انطاكية (٩٥) » . وعلى ذلك يكون تقدم الامبراطور حنا الى قيليقية ثم الى انطاكية ١١٣٧م ناتجا عن رغبته فى الاستيلاء على قيليقية بعـد ان علم بالفترة الأخيرة من الصــلح بين الأمير ليو وريموند الشــاى ثم لرغبته ايضــا فى القصــاص من انطاكية التى شقت عصــا الطاعة منذ فترة وجيزة بسبب الصــلح الأخير ، أما موضوع يارين فقـد استجد بعـد خروجــه بالفعل .

وفى بداية ذى القعدة ٥٣١هـ ١١٣٧م ظهر الامبراطور حنا كومنين امام انطاكية . هنا تكتفى المصــادر العربيــة بالقول بــأن الامبراطور وامير

---

(٩١) Jacques de'Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Issaverdens : T. II, p. 317, Cahen : Op. Cit., p .358 عن (Orderic).

(٩٢) Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٩٣) Michel : Op. Cit., p. 245.

(٩٤) Grégoire Le Prêtre: Op. Cit., p. 152, Michel: Op. Cit., p. 245. Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336, Archer. : Op. Cit., p.p. 191 -192.

وربما هــذا ما اشــار اليه ابن العديم بقوله « لمــا فتح ملك الروم بلاد لاون بن روبال دخل اليه لاون متطارحــا فقال : انت بين الفرنج والأتراك لا يصــلح لك المقام فسيره الى القسطنطينية » (ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ٢٦٣) .

(٩٥) Bréhier : L'Eglise et L'Orient, p. 101.

انطاكية « تصالحا ثم عاد ملك الروم الى بلاد بن ليون (٩٦) » ليستكمل فتحها . والواقع أن تلك الكلمات الموجزة فى المصادر العربية هى نفسها التى تشير الى الحلف الفرنجى البيزنطى الذى نتصده ، والذى تناولته المصادر والمراجع الأجنبية بالتفصيل . ذلك انه حدث فى اغسطس (٩٧) ١١٣٧م أن ظهر الامبراطور حنا كومنين أمام انطاكية وحاصرها وطالب باخذها (٩٨) وعندئذ أسرع امير انطاكية بارسال بعض المبعوثين الى ملك بيت المقدس ليستشيره فى الموقف . وقد رد الملك بانه لا يمكن اغفال حقوق بيزنطة فى انطاكية (٩٩) . عندئذ دارت مفاوضات بين الجانبين البيزنطى والانطاكى وهى المفاوضات التى يذكر (برييه) أن اهالى انطاكية مثلوا فيها دور الحكم (١٠٠) . لذا وافق ريموند على اعلان ولائه وتبعيته للامبراطور (١٠١) وتم الاتفاق

---

(٩٦) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٥٨ ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٦ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٣ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩١ عن (العظيمى) .

(٩٧) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(٩٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153, Michel : Op. Cit., p. 245.
Bréhier : L'Eglise., p. 101, Setton : Op. Cit., V. 1, p 439.
Zoé : Op. Cit., p. 327.

(٩٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 95 - 96 عن (Ordric Vital). Zoé : Op. Cit., p. 327.

(١٠٠) Bréhier : Op. Cit., p. 101.

(١٠١) حاشية عن Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153.
(Cinnamus) Bréhier : Op. Cit., p. 101, Ostrogorsky : Op. Cite., p. 336.
عن (Chalandon) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 97.
هنا يذكر برييه وجروسية أن اعلان ريموند الولاء للامبراطور (كان فى معسكر الامبراطور نفسه) ويؤيدهما ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٣ ، الذى يذكر « خرج ريموند صاحب انطاكية الى متملك الروم وهو مخيم فى عسكره بمرج الديباج وقرر معه الهدنة والموادعة وعاد الى انطاكية » . ومرج الديباج « هو واد بين الجبال ، بينه وبين المصيصة عشرة أميال » (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١٧ ص ١٠١) .

على « أن يساعد الامبراطور فى الاستيلاء على حلب وشيزر وحمص وحماه وأن يمنح تلك المدن لريموند كاقطاع له يحكمه من قبل الامبراطور وفى مقابل ذلك يستعيد الامبراطور انطاكية (١٠٢) » وقد وعد الامبراطور ببدء الحرب ضد المسلمين ١١٣٨م لاستعادة تلك البلدان المشار اليها (١٠٣) . ولم يقتصر الحلف أو الاتفاق على النواحى السياسية فقط بل تعداه الى ناحية دينية مهمة وهى أن الامبراطور شرط فيه « أن يصبح بطريرك انطاكية من الآن فصاعدا بيزنطى أرثوذكسى (١٠٤) » وقد انفرد ابن القلانسي بين المصادر العربية بالاشارة الى هذا الشرط (١٠٥) . والواقع أن ذلك الجانب الدينى من الحلف هو الذى جعل جروسية يعقب عليه بقوله « أن ذلك التنازل — من جانب الصليبيين — لم يصبح لسياسيا فقط بل دينيا أيضا . فقد كانت كل خطوة فى الغزو البيزنطى لهذا الاقليم تعتبر نصرا للكنيسة البيزنطية على حساب الكنيسة الارمينية (١٠٦) » .

وفى ذى الحجة ٥٣١هـ (١٠٧) — سبتمبر ١١٣٧م (١٠٨) غادر الامبراطور انطاكية واكتفى برفع الراية الامبراطورية عليها (١٠٩) وتوجه الى « بغراس ومنها الى بلاد ابن ليون (١١٠) » .

---

(١٠٢) Michel : Op. Cit., p. 245, Brhier : L'Eglise, p. 101, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439. Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 147; Jean Richard Op. Cit., p. 45, Zoé : Op. Cit., p. 328.

(١٠٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(١٠٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325.

(١٠٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٣ .

(١٠٦) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 147.

(١٠٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٣ .

(١٠٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(١٠٩) Bréhier : L'Eglise... p. 101, Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336.

(١١٠) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٦ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن الفرات مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٣ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٥ . والغريب أن هذه المصادر تذكر أن ابن ليون صالح الامبراطور بالاموال

على أسيسابين العودة كما ذكرنا لتنفيذ ما اتفق عليه .

ولكن قبل ان ننتقل الى الكلام عن التنفيذ العملي لنص الحلف الفرنجي البيزنطي نود ان نشير الى أن بعض المصادر العربية المعاصرة للحلف اشارت الى انه كانت هناك مراسلات بين الامبراطور وزنكي بعد اتمام عقد ذلك الحلف ؟ فقد انفذ الامبراطور رسولا الى زنكى فى الثانى والعشرين من ذى الحجة ٥٣١هـ (١١١) ؟ . فرد زنكى على تلك السفارة بسفارة اخرى معها « هدية الى ملك الروم فهود وبزاة وصقور (١١٢) » . فعاد اليه رسوله ومعه « رسول من قبل ملك الروم اخبره انه يحاصر بلاد لاون (١١٣) » . فماذا كان يقصد الامبراطور من وراء تلك السفارة ؟ هل كان يستهدف التمويه على ماتصت عليه شروط الحلف الفرنجي البيزنطى ، كي يبعد عن الحلفاء شكوك زنكى وبالتالى تهديداته وبذلك تتاح الفرصة لتنفيذ الاتفاق ؛ ربما كان الأمر كذلك وربما استهدف الامبراطور من وراء ذلك كسب زنكى الى جانبه حتى اذا شعر بنوايا غير طيبة من جهة الصليبيين تجاهه ؛ ضم زنكى الى جانبه فيصبح الاخير سندا له لطعن الصليبيين من وراء ظهورهم ، وذلك لتقارب المصلحة البيزنطية الاسلامية .

ومهما يكن من امر ؛ فانه بعد ان لمضى الامبراطور شهور الشتاء فى قيليقية تقدم الى الشام بجيوشه فى ربيع ١١٣٨م (١١٤) (٥٣٢هـ) ، فقد اراد ان يمارس حقوقه الخاصة بنفوذه على

=

وتدخل فى طاعته . ولكن الحقيقة كما ذكرت المصادر الارمينية نفسها كما بينا ان ليو الارمني كان قد أسر وارسل الى القسطنطينية قبل تقدم الامبراطور الى انطاكية وانه ربما توجه الامبراطور الى بلاد الأرمن فى هذا الوقت لاستكمال فتحها فقط .

(١١١) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٦٣ .

(١١٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٦٣ ؛ العينى : عقد الجمان ، ج ١٦م ١ ص ٩١ (من المظيمى) .

(١١٣) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة (وقد اشار كاهين الى تلك السفارات بقوله أنه فى شتاء ١١٣٧م تبودلت السفارات بين زنكي وحنا كومنين) Cahen : Op. Cit., p. 360.

(١١٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 94, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325.

اتباعه (١١٥) » ، لذا أرسل رسله ومعهم مرسوم امبراطوري الى كل من أمير الرها وأمير انطاكية يدعوهما للسير للحرب معه (١١٦) ».

وبدأت الخطوة الأولى لتنفيذ الإتفاق الفرنجي البيزنطي في فبراير ١١٣٨م — المحرم ٥٣٢هـ عندما قبض حاكم انطاكية على كل التجار والمسافرين من حلب كي لا تتسرب أخبار الاستعدادات الصليبية الى زنكي (١١٧) .

وعندما اجتمعت الجيوش المتحالفة توجه الجميع للاستيلاء على حلب ولكن تلك الجيوش أضاعت حوالي اسبوعين امام قلعة بزاعة حتى استولت عليها (١١٨) ، في الخامس والعشرين من رجب ٥٣٢هـ (١١٩)

---

(١١٥) Bréhier : Vie et Mort, p. 324, L'Eglise ... p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.

(١١٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 94, Bréhier : L'Eglise, p. 101.
وهنا يذكر برييه أنه دعاهم لحصار شيزر اما في كتابة الثاني فيقول أنه دعاهم لحصار حلب (Bréhier : Vie et Mort, p. 324.)
أما ميخائيل السرياني فيذكر ان الصليبيين ارادوا ان يخدعوا الامبراطور فخرج الى قيليقية فذهبوا اليه هناك وعملوا اتفاقا جديدا وعاد الامبراطور معهم لحصار حلب .
(Michel : Op. Cit., p. 245.)

(١١٧) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٣ — ٢٦٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٦٤ ، سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٥٨٥ ،
Prawer : Op. Cit., T. 1, p.p. 325, 326,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439, Grousset : Hist. des Crois.,. V. 2, p. 100.

(١١٨)
Michel : Op. Cit., p. 245, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326.
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.
هنا يضيف كلّ من جروسية وكاهين
ان الامبراطور ضمها بعد ذلك الى جوسلين الثاني
(Grousset : Ibid., p. 101, Cahen : p. 361)

(١١٩) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٥ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٧٦ ، النويري : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، العيني : عقد الجمان ، جـ ١٦م ١ص ٩٨ وتفصل بعض المصادر ما حدث لأهل بزاعه عندئذ فتقول : « كان حصن بزاعة في يد امرأة فسلموه الى الروم بالأمان بعد ان توثقوا منهم بالعهود والأيمان فغدروا بهم وأسروا من بزاعة حوالي ستة آلاف مسلم =

(حوالى مارس ۱۱۳۸م) والواقـع ان الوقت الذى ضـاع أمام بزاعـة لم يكن فى مصلحة الجيوش المسيحية « فقـد ضـل منهم جماعة اظهروا انهم مستأمنه ، وانذروا من بحلب بالروم فتحرز الناس وتحفظوا وكاتبوا أتابك زنكى بذلك فوصـله الخبر وهو على حمص (۱۲۰) » وكان ذلك الانـذار لأهل حلب قبل الأغـارة عليهم بيوم واحد (۱۲۱) مما أتـاح لعماد الـدين زنكى ان يرسـل اليهم فى الحـال « الأمير سـيف الدين سوار والرجالة الحلبيين وخمسـمائة فارس فى اربعة من الأمراء (۱۲۲)» . فزود سوار المدينـة بالمؤن والسـلاح ووزع الدفاع منها بين رجاله وبين اهل المدينة أنفسهم (۱۲۳) » . ثم قدم الروم والصليبيون الى حلب « فقاتلهم احـداث البلـد قتالا شـديدا فقتل كثير من الروم وجرح كثير فاقاموا ثلاثة ايام ورحلوا (١٢٤) » . وتوجـه الروم الى الأثارب وملكوها بعد ان هرب اهلها منها وطرحوا النـار فى خزائنها (١٢٥) . ثم وضـع الروم

أو يزيدون . وتنصر قاضى بزاعة وجماعة من اهلها تقدر بحوالى اربعمائة نفس واقام الروم بعـد ملكها عشرة ايام يتطلبون من اختفى ودخنوا على من دخل المغاير فهلكوا » ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن الأثير . الكامل ، ﺣ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن العديم . زيدة الحلب ﺣ ٢ ص ٢٦٥ - ابن واصـل : مفرج الكروب ﺣ ١ ص ٧٧ - ٧٨ ، ابن ايبك : كنز الدرر ، ﺣ ٦ ص ٥٢٦ ، روض المنـاظر : مخطوط احـداث ٥٣٢ﻫ ، العينى : عقـد الجمـان ، ﺣ ١٦م ١ ص ٩٨ . اما التاريـخ المنصـورى فيذكر ص ١٦٦ - ١٦٧ (ان ذلك كان ٥٣٣ﻫ) وهـذا خطأ .

(۱۲۰) ابن العديم : المصـدر السـابق ﺣ ٢ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(۱۲۱) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ .

(۱۲۲) ابن العديم : زيدة الحلب ، ﺣ ٢ ص ٢٦٥

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 102.

(۱۲۳) ابن الفرات : تاريخ الدل والملوك ، ﺣ ٣ مخطوط ص ٩٤ (أ) .

(١٢٤) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن العديم ، زيدة الحلب ، ﺣ ٢ ص ٢٦٥ : ذكرا ان ذلك كان (من ٦ شعبان الى ٨ منه) ، ابن الأثير : الكامل ، ﺣ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصـل . مفرج الكروب ، ﺣ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، ﺣ ٢٥ ورقـة ٤٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، ﺣ ١ ص ٥٢ ، روض المناظر : مخطوط حوادث ٥٣٢ﻫ الغزى : نهر الذهب ، ﺣ ٣ ص ٩٠ ، العينى : عقد الجمان ، ﺣ ١٦م ١ ص ٩٨ .

(١٢٥) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ (وكان ذلك فى ٩ شعبان) ، ابن العديم : زيـدة الحلب ، ﺣ ٢ ص ٢٦٥ ، ابن الأثيـر : الكـامل ﺣ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصـل : مفـرج الكـروب ، ﺣ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ﺣ ٢٥ ورقـة ٤٨

Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : Hist. des Crois.
V. 2, p. 103.

أمـا ابن خلدون : العبر ﺣ ٥ ص ٢٣٣ فيسـمى الأثـارب (الأتـاود)

اسرى وسبايا بزاعة بالاثارب ، فتوجــه اليهم الأمير ســوار من حلب وخلصهم وانزل بالروم الهزيمة (١٢٦) عندئذ توجــه ملك الروم الى معره النعمان فاستولى عليها كما استولى ايضــا على كفر طاب (١٢٧)

اتفق الامبراطور البيزنطى بعدئذ مع الفرنج واجمعوا على التوجــه الى شيزر ومنازلتها (١٢٨) . والمعروف أن شــيزر حصن منيــع على مرحلة من حماه (١٢٩) . كان يحكمها الأمير ابو العســاكر ســلطان بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى (١٣٠) . وترجــع أهمية تلك المدينــة الى انها احــدى المــدن التى وعــد الامبراطور بالمســاعدة فى الاستيلاء عليها فى مقابل استعادته لانطاكيــة (١٣١) ، فضــلا عن انها مدينــة بيزنطية قديمة ذات موقع عسكرى هــام (١٣٢) . وكان الفرنج هم الذين اشــاروا على الامبراطور بالتوجــه الى شيزر بدعوى « انها ليســت لاتابك فلا يهتم بحفظها والذب عنها (١٣٣) » . ولكن ذلك لم

---

(١٢٦) ابن القلانسي : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ ، ابن واصــل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقــة ٤٨ ، روض المناظر ، مخطوط احداث ٥٣٢هـ . التاريخ المنصورى ص ١٦٧ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٩٠ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٨ — ٩٩
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 103.

(١٢٧) ابن القلانسي : الذيل ص ٢٦٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٦ (المعرة فى الثالث عشر من شعبان وكفر طاب فى منتصف شعبان) ، Grousset : Ibid., p. 103, Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٢٨) اســامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٢
Michel : Op. Cit., p. 245, William : Op. Cit., V. 2, p. 94.

(١٢٩) ابن الاثير : البــاهر ، ص ٥٥ ، ابو شــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨١ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب الســابع ٥٣٢هـ .

(١٣٠) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقــة ٤٨ ، العينى : عقــد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٩ .

(١٣١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2., p. 104.

(١٣٢) Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٣٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ .

يمنع اميرها أبو العساكر سلطان من الاستنجاد بالأتابك عماد الدين زنكى للذى سارع لنجدته (١٣٤) .

وهكذا نزلت الجيوش المتحالفة على شيزر فى شعبان ٥٣٢هـ ابريل ١١٣٨م (١٣٥) . « فى مائة الف راكب ومائة الف راجل ومعهم من الكراع والسلاح مالايحصى الا الله (١٣٦) » . وفى الحال اسرع زنكى لنجدة امارة شيزر ونزل على نهر العاصى بينها وبين حماه (١٣٧) . ولكنه لم يجازف بالدخول مع المسيحيين فى حرب مباشرة بسبب ضخامة عددهم « لذا كان يركب كل يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم (١٣٨) ». اما الجيش المسيحى فقد شدد الهجوم على المسلمين فى حين كان دور الامبراطور البيزنطى بارزا جدا فى تلك المعركة يفوق دور حلفائه الصليبيين . وقد أورد لنا وليم الصورى وصفا كاملا لجهود الامبراطور حينئذ (١٣٩) . ويبدو أن اميرى الرها وانطاكية كانا مشغولين باللهو ،

---

(١٣٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ، النويرى: نهاية الأرب حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين - ميكروفيلم الباب السابع حوادث ٥٣٢هـ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨١ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ٥٢ ، ابو الفدا : المختصر ، هـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى: تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤٢ .

(١٣٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٦ ، اما سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ١ ق ١ ص ١٦٣ فيذكر أن ذلك كان فى شوال

Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 104.

(١٣٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٦

Grousset : Ibid., p .104.

(١٣٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، أبو الفدا : المختصر ، هـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤٢ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ .

(١٣٨) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٨ — ٧٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ أبو الفدا : حـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٤٢ ، سعيد عاشور الحركة ، جـ ١ ص ٥٨٦ .

(١٣٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 95.

واكثر من ذلك نيقلة اهتمامهما بمواصلة الحرب اثروا على الاخرين بتقللوا من دورهم الايجابى فى الحصار (١٤٠) .وبهذا كان تفكك جهود الحلفاء عند شيزر من اهم العوامل التي ادت الى فشلهم فى الاستيلاء عليها . اما الاسباب المتباينة التى ادت لرفع الجيوش المسيحية حصارها عن شيزر (رمضان ٥٣٢هـ — مايو ١١٣٨م) (١٤١) .

اولها الأسلوب الذى اتخذه زنكى فى مواجهة اولئك الحلفاء اذ حاول فى البداية ان يشن عليهم حربا نفسية ويدخل الخوف فى قلوبهم من قوته وقوة اتباعه فقال لهم « انكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال فانزلوا منها الى الصحراء حتى نلتقى فان ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم وان ظفرتم . استرحتم واخذتم شيزر وغيرها » والواقع انه لم يكن له بهم قوة وانما كان يرهبهم بهذا القول واشباهه (١٤٢) . ثم حاول زنكى بعد ذلك ، الايقاع بالحليفين البيزنطى والفرنجى « فكان زنكي يرسل الى ملك الروم يوهمه بان فرنج الشام خائفون منه فلو فارق بكانه تخلفوا عنه ويرسل الى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم : ان ملك بالشام حصنا واحدا ملك بلادكم جميعها فاستشعر كل من صاحبه (١٤٣) » .

كذلك كان من بين العوامل المشجعة على رفع الحصار عن شيزر ان زنكي عندما كانت الجيوش المتحالفة محاصرة لبزاعة ، « ارسل القاضى كمال الدين ابا الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى

---

(١٤٠) William : Ibid., V. 2, p. 95, Bréhier : L'Eglise, p. 102.
Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٤١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١ ق ١ ص ١٦٣ ؛
Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

(١٤٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ، ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٨١ — ٨٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم الباب السابع ٥٣٢هـ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٨١ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٥٨٧ .

(١٤٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٦ ، ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٨٢ النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ مخطوط ورقة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة ، الدر الثمين ، ميكروفيلم الباب السابع ٥٣٢هـ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٥ ، ص ٢٣٣
Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326, Grousset : Hist., des Crois., V. 2, p. 108.

الى السلطان مسعود يستنجده ويطلب العساكر (١٤٤) » . ولكن القاضى لم يجد ردا من السلطان لذا وضع بعض رفاقه فى جامع القصر يوم جمعة وامرهم بالثورة اذا طلع الخطيب المنبر وبالفعل صاحوا « واسلاماه ! وادين محمداه ! » فترك الناس الصلاة ، ولعنوا السلطان مما اخاف السلطان وامر بتجهيز حملة للجهاد ورغم عدم وصول تلك الحملة الى شيزر لنجدتها ــ لأنه اثناء اعدادها « وصل كتاب اتابك زنكى من الشام يخبر برحيل ملك الروم (١٤٥) » ـــ فان سماع خبرها كان كفيلا بارهاب الجيوش المسيحية . ومن بين العوامل التى شجعت على رفع الحصار عن شيزر ما بلغهم « ان قرا ارسلان بن داود بن سكمان بن ارتق عبر الفرات فى جموع عظيمة تزيد عن خمسين الف من التركمان وغيرهم ، فاحرقوا آلات الحصار ورحلوا عن شيزر (١٤٦) ».

على أن المصادر والمراجع الأجنبية القت مسئولية فشل عملية حصار شيزر على اميرى انطاكية والرها اللذين تركا العبء الاكبر فى المعركة يقع على عاتق الامبراطور بينما انصرفا الى اللهو والعبث (١٤٧) .

« وكان الامبراطور ساخطا عندما وجد مدينة ضعيفة استطاعت ان تقاوم جيشه الضخم لمدة طويلة (١٤٨) » . ولكن يبدو أن الامبراطور عندما فقد الأمل فى تحقيق نصر جماعى على شيزر « فكر فى الحصول على نجاح شخصى يسمح له بالانسحاب وهو محتفظ بكرامته (١٤٩) » .

---

(١٤٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٩ ، ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ .

(١٤٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٩ ــ ٨١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ ، العينى عقد الجمان ؛ حـ ١٦م ١ ص ١٠٠ .

(١٤٦) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٨ ،

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 107, Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٤٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 95, Bréhier : L'Eglise ... p.p. 101 — 102.

Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset ; L'Epopée, p. 156, Hist. des Crois.. V. 2, p. 108, Zoé : Op. Cit., p. 328, 331, Archer : Op. Cit., p. 192, Jean Richard : Op. Cit., p. 45.

(١٤٨) William ; Op. Cit., V. 2, p. 95.

(١٤٩) Grousset ; Hist. des Crois., V. 2, p. 110.

لذلك انتهز الامبراطور فرصــة ارســال أمير شيزر اليه متوســلا ان يحفظ مدينته فى مقابل دفــع مبلغ من المــال فوافق الامبراطور على هــذا العرض (١٥٠) . وربما هــذا هو الذى دفــع البعض الى القول « بان امارة شيزر كانت تارة محالفة للفرنج وتارة معادية لهم (١٥١) » .

واخيرا فان ثمة عــامل عجل برفــع الامبراطور وبالتــالى حلفائــه الحصــار عن شيزر وهو ما بلغه من اخبــار عن مهاجمــة الســلطان مسعود ســلطان قونية لقيليقية واستيلائه على مدينــة اذنه (١٥٢) . لذلك لم يكد أمير شيزر يدفــع المبلــغ المتفق عليه للامبراطور حتى رفــع الحصــار عن المدينة (١٥٣) . وعادت جيوش الحلفاء فاشلة (١٥٤) . وكان انسحابهم على تلك الصــورة من اهم الانتصــارات التى احرزهــا زنكى فى ذلك الوقت ؛ لذا كافاه السلطان بارســال الخلع اليه (١٥٥) .

وهكذا اخفق التحــالف الفرنجى البيزنطى فى ١١٣٨م فى تنفيذ الخطة التى تم الاتفــاق عليها ١١٣٧م . وكــان الكســب الوحيد الذى احرزه الامبراطور من كل تلك الجولــة الطويلة هو ما اخــذه من مــال من أمير شيزر العربى فى مقابل انسحابه عن مدينتــه . وباخفــاق الحلفــاء فى الاستيلاء على المــدن التى سيعوض بها امير انطاكية فى مقابل استرجاع الامبراطور لانطاكيــة ، قرر الامبراطور العودة الى انطاكيــة وفى نيتــه وضــع يده عليها بحكم ســلطته .

---

(١٥٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 96, Cahen : Op. Cit.. p. 362, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 110, Zoé : Op. Cit., p. 329, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.
يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، حـ ٦ ص ٦٤
هنا يذكر جروسية أن أمير شيزر قــدم للامبراطور بعض الخيول وبعض الملابس الحريرية الموشــاه بالذهب ومنضــدة قيمة وصــليب مرصــع بالياقوت الأحمر : والمنضدة والصــليب سلبا من الامبراطور رومان ديوجين بعد كارثة منزيكرت .

(١٥١) Zoé : Op. Cit., p. 328.

(١٥٢) Michel : Op. Cit., p. 245, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153. عن (Cinnamus), Cahen : Op. Cit., p.p. 361-362.

(١٥٣) William : Op. Cit,. V. 2, p. 96.

(١٥٤) تاريــخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريــخ حوادث ٥٣٢هـ ، روض المناظر : مخطوط ، احــداث ٥٣٢هـ ؛ التاريــخ المظفرى : مخطوط رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥٣٢هـ .

(١٥٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٨٣ .

وفعلا تقدم الامبراطور البيزنطى بعـد ذلك الى انطاكيـة ودخلها وسط مظاهر العظمة واستقبله البطريرك ورجـال الدين ، بينما احاط جوسـلين الثـانى وريموند دى بواتييه بالامبراطور يخدمانه (١٥٦) . ويبدو ان الامبراطور اراد ان يمارس حقوقه بتشـدد وان يتحـاشى اى تصـدع متعذر اصـلاحه (١٥٧) . وقـد اقام الامبراطور فى قصر امير انطاكيـة « كما لو كان فى قصره الخـاص (١٥٨) » . وبعد عـدة ايام استدعى امير الرهـا وأمير انطاكية وكل النبلاء للمثول بين يديه ثم خاطب ريموند قائلا انه اضطر للبقـاء فى امارته وقتا طويلا لكى يوسـع امارته وذلك وفقـا للاتفـاق الـذى عقد بينهم فى سبتمبر ١١٣٧م . ولكن ذلك لا يتم فى وقت قصير لذا يجب ان يسـمح لقوات الامبراطور بالبقـاء فى المدينـة او بمعنى أصـح يجب ان تسـلم قلعة المدينـة للامبراطور كى تكون مركزا للعمليـات العسـكرية ضـد المسـلمين بدلا من قيليقيـة البعيـدة (١٥٩) .

والواقع ان الامير وبقية النبلاء لم يتصوروا ان يطلب منهم الامبراطور مثل هـذا الطلب ولذا فوجئوا بـه ، ولكن تدخل جوسـلين الثـانى هو الذى انقذ الموقف ــ كما مر بنا ــ بان طلب من الامبراطور مهلة للتشاور فى الامر ثم ما كان من اتصـاله باهالى انطاكيـة وتحريضهم على الثورة . وعندئذ ازداد شـغب الجمـاهير وتعرضـوا بالأذى حتى لافراد اسرة الامبراطور نفسـه (١٦٠) ولذلك خشى الامبراطور عاقبة اشتداد تيـار

---

(١٥٦)
William : Op. Cit., V. 2, p. 97, Bréhier : L'Eglise, p. 102,
Grousset : L'Epopée, p. 156, Hist. des Crois., V. 2, p. 112,
Cahen : Op. Cit., p. 362, Zoé : Op. Cit., p. 332.
(١٥٧) Cohen : Ibid., p. 362.
(١٥٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 97, Grousset : Hist. des Crois,
V. 2, p. 112.
(١٥٩) (نص خطاب الامبراطور مع الملاحق)
William : Op. Cit., V. 2, p. 98,
Cahen : Op. Cit., p. 362, Grousset : Op. Cit., V. 2,
p.p. 112-113, L'Epopée, p. 157, L'Empire, p. 223,
Bréhier : L'Eglise ... p. 102,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Archer : Op. Cit., p. 192.
(١٦٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 100, Setton : Op. Cit., V. 1,
p. 440.

المظاهرات العسكرية ضده لدعا الأمراء من جديد وأخبرهم انه سحب مطالبه ، ورجاهم تهدئة الجماهير ، وانه قرر الانسحاب فى اليوم التالى (١٦١) . لكن ذلك لا يعنى أن أميرى الرها وأنطاكية كانا يجهلان أن الامبراطور أدرك جيدا ما يجيش فى صدروهما ، لذا اسرعا بتقديم الاعتذارات للامبراطور عما حدث حتى « ان امير انطاكية ابدى استعدادة للالتزام بشروط المعاهدة حتى اذا تطلب ذلك تحويل المدينة الى أيدى الامبراطور (١٦٢) » .ولكن الراجح أن أمير انطاكية لم يقدم ذلك العرض السخى للامبراطور الا لعلمه أن الامبراطور لم يعد يفكر فى ذلك الوقت الا فى الرحيل بسبب اشتداد ثورة الجماهير ضده ، والواقع ان الامبراطور لم يرغب فى ذلك الوقت فى استخدام القوة ضد حلفائه الفرنج (١٦٣) لذا اخبرهم « بان اسباب ملحة تضطره للعودة الى بلاده (١٦٤) » . وبعد أن أعاد علاقات الود من جديد مع ريموند دى بواتية « طلب منه الاحتفاظ بالقلعة وبكل انطاكية وان يكون تابعا مخلصا للامبراطور (١٦٥) » . ثم انسحب الى قيليقيه ومنها الى القسطنطينية (١٦٦) . بعد ان وعد حلفاءه الصليبيين بالعودة مرة اخرى وبقوة اكبر لتنفيذ الاتفاق الذى عقد من قبل بينهم (١٦٧) .

ومعنى هذا ان التحالف الفرنجى البيزنطى لم يحقق اغراضه بل كاد الصراع العلنى يدب بين طرفيه . وربما ازدادت تلك الفجوة اتساعا بسبب المرسوم الذى أصدره البابا انوسنت الثانى فى ٢٨ مارس ١١٣٨م

---

(١٦١) William : Op. Cit., V. 2, p. 100, Cahen : Op. Cit., p. 362, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Grousset : L'Epopée, p. 158, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327.

(١٦٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Cahen : Op. Cit., p. 363.

(١٦٣) Cahen : Ibid p. 363, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 120.

(١٦٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 102.

(١٦٥) Grousset : L'Epopée, p. 158.

(١٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Bréhier : Vie et Mort, p. 324 - 325, L'Eglise : p. 102, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Archer : Op. Cit., p. 192, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 121.

(١٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Cahen : Op. Cit., p. 363.

(أواخر ٥٣٢هـ) الذى استنكر فيه وصول الامبراطور حنا الى قيليقية وما قام به من محاولات ضد الامارات اللاتينية (١٦٨) . والحقيقة انه ربما كان الدافع الأكبر الى اصدار البابا لهذا القرار هو ما سبقت الاشارة اليه من الاتفاق بين البيزنطيين والصليبيين على احلال بطريرك بيزنطى محل اللاتينى وهو ما فرضه الامبراطور فى قيليقية بالاجبار ، لذا سارعت البابوية بالتدخل لحسم هذا الموقف .

وفى ١١٤٢م (٥٣٧هـ) عاد الامبراطور حنا كومنين الى الشام من جديد ولكن هل كان قدومه فى تلك المرة — وبعد مرور اربع سنوات على خديعة حلفائه الصليبيين له ١١٣٨م — لكى ينفذ شروط التحالف الذى سبق أن تم بينه وبينهم ١١٣٧م أن هناك أسبابا اخرى دفعته الى المجىء تلك المرة ؟ حقيقة ان امير انطاكية كان قد ارسل له خلال تلك السنوات الأربع يستنجد به ضد زنكى ويرجوه الحضور الى امارته (١٦٩) وفقا للتحالف السابق . لكن الامبراطور عندما قدم تلك المرة كان مصمما على الاستيلاء على انطاكية . والدليل على ذلك انه لم يرسل الى الصليبيين بالشام مقدما يطلب منهم الاستعداد للخروج معه لحرب المسلمين كما حدث ١١٣٨م (٥٣٢هـ) وانما وصل فجأة الى الرها « وعسكر بدون سابق انذار امام تل باشر (١٧٠) » . ويبدو ان الامبراطور اراد ان يضمن ولاء جوسلين الثانى له فى اتجاهه الجديد ضد انطاكية لذا طلب من امير الرها رهائن لضمان ولائه له ولما كان الأخير « غير مستعد كلية وغير قادر على المقاومة ، فانه ارسل ابنته ايزابيلا رهينة (١٧١) » ثم تقدم الامبراطور بعد ذلك وعسكر بالقرب من انطاكية .

والحقيقة ان الامبراطور كان ينوى تكوين امارة على الحدود لابنه

---

(١٦٨)
William : Op. Cit., V. 2, p. 101, Bréhier : L'Eglise, p. 102. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

(١٦٩)
William : Op. Cit., V. 2, p.p. 124-125, Bréhier : Op. Cit., p. 102, Archer : Op. Cit., p. 192.

(١٧٠) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 123 - 124

(١٧١) William : Ibid., V. 2, p. 124.

مانويل تشمل على الاناضول وانطاكية وقبرص (١٧٢) . وبذلك تصبح تلك الدولة الجديدة قاعدة عسكرية ضد المسلمين وفى نفس الوقت توفر حماية للدولة البيزنطية ضد الفرنج الذين لم يفوا للدولة البيزنطية ابدا بعهودهم (١٧٣) .

ومهما يكن من امر فقد ارسل الامبراطور رسلا الى امير انطاكية تطلب منه تسليم المدينة والقلعة (١٧٤) « حتى يصبح قادرا على اعلان الحرب على المدن المجاورة التى بيد العدو ، من قاعدة ملائمة وقريبة (١٧٥) » . وكان ان وقع امير انطاكية فى حرج لانه كما سبق ان ذكرنا كان قد استنجد فعلا بالامبراطور على اساس الاتفاق المعقود بينهما . واخيرا اتفق امير انطاكية مع كبار اعوانه ورجال الدين على رفض طلب الامبراطور مستندين فى ذلك على أن ريموند لم يرث الامارة وانما تولاها بعد زواجه ؛ وليس لزوجته ايضا حق التصرف فيها بدون الرجوع لرأيهم (١٧٦) . والواقع ان تدخل رجال الدين فى ذلك الوقت يؤكد رفضهم التام لأقامة هيئة كهنوت من رجال الدين البيزنطيين فى انطاكية .

وغضب الامبراطور لعدم تلبية امير انطاكية لطلبه ولكنه لم يكن فى امكانه القيام بعمل عسكرى ايجابى لتحقيق هدفه فى ذلك الوقت لأن الشتاء كان قد اقبل ببرده القارس (١٧٧) ، فاكتفى البيزنطيون بنهب

---

(١٧٢) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 224, (Kinnamos)
اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٦٣ عن

(١٧٣) Cam. Med. Hist. Ibid. p. 224.

(١٧٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 124, Bréhier : L'Eglise, p. 102, Archer : Op. Cit., p. 192.
يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، جـ ٦ ص ٦٥

(١٧٥) William : Op. Cit., V. 2. p. 124.

(١٧٦) William : Ibid., V. 2, p. 125, Ostrogorsky ... Op. Cit., p. 336, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Archer: Op. Cit., p. 192.

(١٧٧) William : Op. Cit., V. 2, p 126, Archer : Op. Cit., 19?

اطراف المدينــة (١٧٨) . ثم انسحبوا الى قيليقية على اســاس العودة فى الربيــع لتحقيق مطامعهم فى انطاكيــة (١٧٩) . ذلك ان الامبراطور كان يعلم أن الحقوق البيزنطيــة فى انطاكية لها سندها التاريخى فضــلا عن تاكيد الصــليبيين أنفسهم لتلك الحقوق عن طريق معاهدات واتفاقيات علم ١٠٩٧م ، ١١٠٨م ، ١١٣٧م (١٨٠) .

ولكى يخفى الامبراطور غرضــه الحقيقى تجــاه انطاكيــة فى ذلك الوقت أرســل ســفارة الى الملك فولك Fulk ملك بيت المقــدس يعرض عليه رغبته فى التوجه الى القدس لزيارة الاماكن المقدسة (١٨١) ، فضــلا عن وضــع قواته فى مواجهــة العدو فى تلك الأجزاء (١٨٢) . وكان أن عقــد الملك مجلســا للتشــاور ثم ارسل ردا لبقا الى الامبراطور مــع بعض رســله مرحبا بالامبراطور فى حجــه الى القــدس بشرط الا يصطحب معــه الا حوالى عشرة آلاف فقط من رجاله لأن مملكته لا يمكنها أن تقدم المؤن لعدد اكبر من هــذا والا تعرضت لمجاعــة (١٨٣) . وقــد اغضب هــذا الرد الامبراطور ولكنــه كظمــه وحمــل الرســل بعض الهدايا الى الملك (١٨٤) . وفى نفس الوقت ازداد تصميما على اعــلان

---

(١٧٨) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336.

الدبس : تاريخ سورية . جـ ٦ ص ٦٥

(١٧٩) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٥٩١ ، اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٦٥ . والمرجع الاخير يذكر سببا آخر لموافقة الامبراطور على رغبة انطاكية وهو وفاة ولده الأكبر الكسيوس . عن (Otto of Freising)

William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336.

(١٨٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٥٩١ .

(١٨١) William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Bréhier : L'Eglise .. p. 102, Zoé: Op. Cit., p. 330.

(١٨٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 126.

(١٨٣) William : Ibid.. V. 2, p. 126, Bréhier : L'Eglise . p. 102. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Zoé: Op. Cit., p. 330. Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 87.

(النص الكامل لرد الملك مع الملاحق)

(١٨٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Michaud : Op. Cit., V 2, p. 87.

الصراع العلنى ضد الصليبيين بعد انتهاء الشتاء لولا وفاته فى ٨ ابريل ١١٤٣م (١٨٥) . وعندئذ حاول امير انطاكية ان يستغل تلك الظروف ويستعيد استقلاله ولكى يبرهن على موقفه هذا هاجم الحاميات البيزنطية، فى قيليقية ؛ لكن الامبراطور الجديد مانويل حاربه برا وبحرا مما اضطر الامير الصليبى الى الذهاب للقسطنطينية راعلان ولائه للامبراطور (١٨٦) .

والحقيقة ان سنة ١١٤٣م — ٥٣٨هـ لم تشهد فقط وفاة الامبراطور حنا كومنين بل توفى فيها ايضا الملك فولك ملك بيت المقدس (١٨٧) .

وكانت خسارة المعسكر المسيحى كبيرة بفقد هاتين الشخصيتين البارزتين فى تلك الظروف ، مما جعل تلك السنة تمثل بداية النهاية بالنسبة لامارة الرها الصليبية بوجه خاص . ذلك ان اميرها جوسلين الثانى كما سبق ان ذكرنا كان شخصية اضعف بكثير من أمراء الامارة السابقين ؛ ولكن الظروف نفسها خدمته وجعلت زنكى يؤجل اسقاط امارته رغم انها اقرب من بقية الامارات الصليبية الى ممتلكاته سواء فى الموصل او فى حلب . بل هادنه زنكى حتى تتاح له الفرصة المناسبة ليهاجم تلك الامارة . وكان دخول الرها طرفا فى الحلف الفرنجى البيزنطى فى السنوات الأخيرة من أهم الاسباب التى جعلت زنكى يؤجل تسديد ضربته القوية الى تلك الامارة . لكن عندما تصدع التحالف الفرنجى البيزنطى — على مراحل — كما مر بنا زالت من طريق زنكى تلك العقبة فتشجع على مهاجمة امارة الرها الصليبية وحالفه التوفيق فى اسقاطها كما سنرى .

---

(١٨٥)
William : Op. Cit., V. 2, p. 127, Bréhier : L'Eglise, p. 102, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336

(١٨٦)
Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 91-92, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 173-174.

(١٨٧)
Charles - Joseph Hefele : Hist. des Conciles, T.V., Part 1, p. 802, Cahen : Op. Cit., p. 368.

وهما يذكران ان ذلك كان فى ١٣ نوفمبر ١١٤٣م
أما شلمبرجية فذكر ان الملك فولك توفى فى ١٣ نوفمبر ١١٤٤ والراجح انه أخطأ فى ذكر السنة .

(Schlumberger : Op. Cit., p. 4)

الصــراع بين امارتى الرهـا وانطاكية :

ذكرنا بعض اطوار هـذا الصراع اثناء بحثنا للعلاقـة بين الامارتين ولكننا هنـا سنركز على مراحل النزاع والخـلاف فقط بين الامارتين . لأن ذلك سيترتب عليه تصـدع الوحـدة الصليبية نفسها فى شمال بلاد الشـام فـاذا اضيف هـذا الى التصـدع السـابق بين تلك الجبهـة والجبهة البيزنطية لتصورنا كيف اصبح الطريق ممهدا أمام زنكى لتسديد ضربته الكبرى ضـد امارة الرهـا .

فقـد مر بنا كيف بدأت جـذور العداء بين امارتى الرهـا وأنطاكية منذ وصـول بوهيموند الثـانى الى انطاكية ١١٢٦م — ٥٢٠هـ وبزواجه من اليس ابنه الملك بلدوين الثـانى ضاعت آمال جوسـلين دى كورتناى فى امتلاء عرش بيت المقدس . ثم برزت اولى بوادر العـداء العلنى بين الامارتين ١١٢٧م — ٥٢١هـ فى التسـابق لاحراز مكاسب على حسـاب حلب التى كانت تسودها الفوضى آنذاك . ولكن اذا كان الحلبيون قـد انهوا ذلك الموقف الشـائك بدفـع المـال للفرنج (١٨٨) ، الا أن الصراع استمر بين الأميرين الصـليبيين على أرض امارة انطاكية واستعان فيـه جوسـلين بالأتراك ضـد بوهيموند (١٨٩) وكان أن اغار أمير الرهـا وحلفاؤه على انطاكيـة ونهبهـا (١٩٠) . ولمـا وصـل الأمر الى تلك الدرجـة من الخطورة أسرع الملك بلدوين الثـانى الى هناك لينهى ذلك الخلاف « المهدد بالخراب (١٩١) » بحكم رابطة الدم بينه وبين الامارتين فابن عمته هو امير الرها وزوج ابنته امير انطاكية (١٩٢) . وقد عاون الملك فى القضـاء على هـذا الشقاق بطريرك انطاكية برنارد دى فالنس الذى أصـدر قـرار الحرمـان ضـد الامـارتين كى يعيـد الأميـرين الى صوابهما (١٩٣) . كما أمر باغـلاق الكنـائس وايقـاف كل الطقوس

---

١٨٨) ابن العـديم : زبـدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ص ٨٨ .

(١٨٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V.1, p. 428, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(١٩٠) Michel : Op. Cit., p. 224, Cahen : Op. Cit., p. 305.

(١٩١) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(١٩٢) William : Ibid., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428.

(١٩٣) Cahen : Op. Cit., p. 305.

الدينية فيها (١٩٤) . وصـادف عندئذ أن مرض جوسـلين مرضـا خطيرا جعله يندم على مسلكه السابق ولذلك قبل الصلح مع بوهيموند . بل ان الأمر وصل الى ماهو ابعد من ذلك عندما أعلن جوسلين ولاءه لبوهيموند (١٩٥) . وهو ما اكده متى الرهاوى بقوله « ان بوهيموند استطاع بسلطته التى لا تقهر ان يخضع لنفوذه أمة الفرنج فاعترف أمير الرها جوسلين وابن الصنجيل بسيادته (١٩٦) ».

وفى فبراير ١١٣٠م منتصف رمضان ٥٢٤هـ توفى بوهيموند الثانى (١٩٧) وحاولت ارملته السيطرة على الحكم ـ كما مر بنا ـ وبأن تحرم ابنتها صاحبة الحق الشرعى من الحكم . وعندئذ اسرع بلدوين الثانى من جديد ومعه جوسلين دى كورتناى ليوقفا تصرفها هذا واصدر والدها ـ على كره منها ـ مرسوما بأن يتولى جوسلين الوصاية على انطاكية حتى تتزوج الأميرة كونستانس فيصبح زوجها اميرا على انطاكية (١٩٨) .

ولكن حدث عندما توفى جوسلين الأول وتولى جوسلين الثانى مكانه أن رفض أهالى أنطاكية وبطريركها السماح لأمير الرها الجديد بتولى الحكم فى امارتهم (١٩٩) . وفى١١٣٦م ـ ٥٣٠هـ تزوج ريموند دى بواتييه من الأميرة كونستانس واصبح اميرا لانطاكية (٢٠٠) .

وفى ١١٣٨م (٥٣٢هـ) وبعد هزيمة البيزنطيين والصليبيين أمام شيزر نلمح تجدد العداء بين الامارتين ولو بصورة خفية من خلال السطور التى كتبها وليم الصورى حين يقول ان الأمير جوسلين الثانى

---

(١٩٤) Michel : Op. Cit., p. 224, Setton : Op. Cit., V. 1. p. 429.

(١٩٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428, Zoé : Op. Cit., p.p. 283 - 284.

(١٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 147.

(١٩٧) Michel : Op. Cit., p. 230, Schlumberger : Op. Cit., p. 32. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، حـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ .

(١٩٨) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 255.

(١٩٩) Michel : Op. Cit., p. 233.

(٢٠٠) Schlumberger : Op. Cit., p. 32, Tournebize : Op. Cit., p. 173.

حـاول أن يوغر صـدر الامبراطور ضـد الأمير ريموند الثـانى حتى يقلل من منزلة الأخير لدى الامبراطور (٢٠١) . ولو اننا لا نستبعد أن يكون انفراد وليم الصورى بهذه الراويه راجع الى سوء علاقاتـه بأبناء جوسـلين الثـانى (٢٠٢) . والواقع أن الامارتين الشماليتين كانتا فى غالبيـة الأحيـان متنازعتين ولكن جهود الملك بلـدوين الثـانى شجعت باسـتمرار على توحيـد الامـارتين فى اطـار المصـلحة الصـليبية العـامة (٢٠٣) ولو بطريق الضغط والاجبـار كما تعـددت على ذلك الأمثلة من قبل . اما خليفـة بلدوين الثـانى — الملك فولك — فانـه لم يستطع فى غالبية الأحيـان بسط نفوذه على امـراء الشمال (٢٠٤) . ولكنه حقق نجاحـا فى بعضها . وعندما توفى فولك وتولى ابنـه بلدوين الثـالث العرش تحت وصـاية أمـة ميلزاند (٢٠٥) ضعفت الفرصـة للسيطرة على امارتى الشمال لذا زاد العداء بصورة واضحة بين الامارتين حتـى أن أميـر الرهـا — كمـا رأينـا — ابتهـج لسـقوط امـارة الرها ١١٤٤م (٢٠٦) ، وكان ذلك لا يعنيه ولا يضر بمصالحه هو الآخر .

---

(٢٠١) William : Op. Cit., V. 2, p. 97.

(٢٠٢) Zoé : Op. Cit., p. 295.

(٢٠٣) والحقيقـة أن جهود الملك بلدوين الثانى (مارس ١١١٨م — اغسطس ١١٣١م) لم تقتصر فقط على الامارتين الشماليين بل تميز حكمه بانه امتدت فيه قوة المسيحيين ودعمت : حتى ولو تطلب ذلك الدخول فى معارك مرعبة مع المسـلمين المجاورين والتى وقـع الملك فى احـداها اسيرا فى ابريل ١١٢٣م .

(Charles-Hefele : Op. Cit., T.V., Part 1, p. 802)

(٢٠٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.

هنـا يعلـق (هيفـل) علـى حكـم فولـك وميلزانـد بانه « كان بداية انحلال أعقاب الصـليبيين فى الشرق »

Charles-Hefele : Op. Cit., T V. Part 1, p. 802.

(٢٠٥) Schlumberger : Op. Cit., p. 4-5 ; Charles-Hefele : Op. Cit., p. 802

(٢٠٦) William : Op Cit., V. 2, p. 201.

سقوط الرهـــا فى يد عماد الدين زنكى ١١٤٤م (٢٠٧) — ٥٣٩هـ .

(أ) الظروف المشجعة لزنكى على التقدم الى الرهـــا :

كان استيلاء عماد الدين زنكى على الرهـــا اهم خطواته فى جهـــاده الاســـلامى ضـــد الصليبيين والذى استكمله بعده ابنه نور الدين والحقيقة ان الذى شجع زنكى على القيـــام بذلك العمل الهـــام عـــدة حوافز بعضها يتعلق بعلاقات الرهـــا الخارجيـــة وبعضها يخص الرهـــا فى الداخل .

فاذا حاولنا التركيز اولا على **الحوافز الخارجيـــة** ، نجـــد اننا قـــد أشرنا اليهـــا اثناء تناولنا للحلف الفرنجى البيزنطى وللصراع بين الرهـــا وانطاكيـــة . فغالبيـــة المصـــادر والمراجـــع الأجنبية تضـــع فى المقـــام الأول ، ذلك الصراع الشـــديد بين أميرى الرهـــا وانطاكيـــة والذى كان قـــد وصـــل الى حـــد الصـــدام العلنى ؛ حتى أن كلا منهما كان يفرح لمـــا يصيب الآخر من كوارث ونكبات (٢٠٨) . ويرتبط بهـــذا أيضـــا الحافز الثـــانى وهو انه بوفـــاة الملك فولك ، اصبح نفوذ مملكة القـــدس ضئيلا جـــدا على أميرى الرهـــا وانطاكية وخاصـــة عندما آل الحكم الى بلدوين الثالث تحت وصـــاية أمـــه ميلزاند (٢٠٩) . ففى ذلك الدور انعـــدم وجود الشخصية الصـــليبية القويـــة التى يمكنهـــا جمـــع شمل الأمراء الصـــليبيين وقت الخطر . فاذا اضيف الى ذلك تصـــدع الحلف الفرنجى البيزنطى (٢١٠) — كمـــا مر بنـــا — والذى ازال بذلك عقبة كبيرة من

---

(٢٠٧) ينفرد ابن العبرى : كمصـــدر سريـــانى والدبس ولوسترانج بالقول أن ذلك كان ١١٤٥م .

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Le Strange : Op. Cit., p. 104,

يوسف الدبس : تاريخ سوريـــة ، حـ ٦ ص ٦٦

ولكن جميـــع المصـــادر العربية والافرنجية تؤكد — كما سنرى — أن ذلك كان ١١٤٤م وهو الأرجح .

(٢٠٨)

William : Op. Cit., V. 2, p.p. 140 - 141, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 446, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 174 - 175.

(٢٠٩)

Charles - Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 802, Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 92, Prawer : Op. Cit. p. 337, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 174-175 182, L'Empire, p. 224.

(٢١٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 175.

طريق زنكي — لامكننا التعرف على مدى طمانينة زنكي من ناحية تلك القوى الخارجية التى لن تتمكن من المسارعة بتقديم العون الضرورى لامارة الرها اذا هاجمها .

اما اذا انتقلنا الى الحوافز الداخلية فاننا نجد ان التركيز على شخصية جوسلين الثانى امير الرها آنذاك وتصرفاته تاتى فى المكان الأول . ذلك ان جوسلين الثانى ولد من ام أرمينية ، وكان يفضل مجتمع الارمن والسريان على مجتمع الفرنج (٢١١) . بل يقال انه كان يشعر بالغربة بين فرسانه الفرنج (٢١٢) . ثم انه لم يشبه والده جوسلين الأول فى شجاعته المطلقة وان احتفظ بقدر محدود منها (٢١٣) ، حيث ان بعض المصادر العربية اشارت اليه بانه « كان صاحب راي الفرنج والمقدم على عساكرهم لما هو عليه من الشجاعة والمكر (٢١٤) » . فى حين قال البعض الاخر عنه انه « هو عاتى الفرنج وشيطانهم والمقدم على رجالهم وفرسانهم (٢١٥) » .

يضاف الى هذا كله ان جوسلين الثانى كانت تنقصه روح التصميم (٢١٦) وكان يميل الى حياة الراحة والهدوء ولذا تخلى عن الاقامة فى مدينة الرها وفضل عليها تل باشر لكى يكون « بعيدا عن القلق المتسبب عن أعدائه (٢١٧) » . وفى مقره الجديد مارس

---

(٢١١) Grousset : L'Empire, p. 300.

(٢١٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 176, L'Epopée, p. 162.

(٢١٣) Archer : Op. Cit., p. 202.

(٢١٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، النويرى نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤١ .

(٢١٥) ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، تاريخ ابو الهيجاء ، مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ .

(٢١٦) Zoé · Op. Cit., p. 337.

(٢١٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 140.

حيـاة مليئة باللهو والترف والفراغ (٢١٨) هـذا فضـلا عن أنه اقحم نفسـه فى الأمـور الدينيـة وتدخـل فى ترشيحات رجـال الكنيسـة اليعقوبية (٢١٩) . بل أنه تحت ستار الحج نهب دير سـانت برسوما Mar Bar Çauma المقدس لدى اليعاقبة (٢٢٠) مما أوجد بينه وبين المعاقبة فجوة كبيرة .

أما عن المسـائل المتعلقة بالدفاع عن الامارة ومن الذى كان يتولاه . فالمعروف ان أهلهـا كـانوا يشتغلون بالتجـارة ويجهلون اسـتخدام الأسـلحة (٢٢١) . ولمـا كـان عـدد سـكان الرهـا من الفرنـج بالنسبة للسـكان الأصليين اصغر (٢٢٢) لذا اعتمدت الامارة فى الدفاع عن كيانها على المرتزقـة ، وكان هـذا النظام له خطورته ، خصوصـا بالنسبة لامارة الرهـا بالذات (٢٢٣) .

فاذا اضفنا الى ذلك ان امارة الرهـا كانت اكثر تعرضـا لهجمات

---

(٢١٨) William : Ibid., V.2, p. 140, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 446, Grousset : L'Epopée, p. 163, Archer : Op .Cit., p. 202.

(٢١٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 176.

(٢٢٠) Grousset : Ibid., p. 176, L'Epopée, p. 300.

(٢٢١) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit., V. I p. 446.

والراجح ان السريان من أهلها هم الذين كانوا زراعا وتجـارا مهرة وغير مغرمين بحمل السـلاح استنادا الى ماجاء فى المصـدر اللاتينى
Haytonus Flos : Historiarum Terre Orientis, (Doc. Arm.), T. 2, p.p. 270 - 271.)

(٢٢٢) William : Op. Cit., V.2, p. 141, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337.

(٢٢٣) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit., V. 1, p.446
فقـد ذكر وليم الصورى أن هؤلاء المرتزقة كانوا لا يتلقون اجورا وفقـا لزمن ونوع الخدمـة المقدمة لكن غالبا ما ينتظرون سـنة او اكثر قبل ان يستطيعوا جمع ما يستحقوه وكانت طريقة الدفع للقوات تشتمل حتى على الفرسـان ، ومن الواضح انها كانت باهظة أكثر فى الرهـا عن أى مكان آخر ، لأن النبلاء من السـكان الأرمن والمسيحيين الوطنيين الاخرين ، لم يكونوا قـد أخرجوا بواسطة النبلاء الغربيين حتى أنه بدون شك اشتملت المرتزقة فى بعض الأوقات على المسلمين .

المسلمين بحكم موقعها وانها تعرضت تحت الحكم الصليبي لها لتدهور الحياة الاقتصادية فيها بسبب التخريب والهجرة التى اصابت جزءها الشرقى (٢٢٤) ، فاننا نخرج من هذا كله بحصيلة عن الأوضاع التى شجعت زنكى على توجيه ضربته القاتلة ضدها .

والواقع ان عماد الدين زنكى وجه جهوده ضد امارة الرها بالذات في ذلك الدور دون غيرها من الامارات الصليبية ، للاسباب المشجعة السابقة الذكر فضلا عن انها كانت الامارة الصليبية الأقرب الى مركز نشاطه والى مقر الخلافة فى بغداد . ولا يخفى علينا أن ضررها كان كبيرا على المسلمين اذ امتدت غاراتها حتى بلغت آمد ونصيبين ورأس عين والرقة وكان حكامها يملكون من قرب ماردين الى الفرات ، عدة حصون مثل سروج والبيرة وسن بن عطير وجملين والموزر (٢٢٥) . هذا فضلا عن مدينة الرها ذاتها التى « كانت من الديار الجزرية عينها ومن البلاد الاسلامية حصنها (٢٢٦) » .

كذلك وجد سببان مباشران دفعا زنكى الى مهاجمة امارة الرها . اولهما انه حدث ٥٣٨هـ/١١٤٣م ان كان السلطان مسعود قد استعد لمحاربة زنكى لأنه اعتقد انه هو الذى يحرض أمراء الأطراف عليه وهو اتهام صحيح لأن زنكى أراد عندئذ أن يشغل السلطان وليتمكن هو من فتح البلاد والتمكين لنفسه (٢٢٧) . لذلك ارسل زنكى يستعطف السلطان ويستميله وترددت الرسل بينهما حتى استقر الراى على أن يدفع زنكى للسلطان مائة الف دينار دفع منها زنكى عشرين الف دينار . ولكن عندما طلب السلطان من زنكى مثوله بين يديه اعتذر باشتغاله بمحاربة

---

(٢٢٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337.

(٢٢٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م١ ص ١٤١ . وسن ابن عطير وتسمى ايضا السن وهى قلعة بالجزيرة قرب سميسط (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١١ ص ٢٦٩) .

(٢٢٦) ابن الأثير : الباهر ص ٦٧ .

(٢٢٧) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٦٥ ؛ الكامل حـ ٩ ص ٦ .

الفرنج « فعذره وشرط عليه فتح الرهـا (٢٢٨) » .

وثانيهما أن زنكى سمع بقيام تحالف ارتقى رهوى ، أى بين فخر الدين أبو الحـارث قرا ارسـلان بن داود (٢٢٩) . الأرتقى حاكم حصن كيفا وبين جوسـلين الثـانى ؛ تنازل فيه الأول للثـانى عن احـدى قلاعـه بالقرب من كركر ، على أن يسـاعده الأخير ضـد زنكى (٢٣٠) . وقد ارسـل جوسـلين بالفعل ١١٤٤م نجـدة الى قرا ارسـلان (٢٣١) . لذا اراد زنكى أن يضرب ذلك التحالف . ولكنه كان يعلم جيـدا انـه لن يستطيع أن ينزل ضربته بالرهـا مادام جوسـلين وأعوانـه موجودين بها (٢٣٢) . وانه اذا توجـه اليها وحاول الاستيلاء عليها « اجتمع فيها من الفرنـج من يمنعهـا فيتعـذر عليـه ملكهـا لمـا هى عليـه من الحصانة (٢٣٣) » . لذا استخدم زنكى الحيلـة والخـداع وبدأ يموه ويخفى غرضـه الحقيقى ، فبدأ بمهاجمة قرا ارسـلان الأرتقى فى خريف ١١٤٤م (٥٣٩هـ) ، كى يوهم فرنج الرهـا بانه مشغول عن التفكير فى محاربتهم (٢٣٤) . « فهو يخطبها وعلى غيرها يحوم ويطلبها وسواها

---

(٢٢٨) ابن الأثير : الباهر ص ٦٥ ، ابو شـامـة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٢ ، الطبـاخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٩٨ .

(٢٢٩) زامبور : معجم الانسـاب ، حـ ٢ ص ٣٤٤ . تولى من ٥٣٩هـ ١١٤٤م .

(٢٣٠) Michel : Op. Cit., p. 260, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 178 - 179, Cahen : Op. Cit., p. 368, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 461.

(٢٣١) Michel : Op. Cit., p. 260.

(٢٣٢) ابن الأثير : البـاهر ، ص ٦٧ ؛ ابو شـامـة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، ابو الهجاء : مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن ايبك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٥٣٩ .

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، ابن الفـرات : مخطوط ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ .

(٢٣٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، ابن الفـرات : مخطوط ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ ،
Zoé : Op. Cit., p. 336, Cahen : Op. Cit., p. 368, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 879, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235.

بروم (٢٣٥) » . عندئذ اطمأن جوسلين الثاني من ناحية زنكي وغادر الرها الى بلاده الشامية أو الغربية (٢٣٦) أي الى تل باشر غربي الفرات . وفي الحال بلغت زنكي عن طريق اهل حران تحركات أمير الرها (٢٣٧) . وانه كان مصحوبا بمعظم رجاله والبارزين في حاميته واكثر محاربيه شجاعة (٢٣٨) . في حين ترك مدينة الرها بدون حامية ومؤن كافية (٢٣٩) . على عكس ما كان يفعل امراء الرها السابقين (٢٤٠). وعهد جوسلين بالدفاع عن الرها الى المسيحيين الوطنيين تحت توجيه اساقفتهم (٢٤١) ، والى بعض المرتزقة الذين لم يكونوا يتقاضون مرتباتهم الا بصعوبة (٢٤٢) .

---

(٢٣٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٧ . ابو شامة : الروضتين ، ﺣ ١ ق ١ ص ٩٤ .

(٢٣٦) ابن الأثير : الكامل ، ﺣ ٩ ص ٨ ، الباهر ص ٦٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ﺣ ١ ص ٩٣ . أبو شامة : الروضتين ، ﺣ ١ ق ١ ص ٩٥ ، ابن الفرات ، مخطوط ﺣ ٤ ص ٥٦ (أ) ، تاريخ ابو الهيجاء ، ﺣ ١ مخطوط حوادث ٥٣٩ﻫ ،

Grousset : L'Empire, p. 300

(٢٣٧) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Michel : Op. Cit., p. 260,

Cahen : Op. Cit., p. 369, Seton : Op. Cit., V. 1, p. 446, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 179, 879.

وقد اخطأ ميخائيل السرياني هنا في قوله (ان أمير الرها كان قد توجه الى انطاكية آنذاك) أما ابن العديم : زبدة الحلب ، ﺣ ٢ ص ٢٧٩ ، فيذكر ان الذي اخبر زنكي بتحرك جوسلين الثاني كان (جمال الدين ابو المعالي فضل الله بن ماهان رئيس حران) .

(٢٣٨) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٧٩ ، (البيت ٦٢٨)

Nersès : Op. Cit., p. 246, Gibb : Op. Cit., p. 266..

(٢٣٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Zoé : Op. Cit., p. 336, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 180, 879, L'Empire p. 300.

(٢٤٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 177.

(٢٤١) Nersès : Op. Cit., p. 259, Cahen : Op. Cit., p. 369, Grousset : L'Empire, p. 300, Zoé : Op. Cit., p 336, Archer : Op. Cit., p. 202, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235

(٢٤٢)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 177, Archer : Op. Cit., p. 202.

ب ـ حصار زنكي للرها واستيلائه عليها :

كاتب زنكي طوائف التركمان ليساعدوه ويؤدوا معه فريضة الجهاد واخبرهم انه لن يتبل أي عذر ، فوصل اليه عدد كبير منهم (٢٤٣) . ثم ارسل زنكي بعض قواته بسرعه الى الرها بقيادة الأمير صلاح الدين الياغيسياني كي يباغتوا المدينة حتى يلحق بهم بقواته ، لكن الياغيسياني ضل الطريق فوصل متأخرا (٢٤٤) . في الوقت الذي كان عماد الدين زنكي قد وصل الى الرها فعلا وبدأ حصاره لها في ٢٨ نوفمبر ١١٤٤م (٢٤٥) .

وكان زنكي أول من حمل على الفرنج (٢٤٦) ، فالتجأ هؤلاء الى داخل المدينة واحتموا باسوارها الحصينة ، وعندئذ شدد زنكي الحصار عليهم ، وسد في وجه المحاصرين كل سبيل للخروج أو الدخول للمدينة للحصول على أى مؤن (٢٤٧) . ووصلت قسوة تشديد الحصار الى درجة « أن الطائر لا يكاد يقرب منها — من الرها — خوفا على نفسه من صوائب سهام منازليها ويقظة المضيقين عليها (٢٤٨) » . وعندما طلب زنكي من أهالي الرها التسليم كي

---

(٢٤٣) ابن القلانسي : الذيل ص ٢٧٩ .
(الأبيات ٦٣٠ : ٦٣٤) Nersès : Op. Cit., p. 246.
ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩.
Gibb : Op. Cit., p. 266
هنا يضيف (ميشو) بنظرفه الواضح في كتابته أن تلك الأعداد الكبيره سارعت للانضمام الى زنكي طمعا في غنيمة ثرية
(Michaud : Op .Cit., V. 2, p. 102)

(٢٤٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 879.

(٢٤٥) Michel : Op. Cit., p. 260, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268
Grousser : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois., V. 2, p. 879.
Bréhier : L'Eglise, p. 103.

(٢٤٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويري : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ؛ العيني : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .

(٢٤٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 141,
(البيت ٦٣٦) Nersès : Op. Cit., p. 246
ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩

(٢٤٨) ابن القلانسي : المصدر السابق والصفحة
Gibb : Op Cit., p.p. 266 - 267,

لا يهلكوا لأنــه لا يوجــد لهم اى منفذ للنجــاة - رفضوا (٢٤٩) ، لأنهم كانوا يأملون فى وصـــول نجدة اليهم من انطاكية وبيت المقدس (٢٥٠) .

ولكن مــاذا كــان موقف جوســلين نفســه ؟ الواقــع ان كــل ما فعله جوســلين فى ذلك الوقت كــان محــاولة جمــع قواته بسرعــة الى جــانب استنجاده بانطاكيــة والقــدس (٢٥١) . وهنــا يعقب وليم الصـــورى على موقف جوســلين بأنــه تحرك بعــد فوات الأوان « فبــدا كأنــه يعــد الطقوس الجنائزيــة للموتى ، لهؤلاء الذين اهمل مســاعدتهم أثناء المرض والتوســل (٢٥٢) » . ومعنى ذلك ان جوسلين لم يتنبه للخطر الذى هــدد امارتــه الا متاخرا ، بعــد ان ترك الجزء الشرقى للامارة ونعم بالراحــة فى جزئها الغربى . والواقــع ان جوسلين لم يخف الى الرهــا بسرعــة عندما علم بالهجوم عليها ، وانمــا اكتفى بالبقــاء فى تل باشر كى يستطيع منها أن يقطع اى تعزيزات تصــل الى زنكى من حلب . ويبدو أن ثقته فى تحصينات الرهــا كانت كبيرة (٢٥٣) . ولكن الأسوار والأبراج لم تفد الا قليلا لعــدم وجود من يدافع عنها (٢٥٤). حقيقة ان أهــالى الرهــا ورجال الدين فيها هم الذين تولوا الدفاع عنها فى تلك الأزمة ، وذلك بقدر مــا اسعفتهم طاقاتهم ، فاستبسلوا رجــالا ونســاء « سواء الأعيان المحترمون أو السوقة الذليلون (٢٥٥) » . هــذا الى جــانب الدور الكبير الذى قام به رجــال الدين عندئذ والذى سنتناوله بالتفصيل عند الكلام عن الكنيســة ورجــال الدين فى الفصــل الأخيــر .

---

(٢٤٩) Michel : Op. Cit., p. 260.

(٢٥٠) Nersès : Op. Cit., p. 252, Michel : Op. Cit., p. 260, Cahen : p. 370.

(٢٥١) William : Op. Cit., V. 2, p. 142, Zoé . Op. Cit., p. 336.

(٢٥٢) William : Op. Cit., V .2, p. 142.

(٢٥٣) Runciman :Op.Cit.,V. 2, p.p. 235 - 236.

(٢٥٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

(٢٥٥) Nersès : Op. Cit., p 251, Bar Hebaeus : Op. Cit., V. 1, p. 268,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880, Zoé: Op. Cit., p. 336.

اما عن موقف زنكى عندما راى صمود اهل الرهـا ودفاعهم المستميت عن مدينتهم (٢٥٦) . فانه امر بتشـديد الحصـار بدرجـة اكبر على المدينـة . وعندئذ ظهرت براعـة رجاله الخراسـانيين والحلبين فبذلوا جهـدا كبيرا فى حفر الخنادق تحت سور المدينـة ووضعوا فيها العوارض الخشبية كي يشـعلوا فيها النيران فيسهل انهيـار السـور (٢٥٧) . ومرة اخرى طلب زنكى من المحـاصرين أن يستسلموا بعـد ان غـدت المدينـة على وشـك السقوط ولكنهم اصـروا على الرفض ، مؤملين وصول النجـدة اليهم ، بل انهم استهزأوا به وتحدوه (٢٥٨) . لذا أمر زنكى باشعال النـار فى الخشب الموجود فى الأنفـاق تحت السـور مما ادى الى انهيار جزء منه سمح للمسلمين بالتسلل الى داخل المدينة (٢٥٩) .

---

(٢٥٦)
Michel : Op. Cit., p. 261, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 181.

(٢٥٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ،
Michel : Op. Cit., p. 261, William : Op. Cit., V. 2, p. 142.
Gibb : Op. Cit., p. 227.

(٢٥٨)
Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268,
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 184
ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ – ٦٩

(٢٥٩) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤
Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., p.p. 142 - 143,
Nersès : Op. Cit., p. 253.

حيث يقول
حين انبعثت نيران سـادوم
من اعماق الأرض
ولم تمطر من السـماء
بل من اجواف الخنـادق
واذا بالسـور المحصن
ينهـار ويتـداعى
وينـدك من اسسـه
لقـد فتح الاعـداء فيه ثغرة

وقــد ســارع أهالى الرهــا الى ذلك الصــدع الذى فتح فى الســور ليحولوا دون دخول المسلمين منه فما كان من بقية الجيش الاسلامى الا أن اعتلى الاسوار التى خلت من المدافعين عنها . وهكذا امتلك زنكى البلد عنوة بالسيف (٢٦٠) . ولم يستطع الاهالى حماية انفسهم من سيوف المسلمين ، حتى عندما لجأوا الى قلعة المدينــة وجــدوا ابوابها معلقة فمات الكثيرون مخنوقين من شــدة الزحام وكان من بينهم الأسقف اللاتينى نفســه (٢٦١) . وسنرجىء الكلام عما أصــاب اهالى الرهــا عندئذ الى حين نعالج طبقات المجتمع فى الباب الاخير .

واخيرا سقطت الرهــا فى يد زنكى وقواته فى يوم السبت ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م (٢٦٢) . الســادس والعشرين من جمادى الاخره ٥٣٩هـ (٢٦٣) بعــد حصــار دام ثمانيــة وعشرين يوما (٢٦٤) . اما القلعة فقــد

---

(٢٦٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، الباهر ص ٦٩ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقــة ٥١ ، أبو شــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، روض المناظر : مخطوط ، حوادث ٥٣٩هـ ، ابو الهيجاء ، مخطوط ، حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ .

(٢٦١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p.p. 261 - 262, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269. William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Cahen : Op. Cit., p.370.

(٢٦٢) ؟
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 157, William : Op. Cit., V. 2, p. 144, Tournebize : Op. Cit., p. 163, Gibb. Op. Cit., p. 267, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(٢٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، الأصفهانى : تاريخ دولــة آل ســلجوق ، ص ١٨٦ . أمــا كل من ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ١١٢ - الفارقى : ملخص تاريخ ميافارقين ، مخطوط ص ١٧٩ (أ) ، أبو الفضــايل الحموى : التاريخ المنصورى ص ١٦٩ فيذكروا أن ذلك كان فى الخامس والعشرين من جمادى الاخره . وأما ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ، ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ فيذكران أن ذلك كان فى ١٦ جمادى الأخرة . والراجح ان ذلك كان فى ٢٦ جمــادى الأخــرة .

(٢٦٤) ابن واصــل : مفرج الكــروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقــة ٥١ ، أبو الفــدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٧٠ ، الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٦ ص ٦٧ .

سقطت بعد ذلك بيومين (٢٦٥) . حدث كل هذا دون ان يتقدم جيش صليبى واحد لنجدة الرها . فانطاكية كما بينا من قبل لم تقدم اية معونة ولم يرسل اميرها اية نجدة بل انه سر لما اصاب الرها (٢٦٦) اما بيت المقدس فرغم ارسال الملكة ميلزاند بعض القوات لنجدة الرها الا انها وصلت متاخرة جدا (٢٦٧) .

وهنا يؤكد كل من نيرسيس وابن العبرى أن سقوط الرها كان مرجعه الآثام التى ارتكبها اهالى الرها (٢٦٨) . والتى يرجعها نيرسيس الى اختلاطهم بالفرنج (٢٦٩) . اى بالصليبيين الغربيين . وأما البعض الآخر فيذكر ان السر فى سقوط الرها يرجع الى تغيب

---

(٢٦٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 144, Bréhier : L'Eglise, p. 104
Cahen : Op. Cit., p. 370, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401,
Lammens : La Syrie, V. 1, p. 222.

هنا يذكر الكاهن جريجوار القلعة (بقلعة مانياكس (Maniacès)
وان الذى ساعد على سقوطها هو نقص الماء بداخلها . .
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158 - 159.

(٢٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 142 - 143, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 182, Zoé : Op. Cit., p. 336, Cahen : Op. Cit., p. 370, Michaud :Op. Cit. V. 2, p. 104.

(٢٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 142, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 182, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 236, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.

ويشير نيرسيس الى ذلك بقوله :
لكن لم يصل أحد
ممن كانوا ينتظرون
بل ان عباد الصليب
فى البلاد كلها
تخاذلوا وتقاعسوا .
عن مديد المعونة الينا

(الابيات من ٨٠٧ الى ٨١٢) Nersès : Op. Cit., p. 252.

(٢٦٨) Nersès : Ibid . p. 252, 268, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269.

(٢٦٩) (البيتان ٥٩١ — ٥٩٢) Nersès : Op. Cit., p. 245

منذ تلك الساعة التى بدات فيها
اصاهر اهل روما واقترب البهم

حمايتها عنها (٢٧٠) . والحقيقة ان المجهودات الكبيرة من جانب زنكى وقواته الى جانب ظروف الامارة الداخلية والخارجية آنذاك تضافرت لتمكين الجيوش الاسلامية من النصر .

كانت المدينة قد تعرضت للسلب والنهب من جانب قوات زنكي فلما دخلها اعجبته ورأى ان تخريب مثلها لا يجوز « فنودى فى العساكر برد ما اخذوه من الرجال والنساء والأطفال الى بيوتهم واعادة ما غنموه من اثاثهم وامتعتهم فردوا الجميع عن آخره لم يفقد منه شيء الا الشاذ النادر الذى اخذ وفارق من اخذه المعسكر (٢٧١) » . عندئذ عادت الأحوال الى هدوئها مرة اخرى ، فترك زنكى بها بعض قواته بقيادة زين الدين على كوجك (٢٧٢) .

ثم كان أن توجه زنكي بعد ذلك الى سروج فاستولى عليها فى يناير ١١٤٥م بعد أن هرب من بها من الفرنج (٢٧٣) . وبذلك لم يبق لجوسلين شرقى الفرات سوى البيرة التى توجه اليها زنكى وحاصرها (٢٧٤) . ليستكمل فتح الجزء الشرقى من امارة الرها .

---

(٢٧٠) Michel : Op. Cit., p. 266.
(ذكر ذلك احد رجال الدين بالرها وهو (Mar Jean :
Grousset : L'Empire, p. 300.

(٢٧١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل : حـ ٩ ص ٩ ، الباهر ص ٦٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 882,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 461, Archer : Op. Cit., p. 202.

(٢٧٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٠ ، Gibb : Op. Cit.,p . 268, Michel : Op. Cit., p. 265, Cahen : Op. Cit., p. 370, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237.

(٢٧٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٩ ، الباهر ص ٧٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، روض المناظر ، مخطوط احداث ٥٣٩هـ. Michel : Op. Cit., p. 265, Cahen : Op. Cit., p. 370.

لكن البيرة كانت شـديدة التحصين (٢٧٥) . وكان الفرنج الموجودون بداخلها قـد زودوها بكميات كبيرة من المؤن الى جـانب وضـع حاميات هائلة بداخلها (٢٧٦) . ولذا استطاعت قوات البيرة الفرنجية أن تقاوم زنكى وتصمد له مـدة طويلـة (٢٧٧) . ولكن عندمـا نفـذت المؤن والذخـائر وكـادت المدينـة تسقط فى يد زنكى وقواته جاءته الأخبـار من الموصـل بمقتل نائبه نصير الدين جقر فيها (٢٧٨) . مما اضطره الى الرجوع بسرعـة الى الموصـل « خوفـا من أن يحـدث بعـده فى البلاد فتق يحتـاج الى المسير اليها (٢٧٩) . » ولـما غادر عماد الدين زنكى البيرة خـاف الفرنج الموجودون بهـا من عودته اليهم فراسـلوا حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى صاحب ماردين وسلموها اليه (٢٨٠) » .

---

(٢٧٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٠ ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٩، البـاهر ص ٧٠ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٣ ، تاريخ أبو الهيجاء ، مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٦ .
Gibb : Op. Cit., p. 268.

(٢٧٦) ابن الأثير : الكـامل ، حـ ٩ ص ٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب، حـ ١ ص ٩٤ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 191.
عن (Rey : Colonies franques).

(٢٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 882, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237.

(٢٧٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٧٠ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٠، ابن العـديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٠ — ٢٨١ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٦ ، العينى : عقـد الجمـان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ (ويذكر الأخير أن جقر قتل فى ٨ ذى القعـدة ٥٣٩هـ/٢ مايو ١١٤٥م)
Michel : Op. Cit., p. 265, Gibb : Op. Cit., p. 268,
وهنا يذكر ميخائيل أن زنكى اصطلح مع الفرنج قبل رحيله ولكن الراجح أن ذلك غير صحيح .

(٢٧٩) ابن الأثيـر : البـاهر ص ٧٠ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٣ .

(٢٨٠) ابن الأثير : الباهر ص ٧١ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٦ ، أبو الفـدا : المختصر : حـ ٣ ص ١٧ . بن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤٥ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٦ ، روض . طر : مخطوط حوادث ٥٣٩هـ ، العينى : عقد الجمان : حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .

وهكذا دممت تلك الخطوة التحالف بين مرنج الرها وارتقة ماردين ، لتشابه مصالح الطرفين فى مواجهة اهداف زنكى التوسعية (٢٨١) .

وهكذا لم يبق بيد جوسلين الثانى من بقايا امارته سوى تل باشر وسميساط ومرعش ودلوك وعينتاب وقورس وعزاز والراوندان (٢٨٢) . ومن الواضح انه بسقوط الرها سقطت اول لبنة فى البناء الصليبى بالشرق واذا كانت امارة الرها اول امارة اسسها الصليبيون فى الشرق ، فان الظروف شاءت أن تكون أول امارة صليبية تنهار أمام ضربات المسلمين (٢٨٣) .

ردود الفعل المختلفة لاستيلاء زنكى على الرها ١١٤٤م :

١ ـ رد الفعل من جانب المسلمين :

كان فتح الرها من اهم الأعمال التى جلبت السرور الى نفوس المسلمين . فقد حمل اليهم أملا جديدا (٢٨٤) . فى اسقاط بقية الصرح الصليبى فى الشرق . وازال عنهم كربا شديدا (٢٨٥) . وعبر عنه المؤرخون المسلمون المعاصرون بانه « طار فى الآفاق ذكره وطاب بها نشره (٢٨٦) . كذلك عبر الشاعر الأرمنى (نيرسيس شنورهالى) (٢٨٧) . فى قصيدته عن رثاء الرها عن

---

(٢٨١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦٠٩ ، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ٣٨ . ويضيف الأخير انه مما قلل من اهمية تلك المحالفات أنها كانت شخصية فردية .

(٢٨٢) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ٢ ص ٦٠٨ Grousset Hist. des Crois., V. 2, p. 192.

(٢٨٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p.p. 208 - 209.

(٢٨٤) Runciman Op. Cit., V. 2, p. 238.

(٢٨٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ٢١٩ .

(٢٨٦) ابن الأثير : الباهر ص ٦٩ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٩ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٣٩هـ .

(٢٨٧) Nersès : Op. Cit., p. 264.

فقد ذكر أن الأئمة المسلمين صعدوا الى المآذن هاتفين :
« يا رسول الله محمد
لقد استرددنا ما كنا قد فقدناه :
ديارك ودارك
=

فرحـــة المسلمين بذلك الفتح رغم تحامله عليهم فى اجزاء كثيرة من تلك القصـــيدة .

ومن ناحيـــة اخرى فقـــد رفـــع ذلك الفتـــح من مكانتـــه زنكى لدى المسلمين ، فمجـــده الشعراء وخلع عليه الخليفة العباس المقتفى لأمر الله العباس ، وزاد فى القابـــه ، زين الاســـلام الملك المنصـــور ، نصير امير المؤمنين (٢٨٨) .

اتاح سقوط امـــارة الرهـــا الصليبية تامين طريق المواصلات الاسلاميه بين الموصـــل وحلب ورفـــع الحاجز الصـــليبى الذى كان قائما بين اتراك ايران واتراك الاناضول (٢٨٩) .

٢ ــ رد الفعل من جـــانب بقية الامارات الصـــليبية فى الشرق :

حمل استيلاء المســـلمين على الرهـــا الحزن الشـــديد والكآبة بين

= من تلك الامة الضـــالة .
العابدة لحجـــارة صماء .
لقـــد روينا الأرض من دمائهم
وفقا لتعليمات قرآنك
اليك نزف البشرى
يامكة العظيمة ، موطن محمد
ياقبلة الأمانى بكعبتها السوداء .
والقدم المرسومة على صفحتها
اننا سنرد اليوم اليك
جميع اولئك المشارقة
عباد الصـــليب الضـــالين
وخدام يســـوع المســـيح » .

هـــذا الى جـــانب خطـــاب زنكى نفســـه الذى حمل البشرى بالنصر الى الخليفة فى بغـــداد والذى سيأتى فى الملاحق .(Nersâs : Ibid., p. 267)

(٢٨٨) ابن الفرات : تاريـــخ الـــدول والملوك ، حـ ٤ ص ٦٠ (ب) ، Cahen : Op. Cit., p. 371

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237, Michaud : Op. Cit., V. 2, p.p. 110 - 113 - 114.

(٢٨٩) Cahen Op. Cit., p. 371, Runciman : Op. Cit., V.2, p. 238.

الصـــليبيين جميعا فى الشرق (٢٩٠) ؛ اذ دق ناقوس الخطر لبقية الامارات الصـــليبية ، التى لم تستطع أن تقـــدم اية مســـاعدة ايجابية للرهـــا وقت محنتها (٢٩١) . حتى جيش القـــدس الذى كان قـــد ارســـل نجـــدة للرهـــا ، والذى انضم اليه بعض الفرنج من بقية الامـــارات ، لم يستطع الوصـــول الى الرهـــا . ففى رمضـــان ٥٣٩هـ مارس ١١٤٥م علم زنكى باجتماع هـــذا الجيش فى تل عدى Tell'Ada شمال انطاكية ــ فارسل اليهم جيشـــا كبيرا من التركمـــان أعمل فيهم الأسر والقتل وشتت جموعهم فرجعوا خاسرين (٢٩٢) .

وعندما لم تجـــد تلك الوسيلة لانقاذ امـــارة الرهـــا بدات أنظـــار صليبى الشرق تتجه الى الغرب المسيحى من جديد لطلب النجدة (٢٩٣) .

٣ ــ رد الفعل من جـــانب المسيحيين الشرقيين :

ولم يقتصر الحزن لفقد الرهـــا على بقية الامارات الصليبية فى الشرق بل تعداه الى جميع الطوائف المســـيحية الشرقية خاصـــة الأرمن الذين اعتبروا الاســـتيلاء على الرهـــا ضياعا لجـــزء هـــام من كيـــانهم ، بحكم تبعيتها لهم قبل قـــدوم الصـــليبيين ، فضـــلا عن أنهـــا كـــانت مقـــرا لجوســـلين الثـــانى وهو صديق حقيقى لهم (٢٩٤) .

وقـــد ظهر ذلك الحزن فى عـــدة مظاهر . منها تلك البعثة الأرمينية

---

(٢٩٠) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 114, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 238.

(٢٩١) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 69.

(٢٩٢) Michel : Op. Cit., p. 265, Gibb : p. 269,
ابن القـــلانسى : الـــذيل ، ص ٢٨٠ حسن حبشى : نور الـــدين والصـــليبيين ، ص ٣٩ (عن الذهبى : تاريخ الاســـلام) وهنـــا يشـــير ميخـــائيل الســـريانى ان سبب تفرق الجيوش الصـــليبية هو خوفهم من المجاعة بعـــد قطـــع المســـلمين الامدادات عنهم . اما كاهين فيذكر ان الأنطاكيين هم الذين اشتبكوا مع قوات زنكى التركمانية ، وربما دفعـــه الى ذلك الخطأ ان مكان التجمع كان فى منطقة قرب انطاكية
(Cahen : Op. Cit., p.p. 370 — 371).

(٢٩٣) Charles - Hefele : Op Cit., T.V., Part 1, p. 803, Bréhier: l'Eglise, p. 104.

(٢٩٤) Iorga : L'Arménie, p. 96.

التى توجهت الى روما فى نوفمبر ١١٤٥م لطلب النجـدة من البابا ايوجين الثالث وعقدت فى نفس الوقت صـلحا مع الكنيسة الرومانية (٢٩٥) . كان يصـاحب تلك البعثة (هيو) أسقف جبلة ، احـد أسـاقفة امـارة انطاكية البارزين ، والذى توجـه الى الغرب وأثار فكرة حرب صـليبية جـديدة (٢٩٦) . ومن هـذا يبدو أنه اذا كان أمير انطاكيـة لم يسرع لنجـدة الرهـا ، فان هـذا لم يمنع رجـال الدين فى امارته من القيـام بدور ايجابى تجاه الرهـا .

ومن بين تلك المظاهر أيضـا المراثى الشعرية والنثريـة التى كتبها بعض رجـال الدين من المسيحيين الشرقيين المعاصرين لسـقوط الرهـا والتى من اهمها قصيدة الرثاء التى كتبها نيرسيس شنورهالى (٢٩٧) . هـذا الى جـانب المقالتين التى رثى بهمـا الرهـا (ديونيسيوس) — الذى كان لايزال شمـاسـا فى ملطية آنذاك . كذلك المقالات الرثائية الثلاث التى كتبها باسيليوس Basilius مطران الرها اليعقوبى (٢٩٨) .

وقـد يتضح موقف الأرمن أكثر تجاه تلك الحركـة التى قام بها زنكى اذا عرفنا ان بعض المصـادر المعاصرة ذكرت أن جماعة من الأرمن بالرها

---

(٢٩٥) Bréhier : L'Eglise, p. 104.

(٢٩٦) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V., Part 1, p. 803, Bréhier : L'Eglise, p. 104, يؤكـد هـذا ما ذكـره اسـحاق عبيـد : رومـا وبيزنطـة ص ١٨٢ عن (Otto of Freising « ان أسقف جبله وصل الى روما وعيناه قـد اغرورقت بالدموع يحـذر سـامعيه من الخطر المحـدق بالكنيسـة فيما وراء البحـار نتيجة لسقوط الرهـا ، ومبديا رغبتـه فى عبور جبال الألب ليستعطف ملكى الألمـان والفرنسيين لاستنقاذها » .

(٢٩٧) Nersès : Op. Cit., p.p. 242 - 243.

ففى الأبيات ٤٨٥ — ٤٨٨ ، ٥٣٣ — ٥٣٥ يقول

كنت متربعة على عرش فخم
كملك اعتـلى مركبتـه
او ملكة رائعة الجمال
ولكن جاءت ساعة المحنة
وكل ماأسبغ على من نعمة
زال واندثر

(٢٩٨) Michel : Op. Cit , p. 267, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. - p. 270

انتهزوا فرصـــة قلة الحامية الزنكية بالمدينـــة وارادوا الأيقاع بهـــا . لكن نائب زنكى بها اعلمه بذلك فأتى مسرعا وعاقب هؤلاء بالقتل والصلب والطرد (٢٩٩) .

٤ — رد الفعل من جـانب البابوية والغرب المسيحى :

اثـــار استنجاد مسيحى الشرق بالبابويـــة ١١٤٥م فكرة الشروع فى اعـداد حملـــة صـــليبية ثانيـــة تتوجـــه لانقـــاذ الأراضى المقدســـة فى الشرق (٣٠٠) . وقـــد حث على تنفيذ تلك الفكرة ملك فرنســـا لويس الســـابع ، الذى أعلن فى يوم عيد الميلاد ١١٤٥م عن رغبتـــه فى انقـــاذ الامارات المسيحية فى الشرق وبعـــد ان اصبحت فى حـــال يرثى له بعـــد سقوط الرهـــا (٣٠١) . وارســـل الملك بالفعل بعثة الى البابا ايوجين الثالث تحمل ذلك المعنى ، فلاقت الفكرة قبولا كبيرا لديه ، وعاد السفراء الى فرنســـا ومعهم خطاب من البابا يحث فيه الملك الفرنسى وشعبه على تنفيذ ذلك ، واعـــدا اياهم بالعديد من الخدمات الكنسية وفى نفس الوقت عين البابا مندوبا عنه فى تلك الحملة هو القديس برنارد Saint Bernard (٣٠٢) .

مقتل عماد الدين زنكى :

على ان الأجل لم يمهل زنكى حتى يستكمل فتح بقيـــة امارة الرهـــا ،

---

(٢٩٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨١ : ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ مخطوط ص ٦٠ (ب) ، Cahen : Op. Cit., p. 371 ويضيف المصـــدر والمرجع الأخيرين اتصـــال جوســـلين بهؤلاء الأرمن .

(٣٠٠) Charles-Hefele : Op. Cit., T. V, Part 1, p. 803, Edward Maslin : The Middle Ages, p. 485, George Burton Adames. Medieval and Modern Hist., p. 114, Pasdermadjian : Op. Cit., p. 207, Archer : Op. Cit., p. 204, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 997.

(٣٠١) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p.p. 803 - 804. Augustin Fliche : Hist. du Moyen Age, T. II, p. 542.

هنـــا يذكر (هيفل) ان رغبـــة ملك فرنســـا هـــذه نبعت من رغبتـــه فى اصلاح العلاقات بينه وبين البابوية والتى كانت قـــد ساءت منذ ١١٤٠م .

(٣٠٢) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p. 804. من (Labbe : Concilia)

فلم يمر سوى سنة وتسعة أشهر تقريبا على سقوط الرهـــا حتى قتل فى أوائل ربيع الآخر ٥٤١هـ ، منتصـــف سبتمبر ١١٤٦م (٣٠٣) . وذلك أثناء حصـــاره لقلعه جعبر التى كانت بيد مالك بن ســـالم بن مالك بن بدر العقيلى (٣٠٤) . وكان زنكى قـــد أرســـل فى ذلك الوقت ايضـــا جيشـــا للاستيلاء على قلعة فنك من صـــاحبها الامير حسام الدين الكردى البشنوى (٣٠٥) . ويبدو ان زنكى كان لا يود ترك ايـــة قلعة وســـط بلاده فى يد قوة لا يطمئن اليها ، مبالغة منه فى الحزم والاحتياط (٣٠٦) . لكن بعض مماليكه اغتالوه وهو نائم لأسباب اختلف فيها (٣٠٧) . وبذلك

---

(٣٠٣) Michel : Op. Cit., p. 268, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.
يذكر ان ذلك كـــان فى ١٥ سبتمبر ١١٤٦م . امـــا جروسية ورنسيمان فيذكران ان ذلك كـــان فى ١٤ سبتمبر .
Grousset : L'Empire, p. 224, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 239.
اما المصادر العربية فبعضها يذكر انه توفى فى الخامس من ربيع الآخر ٥٤١هـ واهمها ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٣ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٨ والبعض الآخر يذكر ان ذلك كان فى ســـادس ربيع الآخر واهمها ابن واصـــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٩ ، ابن العـــديم : زبـــدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨١ . فى حين انفرد سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ١ ق ١ ص ١٩٠ . بالقول أن ذلك كان فى يوم الثلاثاء ســـابع عشر ربيع الآخر . والراجح ان هـــذا الراى الأخير غير صحيح .

(٣٠٤) ابن واصـــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٨ ، أبو الفـــدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٨ ، زامبور : معجم الانســـاب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٣٠٥) ابن واصـــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٨ ، أبو الفـــدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٨ . وقلعة فنك حصن مجاور لجزيرة ابن عمر وهو للاكراد البشنوية وكـــان له معهم حوالى ثلثمائة سنة (ابن الأثير : الباهر ص ٧٣) .

(٣٠٦) ابن الأثير : البـــاهر ، ص ٧٣ ، ابن واصـــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٨ ، أبو شـــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٧ .

(٣٠٧) ابن الأثير : البـــاهر ، ص ٧٤ ، ابن العـــديم : زبـــدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٢ ، ابن واصـــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٩ ، ســـبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ١ ق ١ ص ١٩٠ ، أبو شـــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٨ . وقـــد ذكر ابن العـــديم أن سبب قتله انه هـــدد احد خدمه المسمى (يرنقش) فى النهار فلما كان الليل قتله وذكر أيضـــا أن زنكى بعـــد أن نام نبهه فرأى يرنقش يشرب هو وجماعة من غلمانـــه فضـــل شرابه فتوعدهم فأجمعوا على قتله . اما أبو شـــامة وسبط بن الجوزى فيذكران أن سبب ذلك أنه كان اذا نقم من كبير أرداه واقصـــاه واستبقى ولده وخصـــاه . ولذا فبعد أن خصى جماعة من الغلمان ذبحوه وهو نائم .

خسر الاسلام بمقتله شخصيه من اهم الشخصيات التى تزعمت حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين فى الشرق فى النصف الأول من القرن الثانى عشر للميلاد ، حتى قيل ان المسلمين قتلوا جميعا بقتله (٣٠٨) . وبهذا احدثت وفاته فرحة كبيرة بين الفرنج (٣٠٩) .

وبعد وفاة زنكى انقسمت ممتلكاته الى قسمين . الشرقى ومقره الموصل تولى الحكم فيه ابنه الأكبر سيف الدين غازى بمساعدة جمال الدين محمد الأصفهانى ، والقسم الغربى ومقره حلب وقد آل الى نور الدين محمود بمساعدة صلاح الدين الياغيسيانى (٣١٠) . وتمكن أبناء زنكى من المحافظة على ارث والدهم . ولم يلبث نور الدين ان حمل راية الجهاد ضد الفرنج بعد ابيه ، بل صار اكثر منه شدة فى التصدى لهم ، مما جعل فرحة الفرنج بوفاة زنكى لاتدوم طويلا .

ضياع الرها واستعادة نور الدين محمود لها ١١٤٦م — ٥٤١هـ :

لم تكد اخبار وفاة زنكى تصل الى الفرنج حتى تجدد لديهم الأمل فى استعادة الرها من المسلمين . كان جوسلين الثانى لايزال مقيما فى تل باشر عندما علم بذلك الخبر فجمع حوله الفرنج وتقدم الى الرها ليسترجعها بعد ان تأكد من معاضدة مسيحى الرها — خاصة الأرمن — له فى تلك الخطوة . واذا كانت غالبية المصادر العربية قد اكدت ان جوسلين هو الذى راسل اهل الرها واخذ موافقتهم

---

(٣٠٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٢ .

(٣٠٩) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 110.

(٣١٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٣ — ١٤ ، الباهر ص ٨٤ — ٨٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب حـ ٢ ص ٢٨٥ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٨ — ١٠٩ Michel : Op. Cit. p. 268. ويضيف أبو شامة أن زنكى لم يترك هذين الولدين فقط بل كان له ايضا ولدين وبنتان والولدين هما قطب الدين مودود وهو أبو الملوك بالموصل ونصرة الدين أمير اميران .

(٣١١) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ . ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١١٠ ؛ سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ، النويرى : نهايه الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٨ .

على مســاعدته فى القيام بتلك الحركة (٣١١) . فان وليم الصــورى ذكر أن أهــالى الرهــا كان لهم التأثير الكبير فى دفعه الى ذلك . ذلك انه أوضــح أن زنكى كــان قــد ترك بالرهــا حاميــة قليلــة العــدد ، وكان الســكان الموجودون بالمدينة انذاك شــديدى الأخلاص للمسيحيه . لذا ارســلوا سرا الى جوســلين الثــانى واخبروه انه باستثناء الاتراك القليلين الذين كانوا يحرسون القلعة ، فان مدينتهم بيد الأهــالى ، والحوا عليه بشــدة أن يجمع القوات ويسرع الى المدينة فيسلمها اليه الاهالى فى الحــال (٣١٢) .

والراجح أن رغبة جوســلين الثــانى الجامحة فى استعادة امارتــه تضــافرت مــع التقرير المشجع الذى وصــله عن الرهــا وطبيعة الدفاع عنها فى ذلك الوقت .

وكــان أن تقــدم جوســلين الى الرهــا مصحوبا بما تبقى لــه من فرســان فضــلا عن بعض المشــاة ، كما رافقــه بلدوين امير كيسوم ومرعش (٣١٣) . وبمجرد وصولهم الى الرهــا فى ٢٧ أكتوبر ١١٤٦م — جمادى الآخره ٥٤١هـ (٣١٤) . دخلوها فجأة اثناء الليل (٣١٥) . عن طريق تســلق المشــاة لأسوارها بمســاعدة ســكانها الأرمن وبذلك تمكنوا من الاستيلاء على برجين من ابراج المدينــة ، ولم يلبث أن فتــح هؤلاء المتسللون الابواب لبقية رفاقهم بما فيهم جوسلين وبلدوين (٣١٦)

---

(٣١٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

(٣١٣) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 158, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois. p. 200, عن (Michel), p. 884 من (L'Anonyme)

(٣١٤) Grousset : L'Empire, p. 224, Hist. des Crois., V. 2, p.884 (L'Anonyme) عن ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٢٨
وهنــا اخطــأ كل من الكــاهن جريجوار وابن العبرى فى القول بــأن تلك الحركة كانت ١١٤٧م
(Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Bar Hebraeus : Op. Cit . V. 1, p. 273.)

(٣١٥) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160.

(٣١٦) Michel :Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. . Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 200, 884.

وبمجرد دخولهم المدينة اعمل جوسلين ومن معه السيف فى المدينة بتهور (٣١٧) . فقتل كثيرا من المسلمين وهرب الباقون (٣١٨) ، الى القلعة واحتموا بها (٣١٩) .

عندئذ ارسل الأتراك الموجودون بالرها رسلا الى حلب والموصل (٣٢٠) كما ارسل جوسلين رسلا تخبر المسيحيين فى كل مكان بعودته الى الرها ونطلب فى نفس الوقت التعزيزات . فكان لتلك الأخبار اثرها الكبير السار بين المسيحيين . وكان سرورهم فى تلك المرة لايقل عن حزنهم العميق الذى احسوا به عند فقد الرها ١١٤٤م (٣٢١) .

لكن شاء حسن حظ المسلمين ان اهالى الرها كانوا لا يملكون الا بعض القوات المحرومة من التموين منذ سنتين (٣٢٢) . هذا بالاضافة الى أن جوسلين ورفاقه القليلين لم يحضروا معهم اى مهندسين ولا آلات للحصار (٣٢٣) ، ثم انهم انصرفوا بتهور الى السلب والنهب فى ارجاء المدينة ولم يركزوا جهدهم منذ البداية فى الاستيلاء على القلعة (٣٢٤) ، التى كانت محصنة بعناية ومجهزة تجهيزا جيدا بالمؤن والأسلحة والجند (٣٢٥) .

وكان يمكن ان ترجح كفة المسيحيين ولو لفترة قصيرة ، لو أن بقية الامارات الصليبية سارعت ودعمت فرحتها وقتذاك بتقديم المساعدة الجدية للرها . لكن شيئا من هذا لم يحدث ولم يصل للرها أية

---

(٣١٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

(٣١٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٦٠ .

(٣١٩) Michel : Op. Cit., p. 270; William : Op. Cit., V. 2, p. 158, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(٣٢٠) Michel : Op. Cit., p. 270.

(٣٢١) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

(٣٢٢) Zoé Op. Cit., p. 339.

(٣٢٣) William : Op Cit., V. 2, p .158, Michaud : Op .Cit., V. 2, p. 111.

(٣٢٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884 عـ (L'Anonyme)

(٣٢٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

تعزيزات (٣٢٦) . وعلى ذلك فرغم سيطرة جوسلين على المدينة الا أن « القلعة امتنعت عليه بمن فيها من المسلمين (٣٢٧) » .

وبمجرد معرفة نور الدين محمود بن زنكى أمير حلب بتلك الأخبار ، تقدم مسرعا الى الرها لاستعادتها (٣٢٨) . على رأس قوة مكونة من عشرة آلاف فارس (٣٢٩) . جدوا في السير حتى « وقعت الدواب في الطرقات من شدة السير (٣٣٠) » . وعندما وصلت القوات النورية الى الرها شددت الحصار عليها ، وعندئذ اصبح جوسلين والحفنة القليلة من رجاله الفرنج الى جانب اهالى الرها محصورين بين نارين (٣٣١) . نور الدين ورجاله من الخارج والأتراك الذين كانوا بالقلعة من الداخل ، سيف في الخارج ورعب في الداخل (٣٣٢) . فماذا فعل جوسلين ورفاقه عندئذ ؟ وكيف واجهوا ذلك الموقف القاسى ؟

الحقيقة أن غالبية المصادر العربية تشير الى أنه عند اقتراب نور الدين بقواته من الرها « هرب جوسلين عائدا الى بلاده (٣٣٣) » . أي أنه لم يحدث صدام بين الجانبين . أما ابن القلانسي وهو المصدر

---

(٣٢٦) Michel : Op. Cit., p. 270, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 210, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٢٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ؛ الباهر ص ٨٦ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١١١ ، يسبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابو شامة : الروضتين ، فعل جوسلين ورفاقه عندئذ ؟ وكيف واجهوا ذلك الموقف القاسى ؟

(٣٢٨) Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 92, Grousset : L'Empire, p. 224, Hist. des Crois., V. 2, p. 201, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٢٩) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٨٨ ، Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273

(٣٣٠) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٨٨ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٢٥ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ١٦٠ .

(٣٣١) William : Op. Cit., V. 2, p. 159, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 201, 202, 884, Zoé : Op. Cit., p.339, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 111.

(٣٣٢) William : Op. Cit. V. 2, p. 159.

(٣٣٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ؛ الباهر ، ص ٨٦ ،

=

العربى المعاصر فيذكر انه عندما قدم نور الدين وشدد حصاره على الرها اضطر جوسلين الى اللجوء الى احد ابراج المدينة « ومعه عشرين الف فارس » ، فنقب المسلمون عليهم البرج حتى اسقطوه وافلت جوسلين مع أصحابه (٣٣٤) . هذا فى حين ذكر وليم الصورى ان المسيحيين قرروا بالاجماع ترك المدينة مع المخاطرة بالموت اذ كان من الأفضل أن يواجهوا العدو ويشقوا لأنفسهم بالقوة طريقا للنجاة بدلا من ان يصروا على حصار يفنى فيه الجميع اما بالسيف او بالمجاعة ، او يصبحوا عبيدا للأتراك (٣٣٥) . وبالفعل نفذ ذلك القرار فى الثانى او الثالث من نوفمبر ١١٤٦م (٣٣٦) ، مما جعل اقامة الفرنج فى الرها فى تلك المرة حوالى خمسة أيام او ستة (٣٣٧) .

والواقع أن جوسلين كان لايزال موجودا بالرها عند قدوم نور الدين اليها فلما اشتد تضييق نور الدين وقواته على الفرنج قرروا الرحيل عن المدينة خلسة . كذلك قرر اهالى الرها مغادرة المدينة سواء عن رضى أو عن غير رضى لأنهم كانوا متأكدين مما سيحل بهم من تنكيل اذا هم ظلوا مقيمين بالمدينة (٣٣٨) ، بعد أن تنكروا لعهودهم . ولن نتناول هنا بالتفصيل وضع أهل الرها عندئذ لأننا سنفصل الحديث عن الأهالى فى الباب القادم .

ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١١١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٨ .

(٣٣٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٦٠ . يبدو أن العدد المذكور فيه شىء من المبالغة .

(٣٣٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 159.

(٣٣٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884 من (L'Anonyme) يذكر ان ذلك كان يوم السبت ٢ نوفمبر ويذكر نفس المؤلف فى كتاب آخر أن ذلك كان فى ٣ نوفمبر . (Grousset : L'Empire, p. 224).

(٣٣٧) يذكر الكاهن جريجوار أن اقامة الفرنج بالرها كان خمسة أيام . (Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160).
اما ابن العبرى فيقول ان ذلك كان ستة أيام .
(Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273).

(٣٣٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Michel : Op. Cit., p. 270, Bar Hebraeus : V. 1, p. 273, Grégoire Le Prêtre : p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884, عن (L'Anonyme), Zoé : Op. Cit., p. 339.

وما أن بدأ جوسلين وفرسانه فضلا عن أهالى الرها يغادرون المدينة أثناء الليل حتى تتبعتهم قوات نور الدين فسقط معظم الفرسان الفرنج وفر الباقون (٣٣٩) . وقتل بلدوين أمير مرعش فى ذلك الوقت (٣٤٠) . فى حين فر جوسلين الى سميساط (٣٤١) . بعد ان جرح فى رقبته (٣٤٢) .

وهكذا دخل نور الدين الرها فنهبها وسبى أهلها ففر منها الكثير ولم يبق بها الا القليل (٣٤٣) . وبالرغم من أن الرها كانت ضمن ممتلكات سيف الدين غازى أخو نور الدين الا أنه عندما سبقه نور الدين اليها

---

(٣٣٩) Michel : Op. Cit., p. 271, Bar Hebraeus: Op. Cit., V. 1, p. 273.

كانت مغادرة جوسلين للرها فى الساعة الثالثة صباح ٣ نوفمبر وسط الظلام بعد ان كون طابور من الهاربين ووضع بلدوين حاكم مرعش على مقدمته وكان هو يحمى المؤخرة

Grousset : Op. Cit., V. 2, p.p. 884-885. عن (L'Anonyme)

(٣٤٠) Grégoire : Op. Cit., p. 160.

Michel : Op. Cit., p. 271.

William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist .des Crois., V. 2, p. 885 عن (L'Anonyme)

ويذكر جريجوار انه قتل رغم اقدامه البطولى وبفضل حزن الأرمن عليه بصورة مسهبة

(٣٤١) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٤٢) Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.

(٣٤٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ؛ الباهر ص ٨٦ – ٨٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ١١١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ؛ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٩١ . وهنا يصور ميخائيل السريانى خراب الرها فى هذه المرة قائلا : اصبحت الرها خالية مسربلة بالسواد غارقة بالدماء ، عفنة من جثث ابنائها وبناتها دخلتها الهوام والحيوانات المفترسة الأخرى ، لتقتات اثناء الليل بأجساد الرجال الأعزاء الذين قتلوا . ولم يدخل المدينة احد من الناس الا من كانوا ينبشون لاكتشاف ثرواتها . (Michel : Op. Cit., p. 272).

ونكل بمن قاموا بالحركة الأخيرة فيها واستعبادهـا للمرة الثـانيه تركها سيف الدين له ولم يعارضـه فيها (٣٤٤) .

والحقيقة انه مهما تكن تفسيرات اسباب هزيمة الفرنج فى الرهـا فى تلك المرة (٣٤٥) - فان ذلك لا يقلل من شـان ذلك الفتح الثـانى للمدينة ، وهو الفتح الذى يعتبر نهائيا فضـلا عن انـه يشير الى حركة استرداد اسلامية كبرى (٣٤٦) .

ردود الفعل لسقوط الرهـا ١١٤٦م — ٥٤١هـ :

كان استيلاء المسـلمين على الرهـا للمرة الثانيـة ١١٤٦م اكثر ايلاما بالنسبة للمسـيحيين من فتحها الأول ١١٤٤م (٣٤٧) . فقد تأكد بهـذا الفتح استيلاء المسلمين عليها فضـلا عما حل باهلها جميعا تلك المرة من تنكيل شـديد بعكس المرة السـابقة التى كانت اخف وطأة .

ومع ذلك فان بقيـة الامارات الصـليبية لم تحاول تقديم أية نجـدة سريعة للرهـا ، حتى انطاكية الشـديدة القرب جـدا من امارة الرهـا رفض اميرهـا تقديم اية مسـاعدة ، وسلك مسلكا انانيا مـع ما فى ذلك من خطر عليه . وبالفعل لم تمر سنة على ذلك حتى جرد نور الدين امارة انطاكية من ارتاح وبذلك كشف الجـانب الشمالى الشرقى لتلك الامارة وهو الجـانب الذى اصبح معرضـا للخطر من جانب المسلمين (٣٤٨) .

---

(٣٤٤) ابن الاثيـر : الكـامل : جـ ٩ ص ١٤ ، البـاهر ، ص ٨٧ ، ابن واصـل : مفـرج الكروب ، جـ ١ ص ١١١ ، سـبط بن الجـوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٢٣٨ .

(٣٤٥) يذكر اولدنبرج أن سبب كارثة الرهـا فى هـذه المرة هو تهور جوسـلين ونفاذ صبر رعاياه الأرمن الى جـانب تهاون واهمال رؤسـاء الامارات الصـليبية الأخرى (Zoé : p.p. 339 - 340) أما ميخائيل فيـذكر عن ديونيسيوس الآمـدى أن ذلك بسبب آثام اهـالى الرهـا (Michel : p. 273)

ويشـارك ميخائيل فى رايه هـذا وليم الصورى (William : Op. Cit., V. 2, p. 212)

(٣٤٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 208.

(٣٤٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 208.

(٣٤٨) Grousset : L'Empire, p. 225.

وبرز حزن المعسكر المسيحى على فقدان الرهـا تلك المرة من خـلال بعض قصـائد الرثـاء التى من أهمها تلك المرثيـة التى كتبهـا ديونيسيوس الآمـدى والتى يرجـع فيهـا هزيمة المسـيحيين فى ذلك الوقت الى انهم عصوا ارشـادات السيد المسـيح ولم يطيموه ، وانهم هم سبب مـا يصيبهم من خير أو شر ، وان الـرب يسـاعدهم اذا اتبعوا طريقة ، ويكون الشيطان الى جانبهم اذا انحرفوا للشر (٣٤٩) .

كذلك رثى ميخائيل السريانى الرهـا وأهلها الذين نكل بهم نور الدين واخـذ منه ذلك الرثاء ابن العبرى فى تاريخـه (٣٥٠) . لكن اذا كـان مسيحيو الشرق قـد اكتفوا برثـاء الرهـا ، فان اخبار سقوطها فى تلك المرة كان له أعمق الأثر فى الغرب ، وخاصـة فى المـانيا وفرنسـا حيث ارتفع صوت ينادى بحملة صـليبية (٣٥١) ، بطريقـة اكثر جدية واكثر سرعـة .

وقـد رأينا انه منذ ١١٤٥م كان قـد بدأ الاعـداد بالفعل لحملـة صليبية ثانية تتوجه للشرق لاسترداد الأماكن المقدسـة ، فلما وصـلت اخبار ضياع الرها للمرة الثانية وما صحب ذلك من قتل وطرد للمسيحيين، بدأ الملك لويس السـابع يتبادل بعض الرسـائل مع الأمراء الذين تقـع بلادهم على الطريق الذى ستمر به تلك الحملة الجديدة . هذا بالاضافة الى جهود القديس برنارد فى الهاب حماس بقية الغرب للدفـاع من تلك القضية المقدسـة (٣٥٢) .

---

(٣٤٩) Michel : Op. Cit., p.p. 272-274. (Paroles d'extortation qu'écrivit Dionysius d'Amide).

سـاتى مـع الملاحق .

(٣٥٠) Michel : Ibid., p. 271, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1. p. 273.

ستاتى مع الملاحق فهو يقول مثلا :
ياللحسرة على سحابـة الغيظ ، يوم بغير شفقة !
ياليل الموت ونهار الجحيم ، يوم التخريب ! الذى
اندفع على الأهالى البؤسـاء ! » .

(٣٥١) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p.p. 808-809, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.

(٣٥٢) Vacandard . (1 Charles-Hefele · Op. Cit., p. 809. Vie de Saint Bernard).

اما عن موقف الامبراطورية البيزنطية من سقوط الرها فى المرتين فيمكننا ان نستشفه من خلال الخطابين اللذين ارسلهما الامبراطور مانويل كومنين الى البابا ايوجين الثالث اغسطس ١١٤٦م ، مارس ١١٤٧م (٣٥٣) .

ويفهم من الخطاب الأول ان البابا كان قد ارسل الى الامبراطور البيزنطى مع رسل ملك فرنسا لويس السابع خطابا بحثه فيه على المشاركة فى تقديم المساعدة لحملة صليبية تثأر لسقوط الرها ، عقب سقوطها اول مرة . ثم ارسل اليه معاتبا على عدم رده عليه . والراجح ان خطاب البابا الأول لم يصل للامبراطور ووصله الثانى فقط لـذا ففى الخطاب الأول للامبراطور مانويل (اغسطس ١١٤٦م) نجده يشكو للبابا من انه لم تصله منه ايه رسائل وانه كان مستعدا لتقديم المساعدة الممكنة . بشرط ان يقدم الصليبيون له ولاءهم كما حدث فى عهد جده الكسيوس كومنين (٣٥٤) .

لكن البابا لم يرد على الامبراطور بسفارة جديدة ولا برسالة ، لذا اسرع مانويل بالكتابة اليه مرة اخرى فى مارس ١١٤٧م اى بعد سقوط الرها المرة الثانية ، وكان هذا هو خطابه الثانى الذى ابدى فيه مانويل تعجبه من عدم رد البابا عليه بل انه عرض عليه اى اقتراح يروق له حتى ولو كان الاتحاد بين الكنيستين البيزنطية والرومانية (٣٥٥) .

(٣٥٣) لم نظهر اية اشارة عن هذين الخطابين فى المصادر التى ارخت للحروب الصليبية حتى الحديث منها مثل كتاب جروسية وشالندون . كانت النسخة الأولى للخطابين مكتوبة بماء الذهب ثم ترجمتا الى اللاتينية ، ثم ضاعت الترجمة اللاتينية . نشرت نسخة للخطابتين بواسطة Amaduzzi الى جانب عدة نسخ مخطوطة منه ما نقله Brial فى جامع التواريخ الغالية الى جانب نسخ كل من Theiner, Miklosich, Pitra (V. Grumel . Deux Lettres de Manuel Comène au Pape, Revue des Etudes Byzantines, T. III, 1945, p. 143)

(٣٥٤) اما عن محتويات الخطاب الأول فقد ذكرها المصدر السابق (p. 144).

(٣٥٥) V. Grumel : Ibid : p. 157 - 159.
هنا يعلق (جروميل) على اقتراح الامبراطور بقوله « كأن الامبراطور ظن هنا أن سبب عدم رد البابا عليه هو الانفصال الدينى بين كنيستى روما وبيزنطة . لكن الحقيقة ان سبب تأخر الرد هو أن البابا شعر أن الامبراطور

والواقـع أن امبراطور بيزنطة كان يعرض فى ذلك الوقت معونتـه مشروطـة بالشرط التقليدى وهو خضوع الحملـة الصـليبية المزعومـة للامبراطور ؛ لانـه لم ينس ما حـدث من قبل من تنكر الصـليبيين لمـا كانوا قـد اتفقوا عليه مع جـده . وفى نفس الوقت رغب الامبراطور أن تظل الممتلكات اللاتينية فى الشرق بيد الصـليبيين لا المسلمين وبذلك تسهل سيطرته عليها .

والحقيقة أن مسيحيى الشرق ظلوا يضعون آمالهم الكبار فى نجـدة تأتيهم من جهة الغرب . وحتى بعد قـدوم الحملة الصـليبية الثانية بقيادة الامبراطور الألمـانى كونراد Conrad والملك الفرنسى لويس السابع Louis VII ، كان جوسـلين الثانى يأمل فى استعادة الرهـا كما كان ريموند أمير طرابلس يرغب فى استرجاع بارين لذلك أرسـل هـذان الأميران الى الملك الفرنسى أثناء وجوده فى انطاكية بعض الخطابات محملة بالتوسـلات هذا الى جانب بعض الهدايا الغالية الثمن (٣٥٦) .

جبران الرهـا وبقايا الامارة حتى اسر جوسـلين الثانى :

بالرغم من استرداد نور الدين محمود لمدينة الرها فى ١١٤٦م — ٥٤١هـ وبعض متعلقاتها ، فانه لم يهدأ بل كان يسعى دائبـا الى استخلاص بقايا تلك الامـارة من يد أميرها الذى أضعفته تلك الضربة الثانيـة لامارته . ففى ٥٤٣هـ — ١١٤٨م توجه نور الدين من حلب الى أحـد حصون جوسلين للاستيلاء عليـه ، وعندئذ لم يجـد جوسـلين بدا من مسالمة نور الدين والمثول بين يديه « واستعفى من هفواته فرضى عنه وخلع عليه (٣٥٧) » . وربما استخدم نور الدين أسلوب المسـالمة منذئذ ليعـد لضربة أقوى فيما بعـد . لكن امـارة الرهـا لم تسـلم فى ذلك الوقت من تهديد مرع اسـلامى آخر ، ممثلا فى سـلاطين قونية أو سـلاطين الروم فقد تقدم السـلطان مسعود الأول بن قلج ارسـلان (٥١٠ — ٥٥١هـ / ١١١٦ — ١١٥٦م) جنوبا الى شمال سوريا منتهزا فرصـة وفـاة أمير انطاكيـة

=

كـان يرغب فى الاعتمـاد على مسـاعدة الصـليبيين فى حمايـة أراضى الامبراطورية اكثر من استعادة الأراضى التى اخـذت بواسطة الاتراك . وانه كان يأمل فى الحصول — عن طريق ضربة واحدة — على ما حصل عليه جـده بعد أن بذل الكثير من التعب وبعد مرور وقت طويل » .

(٣٥٦) Zoé : Op. Cit., p. 348.

(٣٥٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ مخطوط ص ٩١ (ب) .

ريموند ٥٤٤ ــ ١١٤٩م (٣٥٨) واستولى على مرعش التى كانت بلا قوات تدافع عنها فى ذلك الوقت (٣٥٩) . بعد وفاة اميرها بلدوين فى ١١٤٦م . ثم تقــدم الســـلطان بعد ذلك الى تل باشر وحاصرها رغم أن جوســـلين الثانى وزوجته واطفاله كانوا بداخلها (٣٦٠) .

هنا نجـــد رايين مختلفين عن موقف جوسلين عندئذ . احـــدهما يذكر ان الملك بلدوين الثالث ارســـل نجـــدة الى جوسلين من انطاكية استطاعت ان تحمى عزاز التى كانت مهددة ايضـــا وقتئذ . ثم ســـاد الســـلام بين السلطان وجوسلين ورحل الأول عائدا الى بلاده بينما توجه الثـــانى الى انطاكية ليشكر الملك على اهتمامه بمصـــالحه (٣٦١) .

والرأى الثانى يذكر أن جوســـلين لم يبد أى اهتمام بجمع فرســـانه، واكتفى بارســـال القوات التى بقيت لديه مع الأمير باسيل اخو (جريجوار الثالث) حاكم كركر ، وامرهم بحمل المؤن والأمـــدادات للمكان المحاصر ، لكن قوات قرا ارســـلان الأرتقى باغتتهم واسرتهم جميعـــا ومن جملتهم الأمير باسيل ، وقادهم امام قلعة كركر التى كانت بهـــا زوجـــة باســـيل واطفاله ، عندئذ تخلى لهم عن المكان فى مقابل اطلاقهم للاسرى فى امان وتم اتفاق ودى بين الجـــانبين . وعندئذ تقدم جوســـلين الى انطاكية لطلب نجـــدة لكنه اسر فى الطريق (٣٦٢) .

ومهما تختلف الآراء فان امارة الرهـــا خسرت جزءا آخر من اراضيها هو مرعش انتقل الى ســـلاطين الروم فضـــلا عن أن تل باشر تعرضت للتهديد ولكنها ظلت بأيدى الفرنج لفترة قصيرة بعـــد ذلك كما سنرى .

---

(٣٥٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 200.

ويذكر ابن الأثير : الباهر ص ٩٩ ان امير انطاكية توفى ٥٤٤هـ اثناء حصار نور الدين لحصن انب (وهو حصن من اعمال عزاز من نواحى حلب) .

(٣٥٩) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit , p. 163.

ولكنه يذكر ان ذلك كان ٥٤٣هـ ــ ١١٤٩م والراجـــح انها ٥٤٤هـ لأنه قام بحملته هـــذه بعد وفاة امير انطاكية

William : Op. Cit., V. 2, p. 200.

والراجح ان حصـــار مسعود لتل باشر كان فى ٥٤٥هـ استنادا الى راى بن السناد الاصفهانى : تاريخ آل ســـلجوق ، ص ٢٠٦ .

(٣٦١) William : Ibid., V. 2, p. 200.

(٣٦٠) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p.p. 163 - 164.

أسر جوسلين الثاني :

اختلفت المصادر العربية فى السنة التى أسر فيها جوسلين كما اختلفت أيضا فى الطريقة التى أسر بها فمن ناحية تاريخ أسره ، نجد فريقا يذكر أن ذلك حدث ٥٤٥هـ (٣٦٣) . (١١٥٠م) والبعض يذكر أنه كان ٥٤٦هـ (٣٦٤) . (١١٥١م) وفريق ثالث يقول ٥٤٤هـ (٣٦٥) (١١٤٩م) . والراجح أن ذلك كان ٥٤٥هـ (١١٥٠م) استنادا لرأى ابن القلانسى (٣٦٦) . ذلك أن نور الدين دس لجوسلين بعض التركمان فأسروه لأنه كان « شديد العداوة للملة الإسلامية ، كثير الغدر والمكر لا يقف على يمين ولا يفى بعهد (٣٦٧) » . هذا بالإضافة الى أن نور الدين كان قد جمع قواته وقصد محاربة جوسلين فهزم المسلمين وأسر عددا كبيرا منهم من جملتهم « سلاح دار » نور الدين ، فأخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين وأرسله الى والد زوجة نور الدين ، السلطان مسعود بن قلج أرسلان قائلا « هذا سلاح زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما أعظم منه (٣٦٨) » . وهو يقصد بالطبع أنه سيأتيه

---

(٣٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ٥ ، ص ٣٢ (أ) ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٤٥هـ .

(٣٦٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٣ النويرى : نهاية الأرب ، ٢٥ حـ ورقة ٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ٢٢٩ ، روض المناظر : مخطوط أحداث ٥٤٦هـ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ .

(٣٦٥) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١٢١ ، ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ، ص ٥٥٤ .

(٣٦٦) (William : Op. Cit., V. 2, p. 201).

يوافق هذا التاريخ ٥ مايو ١١٥٠م

(٣٦٧) ابن الأثير : الباهر ص ١٠٢ .

(٣٦٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ١٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢١٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠١ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، روض المناظر ، أحداث ٥٤٦هـ ، أبو الفداء : المختصر حـ ٣ ص ٢٣ .

بعـد ذلك بنور الدين نفسه . فلما علم نور الدين بذلك صمم على الانتقام من جوسـلين فأحضر جماعة من التركمان « وبذل لهم الرغائب » ان هم ظفروا بجوسـلين وسلموه اليه اما قتيلا أو أسيرا(٣٦٩) .

وفى احـد الأيام خرج جوسـلين فى بعض رفاقه أما للصيد (٣٧٠) أو لطلب النجـدة من انطاكية ضـد السـلطان مسعود (٣٧١) . وقيل أيضـا انه قصـد انطاكية « مقويا » لاهلهـا من الفرنـج (٣٧٢) وكان التركمان الذين اتفق معهم نور الدين يراقبون تحركاته فأسروه .

هنا تختلف الروايات عن أسره (٣٧٣) لكنها تتفق فى انه بعـد اسره سـيق فى اغـلاله الى حـلب فقضى فى السـجن سـنواته الأخيرة حتى مات (٣٧٤) . وقـد فرح المسلمون كثيرا بأسره وحزن المسيحيون حزنا شـديدا لذلك (٣٧٥) .

---

(٣٦٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ، ص ١٠٢ .

(٣٧٠)ابن الأثير : المصـدرين السـابقين نفس الصفحات ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٢ ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥٦ ، روض المناظر ، احـداث ٥٤٦هـ ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٢٩ ، أبو الفدا ، حـ ٣ ص ٢٣ .

(٣٧١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 164.

(٣٧٢)ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ٣٢ (أ) .

(٣٧٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥٦ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ٣٢ (ب) ، ابن قاضى شـهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السـابع ٥٤٥هـ ، ابن ايبك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٥٥٥ ،

William : Op. Cit., V. 2, p. 201.

(٣٧٤) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 164. William : Ibid., V. 2, p. 201. Bar Hebraeus · V. 1, pp. 276 - 277.

(٣٧٥)ابن القلانسى : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن الأثير : الكـامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ،الباهر ص ١٠٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥٦ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣

William : Ibid., V. 2, p. 201. Gibb : Op. Cit , p. 300.

اندثار امارة الرها بعد اسر جوسلين :

وبعد اسر جوسلين وضع الفرنج الموجدون فى تل باشر ابنه الذى كان لايزال صغيرا مكانه ، وكان يدعى جوسلين ايضا (٣٧٦) . وبذلك فقدت تل باشر اميرها القوى واصبحت هدفا للمسلمين أكثر من ذى قبل .

ذلك انه حدث بعد اسر جوسلين مباشرة ان تقدم نور الدين بقواته الى عزاز فحاصرها واستولى عليها فى ربيع الأول ٥٤٥هـ ١١٥٠م بالأمان ، رغم ما كانت تتمتع به من حصانة فائقة . وبعد ان رتب بها من ينظم امورها رحل عنها الى حلب (٣٧٧) .

ولما رات زوجة جوسلين ان المسلمين سينتزعون بقية الامارة قطعة بعد اخرى اختارت ادخالها تحت نفوذ المسيحيين . لذلك تنازلت فى نفس ١١٥٠م عن قلعة الروم الى جريجوار الثالث الكاثوليكوس ١١١٣م — ١١٦٦م ، فاصبحت تلك القلعة مقرا لأتباعه حتى ١٢٩٣م عندما انتزعها منهم سلاطين المماليك فى مصر (٣٧٨) .

---

(٣٧٦) — Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 277.
لذلك اصبحت امة بياتريس وصية عليه واصبحت المتصرفة الحقيقية فى شئون بقية الامارة .

(٣٧٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٢ ؛ ابن العماد : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ، ص ٢٢٨ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ أ ق ١ ص ١٨١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ١٨ (أ) تاريخ أبو الهيجاء ، مخطوط ، حـ أ حوادث ٥٤٥هـ ، العينى : عقد الجمان حـ ١٦م ١ ص ٢٠٥ ، Gibb : Op. Cit., p.p. 300 - 301. (وقد انفرد ابن الفرات بالقول بأن ذلك كان ٥٤٤هـ ولكن الراجح أن التاريخ غير صحيح) .

(٣٧٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 154.
هنا يشير مصدر آخر الى أن التنازل عن قلعة الروم كان ١١٤٧م ولكن هذا التاريخ خطأ لأنه قبل أسر جوسلين نفسه .

A .Vacant E. Mangenot, E. Amann : Dictionnaire de Théologie Catholique, T. 1, Part 2, p. 1902 (Paris 1923).

كذلك عندما علم الامبراطور البيزنطى مانويل الأول بأن حالة الرهـا تبعث على اليأس ارسـل ١١٥٠م — ٥٤٥هـ الى زوجـة جوسلين بعض الرسـل يحملون لها معونة ضخمة ويعرضون عليها تسليم بقية ممتلكاتها للبيزنطيين فى مقابل دخـل سنوى لهـا ولاولادهـا عندئذ وافقت الأميرة على تلك الشروط (٣٧٩) ، بعـد استشارة الملك بلدوين الثالث ملك بيت المقـدس الذى فضـل هو ورجال مملكته ان تنتقل تلك المناطق الى حوزة البيزنطيين عن ان تسقط فى قبضـة المسـلمين (٣٨٠) . وهكذا تسـلم البيزنطيون بقايا امارة الرهـا . اما غالبية سكانها ومعهم زوجة جوسـلين واولاده فقـد صحبهم الملك بلدوين الثالث معه الى بيت المقـدس بعـد مصـاعب جمة لحقت بهم فى الطريق (٣٨١) .

على أن انتقال بقايا امارة الرهـا الى ايدى البيزنطيين شجع نور الدين بصورة أكبر على المضى فى طريقه لاستخلاص كافـة ارجـاء تلك الامـارة المحطمـة ووضعها تحت سـلطة المسـلمين . هـذا الى ان البيزنطيين الذين عهـد اليهم مهمة حمايـة ذلك الحطـام الرهوى كانوا غير راغبين فى الحرب ، مما جعل نور الدين يشـدد هجماته عليهم حتى اضطرهم الى

---

(٣٧٩) William : Op. Cit , V. 2, p. 208, Zoé : Op. Cit., p. 355, Archer : Op. Cit., p.p. 205 - 206, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Cam. Med. Hist., V. IV, p. 373. (1936).

(٣٨٠) Zoé : Op. Cit., p. 355.

هنا يذكر شالندون ان امارة الرهـا اختفت تماما فى ١١٥٢م بعـد أن تخلى عنها لامبراطور بيزنطـة . ولكن الراجـح ان ذلك كان ١١٥٠م كما ذكر وليم الصورى وانه فى ١١٥٢م كانت الغالبية العظمى من اراضى الامارة قد اسـتعادها نور الدين كما سنرى .

(F. Chalandon : Hist. de la Première Crois., p. 295).

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 210 - 212, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Zoé : Op. Cit., p. 355.

اما آرشية فيذكر ان زوجـة جوسلين لجـأت الى انطاكيـة فى حين يشير (ايورجا) الى انها توجهت الى مرعش . لكن الرايين خاطئين .

Archer : Op. Cit., p. 206,

Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 88.

الانســحاب عن تلك الأراضي التى ضحوا من اجلهـا منـذ قليل بالأموال الكثيرة (٣٨٢) .

ففى ٥٤٦هـ ــ ١١٥١م استولى نور الدين بالأمان على تل باشر وعهد بشـئونها الى الأميـر حسـان المنبجى (٣٨٣) . وفى ٥٤٧هـ ــ ١١٥٢م حـاول الفرنج الوقوف فى وجـه نور الدين فجمعوا قواتهم وتوجهوا اليه وهو فى دلوك ــ احـدى المدن التى كانت تابعة لجوسـلين الثـانى ــ فدار بين الجانبين قتال شـديد قتل واسر فيه كثير من الجـانبين ولكن الغلبة فى النهاية كانت اقوات نور الدين فاستولى عليها (٣٨٤) .

واخيرا استكمل نور الدين بعـد ذلك الاستيلاء على بقيـة حطـام امارة الرهـا (٣٨٥) . فاسـتولى على عين تاب وتل خـالد وقورس والراوندان وبرج الرصـاص وحصن البارة وحصن بسرفوت بجبل بنى عليم وكفر لاثا وكفر سود ونهر الجوز (٣٨٦) . وكان نور الدين اذا فتح

---

(٣٨٢) William : Op. Cit, V. 2, p. 212, Zoé : Op. Cit., p. 355.

(٣٨٣) ابن العماد : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٦ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٥ ص ٣٧ (ب) ، ابن العـديم : بغيـة الطلب ، مخطوط ، ص ٣٦٨ ، تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ حوادث ٥٤٦هـ . لكن هنـاك بعض المصادر ذكرت تواريخ خاطئة لفتح تل باشر مثل التاريخ المظفرى ، مخطوط. رقم ٩٦٦ تاريـخ حوادث ٥٤٤هـ (ذكر ان ذلك كان ٥٤٤هـ) فى حين ذكر الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ٢ ص ٢٥ ان ذلك كان (٥٤٩ ــ ٥٥٠هـ) .

(٣٨٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ٥٠ (أ) ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٥ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥٦ أما ابن شـداد : الاعلاق الخطيرة ، حـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٥٥هـ فقد اخطأ فى القول بأن ذلك كان ٥٥٥هـ .

(٣٨٥) Bréhier : Vie et Mort, Op. Cit., p. 329,
ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٢٩ .

(٣٨٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ، ص ١٠٢ ــ ١٠٣ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٤ ، النويرى ، نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٨٥ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ ، روض الناظر ، مخطوط أحـداث ٥٤٦هـ .

حصنا لا يرحل عنه حتى يضع فيه حاميات وذخائر تكفيه لمدة عشر سنوات « خوفا من نصرة تتجدد للفرنج على المسلمين فتكون حصونهم مستعدة غير محتاجة الى شيء (٢٨٧) » .

هكذا قضى نور الدين محمود بن زنكى على امارة الرها الصليبية واثبت للفرنج انه اشد اصرارا من ابيه على الجهاد . وبقضائه على تلك الامارة سقط الدرع الواقى الشرقى لبقية الامارات الصليبية فى الشرق وبدات حركة افاقة اسلامية كبرى .

---

(٢٨٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠٣ ، ابو شامة : الروضتين ، ج ١ ق ١ ص ١٨٥ ، ابو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ٢٣ .

الباب الرابع

أوضاع امارة الرها الداخلية والحضارية

يتناول هذا الباب :

(أ) طبقات المجتمع فى الامارة .

(ب) الحياة الاقتصادية .

(جـ) كنيسة الرها والحياة الدينية .

طبقات المجتمع :

كان غالبية سكان امارة الرها عند قدوم الصليبيين ممثلين فى المسيحيين الشرقيين ، الأرمن والسريان ، الى جانب قلة من المسلمين كانوا مركزين فى مدينة سروج بالذات (١) .

اما الأرمن فكانوا يمثلون الغالبية العظمى من سكان الرها (٢) . والراجح أن زيادة عددهم بها يرجع الى الغزو السلجوقى لأرمينيا فى القرن الحادى عشر الميلادى اذ لجأ اليها الكثير منهم فى ذلك الوقت ومعهم ثرواتهم (٣) .

---

(١) William : Op. Cit., V. 1,, p. 194,
سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٣٧
هنا يذكر وليم الصورى أن سروج كانت ممتلأه بالمسلمين الى درجة الفيضان .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٠٤ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٦ ورقة ٧٧ ،
Lammens : La Syrie, V. 1, p. 255, Grousset : L'Empire, p. 295.

(٣) Michaud : Op. Cit., V. 1, p 241, Encyclopaedia Britannica V. 7, p 954.

كان مسيحيو الرهـا يتكلمون باللهجة السريانية الرهوية وهى أمصح اللهجـات الآرامية السـامية (٤) .

وبقيام امارة الرهـا الصليبية انضم الى العناصر السكانية السـابقة عنصر جديد هم الصليبيون الغربيون الذين سبق ان بينا كيف بداوا باعداد قليلة كانت قـد صحبت بلدوين دى بوايون عند دخولـه الرهـا (٥) ، ثم ازدادت اعـدادهم فيما بعد بمن انضم اليهم من الصليبيين الذين كانوا قـد سئموا من حصـارهم لانطاكية آنذاك ففضلوا الاتجـاه الى الرهـا والاستقرار فيها (٦) . وهناك « أصبح من كان فقيرا منهم يعيش فى رخاء وسعة ومن كان لايملك قرية اصبح سيدا لاحدى المدن (٧) » .

وعلى الرغم من أن عـدد الفرنج فى امارة الرها كان أصغر من عددهم

---

(٤) اغناطيوس افرام الثـانى : مقالة فى سـورية ، ص ٢٠ — ٢٣ . وهو يذكر ان من فروع اللغة السامية اللغة الآرامية وهى تشمل لهجـات شتى الفينيقية والتدمرية والرهاوية والفلسطينية والمندية والنبطية . وقد كشفت كتابات شتى بالسريانية الرهاويـة بعد أن نشرهـا المستشرق بونبون فى جامع الكتابات السامية (Inscriptions Sémitiques) ويؤكد اختلاف اللهجة الرهاوية عن اللهجة الفلسطينية ماذكره (بوركيت) من ان سـكان الرهـا كانوا يتكلمون لغة آرامية قريبة ولكنها ليست مماثلة لتلك المتكلم بها فى فلسطين . (Burkitt : Op. Cit., p. 7).

(٥) Matlieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 352, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 242, Jean Richard : Op. Cit., p. 25, Archer : Op. Cit., p. 62.

(٦) Albertl Aquensis : Historiae, Liber V., T. 4, p. 435, Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 234, Michaud: Op. Cit., V. 1, p. 248, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208, Jean Richard · Op. Cit., p. 27, Zoé : Op. Cit., p. 141.

وكان من بين النبلاء الذين قدموا الى الرهـا مع عـدد كبير من الفرسان والمشاه الاقل مرتبة
"Drogo de Nahella, Reinardus de Tul, Gastus de Bederz" (Alberti : Op. Cit., Liber V. 1, T. 4, p. 441).

(٧) Zoé : Op. Cit., p. 226. عن (Foulcher).

فى اية امارة صليبية اخرى (٨) ، الا أن ذلك لم يحل دون قيام أرستقراطية عسكرية فرنجية فى الرهــا حكمت شعبها المنصرف الى الاشتغال بالتجارة والزراعة (٩) . وكانت السمة البارزة لامارة الرهــا الصــليبية خــلال فترة قيامها التى امتدت حوالى نصف قرن تقريبا : انها كانت امارة فرنجية أرمينية (١٠) ، وانها عانت كثيرا من عدم تجانس سكانها (١١) .

التزاوج بين سكان الرها الوطنيين والصليبيين الغربيين :

وقــد دعمت الصبغة الارمينية الفرنجية فى امارة الرهـــا عن طريق الزيجــات المختلفة بين الجانبين ، وهى الظاهرة التى بدأها بلدوين البولونى ثم ســـار على نفســ المنــوال كل من بلــدوين دى بــورج وجوســلين دى كورتنـــاى (١٢) .

والواقع ان غالبية الأمراء الصليبيين القادمين الى الشرق كانوا قــد اصــطحبوا معهم عائلاتهم الى الأرض المقدســـة . واذا مــات الأزواج المحاربون فى الحرب فان الشبان العزاب الأصغر سنا ، كانوا يتخذون من ارامل اولئك المحاربين زوجــات لهم وانتشرت هــذه الظاهرة فى الامارات الصليبية فى المشرق فيما عدا الرها التى تزوج أمراؤها الصليبيون من بنات الأمراء الأرمن روبان وثوروس وليون (١٣) . وقيل ان أنطاكية شاركت الرها فى تلك الظاهرة الى حــد ما فانتشرت الزيجــات بين الأمراء الفرنج من ناحية وبين بنات الأمراء الأرمن الأقطاعيين ذوى المكانة العالية والشديدى الاحتكاك بالفرنج فى الحياة السياسية والعسكرية من ناحية أخرى (١٤) .

---

(٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 369, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

(٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.
ســعيد عاشــور : الحركــة الصــليبية ، جـ ١ ص ١٨٧ ، هنا يذكر اولد نبــرج أن أرستقراطية الرها الفرنجية كانت تتكون من الفالون والفلامند Wallonne, Flamande

(١٠) (Zoé : Op. Cit., p. 227).
Grousset : L'Empire, p. 316.

(١١) سعيد عاشور :الحركه الصليبية ، جـ ١ ص ٤٣٧ .

(١٢) Grousset : L'Empire, p. 316, Charles Rous : France et Chrétiens d'Orient, p.p. 20 — 21.

(١٣) Zoé : Op. Cit., p. 300.

(١٤) Lammens : La Syrie, V. 1, p. 241.

لكن ذلك لايعنى ان الصليبيين اقتصروا فى زواجهم على الأرمينيات فقط بل اتخذوا زوجات سريانيات أو مسلمات بعد ان تنصروا (١٥) ، والواقع اننا نستبعد فكرة تنصر المسلمات . ونتيجة لزواج الصليبيين من الوطنيات نشأ جيل جديد عرف باسم (الأفراخ Poullains (١٦)) . ومن أبرز أمثلة هذا الجيل بالنسبة لامارة الرها الأمير جوسلين الثانى .

واذا كانت أواصر المودة قد ازدادت فى الرها بين السكان الوطنيين الأرمن وبين الصليبيين عن طريق الزواج ، فان العلاقات بين الحكام والمحكومين لم تكن ودية على طول الخط . ولم يكن الأرمن دائما مخلصين لحكامهم الغربيين وربما كان هذا هو سبب التقدم البطىء لتلك الامارة بالنسبة لبقية الامارات الأخرى (١٧) .

هذه هى لمحة عامة عن اهالى الرها ككل وعلاقتهم بالصليبيين داخل الامارة . ولكى يسهل علينا التعرف على موقف الاهالى فى مراحل تطور الامارة المختلفة سنحاول دراسة ذلك وفقا لفترات حكم أمراء الرها المختلفين ، حتى نصل فى النهاية الى مصير الأهالى الوطنيين بعد انتهاء تلك الامارة .

والحقيقة ان الأرمن فازوا بنصيب الأسد فى تلك الدراسة بوصفهم كانوا الغالبية العظمى من السكان ، ولكن ذلك لا يمنع من التعرض للعناصر السكانية الأخرى فى الامارة بقدر ما اسعفتنا به المصادر والمراجع المختلفة .

اهالى الرها وبلدوين البولونى (١٠٩٨ — ١١٠٠م) :

رأينا انه منذ اللحظة الأولى لدخول بلدوين البولونى الرها تلقاه الأهالى بفرحة زائدة واستقبلوه استقبالا حارا اشترك فيه كل افراد الشعب وعلى راسهم ثوروس . وقد افاضت المصادر المعاصرة والمراجع التى

---

(١٥) هنا يذكر الأب لامانس ان فولشر دى شارتر قال « اننا اصبحنا شرقيين لاننا لم نتخذ زوجات من بلادنا بل تزوجنا اما سريانية او أرمينية او مسلمة بعد ان تنصرت »
(Lammens : Ibid., V. 1, p. 242).

(١٦) فيليب حتى : العرب ، ص ٢٢٣ Lammens : Ibid., p. 241.

(١٧) Prawer : Op.Cit., T. 1, p. 288.

اخذت عنها فى وصف ذلك الاستقبال الرائــع (١٨) ، اذ استقبل كمنقذ ومحرر للاهالى ولاميرهم (١٩) . وربما اختلفت نظرة كلا الطرفين عندئذ فبينما نظر اليه ثوروس كمنقذ له من اعدائه الاتراك المحيطين به ، يبدو أن الاهالى نظروا اليه تلك النظرة ايضــا الى جانب رغبتهم فى التحرر من اميرهم الارمنى الذى اتبع مذهب كنيسة القسطنطينية (٢٠) . ولذا لم يبد اهالى الرهـــا اى اعتراض على دخول الصليبيين الى بلادهم ، ويتضح ذلك اكثر عندمــا ظهرت نوايــا ثوروس فى استخدام بلدوين كجنــدى مرتزق (٢١) . اذ رفض بلــدوين ذلك الوضـــع وهدد بالانسحاب من الرهـــا (٢٢) . وعندئذ تدخل الأهالى والحوا على حاكمهم بالا يسمح لبلــدوين بالرحيــل (٢٣) . بـــل قيــل انهم هم الذين اجبروا ثوروس على تبنيه (٢٤) . وبالفعل تم ذلك سواء عن رضى من حاكمهم أو عن غير

---

(١٨) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historia Liber III... T. 4, p. 352, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 175, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 242 Harold Lamb : Op. Cit., p. 148.

(١٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208, Michaud : Op. Cit., V. 1,p. 242.

(٢٠) Zoé : Op. Cit., p. 139, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 206

(٢١) Alberti Aquensis : Hsitoriae, Liber III., T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٢) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Grousset : l'Empire, p. 204, L'Epopée, p.p. 56 — 57, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٣) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit , V. 1, p. 191 Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Cahen : Op Cit., p. 210 Duval : Op. Cit., p. 278, Archer : Op Cit., p. 61.

وهنا يذكر (ستون) انه كان هناك بعض الأرمن الذين كانوا قليلى الارتياح لتبنى ثوروس لبلدوين (Seton : Op. Cit., V. 1, p. 303).

رضى (٢٥) ، فابتهج الأهالى واحسوا بالطمأنينة فى حماية بلدوين (٢٦) .

وكان ان اتجه أهل الرهـــا بعد ذلك الى ماهو ابعد ، فتعجلوا التخلص من اميرهم الأرمنى (٢٧) . للاسباب التى اشرنا اليها من قبل ووضعوا مكانه بلدوين (٢٨) الذى اصبح وفقا لرغبتهم اول امير صليبى لأول امارة صليبية فى المشرق .

فى بداية حكم بلدوين لامارة الرهـــا خضـــع له اهلها واخلصوا له واقسموا له يمين الوفاء (٢٩) . بل لقـــد كانوا مستعدين للحرب حتى الموت من اجل سعادته ومجده (٣٠) . لذلك صحبته فرقـــة عســـكرية أرمينية ١٠٩٨م الى انطاكية لمساعدة الصليبيين المحاصرين للمدينة (٣١) كما ســـاعده الأرمن ايضـــا فى حملته التى توجه بها الى سميساط فى بداية حكمه للرهـــا فى ١٠٩٨م والتى استطاع عن طريقها ان يرد الى الرهـــا عددا كبيرا من الرهائن الذين كان بلك الدانشمندى قـــد احتجزهم فى قلعة سميساط ، مما زاد من شعبية بلدوين (٣٢) .

وازدادت اواصر المودة بين بلدوين البولونى وبين الأرمن فى الرهـــا قوة بعد زواجه من الأميرة الأرمينية اردا (٣٣) . لكن تلك العلاقات الودية

---

(٢٥) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191

(٢٦) William : Ibid., V. 1, p. 191 .

(٢٧) Alberti : Op. Cit., p. 353, William, Op. Cit., V. 1, pp. 193 — 194, Mattieu : Op. Cit., p. 38, Bréhier: L'Eglise, p. 77, Duval : Op. Cit., p. 278, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٢٨) Alberti : Op. Cit., p. 355, Fulcherii : Op. Cit.,... T. 4, p. 339, Cahen : Op Cit., p. 211, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 59.

(٢٩) Alberti : Op. Cit., Liber III. ... T. 4, p. 355.

(٣٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(٣١) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201.

(٣٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 194, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208 عن (Albert).

(٣٣) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 433 ,Alberti : Op. Cit. T. 4, p. 361, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372, Grousset : L'Epopée : p. 104, 205, Hist. des Crois. V. 1. p. 64

سرعان ما انقلبت الى كره وعداء من جانب الأهالي الوطنيين لبلدوين عندما فتح ابواب الامارة على مصـــاريعها لرفاقه الصليبيين واغدق عليهم ثروات البلاد (٣٤) . فى الوقت الذى نحى الاهالى الاصــليين وزعماءهم جانبا واســتغنى عن مشـــورتهم مفضـــلا عليهم الفرســـان الفرنـــج الـــذين احتقروهم (٣٥) .

لذا دبر الأهالى فى الرها مؤامرة فى ١٠٩٨م للتخلص من بلدوين او لطرده من البلاد (٣٦) . لكن المؤامرة انكشفت لبلدوين عن طريق احــد الارمن الذين ظلوا مخلصين للصليبيين (٣٧) . وعندئذ امر بلدوين بانزال اشـــد العقوبات بالمتآمرين (٣٨) . وهكذا أخــذ أهالى الرهـــا الأرمن والسريان ينظرون الى بلدوين على انه « طاغية فظ عنيف وجشع (٣٩) » . وندموا لتـــأييده فى حكمه عليهم (٤٠) ، بل أن الأرمن الذين قاســـوا كثيرا من الاحتقار والاضطهاد الدينى من جانب البيزنطيين ، وجــدوا فى فرســـان

---

(٣٤) يذكر آرتـية بالاضـــافة الى ذلك ان الكثير من مؤن البلاد وثرواتها نقلت الى الصليبيين المحاصرين لانطاكية مما سبب ضغطا شـــديدا على اهـــالى الرهـــا . (Archer : Op. Cit., p. 63).

(٣٥) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber V. T. 4, p. 442, William : Op. Cit., V. 1, p. 305, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 66, L'Empire, p. 205 Runciman · Op. Cit., V. 1, p. 211, Zoé : Op. Cit., p. 142.

(٣٦) Albert : Op. Cit., p. 442, William : Op. Cit,. V. 1, p.p. 305 — 306, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, L'Epopée, p. 58.

(٣٧) ويسميه البرت هنا انزو (Enzhu او Enxhu) Alberti : Op. Cit., p. 442, Grousset : Hist. des Crois., V 1, p. 67.

(٣٨) Alberti : Op. Cit., p. 442, William : Op Cit., V. 1, p 306, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, L'Empire, p p 205, 297, L'Epopée, p. 581, Zoé : Op. Cit., p. 141.

(٣٩) Zoé . Op. Cit., p. 230.

(٤٠) Alberti . Op. Cit., Liber V, T. 4, p 442, William : Op. Cit , V 1, p. 305.

الفرنج خصما لا يقل خشونة عن البيزنطيين (٤١) .

وبهذا اتضحت حقيقة مشاعر بلدوين البولونى لأهالى الرها ، ولم يستطيعوا معارضته بصورة جهرية لشدة بطشه بمن قاموا بالمؤامرة السابقة ، ولذا كظم الأهالى غيظهم فى سكون ، حتى انتهت فترة امارة بلدوين على الرها وتوجه ١١٠٠م الى بيت المقدس ليعتلى عرشها . ولكن قبل رحيله اثقل كاهل اهالى الامارة بالضرائب المختلفة وابتز كثيرا من اموالهم ليدبر بها نفقات سفره الى القدس (٤٢) .

اهالى الرها وبلدوين دى بورج ١١٠٠ - ١١١٨م :

وعندما تولى بلدوين دى بورج حكم الرها عمل على استرضاء الأرمن والتقرب اليهم وتحقيق نوع من التآلف بينهم وبين الصليبيين الغربيين، كى يعيد الثقة فى الحكم الصليبى الى نفوسهم ويمحوا الأثر السىء الذى تركه بلدوين البولونى فى نفوسهم (٤٣) . وكان أن نجح فى سياسته هذه واستحوذ على مشاعر الأهالى الصادقة (٤٤) . وذلك بوسيلتين : الأولى زواجه من الأميرة مورفيا الأرمينية (٤٥) ؛ والثانية تقوية الروابط الودية بينه وبين الكنيسة الأرمينية (٤٦) .

وقد برزت أولى المساعدات الحقيقية التى قدمها اهالى الرها لبلدوين فى معركة حران ، اذ شاركه فيها مجموعة كبيرة من القوات الأرمينية (٤٧) . التى قتل معظمها فى المعركة (٤٨) ، ورثاهم متى

---

(٤١) Grousset : L'Epopée, p.p. 58 — 59.

(٤٢) Mattieu : Op. Cit., p. 52, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 381.

(٤٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٣٨ .

(٤٤) Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٤٥) Michel : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Ciliciénne, p. 93, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392, Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset :Hist. des Crois., V. 1, p. 438.

(٤٦) Grousset : L'Empire, p. 298, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 292 — 293.

(٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 71, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 404, V. 2, p. 871, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42.

(٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 73, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407. عن (Albert)

الرهاوى فى حزن شــديد (٤٩) . على أن اهالى الرهـــا لم يستسلموا للحزن بعد هزيمـــة حران التى اسر فيهـــا بلدوين دى بورج وجوســلين دى كورتناى كما مر بنا ، وحاول الاهالى انقاذ الوضـــع الداخلى للرهـــا بسرعة فقرروا اختيار تنكريد اميرا لهم ووافق هو على طلبهم (٥٠) .

ولكن سرعان ما هددت الجيوش التركية بقيادة جكرمش الرها وعندئذ بذل الاهـــالى كل ما فى وسعهم لمســاعدة تنكريد لردهم عن الامارة ، فكان لجهود اهالى الرها فى تلك الفترة اثره الفعـــال فى رد الأتراك وفى احراز النصر (٥١) .

وبانقضـــاء ذلك الدور من أدوار الخطر التركى دخلت الامارة فى فترة من احلك فترات تاريخها ، وهى فترة حكم ريتشـــارد دى ســـالرنو نائب تنكريد من ١١٠٤م — ١١٠٨م التى قاسى فيها اهالى الرهـــا كثيرا من جراء حكم ذلك الأمير بسبب جشعه ومصـــادراته لهم (٥٢) . هذا الى جانب اخفاقه العسكرى الذى أودى بحياة الكثير من اهالى الرهـــا خاصـــة فى مواجهة حملة جكرمش على الرها (١١٠٥م — ٤٩٩هـ) (٥٣) .

وباطلاق سراح بلدوين دى بورج ١١٠٨م — ٥٠٢هـ فرح اهالى الرها

---

(٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 73.

(٥٠) Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 616, Gesta Tancredi : T. 3, p. 712, William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Bréhier : Vie et Mort, p. 315, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407, Setton : Op. Cit., p. 389, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43.

(٥١) Alberti : Op. Cit., Liber IX .. T. 4, pp. 616 — 617, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408, L'Epopée, p. 79, Zoé : Op. Cit.,, p. 214.

(٥٢) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 872, عن (Anonyme), Cahen : Op. Cit., p. 246, Zoé : Op. Cit., p. 214.

(٥٣) Mattieu : Op Cit, p. 79, Grousset . Op. Cit., V. 1, p.p 437 — 438.

هنا يذكر متى الرهاوى انه فقد فى تلك المعركه من اهالى الرهـــا حوالى ٤٥٠ شخصـــا . وان تلك الكارثة حملت اليأس الى الرهـــا ، فكل عائلة كانت فى حزن وكل بيت دوى بالنواح والتاوهات ، وكل الريف المحيط بالمدينة ســـال بالدم .

بعودة أميرهم القديم ويتخلصهم من حكم ريتشـارد النورماندى وجمعوا الأموال لدفع فدية بلدوين (٥٤) . ثم تطورت الأحـداث كما مر بنا وقامت الحرب بين الأمير بلدوين دى بورج وحليفه جلولى من ناحية وبين الأمير تنكريد وحليفه رضوان من ناحية أخرى ، وهى الحرب التى انتهت بهزيمة الجـانب الرهوى (٥٥) .

وكان لتلك الهزيمة اثر كبير فى تغير سياسة بلدوين دى بورج الودية تجاه الأرمن بالذات . فما ان علم اهالى الرهـا بأخبار الهزيمة حتى شملهم حزن عميق وتأسـفوا على بلدوين الذى ظنوا انه قـد مات . وفى نفس الوقتخافوا من عودة الحكم النورماندى اليهم ممثلا فى شخص ريتشارد ، الذى حملوا لعهده أسوأ الذكريات . لذلك عقدوا اجتماعا فى كنيسة القديس حنا بالرهـا Saint- Jean حضره رئيس الأسـاقفة اللاتين بالمدينة وطالب الأهالى بأن يتولى امر الدفاع عن قلعة المدينة بقية رجال الأسقف اللاتين الى جانب اهالى الرهـا حتى يختاروا حاكما جديدا لهم (٥٦) . وتردد عندئذ انهم فكروا فى تولية كوغ باسيل الأرمنى عليهم (٥٧) .

ولكن حـدث فى اليوم التالى للاجتماع أن فوجىء الاهالى بدخول كل من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى الرهـا . وعندما استقصى الأميران احوال البلاد ، علموا بتلك النوايا الخطيرة التى كان الأهـالى قـد صمموا على تنفيذها فاعتبروها نوعا من المحـاولات الأجراميـة فى حقهم (٥٨) .

وهكذا تحولت سياسة بلدوين دى بورج كلية من الطابع الودى الى اقسى درجات الشـدة والقسوة فى معاملة اهالى الرهـا ، الأمر الذى جعل متى الرهاوى يظهر حزنه الشديد على من راحوا ضحية تلك الحركة ، التى يعتقد انهـا قامت اصـلا بسبب اصغاء الفرنج لبعض الوشـايات الكاذبة (٥٩) .

---

(٥٤) Zoé : Op. Cit., p. 240.

(٥٥) Mattieu : Op. Cit., p. 87, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394.
العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠ — ٦٤١ .

(٥٦) Mattieu : Op. Cit. p,.p. 87 — 88.

(٥٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 442.

(٥٨) Mattieu : Op. Cit., p. 88.

(٥٩) Mattieu : Ibid., p. 88. ومما ذكره متى الرهـاوى :
« نهبت منازل الرهويين وسملت اعين كثيرين منهم لم يكن لهم اى ذنب على

والحقيقة أنه ينبغى ان نشير هنا الى ان العقاب السريع الذى انزله بلدوين بأهالى الرهـــا فى ذلك الوقت لم يكن هو الحل الملائم . فماذا كان يفعل الأهالى عندما وجدوا ان اميرهم قـــد حلت به الهزيمة ولم يعد مما اثار الظن بأنه فقد ؟ أليس معنى ذلك أنهم سيعودون مرة أخرى لحكم ريتشـارد القاسى الظالم ؟ مما جعلهم يفكرون فى التخلص من الحكم الفرنجى كلية ! لكن ربما كانت الامور قـــد ســـارت الى عكس ما تطورت اليه اذا كان بلدوين دى بورج قـــد عالج الأمور بنوع من التروى والتعقل .

ومنذ ذلك الوقت أصبح التعاون بين الفرنج وبين الأرمن بالذات ضيقا جـــدا حيث بدأ الصـــليبيون فى الرهـــا ينظرون اليهم بنوع من الشـــك والريبة (٦٠) . وبعد أن كانت سياسـة بلدوين فى حكم الرها تقوم على أساس الربط بين الصليبيين والارمن ، اذا به يغير سياسته تغييرا تاما فاستبعد الأرمن من حســابه كلية واعتمد فى حكومته اعتمادا واضحا على رجاله من الصليبيين الغربيين وحدهم (٦١) .

واذا كانت سياسة بلدوين تجاه الأرمن ١١٠٨م ـــ ٥٠٢هـ قد اتسمت بالعنف فى معاملتهم ، فان سياسته مع المسلمين فى نفس السنة اتصفت بالتســـامح تنفيذا للاتفاق الودى الذى كان قـــد تم بينه وبين جاولى عند اطلاق سراحه (٦٢) . والمعروف ان المسلمين فى الرهـــا كانوا متركزين تقريبا فى سروج فى ذلك الوقت اذ كان بها حوالى ثلثمائـــة مســـلم فسمح بلدوين لاصحاب جاولى بتعمير مســـاجد المدينة (٦٣) ، وخير دليل على تســـامح بلدوين مع المسلمين فى ذلك الوقت ان رئيس سروج كان مسلما ثم ارتد فسمعه أصحاب جاولى « يقول فى الاســـلام قولا شنيعا فضربوه وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع » فلما علم بلدوين دى بورج بذلك قال « هـــذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين نقتله (٦٤) » .

=

الاطلاق ، وعاقب الفرنج مسيحيى الرهـــا عقوبات قاسية ، وابتهجوا لرؤية الدم الطـــاهر الذى سفك » .

(٦٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 443

(٦١) سعيد عاشور : الحركة الصليبيه ، حـ ١ ص ٥٤ .

(٦٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 438.

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٠ ،

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, pp. 438 — 439.

(٦٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٠ ،

Grousset : Ibid., p. 439.

وظل اهالى الرهـا على ذلك الوضـع حتى ١١١٠م (٥٠٤هـ) عندما بدأ مودود كما رأينا حركة الجهاد الاسلامى ضـد الفرنـج فكان لحملته الأولى فى هـذة السنة ضـد الفرنج اثرها الكبير على الوضع السكانى فى الرهـا ، وقد مرت بنا دراسة تفصيلية لتلك الحملة فى الأجزاء السـابقة من بحثنا . لكن ماتود أن نبرزه هنا هو أنه عندما فشلت محاولة مودود فى استدراج الفرنج الى حران ليوقع بهم كما حـدث فى ١١٠٤م (٤٩٧هـ) ؛ وبعـد ان ادرك الفرنج نواياه عندئذ رجعوا بسرعة الى الرها وزودوها بالمؤن والحاميات اللازمة (٦٥) ثم عبر الفرنج الى الضفة الغربية للفرات . عندئذ قرر اهالى الجزء الشرقي من الرهـا ـــ الأرمن والسريان ـــ الجلاء عن اراضيهم والالتجاء الى مناطق كيسوم ورعبان (٦٦) . خوفا من بطش الاتراك بهم . وعندما بدأ تنفيذ خطة الجلاء هـذه علم مودود وقواته بها وذلك عن طريق اثنين من الفرنج كما يقول متى الرهاوى (٦٧) . وكان أن اسرع مودود الى الضفة الشرقية للفرات حيث احـدث مذبحة كبيرة فى الأهالى واسر الكثيرين منهم خاصـة من النسـاء والأطفال كمـا غرق البعض الآخر في اعداد هائلة فى نهر الفرات ، وهو ما فصـلته المصـادر الأرمينية واللاتينية (٦٨) . الى جانب المراجع الافرنجية المختلفة (٦٩) والتى أرجع بعضها تلك الابادة السكانية الى أن هجرة السـكان فى ذلك الوقت تمت فى تهور وباعداد ضخمة بينما كان جيش كبير من الأتراك يقوم ببعض المنـاورات العسـكرية فى الضواحى القريبـة (٧٠) . أما الفرنج الذين كانوا قد سبقوا الأهالى فى عبور نهر الفرات ، فقد وقفوا على الضفة

---

(٦٥) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 454, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(٦٦) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 454, L'Epopée, p.p. 88 — 89.

(٦٧) Mattieu : Op. Cit., p. 93.

(٦٨) (سنورد وصفا لـ الحق بالأهالى مع اللاحق)
Mattieu : Ibid., p.p. 93 — 94.
Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421 — 422.

(٦٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455, L'Empire, p 299, L'Epopée, p. 89, Cahen : Op. Cit., p. 258, Zoé : Op. Cit., p. 243, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399, Archer : Op. Cit., p. 148.

(٧٠) Zoé : Op. Cit., p. 243.

الغربيـــة للنهر دون أن يستطيعوا منع تلك المذبحة أو تزويد الأهالى بأى نوع من المعونة . وتنفيسا عن غضبهم سكبوا الدموع الحزينة من أجل تلك المناظر التى شـــاهدوها عن قرب (٧١) . فى حين رجع مودود الى المشرق وصحبته اعـــداد ضخمة من الأسرى وغنائم لاتحصى (٧٢) .

وهكـذا كـــان من أهم الآثار المترتبة على حملة مودود على الرهـــا ١١١٠م (٥٠٤هـ) انها ادت الى احـــداث خلخلة كبيرة فى ســـكان امارة الرهـــا وعلى وجـــه الخصوص فى جزئها الشرقى (٧٣) . كذلك ترتب على تلك الحملة ضعف فرنج الرهـــا واتجاههم نحو العنف والابتزاز والقسوة وبذلك استثاروا كراهية الأهالى الذين رحبوا بهم أصلا للدفاع عنهم (٧٤) .

والواقع ان شعور الكراهية الشديدة من جانب الأرمن للصـــليبيين منذ التنكيل الذى لحقهم على يد بلدوين دى بورج ١١٠٨م (٧٥) (٥٠٢هـ) الى جانب المجاعة المتسببة عن حملة مودود ١١١٠م (٧٦) (٥٠٤هـ) والتى قاسى منها أهالى الرهـــا — وبخاصـــة قسمها الشرقى — ادى كل هـــذا الى تفكير بعض الأرمن فى الخلاص من النفوذ الفرنجى وفكروا فى تسليم الرهـا للمسلمين وذلك اثناء حملة مودود على الرها ١١١٢م (٥٠٦هـ) .
فكان أن توجه بعض الأرمن الى مودود وتوسلوا اليه ان يؤمنهم على ارواحهم فى مقابل تسليمهم المدينة له فوافق مسرورا على تلك الفكرة وتسلم برجا يطل على الناحية الشرقية للمدينـــة (٧٧) .

---

(٧١) Mattieu : Op. Cit., p. 94, Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 422, Grousset : L'Epopée, p. 89, Hist. des Crois., V. 1, p. 455, Archer : Op. Cit., p. 148.
(٧٢) Mattieu ; Op. Cit., p. 94.
(٧٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455.
(٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 399, 400.
(٧٥) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٥
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 443,
(٧٦) Mattieu : Op. Cit., p. 101.
(٧٧) Mattieu : Ibid., p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 473.
ويقال أن بعض السريان اشتركوا فى تلك المؤامرة
Grousset : L'Empire, p. 299 عن (L'Anonyme)

ولكن اخبار تلك المؤامرة وصلت الى آذان جوسلين الأول فأسرع الى الرها ليلحق بالأمير بلدوين . وعندئذ انزل جوسلين بالمامرين أشد الوان العقوبة والقى بالأتراك من أعلى الجدران فهلكوا فى الحال . وبهذا لم يتم استيلاء المسلمين على الرها فى ذلك الوقت بفضل جهود جوسلين بالذات (٧٨) .

ورغم التنكيل الشديد الذى تعرض له الأرمن ١١١٢م ، فان ذلك لم يثبط عزائمهم ، بل زاد من كرههم للنفوذ الصليبى . لذا انتهزوا فرصة وجود بلدوين فى تل باشر بعد ان انتزعها من جوسلين دى كورتناى ١١١٣م (٥٠٧هـ) وحاولوا من جديد تسليم الرها للأتراك اثناء حملة مودود على الرها فى تلك السنة (٧٩) .

ويؤكد متى الرهاوى انه لم تكن هناك مؤامرة حقيقية بل أن الأمر لم يتعد مجرد بعض الأشاعات الكاذبة ابتكرها بعض الفرنج الميالين للشر ونقلوها للأمير بلدوين فصدقها بسرعة (٨٠) . ولكننا نرجح أنه كان هناك اتصال حقيقى بين اهالى الرها الأرمن وبين الاتراك بسبب ضجرهم فى ذلك الوقت من الفرنج ومن حكمهم التعسفى .

وما كاد بلدوين دى بورج يسمع تلك الأخبار ، حتى أمر حاكم سروج بطرد كل اهالى الرها دون أى استثناء (٨١) ، وتم ذلك فى ١١ مايو ١١١٣م (٨٢) وقد أورد لنا متى الرهاوى صورة مفصلة لطرد اولئك الأهالى ظهرت فيها مدى قسوة الفرنج فى القيام بذلك ، كما عبر عن حسرته الشديدة لاخلاء تلك المدينة التى كانت بمثابة الأم لبقية المدن المحيطة بها (٨٣) .

---

(٧٨) Mattieu : Op. Cit., p. 102.

(٧٩) Mattieu : Ibid., p. 104, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 490.

(٨٠) Mattieu : Op. Cit., p.p. 104 — 105.

(٨١) Mattieu : Ibid., p. 105.

(٨٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 490.

(٨٣) Mattieu : Op. Cit.. p. 105.

فقد ذكر متى الرهاوى : « ... انه حلت كارثة مريعة بالرها ، لم يعرف الأب ابنه وانكر الأبن ابيه ، دوى النواح والتاوهات فى كل مكان ، وغمر كل منزل فى الحزن والحداد .. طرد الفرنج الأهالى من منازلهم ، وأمروا بأحراق هؤلاء الذين اختبأوا فى المنازل ، فلم يبق فيها احد الا القليل » ..
=

وتلتمس بعض المراجع الحديثة العذر لقسوة بلدوين آنذاك بدعوى ان مرجع ذلك كان تكرار تآمر الأرمن بالذات مع الأتراك ضد الفرنج في الرها (٨٤) .

ويلاحظ انه كان يوجد بالرها عندئذ عدد قليل من السريان (٨٥) ، الى جانب بعض الأرمن الذين التجأوا الى كنيسة القديس ثيودور واحتموا بها ثم انتقلوا الى القلعة تحت حراسة قوية (٨٦) . وعندما رأى بلدوين دى بورج تعذر القيام بشئون الامارة بمساعدة هذه المجموعة القليلة من اهالى الرها فضلا عن رفاقه الفرنج اضطر الى استدعاء الأهالى المنفيين من سميساط وتم ذلك فى فبراير ١١١٤م (٨٧) (٥٠٧هـ) . ولكن عودة الاهالى مرة اخرى الى بلادهم لايعنى فى نفس الوقت عودة العلاقات الطبيعية بينهم وبين اميرهم الصليبى الذى أشارت اليه بعض المراجع الفرنجية بانه « مضطهد الارمن (٨٨) » . هذا فضلا عن سوء العلاقة بين الأهالى والصليبيين الغربيين للذين اعتبروا « طالبى منافع وتهم فى سبيل الحصول عليها ارهقوا البلد كثيرا بمعاملاتهم الفظة (٨٩) » .

اهالى الرها فى عهد جوسلين دى كورتناى ١١١٩م — ١١٣١م :

وعندما تولى جوسلين الأول حكم امارة الرها حاول جاهدا أن يتقرب من اهلها وخاصة العنصر الأرمنى الاكثر عددا ، وذلك ليزيل ذلك الحاجز الذى كان قد فصل بينهم وبين الصليبيين الغربيين فى الرها فى عهد بلدوين دى بورج ، ولكى يمحو من نفوسهم الأثر السيء الذى تركته قسوته وشدة بطشه بالأرمن عقب مؤامرتهم ١١١٢م . لذا نجد المؤرخ الأرمنى

=

فيا للشقاء على شعب أبجر ... » .

وقد تم اجلاء غالبية الأهالى الى سميساط

(Mattieu : Op. Cit., p. 105,
Grousset : Hist. des Crois. ,V. 1. p. 491, L'Empire. p. 299).

(٨٤) Setton : Op. Cit.. V. 1, p.p. 401 — 402, Grousset : Hist. des Crois., p. 491.

(٨٥) Grousset : Ibid., V. 1, p .491.

(٨٦) Mattieu : Op. Cit., p. 105.

(٨٧) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 491, L'Empire, p. 299.

(٨٨) Zoé : Op. Cit., p. 262.

(٨٩) Mattieu : Op. Cit.. p. 106.

المعاصر متى الرهاوى يؤكد ان ذلك الأمير حرص عند تولية شئونهم على ان يظهر العطف على اهالى الرهـا (٩٠) .

وتدعيما لتلك السياسة نجده يحذو حذو الأميرين السابقين للرهـا فاتخذ لنفسه زوجـة ارمينية هى اخت الأمير ليون (٩١) . والحقيقة أن جوسـلين اخلص فى حبه لرعاياه الارمن فبادلوه حبا بحب (٩٢) . وفى نفس الوقت لم يهمل جوسـلين العنصر السريانى ، فحرص على أن يقوى رابطته به أيضـا (٩٣) .

من اهم المناسبات التى ابرزت مـدى حب رعايا جوسـلين الأول له ما حـدث عندما علم اهالى الرهـا بأسره ١١٢٢م (٥١٦هـ) — كما بينا من قبل — اذ انهم لم يفكروا عندئذ فى انتهاز فرصـة غيابه عن الامارة ليثوروا ، وانما اظهروا الحزن الشـديد وخضعوا للملك بلدوين الثانى منتظرين عودته (٩٤) . ولكن عندما اسر الملك فى العام التالى ايضـا بدأ اهالى الرهـا — وخاصة العنصر الارمنى — يفكرون فى انجح الوسـائل واسرعها لانقاذ اميرهم .

وما كاد جوسلين يرسل رسالة الى رعاياه طالبا منهم النجدة (٩٥) حتى سـارع عـدد منهم الى خرتبرت — كما مر بنا — واطلقوا سراح الموجودين فيها ، ولكن بمجرد خروج جوسـلين وصـل بلك الأرتقى الى القلعة وانزل عقوبته الشديدة بمن فيها (٩٦) . وكان جزاء المجموعـة

---

(٩٠) Mattieu : Ibid., p. 128.

(٩١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, William : Op. Cit., V. 2, p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 8. عن (L'Anonyme), Jacques de Morgan : Op. Cit.. p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173.

(٩٢) Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois., V. 1, p. 590, Archer : p. 162.

(٩٣) Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois. V 2, p. 877 عن (L'Anonyme).

(٩٤) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٩٥) Zoé : Ibid., p. 297, Cahen : Op. Cit., p. 297, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419.

(٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Michel : Op. Cit., p. 211, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 543 — 544, Cahen : Op. =

الأرمينية الفدائية « أن بعضهم قطع اربا والبعض دفنوا أحياء ، وتحول آخرون الى عبيد لرجال بلك الى جانب قله هربوا أحياء (٩٧) » . وهكذا لم يضن بعض العناصر الأرمينية فى الرها بتقديم أرواحها فداء للأمير جوسلين ، واثبتوا ببطولتهم وبذلهم لذاتهم مدى صلتهم وحبهم لذلك الأمير (٩٨) .

أهالى الرها فى عهد جوسلين الثانى ١١٣١م — ١١٤٤م وموقف زنكى منهم عند فتح الرها :

وعندما ورث جوسلين الثانى امارة الرها عن أبيه ورث معها حب اهلها الشديد لوالده (٩٩) . كذلك كان جوسلين اكثر أمراء الرها قربا للأرمن لأنه كان ابنا لأرمينية — كما أشرنا — فلا غرو اذا اسمته بعض المصادر العربية (جوسلين الأرمنى) (١٠٠) .

وقد ظل أهالى الرها ينعمون بالهدوء وبحب أميرهم لهم حتى كانت ١١٤٤م — (٥٣٩هـ) عندما تقدم زنكى للاستيلاء على الرها . وكان جوسلين الثانى قد عهد الى أهالى الرها الأرمن والسريان بحماية المدينة فى اثناء تواجده فى تل باشر ، فدافعوا جميعا عنها بشجاعة رجالا ونساء ، عظماء وفقراء وبذلوا كل ما فى وسعهم لحماية أسوار المدينة (١٠١) . وعندما طلب منهم زنكى تسليم المدينة فى مقابل المحافظة على أرواحهم رفضوا بشدة (١٠٢) ، مما جعل زنكى يقرر الاستيلاء على المدينة

=

Cit., p. 297, Zoé : Op. Cit., p.298, Archer : Op. Cit., p. 163,

ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢١٣ .

(٩٧) William : Op. Cit., V. 1. p. 544.

(٩٨) Grousset : L'Empire, p. 300.

(٩٩) Zoé : Op. Cit., p. 299.

(١٠٠) ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط ص ٣٦٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ٤ مخطوط ، ص ٥٦ (ب) ، ٦٠ (ب) ، ٩١ (ب) .

(١٠١) Nersès : Op. Cit., p. 251, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268. Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois.. V. 2, p.p. 179, 180, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(١٠٢) Michel : Op. Cit., p. 260, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Nersès : Op. Cit.. p.p. 248 — 249.

ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ — ٦٩ وسيأتى وصف مفصل لاستماته الأهالى فى الدفاع فى الملاحق ضمن قصيدة رثاء الرها .

بالقوة . وعندما سقط جزء من السور ضاعف الأهالى جهدهم لسد تلك الثغرة التى فتحت والدفاع عنها (١٠٣) . ولكن استبسالهم لم يمنع عنهم مصيرهم المحتوم آنذاك .

هنا نجد المصادر العربية تكتفى بالقول بأن المسلمين اعملوا فى اهل الرها القتل والأسر والنهب والسلب (١٠٤) . أما المصادر الأرمينية والسريانية الى جانب المصادر والمراجع الافرنجية ، فقد اشارت الى أنه عندما تحول الأهالى جميعا للدفاع عن الجزء الذى سقط من السور ، اعتلت القوات الزنكية السور ونزلت الى المدينة وعملت مذبحه هائلة فى اهالى الرها ، فصلتها لنا غالبية تلك المصادر بصورة مسهبة (١٠٥) .

وكان أن اسرع بقية الأهالى الذين نجوا من تلك المذبحة الى قلعة المدينة للاحتماء بها ، فمات اكثرهم خنقا من شدة الزحام (١٠٦) . والواقع انه مهما بالغت المصادر غير العربية فى تصوير التنكيل الذى لحق بالأهالى فى ذلك الوقت ، فان هذا لم يكن بالشىء الجديد بالنسبة لأهل

---

(١٠٣) Nersès : Ibid., p. 253, (التفصيل فى الملاحق) Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1 ,p. 269.

(١٠٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ص ٨ ، الباهر ، ص ٦٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٧٩ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٩٥ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ص ٢١٩ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، الباب السابع ٥٣٩هـ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٥١ .

(١٠٥) Nersès : Op. Cit., p.p. 255 — 6
(مع قصيدة الرثاء فى الملاحق)
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p.p. 261 — 262, Bar Hebraeus : V. 1, p. 269, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Michaud : Op. Cit. V. 2,p. 105.

(١٠٦) Nersès : Op. Cit., p.p. 257 — 258, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p. 262, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Cahen : Op. Cit., p. 370, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 105.

وقد ذكر الكاهن جريجوار ان عدد من هلكوا امام القلعة قدر بحوالى الفى شخص .

الرهـا ، الذين ذاقوا الكثير على يد بلدوين دى بورج ورفاقه من الصليبيين الغربيين فى السنوات ١١٠٨م ، ١١١٢م ، ١١١٣م .

وعندما دخل زنكى المدينة آمن اهلها وبنى ما انهدم منهـا (١٠٧) ، واصـدر اوامره لرفاقه باغماد السيف (١٠٨) . والواقع ان هـذا الأمان لم يشمل كل اهالى الرهـا بل اقتصر فقط على اهلها الاصليين من الأرمن والسريان (١٠٩) . اما الفرنج فقد امر زنكى بقتلهم اينما وجـدوا ويسبى زوجاتهم وأسر اطفالهم (١١٠) .

والحقيقـة أن زنكى تسـامح بالذات مع العنصر السريانى وشـجع الموجودين منهم بالمدينة بكل جوارحه ولجا الى الشفقة فى معاملتهم (١١١) . واعطاهم مزيدا من الامتيازات ، بعكس الأرمن الـذين تأسفوا على الحكم الفرنجى الذى تضامنوا معه بشـدة (١١٢) . وبهذا استطاع زنكى عن طريق عطفه الكبير على السريان الوطنيين ، أن يقيم جبهة مؤيدة له من ذلك العنصر فى مواجهة الغزاة الغربيين ، وهى نفس سياسـة صـلاح الدين فيما بعد (١١٣) .

وهكذا عادت الرهـا الى ماكانت عليه فى اواخر القرن الحـادى عشر مدينـة يسكنها الارمن والسريان تحت حماية الأتراك (١١٤) . وعهد زنكى

---

(١٠٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ﺣ ٢ ، ص ٢٧٩ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ﺣ ٥ ص ٢٧٥ .

(١٠٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 159, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Cahen : Op. Cit., p. 370, Zoé: Op. Cit., p. 337.

(١٠٩) Michel : Op. Cit., p. 263, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 270, Grousset : L'Epopée, p.p. 163 — 164.

(١١٠) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 159, Michel : Op. Cit, p. 263 ,Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 270, Archer : Op. Cit., p. 202, Grousset : L'Epopée : p. 163, Cahen : Op. Cit., p. 370.

(١١١) Michel : Op. Cit., p.p. 267 — 268, Grousset : Hist. des Crois ,.V. 2, p. 189, L'Empire, p. 300.

(١١٢) Grousset : L'Epopée : p. 164, Hist. des Crois , V. 2, p 198

(١١٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 189

(١١٤) Grousset : Ibid., p. 190.

بالاشراف على شئونها الى زين الدين على كوجك ، الذى عامل الاهالى معاملة طيبة جدا (١١٥) .

دخول العنصر اليهودى الى الرها ١١٤٦م :

عندما لمس الأرمن فى الرها شدة اهتمام زنكى بالعنصر السريانى ومعاملته الطيبة له لم يرتاحوا لذلك ، فاستغلوا صغر حجم الحامية الزنكية فى المدينة وبدأوا يتآمرون مع الفرنج للتخلص من تلك الحامية ومن النفوذ الاسلامى ، وليعيدوا النفوذ الفرنجى مرة اخرى . كان ذلك بعد مرور حوالى سنة ونصف تقريبا على استيلاء زنكى على الرها (مايو ١١٤٦م) (١١٦) .

ولكن زنكى اشتد فى التنكيل بهم ، وكانت عقوبته اما القتل او الصلب او التشريد (١١٧) . ثم احل محلهم حوالى ثلثمائة اسرة يهودية (١١٨) . واصبح لهؤلاء اليهود نفس الحقوق امام القضاء مثل المسيحيين (١١٩) . وبذلك دخل الى الرها عنصر جديد ، ولكن دخوله كان موازيا لزوال النفوذ الصليبى عنها . وربما كان من الممكن ان نسير الاحوال الداخلية فى الامارة على منوال آخر اذا كان العنصر اليهودى موجودا بها منذ فترة مبكره اكثر ، فقد كان اليهود الد اعداء المسيحية عموما (١٢٠) .

نور الدين واهالى الرها ١١٤٦م (٥٤١هـ) :

وبينما كان السريان وعلى راسهم البطريرك باسيليوس لا يطلبون شيئا سوى بقاء النفوذ الاسلامى ، الذى اتاح لهم نوعا من النفوذ المعنوى على

---

(١١٥) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 69, Cahen : Op. Cit., p. 370

(١١٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 238.

(١١٧) ابن القلانسى : الذيل ، حـ ٢٨٢ ، ابن العديم زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨١ ،
Gibb : Op. Cit., p. 270, Grousset ; Hist. des Crois., V. 2, p. 195.

(١١٨) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339, Cahen : Op. Cit., p. 371, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 239.

(١١٩) Lammens : Op. Cit.. V. 1, p. 267.
كانت شهادة اليهودى امام للقضاء مساوية لشهادة المسيحى .

(١٢٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦١٠ .

العقائد الأخرى تآمر الأرمن فى الرها لاعادة النفوذ الفرنجى اليها (١٢١) . وهنا اضاف أحد المراجع المترجمة عن اصل عبرى أن من اسباب تآمر الارمن ايضا،دخول عدد ضخم من اليهود الى البلاد بواسطة زنكى (١٢٢) .

وقد نتج عن تآمر الارمن استعادة جوسلين الثانى الرها لفترة قصيرة ، لم تستمر اسبوعا واحدا ، اعقبها تنكيل نور الدين محمود بن زنكى بأهالى الرها جميعا . وهنا تكتفى المصادر العربية بالاشارة الى مصير هؤلاء الأهالى ومدينتهم فى عبارة موجزة « نهبت المدينة وسبى اهلها فخلت منهم ولم يبق الا القليل (١٢٣) » . اما ابن القلانسى المعاصر فيعطينا نفس المعنى بصورة اخرى بقوله « محق السيف كل من ظفر به من نصارى الرها واستخلص من كان اسر من المسلمين ونهب منها الشىء الكثير (١٢٤) » .

اما المصادر السريانية والارمينية والفرنجية وما نقل عنها من مراجع اجنبية حديثة فتفصل الحديث باسهاب شديد عما اصاب الأهالى من تنكيل فى ذلك الوقت عندما كانوا فى طريقهم للهرب من الرها .

وقد صادفنا رايان عن سبب خروج الأهالى . فميخائل السريانى ومن نقل عنه يذكر ان الاهالى اجبروا على الجلاء عن مدينتهم بعد ان اشعل الفرنج النار فى منازلهم ومنافعهم (١٢٥) . اما وليم الصورى ومن اخذ عنه فيذكر ان هؤلاء الأهالى عندما تيقنوا من فشل محاولة جوسلين التى شجعوه املا فى القيام بها ، وعلموا ان كل امل فى المقاومة قد انتهى وان كل طريق للنجاة قد اغلق . ثم تاكدوا انهم سيعاقبون بالموت فى افظع اشكاله ، عندئذ فضلوا ان يرحلوا مع زوجاتهم واطفالهم وان يقتسموا حظا غير اكيد مع اخوانهم فى الجيش المسيحى عن أن يموتوا أو يتحولوا الى العبودية بواسطة المسلمين (١٢٦) .

---

(١٢١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 199.

(١٢٢) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339. (Traduit de l'hébreu par G. Nahon).

(١٢٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ — ٨٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ، ص ١١١ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ .

(١٢٤) ابن القلانسى : الذيل ؛ ص ٢٨٨ .

(١٢٥) Michel : Op. Cit., p. 270, Bar Hebraeus : Op. Cit.. V. 1, p. 273.

(١٢٦) William · Op. Cit., V. 2, p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2. p. 202.

وهنا نجد فى المصـــدر السريانى وصفا مفصـــلا لكيفية رحيل الأهالى بطريقة مفاجئة غير منظمة قبل أن يشعر بهم المسـلمون (١٢٧) . لكن لم تمضي لحظات حتى نتبه المسلمون الى حركتهم بسبب الضوضـــاء العالية التى أحـــدثها الهاربون . وعندئذ أحـــاط المسلمون بهم وبدأوا يرمونهم بالسهام فسقط الكثير منهم قتلى (١٢٨) . الى جـــانب عـــدد آخر من الاهالى ماتوا مخنوقين من شـــدة الزحام او داستهم الخيول (١٢٩) .

وكان للاتراك الموجودين فى قلعة المدينة دورهم فى التنكيل بالأهـــالى اذ تتبعوا الـــذين التجـــأوا الى الكنـــائس والى أمـــاكن أخرى فقتلوهم أو عذبوهم (١٣٠) . وأسر عدد كبير أرسلوا الى اسواق حلب (١٣١) .

أما هؤلاء الذين استطاعوا الخروج من المدينة مع جوســـلين الثـــانى وبلدوين امير مرعش فقـــد لحق بهم الاتراك من جـــديد واعملوا السيف فيهم فقتل عدد كبير منهم من بينهم بلدوين نفسه (١٣٢) ، عندئذ فر بعض الفرســـان الفرنج بخيولهم فى حين لجـــأ المشـــاه الباقون الى قلعة خربة كانت بالقرب منهم وتبعهم بعض الاهالى ، وهؤلاء فقط هم الذين استطاعوا الحفاظ على أرواحهم بالفرار الى سميســـاط عندما عاد الأتراك لنهب الرها مرة أخرى (١٣٣) . وكان جوســـلين الثانى نفســـه من بين الذين فروا

---

(١٢٧) Grousset : Ibid., p. 884 عن (L'Anonyme).

(١٢٨) Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885.

(١٢٩) Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Grousset Op. Cit., V. 2, p. 884 عن (L'Anonyme).

(١٣٠) Michel : Op. Cit., p. 270.

(١٣١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 204, L'Epopée p. 165

(١٣٢) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 885.

ويقال انه فى ذلك الوقت عندما تعب المسلمون من القتل « جردوا من نقى من ملابســـهم واحـــذيتهم وربطوا أيديهم خلف ظهورهم ثم أمروهم رجـــالا ونســـاء بالجرى مع الخيول فمات عددا كبيرا منهم تحت أقدام تلك الخيول التى داستهم عندما وقعوا » .

Michel : Op. Cit., p. 271, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(١٣٣) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161. Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 113.

الى سميساط ولو أنه كان جريحا (١٢٤) . وهكذا دفع الأرمن — ومعهم اهالى الرها جميعا — ثمن اخلاصهم الفرنج غاليا (١٣٥) . ولم ينفعهم عندئذ جوسلين ولا رفاقه الذين اسرع من بقى منهم بالفرار طلبا للنجاة .

وهكذا محيت الرها المسيحية فى ذلك الوقت (١٣٦) . بعد ان فقدت غالبية اهلها المسيحيين — الأرمن والسريان — الذين قدر ميخائيل السريانى من فقد منهم فى فتح الرها الأول ١١٤٤م ، الثانى ١١٤٦م بحوالى سبعة واربعين الف نسمة « قتل منهم حوالى ثلاثون الفا وأسر وتحول للعبودية ستة عشر الفا ونجا حوالى الفا (١٣٧) » .

وبذلك اصبحت الرها مكانا خربا (١٣٨) ، بعد تاريخ مزدهر طويل ، لذا استحقت الرثاء (١٣٩) .

لكن اذا كانت الرها قد اصبحت اثرا بعد عين وقضى على غالبية سكان الجزء الشرقى من الامارة ، فان سكان تل باشر وما يحيط بها ظلت غالبيتهم موجودين فى ذلك الجزء الغربى حتى أسر جوسلين الثانى . وعندما اشترى امبراطور الدولة البيزنطية غالبية ذلك الجزء المتبقى من الامارة ، قررت زوجة جوسلين واطفاله الى جانب عدد كبير من الأهالى التوجه الى القدس مع الملك بلدوين الثالث (١٤٠) . وكان أن فضل عدد كبير من الارمن والسريان النفى عن بلادهم عن التبعية للنفوذ البيزنطى (١٤١) .

وبالفعل خرج مع الملك كل من أرادوا الرحيل ومعهم قطعان حيواناتهم وضروريات معيشتهم . وفى ذلك الحشد كان يرى رجال من أصول

---

(١٣٤) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 885 عن (L'Anonyme).

(١٣٥) Grousset : L'Empire, p.p. 224, 301.

(١٣٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339, Iorga : Brève Hist. des Crois., p.p. 92 — 93.

(١٣٧) Michel : Op Cit., p. 272.

(١٣٨) Michel : Ibid , p. 272, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 273.

(١٣٩) سنورد رثاء ميخائيل السريانى وكذلك رثاء ديونيسيوس الآمدى فى الملاحق .

(١٤٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 209.

(١٤١) Zoé : Op. Cit , p. 355.

عالية ونســاء نبيلات مع فتيات من اصول عريقة واطفــال صغار وقــد شردوا من وطنهم وتركوا أرض اجدادهم وآبائهم ، فى الم عميق (١٤٢) .

وهكذا تشتتت ســكان امارة الرهــا ؛ كما تمزقت ارضهم . بعــد حياة مليئة بويلات الحروب المتتابعة التى تعرضت لها الامارة ، الى جانب الكوارث التى احقت بهم بعد كل مؤامرة شهدتها تلك الامارة الصليبية .

الحيــاة الاقتصــادية :

رغم عثورنا على بعض الاشــارات البسيطة عن الحياة الاقتصادية للامارة ، اثناء دراستنا للحيــاة السياسية بها ، الا ان ذلك القليل يعطينا صورة لا بأس بها توضــح ذلك الجانب من بحثنا هــذا .

والواقع أن غالبية اهل الرهــا كانوا زراعــا وتجارا الى جــانب بعض الرعاه (١٤٣)،حيث كان يوجد بالامارة بعض المراعى والغابات(١٤٤). ومن اهم ثروات المراعى الخيول الممتازة (١٤٥) ، ومن اهم اشجار الغابات شجر البلوط (١٤٦) .

اما الصناعــة : فلم نعثر الا على اشــارة واحــدة وسط كتابــه وليم الصورى تدل على أنه وجــدت بالرهــا صناعة الزيوت والخمور . فقــد ذكر أن من بين الاشياء التى ارسلها بلدوين البولونى للصليبيين المحاصرين لانطاكية (الزيت والخمر) من اقليم تل باشر (١٤٧) .

ولمــا كانت الزراعة والتجارة هما ابرز معالم الحيــاة الاقتصــادية للامارة لذا سنحاول تركيز كلامنا عليهما .

الزراعــة :

كانت امــارة الرهــا من اهم المنــاطق الزراعيــة الغنيــة فى اقليم

---

(١٤٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 211.

(١٤٣) Haytonus : Flos Historiarum Terre Orientis : Op. Cit., p.p. 270 - 271, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.

(١٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 212.

(١٤٥) William : Ibid., V. 1, p. 238.

فقد ذكر وليم الصورى ان من بين ما ارسله بلدوين البولونى من الرهــا للصليبيين المحاصرين لانطاكية الخيول الممتازة .

(١٤٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 497, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 487.

(١٤٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 238

الجزيرة (١٤٨)، الذى اشتهر دائما بخصوبة ارضه ووفرة حاصلاته(١٤٩) ويرجع ذلك الى توافر مياه الرى سواء عن طريق الأنهار او الينابيع الجوفية والامطار (١٥٠) . ومن اهم الحاصلات الزراعية لامارة الرها الشعير والقمح (١٥١) وقد اشتهرت تل باشر بقمحها بالذات (١٥٢) .

كذلك اشتهرت الامارة بحدائقها الغنية (١٥٣) . وكانت الرها بالذات مشهورة بكرومها الوفيرة (١٥٤) ، وورودها الجميلة العطرة (١٥٥) . اما

---

(١٤٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 456, Michaud : Op .Cit., V. 1, p. 75.

(١٤٩) Nersès : Op. Cit., p. 241 - 242, Fulcherii : Op. Cit., p. 337, Alberti : Op. Cit., Liber IV. p. 393, William : Op. Cit., V. 2, p. 212.

(١٥٠) Mattieu : Op. Cit., p. 48, Nersès : Op. Cit., p. 241.

يقول نيرسيس على لسان الرها :

انبثقت من احشائى مياه حية

وكانت مياه البحر تمتد بين اسوارى

ويعلق دولوربيه على ذلك بقوله أن الشاعر يرمز بلفظ البحر الى نهر سيرتوس او ديسان الذى كان يمر بالمدينة . وفى الربيع تتكاثر مياهه لذوبان الثلوج على جبال طوروس فتكون بحيرة بين الهضبتين المحيطتين بالمدينة .

(١٥١) Mattieu : Op. Cit, p. 49, William : Op. Cit., V. 1, p. 238.

(١٥٢) William : Ibid., V. 1, p. 238, Zoé : Op. Cit., p. 295.

(١٥٣) Nersès : Op. Cit., p. 241, William : Op. Cit., V. 1, p. 193, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 219, Cahen : Op. Cit., p. 113.

ويضيف المرجع الأخير ان كثرة الحدائق المحيطة بالرها جعلتها تظهر ضاحكة باسمة جدا

(١٥٤) Mattieu : Op. Cit., p. 48, Alberti : Op. Cit., Liber III . T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

وهنا يظهر البرت وفرة تلك الكروم بقوله « ان اهالى الرها كانوا يقدمون لبلك حاكم سميساط ضرائب بيزنطية من محاصيل واعناب » ويظهر وليم الصورى نفس المعنى بقوله . « أن ثوروس الأرمنى ظلم الأهالى وكان اذا قاومه احد اثار الأتراك ضده فيصبح ذلك الشخص التعيس خائفا ليس فقط ان كرومه وحدائقه ومحاصيله النامية تقطع وقطعانه تسلب بل كان يخشى على حياته ايضا » .

(١٥٥) Nersès : Op. Cit., p. 241.

يذكر نيرسس ان حدائقها كانت مليئة بالنرجس والزعفران والورد والبنفسج .

تل باشر فكانت اشهر فواكهها الخوخ والبرقوق (١٥٦) .

على انه كانت للنواحي الطبيعية الخاصة بالفيضانات المدمرة او قلة الأمطار او البرودة القارسة اثرها على الزراعة في الرها الى جانب الاثر الواضح الذي تركته الحملات العسكرية المتتالية وما ترتب عليها من آثار مدمرة حلت بالأرض الزراعية وما عليها من محاصيل شتى . ومن امثلة ذلك انه حدث في بداية قيام الامارة تقريبا او على وجه التحديد ١٠٩٩م (٤٩٣هـ) ان الامطار لم تسقط في اي جزء من اجزاء الامارة مما تسبب عنه جفاف الأرض وتدمير الأشجار والكروم وبالتالي ، سبب الجدب فناء كبيرا بين اهالي الرها (١٥٧) . ويرجع متى الرهاوى تلك المجاعة الى الغضب الالهي الذي انتقم لموت الامير ثوروس بطريقة غير عادلة ، بعد ان نقض الاهالي اليمين الذي اقسموه على الصليب والانجيل للمحافظة على حياته ، ثم قتلوه (١٥٨) .

وفي العام التالي ١١٠٠م (٤٩٤هـ) عاد الرخاء مرة اخرى فتضاعف انتاج القمح والشعير وحملت الأشجار الفواكه وفاضت ينابيع المياه بمياهها ووصل الناس والحيوانات الى درجة الشبع من كل شيء (١٥٩) . واستمرت الاحوال على هذا المنوال حتى ١١٠٣م (٤٩٧هـ) عندما اصيبت البلاد بفيضان مدمر مصحوبا بأمطار شديدة على شكل سيول ممزوجة بالبرد ، فدمر جزءا كبيرا من الاراضي وسقط عدد من المنازل ونفقت حيوانات كثيرة (١٦٠) .

وفي ١١١٠م (٥٠٤هـ) عندما قام مودود بحملته على الرها كان القرار ، الذي اتخذه اولى الأمر من الصليبيين انذاك - تاثيره البالغ الخطورة على الناحية الزراعية . فقد قرروا اخلاء الجزء الشرقي من الامارة الأكثر

---

(١٥٦) Cahen Op. Cit., p. 116.

(١٥٧) Mattieu : Op. Cit., p. 48.

(١٥٨) Mattieu : Ibid., p.p. 48 - 49.

(١٥٩) Mattieu : Ibid., p. 49.

(١٦٠) Mattieu : Ibid., p.p. 68 - 69.

تعرضـــا للخطر من ســكانه الفلاحين (١٦١) . وظنوا ان فى تلك الخطوة سلامة أولئك السكان الارمن والسريان ، لكن حدث عكس ما كانوا يظنون . فقــد دمــر الاتراك الـريف باكملــه (١٦٢) . واتلفوا كــل الحــدائق المحيطة ببرهـــا (١٦٣) حتى انه ليس من المبالغة القول بأن هــذا الاقليم الغنى الخصيب تحول فى يوم واحــد الى أرض مجدبــة خاليــة من كل شيء (١٦٤) وبالأضــافة الى ذلك فقــد قتلت غالبية أولئك الســكان الفلاحين فى ذلك الجزء بسهولة اثناء محاولتهم عبور نهر الفرات الى الضفة الغربية (١٦٥) ـ كما أشرنا ـ وبذلك كان احملــه مودود هــذه اثرهـــا المدمر على الناحية الاقتصـــادية كما كان لها ايضـــا أثرها البالغ الخطورة على الناحية الســكانية .

وفى ١١١٣م (٥٠٧هـ) اصيبت اراضى الرهـــا بمجاعة قاسية نتيجـــة الطقس البارد الذى دمر المحاصيل الزراعية (١٦٦) . هــذا الى جــانب قلة المشتغلين بالزراعة فى ذلك الجــانب الشرقى من الامارة بعد مذابح ١١١٠م ، فضلا عن تخوف بقيـــة الزراع فى ذلك الجزء من مزاولة اعمالهم حتى لا يتعرضـــوا لاعتداءات الأتراك المتكررة على هــذا الجزء المكشوف المعرض للخطر (١٦٧) .

---

(١٦١) Mattieu : Ibid., p. 99, Grousset : L'Empire, p.p. 298-299, Hist. des Crois., V. 1, p. 456, Zoé : Op. Cit., p. 243, Cahen : Op. Cit., p. 258.

(١٦٢) J. Prawer : Op. Cit., p. 289, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(١٦٣) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

(١٦٤) Zoé : Op. Cit., p. 243.

(١٦٥) Mattieu : Op. Cit., p.p. 93 - 94, Fulcherii : Op. Cit.. T. 3 p.p. 421 - 422, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455, L'Epopée, p. 89, L'Empire, p. 299, Cahen : Op. Cit., p. 258, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399, Zoé : Op. Cit .p,. 243.

(١٦٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 407.

حتى اضطر الناس الى اكل الخبز المصنوع من الشعير والــذى كان يخلط احيانا بثمار البلوط .

(١٦٧) William : Ibid., V. 1, p. 407.

وبينما كان الجزء الشرقى من الامارة تحت سيطرة بلدوين دى بورج يعانى من الجـدب والمجاعة كان الجـزء الغربى المحمى بنهر الفرات ينعم برخـاء وازدهـار فى كافـة النواحى ، والمثل فى تل باشر وضواحيها تحت نفوذ جوسـلين دى كورتنـاى (١٦٨) . وقـد ترتب على هـذا الوضـع الشـائك ــ كما بينا من قبل ــ قيام الجفوة الكبيرة بين بلدوين وجوسـلين وطرد الأول للأخير من الامارة واستيلائه على ممتلكاته الغنية التى ازالت الخطر الاقتصـادى الجاثم فى ذلك الوقت .

والراجح ان الاوضـاع الزراعية فى شطرى الامارة ظلت على هـذا النهج فى غالبية الاحيان لأن الجزء الشرقى ظل أكثر تعرضـا باستمرار للغزوات التركيـة الاسلامية . فمثلا حـدث ١١١٩م (٥١٣هـ) عنـدما غزا ايلغـازى بن ارتق الرهـا أن احرق محاصيلها (١٦٩) . اما حملته ١١٢٠م (٥١٤هـ) فقـد نتج عنها تخريب الريف حول الرهـا (١٧٠) .

التجـارة :

اشتغل جزء كبير من سـكان الرهـا بالتجارة (١٧١) . ذلك ان امارة الرهـا تمتعت بموقع جغرافى جعلها تسيطر على اهم الطرق التى تصـل ما بين النهرين بالسـاحل (١٧٢) . هـذا الى أن مدينة الرهـا تقع على احـد الطرق التجارية المظيمة التى تصـل جبال ارمينيا شمالا ببادية الشام جنوبا (١٧٣) . اما سروج فكانت تقع على طريق القوافل من حران والرهـا الى جسر منبج (١٧٤) .

---

(١٦٨) William : Ibid., V. 1, p.p. 497-498, Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois., V. 1, p. 487, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 402.

(١٦٩) Michel : Op. Cit., p. 205, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 249.

(١٧٠) Mattieu : Op. Cit., p. 128.

(١٧١) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 446, Archer : Op. Cit., p. 202.

(١٧٢) Edward Maslin Hulme : The Middle Ages, p. 478.

(١٧٣) Burkitt : Op. Cit., p. 7.

(١٧٤) Le Strange : Op. Cit., p. 108.

وهنا يعطينا (دوسو) بعض الأمثلة للطرق التجارية فى تلك الامارة منها الطريق من مرعش الى الرهـا ، والطريق من دلوك عبر صـحراء الشـام والذى يمر بحلب ، والطريق من سميساط الى الرقـة على طول الفرات ، فضـلا عن الطرق من تورس الى حلب (١٧٥) .

والواقع أن الأهمية التجارية للرهـا هى التى جعلت تنكريد يتمسك بها حتى ١١٠٨م (٥٠٢هـ) دون المسـاهمة فى اطلاق سراح أميرها بلدوين دى بورج لأنه فضـل أن يحتفظ لنفسـه بايرادات الاقليم (١٧٦) . ذلك أن وقوع الرهـا على مفترق الطرق بين الشـام وانطاكيـة من ناحيـة والعراق وفارس من ناحية اخرى جعلها مركز نشـاط تجارى واسع . وكانت عائدات الرهـا وحدها من الرسوم الخاصـة بمرور التجارة تصل الى اربعين الف بيزانت ، هـذا خلاف المتحصلات الأخرى التى تحصل من اماكن اخرى مثل سميساط وتل باشر وعينتاب (١٧٧) .

كذلك يقال أن من بين العوامل التى دفعت زنكى الى ايقاف الذابـح والنهب فى الرها بعد فتحه لها ١١٤٤م هو رغبته فى المحافظة على الازدهار التجـارى فيهـا (١٧٨) .

كنيسـة الرهـا والحيـاة الدينية فيها :

قبل ان نتناول بالبحث الحيـاة الدينية لامارة الرهـا ومـدى تأثرها بالحيـاة السياسية فى الامـارة ، يجدر بنا ان نأخـذ فكرة عن الطوائف المسيحية فى الرهـا واهم الكنائس التى تتبعها كل طائفة . هـذا مـع الاشـارة الى أهم الكنائس التى شيدت فى الرهـا ومـا بقى منها حتى الفترة الصـليبية للامارة .

والواقـع ان الرهـا تعتبر من المراكز الأولى للمسيحية (١٧٩) منذ ان تلقى اهلها تعـاليمها على يـد (آديـا) رسـول المسيح الى ملكهم

---

(١٧٥) Dussaud : Topographie de la Syrie, p.p. 477-470

(١٧٦) Zoé : Op. Cit., p. 215.

(١٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 409.

(١٧٨) Grousset : L'Epopée, p. 163.

(١٧٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤
William : Op. Cit., V. 2, p. 158,

أبجر (١٨٠) . ومنذ أواخر النصف الأول من القرن السادس الميلادى ٥٤٢م أسس الراهب يعقوب البرادعى المذهب اليعقوبى بالرها (١٨١) . والكنيسة اليعقوبية هى أحدى فروع الكنيسة السريانية الشرقية (١٨٢) . ويؤمن اليعاقبة بالطبيعة الواحدة للمسيح ويتكلمون العربية (١٨٣) .

وقد ظلت الكنيسة اليعقوبية هى السائدة فى الرها الى ان انضمت اليها الكنيسة الجريجورية الأرمينية (١٨٤) ، التى كان يراسها الكاثوليكوس Catholicos (١٨٥) .

---

(١٨٠) Gesta Francorum : Iherusalem Expugnantium . T. 3, p. 543, Duval : Op. Cit., p. 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 28, Dictionnaire D'Archeologie... T. 4, Part 2, p. 2082.

(١٨١) R. Aubert : Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastique .. T. 14, p.p. 1424-1425.

وهو يضيف هنا أن يعقوب رسم أسقفا سرا بوأسطة تيودور بطريرك الاسكندرية بمساعدة اثنين آخرين من الأساقفة المونوفيزتيين . وعندئذ أصبح له السلطة على سوريا وما بين النهرين وآسيا الصغرى لكن يعقوب لم يستقر فى الرها بل قضى حياته فى الوعظ فى سوريا وما بين النهرين وقيلية وكباد وكيا وأسس فى كل مكان جاليات مونوفيزيتية .

(١٨٢) R. Aubert : Ibid., p. 1425, Grousset : L'Empire, p. 311.

(١٨٣) Grousset : L'Empire, p. 311.

(١٨٤) Grousset : Ibid., p. 311.

(١٨٥) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 151.

تولى القديس جريجوار كرسى البطركية الأرمينية فى القرن الرابع الميلادى اى فى بداية عهد الكنيسة الارمينية ، ثم تولاه بعده أولاده وأعقابه من بعده وكلهم من فرع الأسرة الارسكيدية Arsacides

وهنا يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١٦ ص ٣٩٠ « ان قلعة الروم كانت مقر بطرك الأرمن خليفة المسيح عندهم ويسمونه بالأرمينية كتاغيكوس » .

كانت اهم الأعياد الارمينية :

عيد الفصح	Pâques.
عيد الغطاس	Epiphanie.
عيد التجلى	Transfiguration.
عيد صعود العذراء	Assomption.
عيد ارتفاع الصليب المقدس	Exaltation de la Saint Croix.
عيد الخمسين أو الحصاد	Pentecote.

(Mattieu : Op. Cit., p. 100-101, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152).

لكن يبدو أنه رغمّ أن الرهـا كان يتولى فيها مطارنة يعاقبـة حتى ١١٩٩م الا انهـم لـم يلعبـوا دورا مهمـا فى سـلم الكهنوت اليعقوبى Hierarchie Jacobite (١٨٦) .

كنـائس الرهـا :

ثم ان الرهـا اشتهرت بكنائسها التى يزيـد عـددها على ثلثمائـة كنيسـة (١٨٧) . وكانت اشهر تلك الكنائس واقدمها : الكنيسة القديمة أو الكندرائية التى بناها (آديا) من المـال الذى وضعه الملك أبجر تحت تصرفه (١٨٨) . وقـد ظلت تلك الكنيسـة وحيدة بالرهـا حوالى ثلاثة قرون تقريبـا (١٨٩) ، واصيبت بعـدة تخريبـات بسبب الفيضانات والزلازل مابين بدايـة القرن الثالث وبداية القرن الثامن الميلادى . ولكن فى كل مرة كان يعاد تجديدها (١٩٠) . وقـد وصفت تلك الكنيسـة بانها

---

(١٨٦) R. Aubert : Op. Cit., T. 14, p. 1428.

وهـذا المرجـع يعطينا حصرا لأسـاقفة الرهـا اليعاقبة فى فترة امارة الرهـا الصـليبية وهم :

عزل ١١٠١م Basile (Bar Sabhûni).

١١٠١ — ١١٣٠م Ignace (Bar Gadhins).

١١٣٠ — ١١٣٧م Athanase.

١١٣٧ — ١١٦٦م Basile.

(١٨٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤ ، القرمانى : اخبار الدول وآثار الأول ص ٤٥١

Le Strange : Op. Cit., p. 108, Encyclopaedia Britannica : V. 7, p. 954, Encyclopaedia of Islam : V. 3, Part. 2, p. 997.

(١٨٨) Duval : Op. Cit., p. 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 38 .

(١٨٩) ففى ٣٤٦م شيدت كنيسـة المقربين

L'Eglise des Confesseurs

(Duval : Op. Cit., p. 17, 189, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, Part 2, p.p. 2064 - 2090).

(١٩٠) Duval : Op. Cit., p. 15-16, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, Part 2, p. 2068.

فقـد ذكرا انه حتى الفيضـان العظيم ٢٠١م لم يكن مسـيحيو الرهـا يملكون سـوى كنيسـة واحدة تعرف بالكنيسـة القديمة خربها ذلك الفيضان =

« احــدى عجائب الدنيا (١٩١) » . وقيل ان الروم اشــاروا اليها بقولهم « ما من بناء بالحجــارة ابهى من كنيسة الرها (١٩٢) » . اما ابن حوقل فيصفها بأنها « ليس للنصرانيــة اعظم ولا ابدع صنعة منها (١٩٣) » .

والى جــانب الكنيســة العظمى بنى بالرهــا عدد كبير من الكنائس الأخرى كان أهمها فى داخل الرهــا : كنيســة القديس دانيال (١٩٤) . كنيسة القديس بارلاها (١٩٥) ، كنيســة القديس اتيان (١٩٦) ، كنيسة الرســل (١٩٧) ، كنيســة حنــا المعمــدان (١٩٨) ، كنيسة القديس

=
ثم اصابها نفس الكارثة فى فيضــان ٣٠٢م ثم اعيد بناؤها ٣١٣م بواسطة كوانا اسقف الرهــا وخليفة سعد . وبعد فيضان ٥٢٥م الذى قلب الكنيسة اعيد بناؤها بواسطة جستنيان ببذخ كبير .-وقلبت الكنيســة مرة اخرى نتيجة لهزة ارضية ٦٧٩م ومرة اخرى ٧١٨م .

(١٩١) Duval : Op. Cit., p .16, Dictionnaire D'Archéologie... p. 2063,

المقــدس : احسن التقاسيم ، ص ١٤١ (يذكر انها كانت بازاج ملبســة بالفسيفساء) .

(١٩٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٦١ .

(١٩٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤ .

(١٩٤) Saint Daniel شيدت بواسطة الأسقف Vologèse او Eulogius ٣٧٩م.

(Duval : Op. Cit., p. 16, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091)

(١٩٥) كنيســة القديس Barlâhâ شيدت بواسطة ديوجين اسقف الرهــا ٤٠٩م

(Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091).

(١٩٦) Saint Etienne التى كانت من قبل معبدا يهوديا ثم اصبحت كنيســة بواسطة رابولا اسقف الرهــا ٤٢١م

(Duval : p. 16, 170, Diction. D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091)

(١٩٧) L'Eglise des Apôtres شيدت بواسطة Hibha اسقف الرها ٤٣٥م .

(Duval : p. 17, 175. Diction. D'Arch., T. 4, p.p. 2064, 2092)

(١٩٨) Saint-Jean Baptiste شيدت بواسطة نونوس اسقف الرهــا ٤٥٧ — ٤٧١م

(Duval : p.17, 176, Diction. d'Arch., T. 4, p.p. 2064, 2092)

آديا (١٩٩) ، كنيسة القديس كوانا (٢٠٠) ، كنيسة مارى أم المسيح (٢٠١) . هذا الى جانب كنائس أخرى خارج المدينة (٢٠٢) .

وكان من اشهر الكنائس التى بنيت فى الرها فى العصر البيزنطى ثلاث كنائس ابرزها كنيسة سانت صوفيا أو القديسة صوفيا (٢٠٣) . ولم تقتصر الكنائس فى امارة الرها على مدينة الرها فقط بل تعددت فى بقية مدنها وكان من اهمها كنيسة قورس التى اعتبرت أيضا من عجائب الدنيا (٢٠٤) .

واذا كانت كنائس الرها قد لاقت رعاية فى العصر الأموى (٢٠٥) ،

---

(١٩٩) Saint Addée (Duval : p. 17, Diction.: Ibid., p. 2064).

(٢٠٠) Mar Cônâ (Duval : p. 17, Dict. Ibid., p. 2064)

(٢٠١) La Mère de Dieu بنيت مكان المدرسة الفارسية ٤٨٩م .
(Duval : p. 17, Dict. : Ibid., p. 2064, 2093).

(٢٠٢) خارج المدينة :

كنيسة القديس كوسماس	Saint - Cosmas.
كنيسة القديس داميان	„ Damien.
كنيسة القديس سيرج	„ Serge.
كنيسة القديس سيمون	„ Siméon.

(Duval : p. 17, Diction : Ibid., p. 2064).

وفى غرب الرها وجنوبها الغربى على الجبل كانت توجد كنيسة المقربين وكنيسة الرهبان القديمة
(Duval : p. 17, Diction : Ibid., p. 2064).

(٢٠٣) يذكر نبرسيس أن البيزنطيين لما حكموا الرها بنوا بها هيكلا على اسم هيكلهم أيا صوفيا (Nerses : Op. Cit., p. 229) اما متى الرهاوى فيسميها Saint Sophie
(Mattieu : Op. Cit., p. 81)
أما الكنيستين الأخرتين فهما كنيسة Mar Theodoros, Mère de Dieu وقد بناهما الأسقف مارد يونيسيوس .(Michel : Op. Cit., p. 280)

(٢٠٤) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، حـ ١ ق ١ ص ٣١ .

(٢٠٥) لما هدم جزء من كنيسة الرها بعد زلزال ٦٧٩م اعاد معاوية الأول بناءه .
(Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954).

أما عبد الملك بن مروان فقد بنى بالرها كنيسة للتعميد
(Bar Hebraeus : V. 1, p. 105)

فان أول الخلفاء العباسيين لم يحترم قدسيتها بل أصيبت المدينة نفسها بالتخريب فى عهده (٢٠٦) . وعندما استولى البيزنطيون على الرها ١٠٣١م هرب منها العرب والمسيحيون الموجودون بها بعد ان اشعلوا النار فى المنازل والكنائس . لأن مسيحي الرها كانوا يفضلون الحكم العربى على الحكم البيزنطى . وظلت المدينة مهجورة حتى حكمها بيزنطى تقى عين عليها المطران دينسيوس فاعاد ازدهارها وبنى بها كنيستين (٢٠٧) .

وبعد استيلاء الصليبيين على بلاد الشام ، أنشأوا كرسيين بطركيين لاتينيين بها هما بطريركية انطاكية وبطريركية القدس . وكان يتبع انطاكية عدة كراسى مطرانية أهمها الرها وعدة اسقفيات منها قورس ومرعش(٢٠٨) . وهكذا أصبحت الرها فى الفترة الصليبية تضم ثلاثة كنائس هى : الكنيسة اليعقوبية والكنيسة الارمينية وهما شرقيتان والكنيسة اللاتينية الغربية .

ووجدت فى الرها فى الفترة الصليبية حوالى ثمان كنائس رمم بعضها بواسطة الفرنج وخصصت ثلاثة منها للشعائر اللاتينية (٢٠٩) .

---

(٢٠٦) Michel : Op. Cit., p. 279.

(٢٠٧) Bar Hebraeus :Op. Cit., V. 1, p. 280.

(٢٠٨) Michel : Op. Cit. p. 191.

كانت أهم الكراسى المطرانية التابعة لانطاكية طرسوس والمصيصة والرها ودلوك وافامية . اما أهم الأسقفيات فكانت طرابلس ، اللاذقية ، جبلة قورس ، مرعش ، وجارم .

(٢٠٩) Cahen : Op. Cit., p.p. 112 — 113.

اهم الكنائس فى الرها فى الفترة الصليبية هى :

١ — كنيسة القديس حنا Saint-Jean وهى كتدرائية لاتينية رممت بواسطة الفرنج

٢ — كنيسة القديسة صوفيا Saint-Sophie وهى كتدرائية بيزنطية .

٣ — كنيسة المقربين Confesseurs

٤ — كنيسة القديس توما ، ذات شعائر لاتينية

٥ — كنيسة القديس ايتان ، ذات شعائر لاتينية

٦ — كنيسة القديس تيودور (وهى التى اختبأ فيها حوالى ثمانين من الأرمن امام تنكيل أمير سروج ١١١٣م .

(Mattieu : Op. Cit., p. 105

٧ — كنيسة الرسل (بطرس وبولس) .

٨ — كنيسة الأربعين شهيد .

ولتسهيل دراســة الاحوال الكنسية والدينية فى امارة الرها سنتناولها وفقا لفترة حكم الأمراء الصــليبيين المختلفين لتلك الامارة لنتبين من خلالها مــدى تأثر الحيــاة الدينية بالحياة السياسية .

ذلك انه عند وصول بلدوين البولونى الى الرهــا خرج رجال الدين لاستقباله مع حاكم المدينـة وبقية الاهــالى فى صورة مشرفة جدا وترحيب زائد (٢١٠) . والواقــع ان الترحيب البالغ الذى لاقاه اللاتين من الأرمن بالذات يشير الى انه لم يكن هناك فاصل كبير بين الأرمن واللاتين كما كان الحال بين الأرمن والبيزنطيين (٢١١) . وعلى ذلك فبعد ان استقر بلدوين فى حكم الرهــا لم يكن هناك اى نوع من الاضطهاد الدينى الذى قاسى منه الأرمن بالذات على يد البيزنطيين ، بل ساد عهده التسامح الدينى (٢١٢) . وهكذا بدأت امارة الرها الصليبية عهدها فى سلام مع الأرمن الجريجوريين والسريان اليعاقبــة واليونان الأرثوذكس (٢١٣) .

اما فى عهد بلدوين دى بورج ، فكان لرجال الدين اللاتين دورهم البارز فى حركة التوســع الصليبى الرهوى ، كذلك ظهر فى ذلك العهد التحالف الواضــح بين الأمير بلدوين والكنيســة الارمينيــة ، وعلى عكس ذلك تام الخلاف فى الكنيسـة اليعقوبية .

ففى بداية ١١٠١م (٤٩٤هـ) وعند استيلاء بلدوين دى بورج على سروج قام الأسقف اللاتينى بندكت أو بابيوس بنور بارز فى قيــادة الدفاع الفرنجى فى قلعة المدينــة (٢١٤) ، حتى استطاع بلدوين احضــار النجدة واستولى على القلعة (٢١٥) .

وفى نفس الســنة ١١٠١م بدأ الخــلاف بين المطــران بارســـابونى Bar cabouni وبين البطريرك الذى عينه مار أثناسيوس السابع ، فقــد طلب البطريرك من المطران رد جميع الكتب المقدســة التى كانت مرصعة بالذهب والفضــة الى الخزانة البطريركيــة ، والتى كان احــد الثوار قــد استولى عليها . وبالفعل وعــد المطران بردها ، ولكن يبدو

(٢١٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.
(٢١١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55.
(٢١٢) Grousset : Ibid , V., 1, p. 67.
(٢١٣) Zoé : Op. Cit., p. 231.
(٢١٤) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 870 . (L'Anonyme)
(٢١٥) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Grousset · Op. Cit., V. 2, p. 870.

انه بعد حصولـــه عليهـــا رفض ارجاعها الى البطريرك ، وذكر ان اعيان الرهـــا يعارضون فى ردها . وعندئذ احتج البطريرك واشترط عليه اما ارجاعها او اصدار قرار الحرمان ضده (٢١٦) فانقسم اهـــالى الرهـــا الى قسمين ، الأول أيد البطريرك والثانى عاضد المطران (٢١٧) . وكان أن حاول بلدوين دى بورج عقـــد الصلح بينهما ولكن دون جدوى (٢١٨) . بل ان محـــاولة مطران ملطية فى هـــذا المجـــال ادت الى عزل البطريرك له من منصبه (٢١٩) .

ثم فكر مطران الرهـــا فى الاستعانـــة بالبطريرك اللاتينى لأنطاكيـــة برنادى دى فالنس (١١٠١ ـــ ١١٣٥م) فدعا الأخير البطريرك أثناسيوس أمام محكمة فى قلعة القديس بطرس فى أنطاكية . ويقال أن فرنج انطاكية توسلوا اليه أن يعفو عن سابونى ولكنه رفض رفضا باتا وفضل الاستشهاد على تنفيذ ذلك الطلب . وعندما حـــاول بعض الفرنـــج الأعتـــداء على البطريرك بالضـــرب تصـــدى لهم بعض الأســـاقفة ومنعوهم ووبخوهم . ثم صمم برنارد دى فالنس على حبس البطريرك حتى يجمع مجمعا دينيـــا يعقوبيا لبحث دعوى بارمسابونى (٢٢٠) . ولكن عندما علم أمير انطاكية روجر بذلك احتج على ســـلوك البطريرك اللاتينى وقال له « أنه ليس لديك اى سلطان عليهم » ثم سمح الأمير للبطريرك اليعقوبى بمغادرة أنطاكيـــة محملا بالهدايا (٢٢١) .

واذا كان البطريرك اليعقوبى قـــد توجه بعد ذلك الى آمد واستقر فى احـــد اديرتها ، الا ان ذلك لم يضـــع نهاية لذلك الموضوع ، لأنه أصـــدر من هناك قرار الحرمان ضـــد كنيســـة الرهـــا اليعقوبية « حتى انه أمر بايقاف اجراسها (٢٢٢) » . وعندئذ انتشر الاضطراب الدينى فى الرهـــا فثار بعض رجال الدين بعضهم ضـــد البعض الآخر ووصـــل الاضطراب

---

(٢١٦) Michel : Op. Cit., p.p. 193-194.
(٢١٧) Michel : Ibid., p. 194.
(٢١٨) Michel : Ibid., p. 197, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 514, Zoé : Op. Cit., p. 231.
(٢١٩) Michel : Op. Cit., p. 197.
(٢٢٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 515.
(٢٢١) Grousset : Ibid, p. 515.
(٢٢٢) Michel : Op. Cit., p. 212.

الى حد أن بعض أهالى الرهـا تصروا أطفالهم فى كنائس اللاتين (٢٢٣) .

وفى ١١٠٢م حـدث اضطراب دينى كبير فى بلاد الشـام وقيليقيـة وامتـد الى الرهـا ، وهو ما صوره متى الرهاوى بصورة مسهبة ، عندما ذكر أن ذلك الاضطراب قام فى البداية بسبب عدم دقة البيزنطيين والفرنـج فى تحديد عيد القيامة فى تلك السنة (٢٢٤) . وكان أن قامت فى ذلك الوقت مجادلات عديدة بين البيزنطيين والأرمن بسبب ذلك الخلاف . أما الفرنج فلم يكن لديهم أى اهتمام بمناواة الأرمن فى تلك النقطـة . وكان أن دخل اهـالى أنطاكية وقيليقية والرهـا فى مناقشـات لا تنتهى حول ذلك الوضوع لأن البيزنطيين حاولوا فرض ذلك التقويم على الأرمن . واضطر السريان فى الرهـا الى الأنضمام عن خوف الى جـانب البيزنطيين وتخـلوا عن التحالف الذى كانوا قـد عقدوه مع الأرمن (٢٢٥) .

وكان البيزنطيون قـد وقعوا فى نفس الخطأ عندما لم تشعل أنوار كنيسـة القبر المقـدس ، فى تلك المناسبة وتعرض حجاج بيت المقـدس للمذابح من جـانب المسلمين ، وهو ما حـدث فى عهد الامبراطور باسيل حـوالى ١٠٠٦م (٣٩٧هـ) . وعندما تكرر نفس الخطـأ فى تلك السنة ١١٠٢م ، حـذر رجـال الـدين فى الرهـا الـرئيس الأعلـى للأرمن Le Catholicos Grégoire ، ولكنه رد عليهم بخطاب طويل كتبه بخط يده وحثهم فيه على الثبات على العقيدة الأرثوذكسية (٢٢٦) .

---

(٢٢٣) Michel : Ibid, p.p. 212-213, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 515-516.

(٢٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 62.

نقـد حـدد الفرنـج والبيزنطيون عيـد الفصـح بيوم السبت الموافق ٥ ابريل ، بينما حـدده الأرمن والسريان والعبريون بيوم الأحـد الموافق ٦ أبريل وهو يوم أحـد السعف .

(٢٢٥) Mattieu : Op. Cit., p. 63.

(٢٢٦) Mattieu : Ibid., p.p. 63 — 67.

صورة مصغرة للخطـاب :

« الى الأصـدقاء الحقيقيين للمسـيح .. الى القسس ، الى كل العظماء والى كل المخلصين السـلام .

لقـد قرأت خطابكم الذى يتفجر بالحب الالهى . ولقـد فهمت تماما كل ما يحويه من ملاحظـات . واننى احثكم واشجعكم واعلمكم الصبر . وسـأصحبكم حتى الموت فى كل المناسبات ، فى كل أنواع التعذيب ، لن

=

وعلدمـــا تلقوا الخطـــاب اصبحوا أكثر تمســـكا عن ذى قبـل بالمـذهب الارثوذكس . ويذكر متى الرهاوى أنه حـــدث فى عيد الفصـــح أن أضـــاء اعالى القـــدس انوار كنيســـة القبر المقدس عن طريق التحايل واستخدموا لاضـــاءة تلك الانوار الالهية نارا سرية . لكن تلك الاضـواء اثيرت بالضبط فى عيد الفصـــح الارمنى ، كما شـــاهد كل المسيحيين الموجودين بالقـــدس . عندئذ اعترى البيزنطيون الخجل للاحتفال بذلك العيد يوم أحد السعف(٢٢٧)

وفى ١١٠٣م قويت الروابط الودية بين بلدوين دى بورج من ناحية وبين الكنيســـة الارمينية عندما استقبل الامير ، الرئيس الدينى الاعلى للارمن الجريجوريين ، باسيل الذى قـــدم الى الرهـــا مصحوبا باتباعه من النبلاء والاساقفة والقســـاوسة ، فتلقاه بلدوين بحفاوة بالغـــة وقـــدم له العديد من القرى وغمره بالهدايا واظهر له ودا كبيرا (٢٢٨) .

وفى العـــام التالى عندما قامت معركة حران الســـابقة الذكر كـــان لرجال الدين اللاتين دورهم فيها ايضـــا سواء من الرهـــا أو من بقيـــة الامارات اللاتينية الاخرى ، اذ شـــارك فى تلك المعركة . برنارد بطريرك انطاكية وديامبرت بطريرك القـــدس الذى كان لاجئا فى انطاكيـــة حينئذ . وبندكت رئيس اســـاقفة الرهـــا اللاتين (٢٢٩) . وقـــد أسر بندكت فى تلك الموقعـــة (٢٣٠) . ورغـــم استنجـــاده فى أسره بتنكريـــد فانـــه

=

ابتعد عن وظيفتى ولن انكر واجباتى . واننى مستعد أن اعطى حلا لكل نقطة فى كل ما مـــا استفسر عنه . اما انتم فلا تهنوا ولا تيأسوا ، لأن الله يؤيدنا اذا صبرنا . وسنحارب نحن بقـــدر استطاعتنا كجنود المســـيح الشجعان من أجل الحقيقة . نحن شـــاهدون على أننا لم نرتكب أى خطأ ولم نفســـد أى عقيدة اذا تضـــامنتم مـــع مواعظى وعقيدتى فســـاكون الضـــامن لكم أمام السيد المسيح . أما من يرغب فى المجـــد الدينوى بدلا من المجـــد الالهى ، فسيوضـــع فى صفوف هؤلاء الذين لا يعترفون بالسيد المسيح كاله . وسيطرد من جماعتنا ويحرم من بركتنا . بعكس من يؤمن معنا بالله فسيحصل على السعادة الابدية ... آمين » .

(٢٢٧) Mattieu : Ibid., p. 67.

(٢٢٨) Mattieu : Ibid., p. 70-71, Grousset : L'Empire, p. 298, F. Charles-Roux : France et Chrétiens d'Orient, p. 21.

(٢٢٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 456.

(٢٣٠) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IX... T.4,p.615, Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 710, Willlam: Op. Cit., V. 1, p. 459.

لم ينجده (٢٣١) . ووضع الأسقف فى رعاية أحد المسيحيين المرتدين فلما اكتشف شخصيته تحركت فى نفسه شفقة الحب وسمح له بالهرب دون أن يلحقه اى اذى . وعاد بندكت الى الرها حيث قوبل بالعديد من مظاهر الفرح والسرور (٢٣٢) .

وحتى نهاية عهد بلدوين دى بورج فى الرها لم نعثر على اى شىء يتصل بالناحية الدينية بعد ذلك سوى ماذكره متى الرهاوى عن التخريب الذى اصاب كنيسة سانت صوفيا ١١٠٥م نتيجة انهيار جدارها الغربى (٢٣٣) .

والواقع أن المصادر المعاصرة لامارة الرها فى تلك الفترة ركزت غالبية كتاباتها على العلاقات الرهوية التركية فضلا عن حركات التوسع الخارجية من جانب الامارة على حساب الأرمن خارجها .

أما عهد جوسلين الاول فكان يمثل فترة صراع شديد مع جيران الامارة المحيطين بها كما بينا فى باب العلاقات الخارجية ، لذا لم تبرز الناحية الدينية فى الامارة فى ذلك الوقت الا من خلال سطور قليلة .

ففى بداية عهد جوسلين يشير ميخائيل السريانى ان بطريرك الرها توجه الى تل باشر لمقابلته . « فصالحه جوسلين هو وكل الاساقفة واعاد كل الزخارف وأوانى الزيت المقدس التى كان قد استولى عليها اثناء غضبه من الخزانة البطريركية فى دير مار برسوما (٢٣٤) » . والراجح أنه ربما قام جوسلين باعتدائه هذا على الدير عندما طرد من الرها بواسطة بلدوين دى بورج ١١١٣م .

وحوالى ١١٢٩م استنجد البطريرك اليعقوبى مار اثناسيوس — السابق الذكر الذى كان قد رحل الى آمد — بجوسلين لأنه اصبح شيئا سجين هناك فى ذلك الوقت . فما كان من جوسلين الا ان ارسل الى أمير

---

(٢٣١) Gesta Tancredi : Op. Cit.,... T. 3, p. 710.

فقد كان بندكت يصيح على تنكريد قائلا : « تنكريد ، تنكريد تدم المعونة »

(٢٣٢) Alberti Aquensis' Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 616, Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. p. 710, William: Op. Cit., V. 1, p. 459, Grousset: Hist. des Crois., V. 1, p. 406 عن (Foucher).

(٢٣٣) Mattieu : Op. Cit., p. 81.

(٢٣٤) Michel : Op. Cit., p.p. 259 — 260.

آمـد مهددا بتخريب بـلاده اذا لم يطلق سراح البطريرك . فتم اطـلاق سراحـه بالفعل وعاد الى الرهـا ثم توجه الى دير مار برسوما حيث قضى بقية حياته (٢٣٥) .

وكان البطريرك بعـد عودته الى الرهـا قـد ظل محتفظا بموقفه من بار سـابونى ومصمما على ابقـاء قرار الحرمان ضـد كنيسة الرهـا اليعقوبية . لذا تجددت محاولات التوفيق بين الجانبين واشترك فى تلك الوسـاطات جوسـلين الأول عن طريق بعضـ فرسـانه ، لكن دون جـدوى (٢٣٦) . والراجح ان البطريرك توفى وهو متمسك بموقفـه من الكنيسـة اليعقوبية ، فى حين لم يحاول جوسلين اقحام نفسه بشـدة فى النواحى الدينيـة .

اما جوسـلين الثانى فقـد اقحم نفسـه فى الأمور الدينية وتدخل فى شئون الكنيسـة اليعقوبية فرفض الاعتراف بتعيين اثناسيوس الثـامن وعين هـو اسـقفا يعقوبيـا صـديقا لـه هو بلسـيل بارشومانـا Basile Bar Shumana (٢٣٧) . بـل أكثر من هـذا نهب جوسلين دير سـانت بارسوما الذى يقدسـه اليعاقبة (٢٣٨) . والذى ذاعت معجزاته (٢٣٩) . وقـد اعترف جوسـلين الثانى فى آخر حياته

---

(٢٣٥) Michel : Ibid., p. 228.

(٢٣٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 516.

(٢٣٧) Grousset : Ibid., V. 2, p. 176.

(٢٣٨) Grousset : Ibid., V. 2, p. 176, L'Empire, p. 300.

(٢٣٩) Bar Hebaeus : Op. Cit., V. 1, p.p. 257 — 258.

يذكر ابن العبرى : هنا احـدى معجزات ذلك القـديس بقوله « انـه فى ١١٣٤م وصـلت اسراب عظيمة من الجراد الى الرهـا ، عندئذ احضر أهـالى الرهـا التابوت الذى وضعت فيه اليد اليمنى للقديس وبوصولها حدثت المعجزة وتحرك الجراد دون أحـداث أى ضرر بالاقليم . ثم استقذ البيزنطيون المطران الفرنجى هيو ليفتح التابوت حتى يمكن لليد ان تظهر ولمـا رفض الرهبان القيام بذلك سخروا منهم قائلين أن التابوت ليس بـه شىء . فاضطر الرهبـان لفتحـه . وعندئذ قصف رعـد مفزع وملاءت السماء بالسحب المظلمة وضربت الأرض بأحجـار ثقيلة فصـاح الناس جميعا (كيرياليسون Kūryālaison) أى انزل علينا الرحمـة أيها المختـار عند الله ، وهرب البيزنطيون وأخفوا انفسهم . وعندما توقف ذلك القصف اجتمع الناس جميعا وصلوا لمـدة ثلاثة ايام » .

فى سجنه أن ماحل به من مصائب مرجعه الى آثامه بسبب موقفه من ذلك الدير المقدس (٢٤٠) .

رجال الدين والدفاع عن امارة الرها ١١٤٤م :

وكان لرجال الدين دورهم البارز فى الدفاع عن الرها ضد زنكى والقوات الاسلامية ١١٤٤م (٥٣٩هـ) . فقد تزعم الدفاع فى ذلك الوقت رؤساء الطوائف الدينية المختلفة فى الرها وعلى رأسهم هيو الثانى الاسقف اللاتينى وباسيل الأسقف اليعقوبى وحنا الأسقف الأرمنى (٢٤١) .

واثناء الحصار حاول الأسقف السريانى التوسط لدى الأسقف اللاتينى — باعتباره الممثل الأول لرجال الدين بينهم — لعقد هدنة لمدة أيام مع زنكى على أمل وصول نجدة اليهم . ولكن يبدو ان الأسقف اللاتينى رفض . ومع ذلك فقد ارسل باسيل خطابا بهذا المعنى الى زنكى الا أن أمره انكشف (٢٤٢) .

من هذا نرى ان السريان كانت لديهم نية المسالمة تجاه الأتراك ولاغرو فى ذلك فقد كان السريان فى ذلك الوقت أكثر عداءا للأرمن منهم للأتراك (٢٤٣) .

ثم يستمر سير الأحداث — كما سبق الذكر — وتسقط الرها ، وهنا تشير المصادر العربية الى رجال الدين اشارة موجزة فى قولها ان زنكى

---

(٢٤٠) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 276.

(٢٤١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880 عن (L'Anonyme)
Cahen : Op. Cit., p. 369, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338,
Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235.

هنا نجد كل من المصدر السريانى (L'Anonyme) ، برويبه يسمى الأسقف الأرمنى Ananias كذلك يذكر (L'Anonyme) هيو الثانى باسم Papias أما ميخائيل السريانى فيسميه Bafias
(Michel : Op. Cit. p. 262)

أما نيرسيس فيضيف أسقف رابع هو الأسقف الأرمنى اى البيزنطى للاساقفة الثلاثة السابقين .
(Nersès : Op. Cit., p. 259)

(٢٤٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880 عن (L'Anonyme)

(٢٤٣) Zoé : Op. Cit., p. 210.

بعد ان استولى على البلد عنوة انقاد خيوله ابادة شيوخها ورهبانها (٢٤٤) » .

اما المصادر السريانية والارمينية والمراجع الافرنجية فتشير الى مصير رجال الدين بشيء من التفصيل .

فبالنسبة للاسقف هيو الثانى فانه مات فى تلك المعركة امام قلعة المدينة التى قيل انه امر باغلاق ابوابها حتى لا يلجأ اليها احد ويشترك الجميع فى الدفاع عن المدينة . لكن تكدس الاهالى بشدة امام تلك القلعة جعل الكثيرين منهم يموتون خنقا ومن بينهم ذلك الاسقف الذى يقال ايضا ان احد الاتراك قتله فى ذلك الوقت (٢٤٥) . والراجح انه سقط من شدة الزحام فاجهز عليه احد الاتراك . وهنا يعلق وليم الصورى على وفاة الاسقف اللاتينى بقوله ، ان بعض رجال الدين اعتبروا ان هيو لقى جزاءه لشحه وتكديسه الثروة الهائلة ، دون ان يقدم بعضها من اجل الدفاع عن المدينة فجنى بذلك ثمار بخله وهلكت نقوده معه (٢٤٦) .

اما الاسقف الارمنى حنا فقد ذكر نيرسيس انه « نجا من المذبحة كما نجا يونس من جوف الحوت (٢٤٧) » .

واما الاسقف السريانى باسيل فقد فصلت المصادر السريانية الكلام عنه وعن موقف زنكى منه . فقد قيل انه بعد المعركة وجده زنكى عارى الجسم فامر بتدثيره واحضاره الى خيمته وهناك وبخه على عدم تسليم المدينة ، والحفاظ على ارواح من قتلوا فرد عليه الاسقف بان هذه هى ارادة الله وان ذلك النصر جعل اسم زنكى مشهورا بين الملوك المماثلين ، اما هو فبرىء امام السيد المسيح لانه لم يخن عهده . وعندئذ ابتهج زنكى من كلام الاسقف ورد عليه « انت تتكلم الصدق ايها المطران

---

(٢٤٤) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٩ ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، تاريخ ابو الهيجاء ، جـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم الباب السابع ٥٣٩هـ .

(٢٤٥) Nersès : Op. Cit., p. 259, Michel : Op. Cit., p. 262, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Schlumberger : Op. Cit., p. 99, Iorga : Breve : Hist. des Crois., p. 92, Grousset: Hist. des Crois., V. 2, p 881, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(٢٤٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 143.

(٢٤٧) Nerses : Op. Cit., p. 260.

لان هؤلاء الذين يحفظون يمينهم يقدرون من الله ومن الرجال ، وخاصة هؤلاء الذين يثبتون حتى الموت (٢٤٨) » .

وزاد من اعجاب زنكى بالأسقف باسيل انه كان يجيد العربية فاحترمه وعهد اليه باعادة اسكان المدينة مرة أخرى واوصاه بحسن معاملتهم وظل هذا الأسقف حتى وفاة زنكى يتمتع بمكانة عالية جدا (٢٤٩) . وتمتع ذلك الأسقف ليس فقط بتقدير زنكى والمسلمين وانما ايضا بتقدير وحب الاهالى الذين أحسن اليهم كثيرا بعد فتح الرها ١١٤٤م (٢٥٠) .

والواقع ان معارك الرها فى أواخر ١١٤٤م لم يشارك فيها الرؤساء الدينيين المدينة فحسب بل كان لجميع رجال الدين على اختلاف مراتبهم دورهم الابارز فيها ايضا ، حتى مات الكثير منهم فى تلك المعارك (٢٥١) . وفى احدى المقالات التى كتبها احدهم — وهو القديس حنا — وضع البراهين والادلة لاثبات مسئولية الكارثة على الفرنج لعدم وضعهم حاميات كافية فى المدينة التى عهد اهالى البلاد اليهم بالدفاع منها (٢٥٢) .

كنائس الرهـا ١١٤٤م :

وعندما بدا هجوم المسلمين على المدينة ساد التخريب والتدمير كل شىء فيها بما فيه الكنائس التى خرب الكثير منها ونكست صلبانها (٢٥٣) ، ثم أمر زنكى بقصر ذلك التدمير على الكنائس اللاتينية

---

(٢٤٨) Michel : Op. Cit., p. 262, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 188-189. عن (Michel) (L'Anonyme), Zoé : Op. Cit., p. 337. عن

(٢٤٩) Michel : Op. Cit, p.p. 262-263, Iorga : Brève Hist, des Crois, p. 92, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 189, 195.

(٢٥٠) Michel : Op. Cit., p.p. 263-264.
فقد ساهم بماله الخاص فى شراء حرية الكثير من الاهالى الذين كانوا قد تحولوا للأسر والعبودية .

(٢٥١) Nersès : Op. Cit., p.p. 251-263, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 269.

(٢٥٢) Michel : Op. Cit., p.p. 266 — 267.

(٢٥٣) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٩ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، تاريخ ابو الهيجاء ، جـ ١ مخطوط ، حوادث ٥٣٩هـ ، ابن قاضى

=

أو تحويلها الى أيدى المسيحيين الوطنيين (٢٥٤) . أما كنائس الارمن والسريان فقد ابقى على الكثير منها وحول البعض الآخر الى مساجد (٢٥٥) . ويضيف المصدر السريانى أن زنكى عندما شاهد روعه الكنائس السريانية أمر بتزويدها بجرسين كبيرين بل انه « حاول اشفاء قدميه من النقرس الذى كان يعانى منه عن طريق وضعهما فى مياه من بئر ابجر (٢٥٦) » .

رجال الدين فى الرها ١١٤٦م :

وبعد ثورة الرها عقب وفاة زنكى اعاد ابنه نور الدين فتحها، فقضى على كل اهالى الرها — كما بينا — اما عن رجال الدين فقد قتل غالبية الاساقفة والرهبان الذين نجوا من مذابح الفتح الأول للمدينة على يد زنكى سنة ١١٤٤م (٢٥٧) . ولم ينجح منهم سوى بعض رجال الدين اليعاقبة الذين فروا فوجدوا ملجأ لدى شركائهم فى الدين فى ماردين وشبختان . حيث عوملوا بكرم (٢٥٨) . أما مصير الأسقف اليعقوبى باسيل والاسقف الأرمنى حنا ، فقد فر الأول الى سميساط ، أما الثانى فقد اسر وسير الى حلب (٢٥٩) .

وعن الكنائس فى ذلك الدور فقد تعرض غالبيتها للتدمير مثلما حدث لبقية منشآت المدينة ، وحتى ماتبقى منها ، فقد هجر وتعرض للسلب بواسطة جيران الرها وخاصة اهالى حران (٢٦٠) .

شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٣٩هـ .
Nersès : Op. Cit., p.p. 262-263, 265-266,
Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 108.
(٢٥٤) Cahen : Op. Cit., p. 370, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338.
(٢٥٥) Runciman : Op. Cit., V.2, p. 237, Dictionnaire d'Hist. et de Géographie ecclés. T. 14, p. 1422.
(٢٥٦) Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 883. عن (L'Anonyme)
(٢٥٧) Grousset : Ibid., V. 2, p. 885 عن (L'Anonyme)
(٢٥٨) Grousset : Ibid., V. 2, p. 885.
(٢٥٩) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Ibid, V. 2, p. 885, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.
(٢٦٠) Michel : Op. Cit., p. 272.

الخاتمــة

وبعــد فانه يتضــح من العرض الســابق كيف كانت امارة الرهــا من ناحيــة تأسيسها أولى الامارات اللاتينية التى قامت فى الشرق . وكيف كانت الظروف ملائمة لقيــام تلك الامارة الصليبية دون أن يتحمل مؤسسها الصليبى بلــدوين البولونى مشقة كبيرة ، على عكس الوضــع بالنسبة للامارات الثلاث الأخرى .

وقــد اوضحنا فى بحثنا كيف بدأت امارة الرهــا ارمينيــة لاتينية ، ولكنها صــارت بعــد فترة وجيزة امارة لاتينية صرفة ، بعــد ان تخلص اهلها من حاكمها ثوروس الذى كان مكروها منهم-لأمور عدة أهمها انه من اتباع كنيســة القسطنطينية .

كذلك اوضحنا فى هــذا البحث العوامل التى ســاعدت هــذه الامارة على البقاء حوالى نصف قرن رغم ما تجشمته من مصــاعب جمة ومشقات عدة . ونلخص هــذه العوامل فيما يلى :-

اولا : كان لأهل الرهــا الفضــل الأول والأخير فى الحفاظ على تلك الامارة . ولعب العنصر الأرمنى بالذات دورا بارزا فى هــذا المجال لمـا لقيه فى غالبية الأحيان من معاملة ودية من أمرائها الصليبيين ، بسبب زواج غالبية أمراء تلك الامارة من ارمينيات ، اذا استثنينا بعض الظروف التى تعرض فيها العنصر الأرمنى للتنكيل من جانب الفرنج خاصة عام ١٠٩٨م ، ١١٠٨م ، ١١١٢م ، ١١١٣م . واذا كان هــذا التنكيل الذى لحق بالأرمن قــد تركز بالذات فى عهد كل من بلدوين البولونى وبلدوين دى بورج ، فان عهدى جوســلين الأول والثانى لم يشهدا سوى الأخلاص والحب والتفانى من جــانب العنصر الأرمنى للأمراء الصليبيين . وخير مثال على ذلك تلك الحركة البطولية التى قام بها الأرمن لأطلاق سراح جوســلين الأول من سجنه فى خرتبرت ١١٢٣م .

كذلك ســاهم العنصر الأرمنى بمجهود كبير فى الحركة التوسعية لتلك الامارة على حســاب جيرانها المختلفين . بل ان اهــالى الرهــا جميعا ضحوا بالكثير من ابنائهم اثناء الصراع بين صليبى الرهــا وبين المسلمين ، خاصــة فى معركة حران ١١٠٤م ثم فى ١١١٠م اثناء حملة مودود على الرها

واخيرا فى الدفاع عن الامارة ضـــد كل من زنكى وابنه نور الدين ١١٤٤م ، ١١٤٦م .

ثانيا : سياسة التســـامح الدينى التى اتبعها الأمراء الصليبيون للامارة تجـاه رعاياهم جميعا بطوائفهم المختلفة من أرمن وسريان كى يجعلوا منهم سندا كبيرا لهم فى مواجهة المسلمين .

ثالثا : الغنى الاقتصــادى الكبير للامارة والذى حماها لكثر من مرة من اى حصـــار اسلامى اقتصـــادى يقام عليها . حتى عندما خرب الجزء الشرقى من الامارة فى ١١١٠م بعـــد ان رحل ســـكانه الزراعيون ، ظل الجزء الغربى كفيلا بان يســـد حاجات الاهـــالى جميعا ، وان كان ذلك قـــد تم وسط بعض الصعوبات .

رابعا : الرابطة القوية التى كانت قائمة بين الامارة وبين مملكة بيت المقـدس الصـــليبية اذ ظلت الامـــارة حتى سقوطهـــا تـــدين بالتبعية الاقطـــاعية للمملكة (١) . والواقـــع ان الرابطـــة بين امارة الرهـــا وبين مملكة بيت المقـــدس كان يدعمها عامل آخر هو ان اول ملكين صليبيين لبيت المقـــدس ــ بلدوين الأول وبلدوين الثانى ــ كانـــا قبل ذلك اميرين للرهـــا تحت اسم بلدوين البولونى وبلدوين دى بورج ، ولذا كانا يشعران دائما بالحنين الى تلك الامارة التى شهدت بداية ظهورهما على المسرح السياسى والعسكرى فى الشرق ، ممـــا جعلهما يبذلان كل ما فى وسعهما لتحقيق الأمن والســـلام لتلك الامارة . وخير دليل على ذلك موقف الملك بلدوين الثانى من أسر جوســـلين دى كورتناى ١١٢٢م (٥١٦هـ) وتوجه الملك للأنتقام من آسرية ووقوعه هو الآخر فى أسر الأراتقة ١١٢٢م (٥١٧هـ) .

خامسا : وجود بعض العناصر المنشقة المتنافسة فى الجبهة الاسلامية التى اتاحت بانشقاقها الفرصـــة لتلك الامـــارة كى تصمد حتى فى أحرج فترات نموها . مثـــال ذلك التأييد الذى وجـــدته امارة الرهـــا ١١٠٨م (٥٠٢هـ) من جـــانب الأمير جاولى ، فى الوقت الـــذى أيد فيه رضوان صـــاحب حلب امير انطاكية تنكريد . وكان من الممكن اذا تكتلت الجهود

---

(١) F. Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 295.
هنا يذكر (بازدرمادجيان) انه فى ١١٠٠م تكونت فى سوريا أوربا اخرى على غرار أوربا الكبرى . وقام بها النظام الأقطاعى بشـــكل اقسى مما كان موجودا فى اى دولة غربية .
(H. Pasdermadjian : Op. Cit., p. 206).

الاسلامية ضد الاميرين الصليبيين المتنافسين ، ان تقضي على احدهما ، مثل امير الرها . كذلك كان من الممكن ان تسقط امارة الرها ١١٢٢ – ١١٢٣م . عندما كان اميرها اسيرا هو وملك بيت المقدس نفسه في قبضة بلك الارتقي ، لكن الانقسام في صفوف المسلمين والاحقاد الشخصية لعبت دورها في تضييع تلك الفرصة ايضا ، حتى ان بلك نفسه قتل بيد مسلم ١١٢٤م .

فاذا اضيفت الى ذلك العقبات التي اصطدمت بها حركة الجهاد الاسلامي التي بداها مودود ١١١٠م ، لاكتمل تاثير هذا العامل في امتداد حكم تلك الامارة فترة من الزمن . ففي الوقت الذي كان مودود قد احرز قدرا كبيرا من التقدم في صراعه ضد الفرنج عامة وضد الرها خاصة نراه يقتل بيد احد الباطنية ١١١٣م (٥٠٧هـ) . ثم اعقبه في نفس المصير ايضا البرسقي وذلك ٥٢٠هـ – ١١٢٦م .

لكن اذا كانت تلك العوامل مجتمعة قد اخرت بعض الوقت سقوط تلك الامارة ، بعد ان تجشمت الكثير من المشقات في حماية الجانب الشرقي للصرح اللاتيني في الشرق ، فاننا اوضحنا في بحثنا العوامل الاخرى التي تضافرت في النهاية للقضاء على تلك الامارة واهمها :

١ – تفكك الحلف الفرنجي البيزنطي الذي مثل لفترة من الزمن عائقا مهما امام جهود زنكي .

٢ – العداء بين امارتي الرها وانطاكية الذي ترتب عليه انعدام وجود سند صليبي قريب جدا للرها .

٣ – انصراف امير الرها جوسلين الثاني الى اللهو والعبث عن الاهتمام بشئون الدفاع اليقظ عن امارته .

٤ – ظهور الشخصية الاسلامية القوية ، الممثلة في عماد الدين زنكي . التي كبدت الصليبيين خسائر جمة في بلاد الشام ، حتى سقطت امارة الرها على يديه . وكان يمكن ان يمتد الحكم الصليبي لتلك الامارة فترة اخرى بعد وفاة زنكي غيلة ، لولا ان الظروف خدمت القضية الاسلامية في ذلك الوقت فقام ابنه نور الدين بحمل راية الجهاد الاسلامي ، واكمل الجهد الكبير الذي بداه ابوه وحقق هو الاخر قدرا كبيرا من النجاح في ذلك المجال . وبذلك محا نور الدين امارة الرها تماما من الخريطة المسيحية ، وهو الامر الذي حرك الحملة الصليبية الثانية .

٥ ـ وعند سقوط الرها كان صليبيو الشام غاية فى الضعف لا يرجى من ورائهم اى عمل ايجابى سريع ، اذ كانت القدس تحت حكم ملك شاب قليل النشاط فى حين سيطرت النساء على حكم امارتى انطاكية وطرابلس (٢) .

والواقع أن اهم ما عنيت بابرازه فى هذا البحث هو الحقيقة الخاصة بأن امارة الرها كانت امارة حرب .. حرب بينها وبين المسلمين من اجل البقاء .. حرب بينها وبين الممتلكات الأرمينية خارجها من أجل التوسع .. وحرب حركتها الأحقاد والأطماع الشخصية بينها وبين شقيقتها الصليبية امارة انطاكية . هذا الى جانب مشاركتها لبيت القدس فى حروبها المختلفة ضد المسلمين ، بحكم تبعيتها الاقطاعية لها .

لهذا كانت حياة الاستقرار والهدوء وما يتبعهما من ترف وتقدم حضارى من اهم المظاهر التى افتقدتها تلك الامارة . واذا كانت الامارة قد سيطرت على مجموعة من الطرق التجارية الهامة فى ذلك الوقت فلا شك فى ان تلك الطرق تعرضت للكثير من الأخطار التى عاصرتها الامارة.

وهكذا يبدو الجديد فى هذا البحث فى انه يعطى صورة متكاملة لامارة الرها من كافة جوانبها السياسية والحربية ، الداخلية والخارجية، الاجتماعية والاقتصادية والدينية . بعكس الدراسات العامة التى تركزت فقط على الناحيتين السياسية والحربية ضمن اطار الحروب الصليبية بوجه عام .

هذا فضلا عن اننا استكملنا بعض الحقائق الخاصة بامارة الرها الصليبية ، وصححنا بعض الحقائق التى عالجتها بعض المراجع بطريقة ناقصة او خاطئة ، والقينا اضواء على العلاقات الخارجية لامارة الرها ، سواء العلاقات بين امارة الرها وجيرانها المسلمين او بينها وبين الصليبيين والبيزنطيين والأرمن .

واستعنا فى كل ذلك بالمصادر الأصلية التى يتركز جزء كبير منها فى الموسوعة الضخمة التى تجمع ما كتبه مؤرخو الحروب الصليبية
Recueil des Historiens des Croisades

هذا بالاضافة الى ما كتبه وليم الصورى William of Tyre

---

(٢) Zoé : Op. Cit., p. 350.

الـــذى اعتمدنا على النسخة الانجليزية له المترجمة عن اللاتينية .

هـــذا فضـــلا عن المصـــادر البيزنطية واهمها كتاب الألكسياد الذى كتبته الاميرة (انا كومنين) Anna Comnena : The Alexiad

والمصـــادر السريانيـــة وعلى راسها كتـــاب ميخـــائيل السريـــانى Michel Le Syrien والمصادر الأرمينية وعلى راسها ما كتبه متى الرهـــاوى والكاهن جريجوار والقـــديس نيرســـيس شـــنور هـــالى Mattieu d'Edesse, Grégoire Le Prêtre, Saint Nersès Schnorhali. صـــاحب قصيدة رثاء الرهـــا التى أوردنا الترجمة العربية لمقتطفات منها ضمن الملاحق مع بضـــع ملاحق اخرى جديدة .

ولم نغفل فى بحثنا اهمية المصـــادر العربية المخطوطه والمطبوعـــة ، وهى التى افادتنا كثيرا ببعض النقاط الجـــديدة مثل مؤلفات ابن القلانسى وابن الأثير وابن العـــديم وابن الفرات .

كذلك لا نغفل اهمية الكثير من المراجع الحديثـــة التى امدتنا ببعض الاراء الهامة ومنها كتاب برويية المترجم عن العبرية الى الفرنسية والمطبوع بباريس ١٩٦٩م .

J. Prawer : Hist. du Royaume Latin de Jérusalem.

وكتاب اولدنبرج Zoé Oldenbourg : Les Croisades, 1965.

وكتاب الحركة الصليبية للأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . الذى استفدت منه كثيرا فى الوصول الى بعض الحقائق التاريخية التى لم استطع الوصول اليها احيانا فضلا عن نقل بعض الاراء الهامة عنه أحيانا أخرى .

تـــم بحمـــد الله

ملحــق رقم (١)

نص الرسالة الشفوية التى حملها رســـل اتباع جود فرى الى اخيه بلدوين ، ليخبروه بوفاة اخيه وليدعوه الى حكم القــدس بدلا منه ١١٠٠م .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber VII. (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 526.

« جنود حاكم مملكة القــدس ــ جود فرى ــ يتمنون لك الصحه . باسم المسيح جئنا اليك بناء على قرارهم ونصيحتهم ، كى نخبرك أن اخاك جود فرى حاكم بيت المقــدس قــد توفى . وبناء على ذلك فهم يدعونك بصورة جماعية أن تحضر بسرعة وتتقبل مكان اخيك وتجلس على عرشه ، لأنهم اتفقوا على الا يعترفوا بسيد آخر عليهم الا أن يكون اخا أو قريبا له ، لحسن معاملته الطيبة لهم . ولذا اقسموا الا يحكم بيت المقــدس أو يجلس على عرشها أجنبى » .

ملحــق رقم (٢)

نص خطـــاب تنكريد الى بوهيموند ، الــذى طلب فيه النجدة ضــد الأتراك المهاجمين للرهـــا ١١٠٤م بعــد وصــايته عليها .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 617.

« يتمنى تنكريد التوفيق لخـــاله السيد بوهيموند ــ حـــاكم انطاكيـــة العظيم . لقــد تراجعت ــ بأمر الاله ــ عن الرهـــا وتركتها بين أيدينا ، وعينتنى مدبرا وحـــاميا للرهـــا ، فى مكان اخينـــا المخلص بلدوين ، ولكن جكرمش وسقمان اتحـــدا من حديد مع قواتهما وحاصروا مدينة الرهـــا مجاة ، ليدمروا قلاعها وأســوارها ويقتلوا مواطنيها ويخربوا المدينـــة ، ويأخذونى أسيرا مثل بلدوين ويقودونى الى ارض (البرابرة) . لذا فلأننا

معتمدون على ثقة تقديرك ، الذى تكنه دائما للمخلصين للمسيح ، قررنا أن نحيطك علمـا بما يحـقق بنـا من اخطار ورغم علمنا بالصعاب التى تواجهك ، الا انه يجب استدعاء الحلفاء والأصـدقاء من انطاكية والأماكن الأخرى بسرعة ، لتقديم المعونة لنا ، بعـد أن غلبنا على امرنا وحوصرنا ، حتى نقلل من تهديدات الأتراك ونحـد من غرورهم ونطردهم — باسـم السيد المسيح — وتفك الحصـار الذى نتعرض له حاليا . لأنه يجب أن تعلم اننا قلة فى هـذه الأرض .. فاذا تفرقنا واصـابنا الأجهاد سنفشل ولا نستطيع الوقوف أمام شجاعة الأعداء » .

ملحـق رقم (٣)

نص رسـالة بوهيموند وتنكريد الى الملك بلدوين الأول ردا على طلب جكرمش رد اسيرة سلجوقيـة كانت فى انطاكيـة فى مقابل اطلاق سراح بلدوين دى بورج (سنة ١١٠٤م) .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist., Occid., T. 4, p. 610.

« نقـدم الطاعة الى السيد بلـدوين ملك بيت المقـدس المتعصب للمسيحية دون تردد ، وقـد قررنا نحن بوهيموند وتنكريد أن نكون عنـد حسن ظنك من اجل اطلاق سراح بلدوين الصـديق والحليف . لقـد كان اسره ومازال مصـدر قلق لنا ، لكننا يجب أن نحصل بقـدر الأمكان على اى مبلغ من المـال بالقوة مع الأخ بلدوين من اجل رد الأسيرة السلجوقية ، لأننا فى حاجة الى المـال بشـدة لدفع مرتبات الجنـد ، نحن المخلصين لكم باستمرار » .

ملحـق رقم (٤)

ما قاله الملك بلدوين الأول لأهالى القـدس كى يحثهم على مساعدة الرهـا ضـد الأتراك ١١١٠م ، بعـد انتصـاره فى بيروت .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist., Occid., T. 4, p. 671.

« بفضل الله وسيدنا المسيح تحققت ارادتنا ونحقق انتصـارنا ..

لكن الآن ، ابحث عن ارادتكم الطيبة ، انتم جميعا ، كى نتقدم المساعدة لامارة الرها ولبلدوين المحاصر فيها ، حتى لا يضطر للانسحاب ، طالما انهم حلفاء لنا ، وهم مستعدون لمساعدتنا فى كل وقت ، دعونا نساعدهم ولا نتردد فى التعاطف مع اخوتنا واصدقائنا » .

ملحق رقم (٥)

العلاقات البيزنطية اللاتينية من خلال مذكرته (انا كومنينا) عن بعثة الامبراطور الكسيوس كومنين الى ملك بيت المقدس بلدوين الأول بخصوص تنكريد امير انطاكية .

عن : Anna Comnena : The Alexiad., p. 367.

«. عندما وصل بوطوميتس (Butumites) رسول الامبراطور الكسيوس الى المدينة المقدسة كى يتفاوض مع الملك بلدوين ضد تنكريد ، طلب بلدوين من بوطوميتس المال الذى ارسله الامبراطور معه فقال بوطوميتس : « اذا وعدت بانك سوف تساعد الامبراطور ضد تنكريد ، وحافظت بذلك على اليمين الذى حلفته معه عندما مررت ببلاده ، عندئذ سوف اعطيك المال الذى ارسل اليك بدون تأخير » . مع ذلك كان الملك بلدوين شغوفا للحصول على النقود بالرغم من رغبته فى مساعدة تنكريد وليس الامبراطور . وعندما لم يحصل على النقود تضايق ، وكل السلالة البربرية مثله ، فهى دائما فاغرة فاها من اجل الحصول على الهدايا والمال ، لكنها لا تميل الا قليلا لتنفيذ الغرض الذى من أجله دفع المال » .

قابل الرسول ايضا الامير جوسلين دى كورتناى فى يوم عيد القيامة — حيث كان قد حضر للعبادة فى كنيسة القيامة — وجادله فيما يلائمه (بخصوص موضوع تنكريد) ولكن عندما اكتشف ان الجواب هو نفس انفعال بلدوين غادر بيت المقدس دون أن ينجز شيئا .

ملحق رقم (٦)

نص حديث الامبراطور حنا كومنين الى أمير انطاكية والامراء الصليبيين بعد انسحابهم من شيزر ١١٣٨م .

عن William of Tyre : A History of Deeds... V. 2, p. 98

« انت تعلم يابنى العزيز ريموند اننا مكثنا فى جوارك وقتا طويلا لحبنا لك ، انه يجب أن نوسـع امارتك ونمد ممتلكاتك لضرب اعداءنا . ولقـد فعلنا ذلك وفقا للاتفاق الذى اتممناه سابقا من خلال وسـاطة الرجـال الحكماء فى امبراطوريتنا . محبوب الله ، وانت ياتابعنا المخلص ، لقد سنحت الان فرصة مناسبة وهـذا وقت لانجاز وعدنا بوضـع كل الاقليم المجاور تحت حكمك كما تنص بوضوح شروط المعاهدة . ولكنك تعرف جيدا وكل هؤلاء النبلاء الذين يقفون معك فى حضرتنا يعرفون أيضـا انه لكى ننفذ الالتزامات التى نرتبط بها ليس بالأمر الذى يأخذ وقتا قصيرا . على العكس انه لمن الواضـح أن شئونك تتطلب اقامة اطول من جانبى وعلاوة على ذلك انفاقا اكثر . لذلك يجب أن تسلم لعنايتنا قلعة هـذه المدينـة وفقا لمغزى الاتفاق ، ان ثروتنا توضـع هنا فى امان . قواتنا أيضـا يجب أن يؤذن لها بحرية الدخول الى المدينـة . الات الحرب التى نحتاج اليهـا لحصـار حلب لا يمكن الحصول عليها بسرعة من طرسوس أو عين زربة او المـدن القيليقية الأخرى ولهـذه الاغراض فهذه المدينة تقـدم تسهيلات حسن من اى مكان آخر — انجز وعدك وكن مطيعا للولاء الذى اظهرته ، اعمـل واجبك وسيكون عمل سمونا الامبراطورى أن ننفـذ الالتزامات الباقيـة علينا » .

ملحـق رقم (٧)

وصف متى الرهاوى لتنكيل الأمير مودود وقواته باهالى الرها ١١١٠م.

عن Mattieu d'Edesse : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 93-94

خرج كافة اهالى الرها واهالى الاقليم المحيط بها ، من مخابئهم ومعهم النسـاء والأطفال فى اثر الجيوش الفرنجية المنسحبة .

وحـدث عندئذ ان قام اثنان من الفرنـج بعمل مخل بالأصـول ، اذ توجهوا الى معسكر مودود وارتدوا عن العقيـدة المسـيحية ، واخبروه بهروب ذويهم وانسحابهم . وكان ان اسرع مودود لمطـاردة المسيحيين ، هاراق الدم فى كل مكان . من الرهـا حتى الفرات ، واباد أهالى المدينـة واهـالى الريف سواء . وعندما وصـل مودود الى شـاطىء الفرات قتل كل رجال البلاد الذين قابلهم واسر العـديد من النسـاء والأطفال . وكان الفرنج قـد توجهوا قبل ذلك الى الشـاطىء المقابل للنهر ، فصاروا

كقطعان من النعـــاج تمر تحت حـد السيف ، وأنزل بهم مودود عقوبـة الانتقـام الالهي بمثل تلك القسوة حتى ســال الفرات بفيضـانات من الـدم . هناك كثيرون غرقوا فى ميـاه النهر ، لان اولئك الـذين القوا بانفسـهم فى المـاء واجتهدوا للوصول الى الشـاطىء الآخر من النهر لم يستطيعوا الوصول اليه . اما الذين ركبوا المراكب فقـد اكتظت بهم حتى غرق منها خمسـة أو ستة بسبب امتلائها بهم . وفى ذلك اليوم أيضـا تعرض كل اقليم الرهـا للنهب بعـد ان اخلى من السكان . كانت تلك هى الكارثة التى أشـار اليها الرسـل القدامى فى كتبهم عندما كتبوا « يا للشقاء على أمـة ابجر » .

أما الفرنج الذين وقفوا على الضفة الغربية للنهر ، فقـد شـاهدوا فى حزن تلك المنـاظر المروعة ، دون ان يستطيعوا أن يحولوا دون حدوثها واكتفوا بسكب الدموع الحزينـة .

ملحـق رقم (٨)

رثاء ميخائيل السريانى للرهـا ١١٤٦م .

عن Chronique de Michel Le Syrien : T. III, F. II, p. 270-272

« يا سحابة الغضب ، ويوم بدون شفقة ! حلت فيـه كارثة الغضب الشـديد على الرهويين البؤسـاء يا ليل الموت وصباح الجحيم ، ويوم الهلاك ! حل باهـالى المدينـة العظيمـة . يا للحسرة ايها الأخوه ! من يستطيع ان يروى أو يسمع دون دموع ، كيف ان الام والطفل الذى تحمله بين ذراعيها يخترقهما سهم واحـد دون ان يحدا من ينقذهما أو ينتزع السهم من جسـدهما ! وكيف سـحقت حوافر الخيل بعـد ذلك كل من لحقت بهم فى قسـوة ! وطوال الليل رشقت اجسـامهم بالسهام ، وعند انبلاج الصباح ـــ الـذى كـان اكثر ظلاما من احلمهم ـــ ضربوا بالسيوف والرمـاح » .

لقـد اهتزت الأرض رعبا بسبب المذبحة التى وقعت ، والتى كانت كالمنجل على السنابل وكالنار فى الخشب . فاستولى السيف على العديد من المسيحيين . واختلطت جثث الأسـاقفة والشمامسـة والرهبان ، والنبلاء والفقراء بعضها ببعض .

وهكذا تحولت الرهـا الى صحراء مليئة بالرعب ، مغطاه بالسواد ،

تفوح فيها رائحـــة العفن من جثث ابنائها وبناتها ! فأسرعت اليها الهوام والوحوش ، ودخلت المدينـــة لتقتات اثناء الليل من جثث القتلى .

نعم ، غـــدت الرهـــا مقرا لابناء آوى . ولم يعد يدخلها احـــد سوى اولئك الذين كانوا ينبشون ليكتشفوا ثرواتها . اما اهالى حران وبقيـــة الأعـــداء فقد نهبوا الكنائس ومنازل الاعيان قائلين مرحى ! مرحى !

ملحـــق رقم (٩)

العظة التى كتبها ديونيسيوس الامـــدى بصدد خراب الرهـــا ١١٤٦م ونقلها لنا ميخائيل السريانى .

عن : Chronique de Michel Le Syrien : T. III, F. II, p. 272-273

« كيف يمكن ان نصـــدق أن السيد المسيح الذى لم يتمن فقدان خلقه ، قاد بعض الأعداء ليقوموا بعمليات القتل والاسر ... الخ ؟ فاذا قيل ان هؤلاء تغلبوا دون اذن من السيد المسيح ودون مســـاعدته ، وهو المطلع على كل شىء ، يكون هـــذا نوع من الســـباب ، لان المســـيح لا يتخـــلى ولا نتكاسل يديه منا ، لكن عندما تخلينا نحن أولا عن ارشـــاداته ، عندئذ سمح بأن نوزم بأيدى الاعـــداء ، حتى نتأدب . فنحن السبب فيما يصيبنا من نفع او ضرر . فاذا اعترفنا بوجوده فان الله يســـاعدنا ، وعلى العكس اذا انحرفنا نحو الشرور بحريتنا وباختيارنا وقادنا الشيطان الى انجازها . ان السيد المسيح ترك المصـــائب تحل بنا بسبب ضلالنا ، كما حـــدث لأهل الرهـــا الذين كانت نهايتهم اسوء من البداية ، فحلت بهم كارثة مريعة للمرة الثانيـــة لا يستطيع اللســـان تحـــديد فظاعتها . لكن يجب الا ننسى أيها الرجـــال ان تلك الأمور وغيرها من الامور المشـــابهة قـــد حلت ليس فقط بسبب معصية هـــذا الشعب وحـــده بل ايضـــا بسبب المعاصى الكثيرة التى ارتكبت فى كل الأماكن وفى كل البلاد ففى تلك الفترة السيئة ابتعـــد كل شخص عن العدالة وانغمس فى الظلم ، ابتعد عن القداســـة واستسلم للكفر . وتضـــاعفت المعاصى واصبحت اكثر من شعر الراس . ومـــع ذلك فان عـــددا محدودا هم الذين حلت بهم العقوبة .

ايها الاخوة يجب أن نتوب ونرتعد ونخشى عاقبة فجورنا ... وهـــذا يكفى الآن » .

ملحق رقم (١٠)

مرثية نيرسيس شنورهالى الأرمنى عن سقوط مدينة الرها ١١٤٤م (١) .

Saint Nersès Schnorhalı : Eligie sur la prise d'Edesse, (R.H.C.), Doc. Arm., T. 1, p. 227 — 268.

نـداء لعموم النصـارى :

ايه نوحى أيتهـا الكنـائس | ياعرائس الخـدن السماوى (٢)
ايهـا الأخوة والأخوات الأحباء | المقيمون فى ارجـاء المعمورة كلهـا
يا ايتها المـدن والقـرى | يا أمم الأرض وقبائلهـا
يا ايها المؤمنون بالمسيح | اليكم اوجـه رثائى
فاستمعوا لعويلى وبكائى

نـداء لمدينة القـدس :

يا قـدس ، يا مدينـة الله | يا مهـد الشريعة والأنبياء
يا موطن الله الأوحـد | الـذى اشرق على نوره السـاطع
لانى أول من اعترف بمساواة الابن للاب
اصغى الى ايتها الحبيبة | والى بكائى ونحيبى
شـاركينى فى اوجاعى وعزينى | وواسى فؤادى الجريح الكئيب

نـداء لمدينة رومـا :

وانت يا روما ، يا أم المـدائن | يا موطن العظمه والجلال
يا كرسى بطرس الأعظم | اليك خطابى وحـديثى
اصغى لوقف مداوسى وكرسيه | اصغى لصوتى من بعيـد.
الا ابكى معى ونوحى | وانضمى الى بالنحيب
اسرعى ومـدى الى يـد المعونة | فانى فى الأغلال فى غياهب السجون
هلمى للثـار والانتقـام | ممن عادانى واستعبدنى

---

(١) هذه بعض مقتطفات من القصيدة التى اقتصرنا فيها على الفقرات الهامة البعيدة عن التطرف والتى ترتبط بموضـوع (البحث) . افتتحهـا المؤلف بقوله (مقالة للانبا نيرسيس بطريرك الأرمن . وضعها باسـلوب الملحمة على طريقة هوميروس ونظمها ليرثى بها الرهـا الكبرى وسقوطها عام خمس مئة وتسعه وثلاثون هجريةفىالثالث والعشرين من شهر ديسمبر، السـاعة الثالثه ، يوم السبت) ويعلق الناشر دولوربيه على هذا التاريخ بأنه يقابل يوم السبت ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م السـاعة التاسعه صباحا .

(٢) الخـدن السماوى هو المسيح .

نـــداء لمدينـــة القسطنطينية :

اليك دعـــائى الملهوف — يا مدينه العظمة والابهه
يا من شـــادها الملك قسطنطين — على ابواب آسيا الصغرى
لقـــد اصبحت قدســـا اخرى — وروما جـديدة مبجله
لقـــد كنت ملكا لك — وجزءا منك يا ام المـدائن
وبنيت على ارضى هيكلا — وسميته باسم هيكلك (٢)
اليك اتوســـل . عبثى — قواتك العـــاتيه
واطعنى الاعـــداء فى صميمهم ثارا وانتقاما

نـــداء لمـــدينه الاسكندرية :

ها انى اصرخ تحت ابوابك — يا ام المـــدائن المصرية
لقـــد اسسك الاسكندر الاعظم — وشيدك على اسمه
انت كرسى مرقس — كم اقام فيك من آباء عظـــام
وتربعوا على عرشك — لكنهم مضوا الآن
وكانى بك فى حال يدعو الى الرثاء مثلى .
كنا يوما مدعـــاة للحســـد والغيرة وامسينا
الآن مدعاة للاشفاق والحسرة — ولذلك فـــانى اتوســـل اليك ايتهـــا
الشفيقة الجليلة — ان ارثى معى الآن وابكي

نـــداء لمـــدينة انطاكيـــة ؛

اليك حديثى وعتـــابى — يا شقيقتى الحبيبة انطاكيـــة
يا موطن الرســـل وموئلهم — اية ايتها القرينة الحبيبة
لم لم تهرعى الى — وانت فى اليسر والسعة ؟
لم لم تمدى الى يد المعونة — بل شمت بى وتركتينى
هلمى واصغى الى نحيبى — وشـــاطرينى حسرة اضرمت فؤادى
وولولى معى وانتحبى — وواسى قلبى الجريح

نـــداء لمـــدينة آنى :

اليك ايضـــا ندائى — يا مدينة آنى عاصمة المشرق
ضمى نحيبك الى صوت نحيبى — وعزينى فى محنتى
انظرى الى ذلى وشقائى — والى محنتى وعا الى

---

(٢)كنيســة اياصوفيا اوسانت صوق.

هلمى وافرجى الغم عنى		هيا واجمعى بناتك
وبــادرى الى البكــاء على والبسى الحــداد
وادعـــى مم الأرض الى الرثــاء والنحيب
واقلقيها بانينك المفجــع		فليس للقلوب المكلومة من دواء
غير التعزية والســلوان

الرهـــا تسرد تاريخها المجيد وتشيد بغناهـــا :

ســاذكرها هنا ما أسبغه		على الله تعالى من نعم
ثم الويلات التى حلت بى		بغتة من اجل ذنوبى وآثامى
كنت اما لرهط من البنين		وولدت منهم عـددا لا يحصى
وأرضعتهم من لبن ثـدى		وربيتهم خير تربية
ونشــأتهم خير تنشئة		اذ كنت أرضـــا خصبة معطاء
وينبوع لبن سخى		لقــد تراكمت فى الخيرات
وغلات الأرض بأصنافها		وانبثقت من أحشـائى ميـاه حية
انعشت الأغراس الخضراء		وروت البســاتين الفيحــاء
وجلبت على الأهالى الفرح والبهجة		وكانت مياه البحر تمتد بين أسوارى
فينبعث منها نسيم عليل		وتغسلنى وتطهرنى
وتزين الميــادين		وتنعش الأعشــاب والأزهار البهية
وتجعلنى كاحـدى جنـات عـدن		ثم تنســاب بين الأشجار الكثيفــة
متثمر موفرة وسخاء		وتتمايـد باغصــانها الهيفــاء
ونفوح منها عطور سماوية		فتغمرنى بالنرجس والزعفران
مع اطواق الورود والبنفسج		كم كانت تربتى خصبة غنية
بما تدره على من ثمار وارزاق		لو شــاء احــد حصرها وتعدادها
لما وجد الى ذلك سبيلا مهما سعى		فكانت تربتى اذا حرثها
الحــارثون وزرعوها		تجلب الأرزاق الوافرة
والغلات الكثيرة		اقوت بها أبنائى
فيفرحون ويبتهجون		بما لديهم من خيرات جمة .
ولو وجــد من استطاع		ان يصف موقعى وصفا ملائما
لمــا وجد لى مثيلا		فى مدائن الأرض كلها
كنت متربعة على عرشى الفخم		كملك اعلى مركبته
او ملكه رائعة الجمال		تجليت برداء زركش بالفضة والذهب
وهـــدب باهداب مراقــه		وازدانت بأبهى الحلل
وكانت الأسوار تحيط بى		وحصن منيــع يحمينى

والقلاع الشامخة الرهيبة   المتقنة البناء والتحصين
كانت كالرؤوس الضخمة   على ابدان متينة مسلدة
وكان لاسوارى اسس عميقة   وفى اعاليها تسنن كأسنان التيجان.
وكان فى مبان فخمة وهيكل رائع   شيد فى المنطقة الوسطى الفناء
ثم الأسواق والشوارع   تمتد بتنسيق وانتظام
والقصور الشامخة   التى يعجز لسانى
ولسان اى انسان   عن وصف بهائها وروعتها
فانها كانت تحاكى الديار السماوية   وتضاهى المواطن العلوية
ساحرة لا مثيل لها

زوال العظمة والرخاء :

ان هذا المجد وهذا الأزدهار الذى حدثت عنه
وسردت قصته بايجاز   كان فى عصر غابر
لكنه اضمحل الآن بغتة .   كنت فى خير وسعة
كنت فى هناء ورخاء   حتى أكبرنى من رآنى وعظمنى
ومن سمع عنى اعجب بى   ولكن جاءت ساعة المحنة
وكل ما اسبغ على من نعمة   زال واندثر
وانقلب ما كان حلوا الى مر علقم   وبدلا من التعظيم والتبجيل
لا الى الآن سوى الاشفاق

حال الرها بعد فتح الفرنج لها :

لقد تدحرجت من السماء الى الأرض   من الاعالى الى الحضيض
فوطئت وذللت   ونسيت وصايا ربى
وهجرت شريعته   وارتكبت الذنوب والآثام
وتدنست بالمنكرات   منذ تلك الساعة التى بدأت فيها
اصاهر اهل روما واتقرب اليهم

الاتابك زنكى يحاصر الرها :

لما تحقق زنكى من ذلى وهوانى   زحف نحوى زحف الثعابين
ليلسعنى فى كعبى   ويرشقنى بسهامه الخفية
اختبأ فى الحقول   ثم اجهز على حين غرة
فى ساعة لا انتظرها   اذ انه ما أن تحقق وتيقن
من غياب رجالى وحماتى   حتى حاصرنى من كل ناحية

وهاجمني بقواتــه وسدوا في وجهي كل سبيل
ولم ينفكوا يحاربوني ويضايقوني ليل نهار
ولم يزالوا يغيرون تحركاتهم ويقتحمون الميدان بقوات جديده
لقــد مدججوا بالســلاح واشهروا الحراب
واستتروا وراء مجنات جلديه ورفعوا الاقواس والأسنة
وراحوا يرشقوني بسهامهم الحاده
ثم ســادو امامي سورا ونصبوا عليه المنجنيق
وامطروني بوابل من الحجارة وامعنوا ضربا وتحطيما
وجاهدوا واستماتوا لكنهم لم يستطيعوا
قهر رجالي وابطالي حتى لجأوا الى حيلة
فقــد حفروا كما يحفر الخلود ثغرة في قاعدة السور
ثم نصبوا فيها الأعمدة والاوتاد من نحت للسور وابراجه
واعدوا العدة لحرقها على ما جرت عليه عادتهم
ثم هتفوا باهل المدينة قائلين : « هلا كففتم عن المقاومة
كيلا تموتوا شر ميتة واستسلموا راضين لا صاغرين
والا فبئس المصير »

استماته الرهويين في الدفاع عن مدينتهم :

لكن اولئك الأبطــال ما ان سمعوا هــذا الوعيد
حتى ابوا ورفضوا واقسموا وتعاهدوا
الا يخلو الميـدان ولا ينسحبوا من المعركة
ولا يصغوا لتهديد العدو ولا يفتحوا لهم ابواب المدينــة
وراوا انه من الأفضــل ان يموتوا في مواقعهم
من ان ينكثوا بعهدهم ثم راحوا ينــادون بعضهم بعضـــا
ويهتفون قائلين : « لن نخاف ولن نهلع
ايها الأخوة من سيوف العدا ولن ندع ســالة الأبطــال
يعتريها رعـــدة الانذال ولنخلفن من بعدنا اسما ابيا
يعلن على جميع امم الأرض علينا بالشدة ورباطة الجاش
مازالت آمالنافي الديار السماوية ».
ولم يزالوا يرددون مثل هذه الاقوال بعضهم لبعض
ويتبادلون عبارات التوعد والتشجيع وراح الأب يحث ابناءه
والأبناء يستمدون للقتال وعلا نداء المعركة

واقتحم الميادين والمنازل فلم يعد بينهم خاصة موقرين
ولا سوقة مذلولين بل كلهم متساوين متحدين
وعلى رأى واحد مجتمعين وكان المطارنة والكهنة
كل واحد يستحث جماعته على الصمود والنزال
وعلى الوقوف وقفة الشجعان فى وجه الاعداء
بلا خوف من سيوفهم التى لا تفتك الا بالاجسام

انقطاع امل الاهالى فى وصول المدد والمعونة :

ولم يزالوا يتبادلون عبارات التشجيع ويقولون :
ها هى ذى الحشود السماوية آتية لشد أزرنا ومساندتنا » .
وينتظرون من يعينهم ويبثون الأنظار فى الطرق والمسالك
ولا ينفكون ليل نهار ينتظرون النجدة
لكن لم يصل أحد ممن كانوا ينتظرون
بل ان عباد الصليب فى البلاد كلها
تخاذلوا وتقاعسوا عن مد يد المعونة الينا
عندئذ دب الجهد والنشاط فى صفوف العدو
لتنفيذ حيلة المنجنيق على جناح السرعة
وبسبب معاصى الكثيرة وآثامى الجسيمة
قطعوا على كل سبيل للمدد والمعونة

انهيار طرف من السور واحداث أول ثغرة فيه :

ان فؤادى الآن ليدمى وعقلى وروحى يضطربان
اذ اذكر ذلك اليوم الرهيب ذلك الصباح المظلم
ذلك النهار الأسود القاتم وطلعته السوداء المكفهرة
حين انبعثت نيران سدوم (٣) من اعماق الأرض
ولم تمطر من السماء بل من اجواف الخنادق
واذا بالسور الحصين ينهار ويتداعى
ويندك من أسسه .

---

(٣) سدوم وعمورة مدينتان على البحر الميت كثر فيهما الاثم فأمطرهما الله من السماء بالنار والكبريت وهنا يقول (نيرسيس) ان النار لم تمطر من السماء كما حدث لسدوم وعمورة بل جاءت من الأرض من الثغرة التى احدثها المسلمون فى قاعدة الأسوار . (عن سدوم وعمورة راجع سفر التكوين ، الأصحاح التاسع عشر) .

صمدة الرهويين الأخيرة :

لكن ابطالنا لم يتراجعوا ولم يلذ احـــدهم بالفرار
مل تعالت صراخاتهم ونداءاتهم الأخ يشجع اخـــاه
ويشد ازره ببســالة
وصمدوا على خـــرائب الاســـوار المدمرة
يحرصون بعضهم بعضا على الكفاح والكهنه بحللهم الكهنوتيه
اشهروا الرماح والسيوف والأحبار الاجلاء
رفعوا راية الصليب بأيديهم وهم يهتفون بأعلى اصواتهم :
« لا تخافوا أيها الأبناء الأحباء لا تخشـوا أن تموتوا ميتة الأبطــال
فانها أفضل من هـــذه الحياة » .

الرهويون يردون الهجمة الأولى :

عندئذ احتشدت قوى الأعداء بكامل عددها وعدتها
واندفعوا على ثغرة الســور لكن الجنود البواســـل
ما لبثوا ان هرعوا اليهم ووقفوا فى وجوههم
وردوهم على أعقابهم .

انهيار الرهويين وسقوط المدينة :

لكن هيهات . وليتنى يتم ها هنا حديثى
لكن لا طائل من الصمته لقد اصابتنا وحلت بنـــا
أرزاء وخطوب جسيمة اذ عندما عجز الأبطـــال
والمحاربون عن صـــد الهجوم هتف القـــائد الجهنمى (زنكى)
بقواته الجرارة وامرهم ان يأتوا على كل شيء
قتلا وسبيا وتدميرا فاحدقوا بالمدينـــة من كل صـــوب
وطوقوها ثم اقتحموهـــا ولاحقوا الأهلين واحـــدا واحـــدا
أما ضعاف القلوب فخاروا وارتعدوا واما الأقوياء فازدادوا همة وشـــدة
والبعض سموا الى الموت حثيثا وآخرون ماتوا ذعرا وهلعا
ونجمـــع نفـــر قليل من الرجـــال غيـــر كـــاف لحمايـــة الأســـوار
لكنهم سرعان ما غلبوا على أمرهم لمـــا كان قـــد لحق بهم من ارهاق
ولمـــا تحمـــلوه فى قتـــال طـــويل كـــان قـــد بدأ منـــذ شـــهر ونيف

اقتحـــام الأســـوار :

لقد لاحظ العدو ناحية من الأسوار خـــالية من الحـــرس

فتسلقوها صاعدين   واقتحم بعضهم الأسوار
وما أن شاهد الأهالى ذلك   حتى استولى عليم الذعر
فاطلقوا اصواتهم صارخين   واسرعوا الى الهرب .

اهل المدينة يحاولون اللجوء الى القلعة :

ثم ان جمهور الشعب   تراجعوا الواحد تلو الآخر
وهرعوا مسرعين   نحو باب القلعة
لكن سيوف العدو فتكت بهم فتكا   فجرت دماؤهم كالسيول :
الشبان والأطفال   ذبحوا بلا رحمة
ولم يرحموا شيب الشيوخ   ولا براءة الغلمان
ولا حرمة الكهنة   ولا جلال الأحبار

هلاك من وصلوا للقلعة :

لكن حراس القلعة الغادرين   الذين كانوا يحمونها
اقفلوا الابواب فى وجه الاهالى   ولم يسمحوا لاحد بالدخول
فحاول الشعب أن يلوذ بالفرار   هربا من حد السيف
وتهافتوا على الابواب كملجوم الأخير   وراحوا يتسابقون اليها
ويتسارعون ويتصادقون   لكن الابواب اقفلت فى وجوههم
وكانت سيوف الاعداء من خلفهم   فتكومت جثثهم على الابواب
اكواما عالية .   رجالا ونساء ، شيوخا واطفالا
واحداثا من كل جنس وسن .   كانت البنات يبكين فى احضان امهاتهن
والأمهات يتشبثن باطفالهن   ويلاقين الموت معهم
والآباء يسألون عن بنيهم   لعلهم يجدون وسيلة لنجاتهم
والابناء يسعون مع آبائهم   بحثا عن مكان أمين
لكنهم لم يجدوا من معين   فالشقيق لا يبالى بشقيقه
ولا هو يشفق على شقيقته   لانه عاجز عن الحراك
سقط كل واحد فى موضعه   بعد ان كتمت انفاسه وانقطعت
أما الذين نجوا فقد هربوا   خشية من السيوف الصوارم
من فوق جثث القتلى   وداسوا عليهم ولاذوا بالفرار
لكن جنود الاعداء   لاحقوهم مشهرين السيوف عليهم
وراح كل منهم على سجيته وهواه   يختار فريسته المفضلة
اما من كان وسيما جميلا   فاتخذوه اسيرا
لا سيما من استحسنوهم   من فتيات وغلمان

اما الطاعنون فى السن فقتلوهم شر قتل
وكدسوا جثثهم تكديسا ونكلوا بها تنكيلا
فما كفن احد بكفن ولا غطى برداء
ولا دفن فى قبر ولا ذرفت عليه دمعة
لم تسمع فى ذلك المأتم الرهيب ترانيم كاهن
ولا صلاة ولا دعاء

رؤساء الطوائف المسيحية يموتون مع رعاياهم :

ثم ان رؤساء الطوائف والآباء الروحانيين الاربعة :
الصقلبى(٤) والارمنى والرومى والسريانى
ضحوا جميعا بانفسهم ولم يهابوا الموت
ولم يهملوا قطيعهم كى ينجوا بانفسهم
حتى أن امام الفرنج خرج بنفسه الى الميدان
واستشهد مع رعيته أما رئيس الطائفة الارمينية
فقد نجا بمشيئة الله وفضله . كما نجا يونس (٥) من جوف الحوت

عمال السلب والنهب وتخريب الكنائس :

ولما فرغو من هذه الامور سلبوا الذين وقعوا فى اسرهم
والذين سفكوا دماءهم بسيوفهم سلبوهم اموالهم واملاكهم
واملاك آبائهم وأجدادهم وذهب النساء وحليهن
والحلل الثمينة وآنية الفضة والذهب
واوعية البخور العطرة وستائر الكنائس
وحلل المذابح وملابس الكهنة الثمينة
وأردية الأحبار واشياء أخرى كثيرة
مما يدعوا الى الرثاء والحسرة

ابتهاج الغالبين بالفوز والنصر :

اما ائمتهم المدعوين « علماء »
فقد صعدوا الى الأبراج العالية من حيث تقرع الاجراس
وراحوا يصرخون بأصوات عالية هاتفين قائلين :

---

(٤) اى الفرنجى .

(٥) هو النبى يونس الذى عرف باسم يونان وجاءت أخباره فى نبوءة يونان .

« يا رسول الله محمد » لقد استرددنا ماكنا قد فقدناه :
ديارك ودارك من هذه الأمة الضالة
المتعبدة لحجارة صماء لقد روينا الأرض من دمائهم
وفقا لتعاليم قرآنك اليك نزف البشرى
يا مكه المظيمة ، موطن محمد يا قبلة الأمانى بكعبتها السوداء
والقدم المرسومة على صفحتها . اننا سنرد اليك اليوم
جميع هؤلاء المشارقة عباد الصليب الضالين
وخدام يسوع المسيح » .

رسالة زنكى التى تحمل بشرى النصر الى الخليفة فى بغداد :

« السلام عليك ؛ ابشر ها انذا قضيت على عباد الصليب
وعلى مدينتهم المنيعة وعرضت اسسها لأشعة الشمس
وليست هذه سوى بداية المعارك التى ساخوضها من اجل دينك
ومن اجل الرسول وليك رسول الله ونبيه
فاذكرنى اذن يوم الجمعة لدى صلاتك فى المسجد
كى استطيع ازالة يسوع وجميع أتباعه من على وجه الأرض
وانكل بكل من يدعى ان لله ولدا » .

سبب سقوط الرها فى يد زنكى من وجهة نظر نيرسيس : (على لسان الرها) :

انه لا بحوله وطوله ولا ببأس قواته
تمكن من فتح الرها واعمل فيها السيف وسباها
بل من اجل خطاياى الجمة ولكثرة ما اقترفته من آثام

مصادر البحث

(أ) المصادر العربية المطبوعة :

١ ــ ابن الأثير الجزرى : (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ابو الحسن على بن ابى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الملقب بعز الدين :

(أ) الكامل فى التاريخ ، حـ ٨ ، ٩ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

(ب) الباهر فى الدولة الاتابكية (بالموصل) تحقيق عبد القادر احمد طليمات ، الطبع والنشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

٢ ــ اسامة بن مرشد : (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م) مؤيد الدولة ابو المظفر اسامة بن مرشد الكنانى الشيزرى : الاعتبار ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحدة ، ١٩٣٠ .

٣ ــ ابن ايبك الدوادارى : (٧٣٢هـ) ابو بكر بن عبد الله : كنز الدرر وجامع الغرر ، حـ ٦ ، الدرة المضيئة فى اخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ ــ ١٩٦١م .

٤ ــ ابن الجوزى : (ت ٥٩٧هـ) ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، حـ ٩ ، ١٣٥٩هـ ، حـ ١٠ ، ١٣٥٨هـ .

٥ ــ الحسينى : ابو الحسن على بن ابى الفوارس ناصر بن على : اخبار الدولة السلجوقية ، لاهور ، ١٩٣٣ .

٦ ــ ابن حوقل : (عاش فى القرن العاشر) ابو القاسم محمد بن على الموصلى الحوقلى البغدادى : صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، منشورات مكتبة الحياة ببيروت .

٧ ــ ابن خرد اذبة : (ت ٣٠٠هـ) ابو القاسم عبد الله بن عبد الله : المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ببغداد ، طبعة أبريل ١٨٨٩ .

٨ ــ ابن خلدون : (ت ٨٠٨هـ) عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، حـ ٥ طبعة ١٢٨٤هـ .

٩ ــ الذهبى : (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) شمس الدين أبى عبد الله محمد

بن احمد بن عثمان : العبر فى خبر من غبر ، حـ ٣ الكويت ١٩٦١ ، حـ ٤ ، ١٩٦٣ .

١٠ ـ سبط بن الجوزى : (ت ٦٥٤هـ) ابو المظفر يوسف بن قزاوغلى التركى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، حـ ١ ق ١ ، الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م) .

١١ ـ ابو شامة : (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى : الروضتين فى اخبار الدولتين ، تحقيق محمد حلمى محمد احمد ، حـ ١ القسم الأول ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٢ ـ ابن الشحنة : (ت ٨٩٠هـ) ابو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى الثقفى الحلبى الحنفى : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، تحقيق أبو اليمن البترونى (ت ١٠٤٦م) المطبعة الكاثوليكية : بيروت ١٩٠٩ .

١٣ ـ ابن شداد : (٦٨٤هـ) عز الدين ابى عبد الله محمد بن على بن ابراهيم : الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ، حـ ١ ق ١ ، دمشق ١٩٥٣ .

١٤ ـ الأصفهانى : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد : تاريخ دولة آل سلجوق اختصار الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى . مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م .

١٥ ـ ابن العبرى : (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) جريجوريوس ابى الفرج ابن هرون الطبيب الملطى : تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٠ ، ١٩٥٨م .

١٦ ـ ابن العديم : (ت ٦٦٠هـ) كمال الدين ابى القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، حـ ٢ ، نشر وتحقيق سامى الدهان ، (من ٤٥٧هـ الى ٥٦٩هـ) .

١٧ ـ الفارقى : (عاش فى القرن السادس الهجرى) أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق : تاريخ الفارقى ، القسم الأول ، حققه د . بدوى عبد اللطيف ، القاهرة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م .

١٨ ـ ابو الفدا : (ت ٧٣٢هـ) الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابى الفدا صاحب حماه : المختصر فى اخبار البشر ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية حـ ٢ ، ٣ .

١٩ ــ ابو الفضايل محمد بن علي الحموي : التاريخ المنصوري ، تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان ، نشره ووضع فهارسه بطرس غزيا زنيويج ، موسكو ١٩٦٠ .

٢٠ ــ ابن القلانسي : (ت ٥٥٥هـ) حمزة بن يعلى : ذيل تاريخ دمشق، طبعة بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨ .

٢١ ــ القرماني : ابو العباس احمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي : اخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ .

٢٢ ــ القلقشندي : (ت ٨٢١هـ) ابو العباس احمد : نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر ، طبعة أولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٢٣ ــ ابن كثير : (ت ٧٧٤هـ) عماد الدين ابى الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي : البداية والنهاية فى التاريخ ، جـ ١٢ ، مطبعة السعادة.

٢٤ ــ ابو المحاسن : (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ١٣٥٣هـ ــ ١٩٣٥م .

٢٥ ــ المقدسي المعروف بالبشاري : (ت ٣٧٥هـ) شمس الدين ابى عبد الله محمد بن أحمد بن ابى بكر البناء الشامي : احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ .

٢٦ ــ مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨ .

٢٧ ــ ابن واصل : (ت ٦٩٧هـ) جمال الدين محمد بن سالم : مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب ، جـ ١ (ينتهى بموت نور الدين محمود بن زنكى ٥٦٩هـ) نشر وتحقيق د. جمال الدين الشيال ، مطبوعات ادارة احياء التراث القديم ١٩٥٣ .

٢٨ ــ ابن الوردي : (٧٤٩هـ/١٣٤٩م) ابو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابى الفوارس الوردي : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٥هـ .

٢٩ ــ ياقوت الحموي : (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت .

٣٠ ــ يحيى بن سعيد الأنطاكي ، (من رجال القرن الخامس الهجري): تاريخ الذيل ، باريس ١٩٢٤ .

(ب) المخطوطات والميكروفيلم :

١ ــ ابن ابى الدم الحموى : (ت ٦٤٢هـ) ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المؤمن بن شهاب الدين : التاريخ المظفرى ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٩٦٦ تاريخ .

٢ ــ ابن دقماق المصرى : (ت ٨٠٩هـ) صارم الدين ابراهيم بن محمد : نزهة الانام فى تاريخ الاسلام ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعه العربيه رقم ٨٥١ تاريخ .

٣ ــ الذهبى : تاريخ الاسلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ .

٤ ــ ابن الساعى : (ت ٦٧٤هـ) على بن انجب المعروف بابن الساعى البغدادى : اختصار الخلفاء ، مخطوط رقم ٩٠٢ تاريخ تيمور .

٥ ــ سبط بن العجمى الحلبى : (ت ٨٨٤هـ) موفق الدين ابى ذر أحمد ابن ابراهيم : كنوز الذهب فى تاريخ حلب ، جـ ١ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٣٧ تاريخ تيمور .

٦ ــ ابن شاكر الكتبى : (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن : عيون التواريخ ، جـ ١٣ ميكروفيلم بدار الكتب المصريه رقم ١٦٧٢ تاريخ .

٧ ــ ابن الشحنة : (ت ٨١٥هـ) ابو الوليد محب الدين محمد بن محمد : روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر ، مخطوط بدار الكتب رقم ٥١م تاريخ .

٨ ــ ابن العديم : (ت ٦٦٠هـ) : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٦٦ تاريخ .

٩ ــ العينى : (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) بدر الدين محمد محمود بن أحمد بن موسى : عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان ، جـ ١٥م ٣ ، ٤ ، جـ ١٦م ١ ، مخطوط بدار الكتب المصريه رقم ١٥٨٤ تاريخ .

١٠ ــ الفارقى : ملخص تاريخ ميافارقين ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ١٢٤٩ تاريخ .

١١ ــ ابن الفرات : (ت ٨٠٧هـ) محمد عبد الرحيم بن على بن احمد بن محمد ابن عبد العزيز بن محمد : تاريخ الدول والملوك ، الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢١٩٧ تاريخ .

١٢ ــ ابن قاضي شهبة : (ت ٨٧٤) بدر الدين ابى الفضل محمد بن ابى بكر بن احمد بن قاضي شهبة الأسدى الدمشقى الشافعى : الدر الثمين فى سيرة نور الدين محمود بن زنكى ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ٢٣٧ (ا) تاريخ .

١٣ ــ النويرى : (ت ٧٣٢هـ) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب وفنون الادب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة حـ ٢٥ د ٢٦ .

١٤ ــ ابو الهيجاء : (كان معاصرا لصلاح الدين الأيوبى ــ ت ٥٨٩هـ) : تاريخه ــ القسم الأول ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ٩٤٥ تاريخ .

(د) المراجع العربية

١ ــ اسحاق تاوضروس عبيد : (الدكتور) : روما وبيزنطة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ .

٢ ــ أسد رستم : الدكتور : الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالغرب ، حـ ٢ دار المكشوف ، بيروت لبنان ، ١٩٥٦ .

٣ ــ اغناطيوس افرام الثانى : بطريرك السريان الأنطاكى : مقاله فى سورية ، طبع بيروت المطبعة السريانية ١٩٢٦ .

٤ ــ حسن حبشى : (الدكتور) :
نور الدين والصليبيين ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٥ ــ زامبور : المستشرق . معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ، اخراج د . زكى محمد حسن ، د . حسن أحمد محمود ، د . سيدة اسماعيل كاشف ، مطبعة جامعة فؤاد الأول حـ ١ (١٩٥١) ، حـ ٢ (١٩٥٢) .

٦ ــ الطباخ الحلبى : محمد راغب بن محمود بن هاشم : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء الطبعة الأولى ، حـ ١ ، ٢ (١٣٤٣ ــ ١٩٢٣) .

٧ ــ عاشور : (الدكتور) سعيد عبد الفتاح :

١ ــ الحركة الصليبية : ، حـ ١ ، ٢ الطبعة الأولى ١٩٦٣ . الناشر مكتبة الانجلو المصرية .

٧ — سلطنة المماليك ومملكة ارمينية الصغرى ، محاضرة القيت بدار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٦٨ .

٨ — عمر كمال توفيق : (الدكتور) : مقدمات العدوان الصليبى على الشرق العربى ١٩٦٦ .

٩ — الغزى : كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البابى الحلبى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، حـ ٣ ، المطبعة المارونية بحلب ١٣٤٥هـ — ١٩٢٦م .

١٠ — محمد كرد على : خطط الشام — حـ ١ ، ٢ ، مطبعة الترقى بدمشق ١٣٤٣هـ ، ١٩٢٥م .

١١ — يوسف الياس الدبس : تاريخ سورية الدنيوى والدينى حـ ٢م ٣ — (١٨٩٨م) حـ ٦ (١٩٠٢م) ، المطبعة العمومية المارونية فى بيروت .

١٢ — الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة : بقلم احد رهبان دير السيدة برموس فى برية انبا مقاريوس ، الجزء الأول الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ببولاق القاهرة ١٨٨٣م .

د — المصادر والمراجع الأجنبية :

1. — Adams, (G.B.) :
Medieval and Modern history, New York 1905.

2. — Anna Comnena : .
The Alexiad, Translated by Elizabeth, A.S. Dawas, London, 1967.

3. — Archer (T.A.), Kingsford (C.L.) :
The Crusades, London, 1919.

4. — Aubert (R.) :
Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastiques, T. 14, Paris 1960.

5. — Bar Hebraeus :
The Chronography of Gregory Abul Faraj, V. 1, Englsih translation, London, 1932.

6. — Bréhier (L.) :

1. L'Eglise et l'Orient au Moyen Age, les Croisades, Paris, 1921.
2. Vie et Mort de Byzance, Paris, 1948.

7. — Burkitt (F.C.) :
Early Eastern Christianity, London : 1904.

8. — Cahen (C.) :
La Syrie du Nord à L'époque des Croisades et la principauté Franque D'Antioche, Paris, 1940.

9. — Cambridge Anc. Hist., V. XI - XII, Cambridge 1939

10. — Cambridge Med. Hist., V. IV, Cambridge 1936, V. IV Part 1, Cambridge 1966.

11. — Chalandon (F.) :

1. Histoire de la première Croisade, Paris 1925.
2. Essai sur le Règne d'Alexis 1er Comnène. (1081 — 1118), Paris, 1900.

12. — Chronique de Michel le Syriens : éditée et traduite en Français par J.B. Chabot, T. III, Fascicule II, Paris 1906.

13. — Defrémery (M.) :
Histoire des Seljoukides, Journal Asiatique, Avril, Mai, 1848.

14. — Der Nersessian (S,) :
Armenia and the Byzantine Empire, Cambridge, 1947.

15. — Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie, T. 4, Part 2, Paris, 1921.

16. — Dussaud (R.) :
Topographie Historique de la Syrie Antique et Médievale, Paris, 1927.

17. — Duval (R.) :
Histoire Politique, Religieuse et Litteraire d'Edesse jusqu'à la première Croisade, Paris.

18. — Fliche (A.) :
Histoire du Moyen Age, T. II, L'Europe Occidentale de 888 à 1125, Paris 1930.

19. — Gibb (H.A.R.) :
The Damascus Chroncile of the Crusades, London, 1932.

20. — Grousset (R.) :
1. Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem, V. 1, Paris, 1934, V. 2, Paris, 1935.
2. L'Epopée des Croisades, Paris, 1939.
3. Histoire de l'Arménie, Paris, 1947.
4. L'Empire du Levant, Paris, 1949.

21. — Grumel (V.) :
Au Seuil de la IIème Croisade, Deux Lettres de Manuel Comnène au Pape, Revue des Etudes Byzantines, T.III, 1945, Institut Français d'Etudes Byzantines, Bucarest, 1946.

22. — Hayes (E.R.) :
L'École d'Edesse, Les Presses Modernes, Paris, 1930.

23. —Hefele (C.J.) :
Histoire des Conciles, T. II, Partie 2. (Paris 1908)
T.V. 1er Partie (Paris, 1912).

24. — Hulme (E.M.) :
The Middle Ages, New York, 1938.

25. — Iorga (N.) :
1. Brève Histoire des Croisades, Paris, 1924.
2. Brève Histoire de la Petite Arménie, Paris, 1930.

26. — Issaverdens (R.P.J.) :
Histoire de l'Arménie, T. II, Venise, 1888.

27. — Janin (R.P.) :
Les Eglises separées d'Orient Paris, 1930.

28. — Jedn (H.) :
Brève Histoire des Conciles, tradult par A. Vidick ; Belgium, 1960.

29 — Lamb (H.) : The Crusades, London, 1934.

30. — Lammens (H.): La Syrie, V. 1, Beyrouth, 1921.

31. — Le Strange (G.) :
The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1930.

32. — Michaud (M.) :
Histoire des Croisades, V. 1, 2.

33. — Morgan (J.) :
Histoire du Peuple Arménien, Paris, 1918.

34. — Nansen (F.) :
L'Arménie et le Proche Orient, Paris, 1928.

35. — Oldenboug (Z.) :
Les Croisades, Editions Gallimard, 1965.

36. — Ostrogorsky (G.) :
History of the Byzantine State, Oxford, 1956.

37. — Pasdermadjian (H.) :
Histoire de l'Arménie, Paris, 1964.

38. — Prawer (J.) :
Histoire du Royaume Latin de Jérusalem, Traduit de l'hébreu par G. Nahon, T. 1, Paris, 1969.

39. — Recueille des Historiens des Croisades :
1. Documents Arméniens, T. 1, 2.
2. Historiens Occidentaux, T. 1, 3, 4, 5.

40. — Richard (J.) : Le Royaume Latin de Jérusalem, Paris 1953.

41. — Roux (F.C.) :
France et Chrétiens d'Orient, Paris; 1939.

42. — Runciman (S.) :
A History of the Crusades, Cambridge, V. 1, 1954, V. 2, 1952.

43. — Schulmberger (G.) :
1. Recits de Byzance et des Croisades, Paris, 1922.
2. Sigillographie de l'Orient Latin, Librairie Orientaliste, Paul Geuthner, 1943.

44. — Setton (K.M.) :
A History of the Crusades, University of Pensylvania Press, V. 1, Edited by Marshall W. Baldwin, 1955.

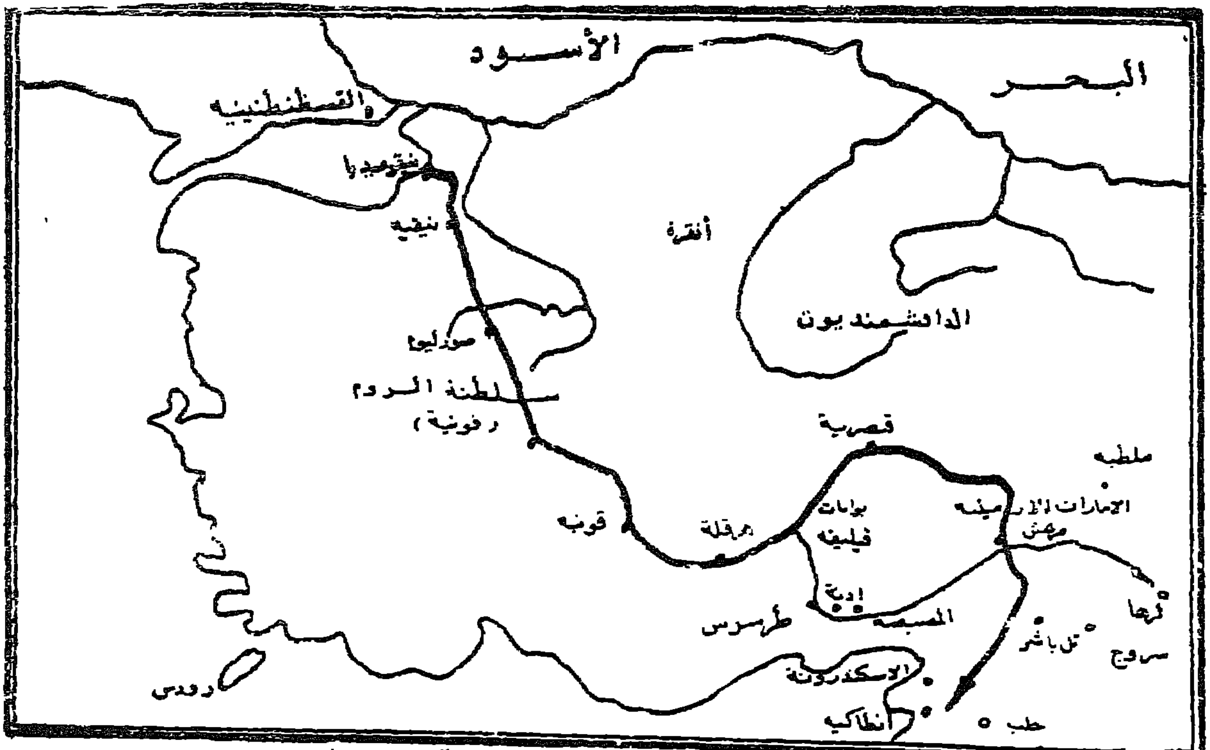
45. — Tixeront (L.J.) :
Les Origines de l'Eglise d'Edesse et la Légende d'Abgar, Journal Asiatique, T. XII, Paris, 1888. Novembre — Décembre.

46. — Tournebize :
Histoire Politique et Religieuse de l'Arménie, Paris, 1900.

47. — Vacant (A.), Mangenot (E.), Amann (E.) :
Dictionnaire de Théologie Catholique, T. 1, Partie 2, Paris, 1923.

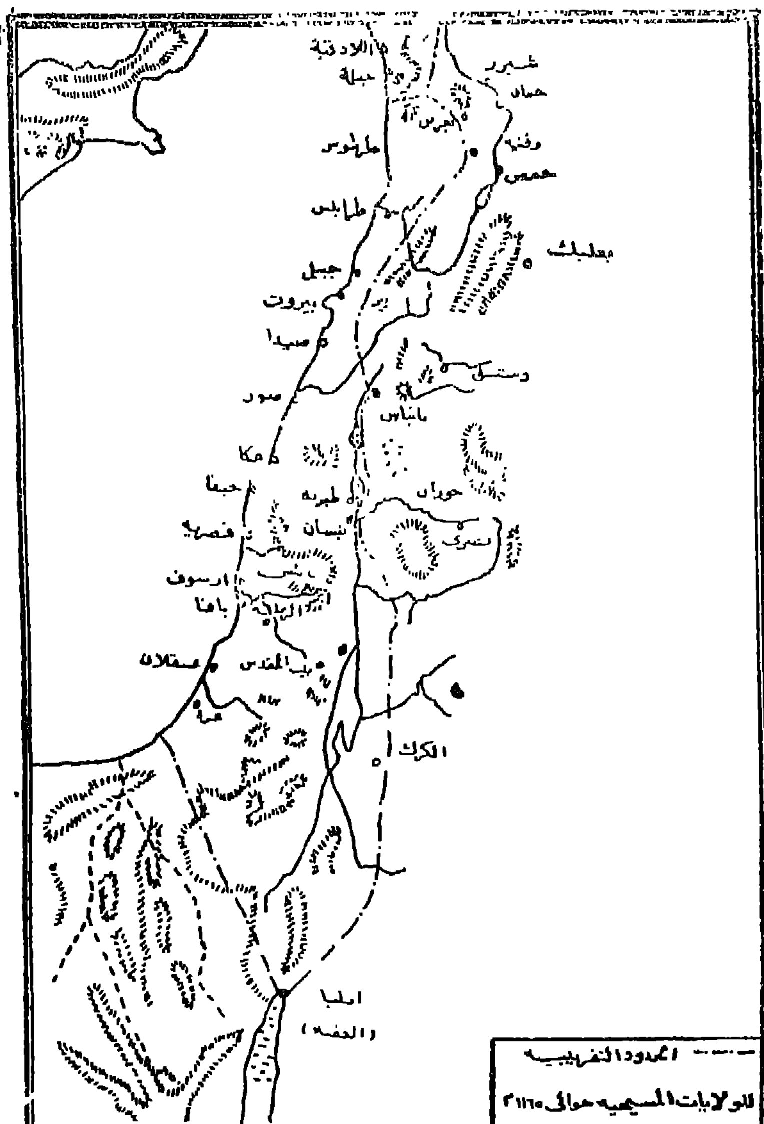
48. — Vasiliev (A.A.) :
History of the Byzantine Empire, V. 2, Madison, 1929.

49 — William of Tyre.
A History of Deeds Done Beyond the Sea, V. 1, 2 Translated and Annotated by Emily Atwater Babcock and A.C. Krey, New York, 1943.



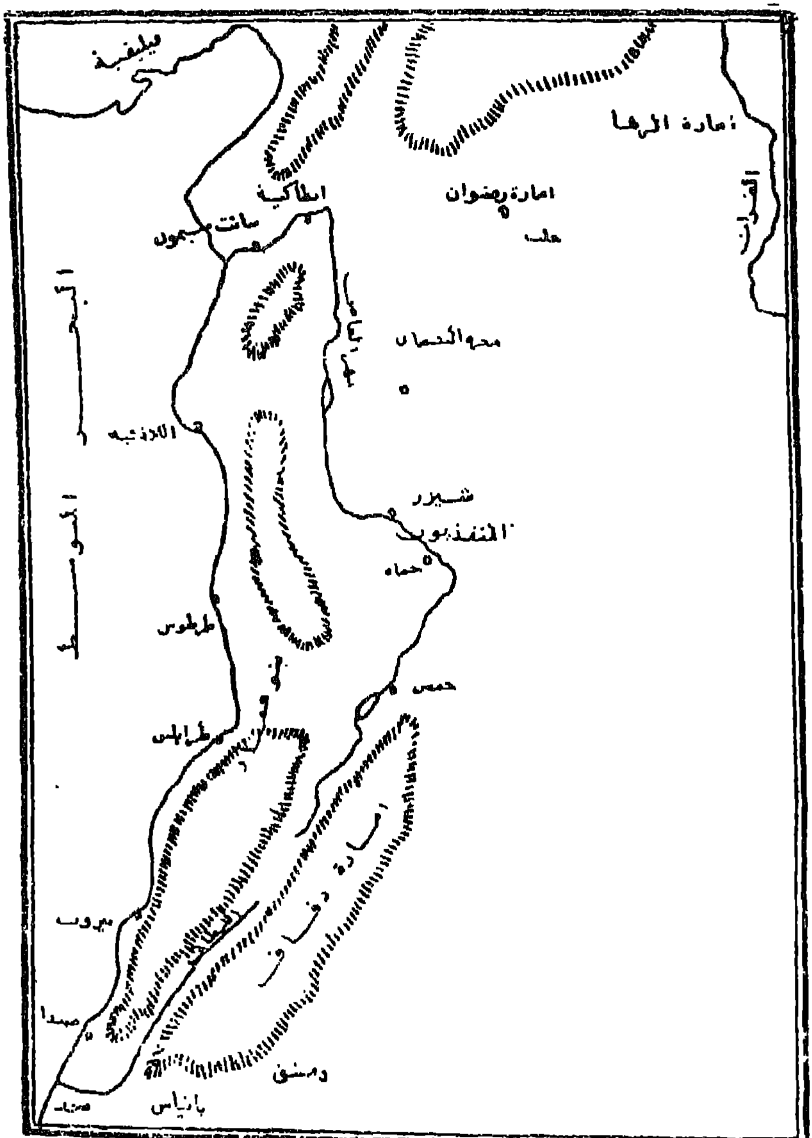
مسير الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى

عن: J. PRAWER: HISTOIRE DU ROYAUME LATIN DE JERUSALEM, T.1. P 206



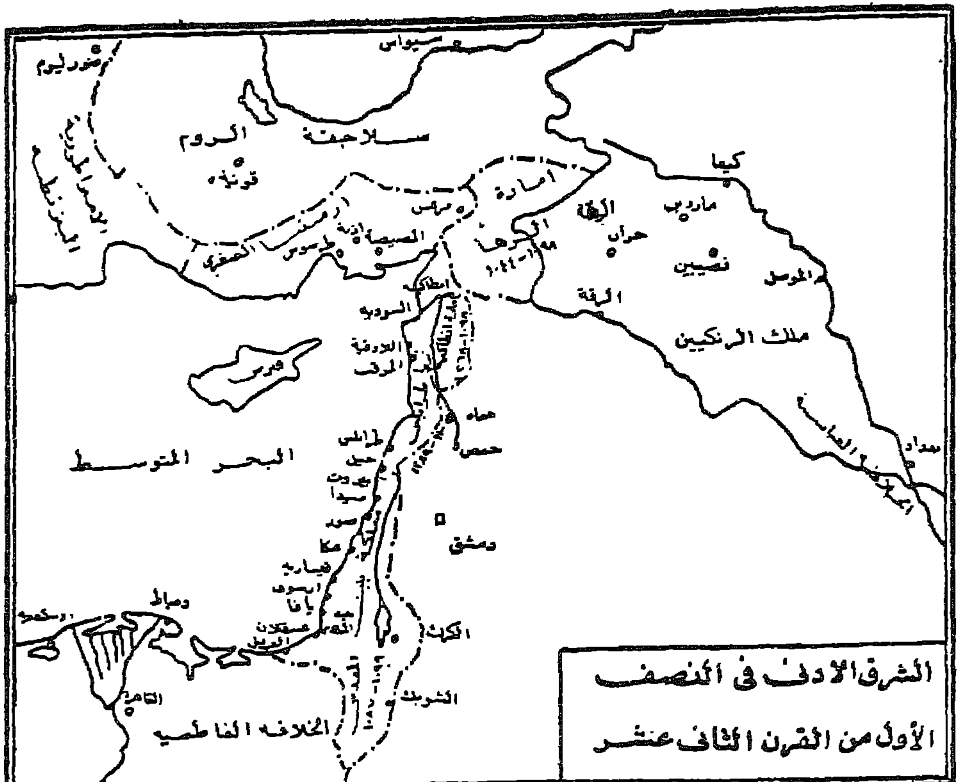
خريطة لجنوب سورية في القرن الثاني عشر الميلادي

عن : S.RUNCIMAN: A HISTORY OF THE CRUSADES, V.2,P. 145

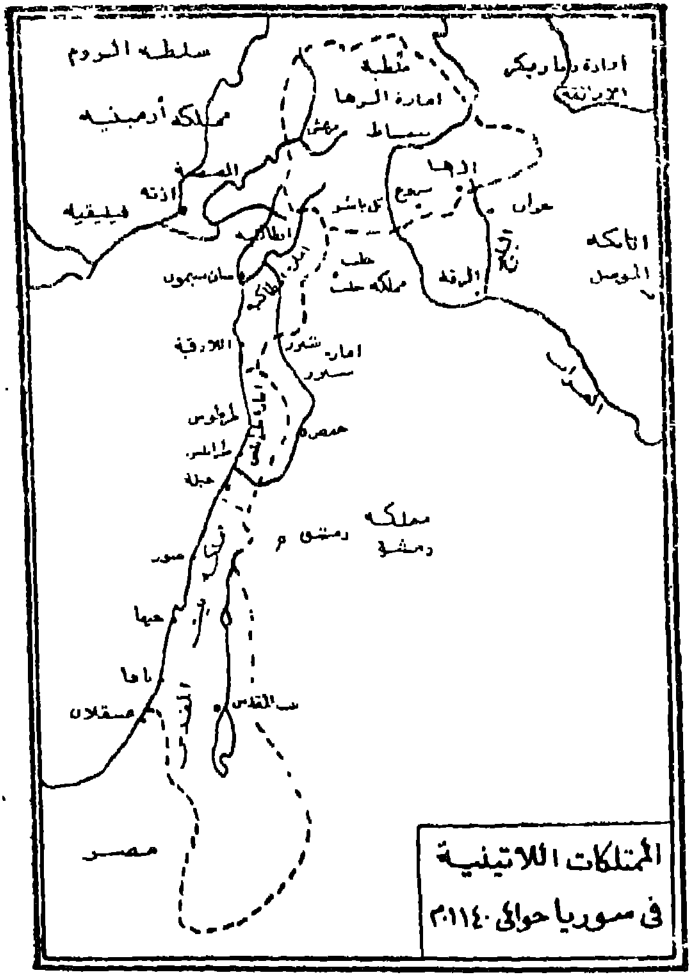


الإمارات الاسلامية فى سوريه عند قيام إمارة الرها

عن: J.PRAWER: HISTOIRE DU ROYAUME LATIN DE JÉRUSALEM, T.1. P. 211

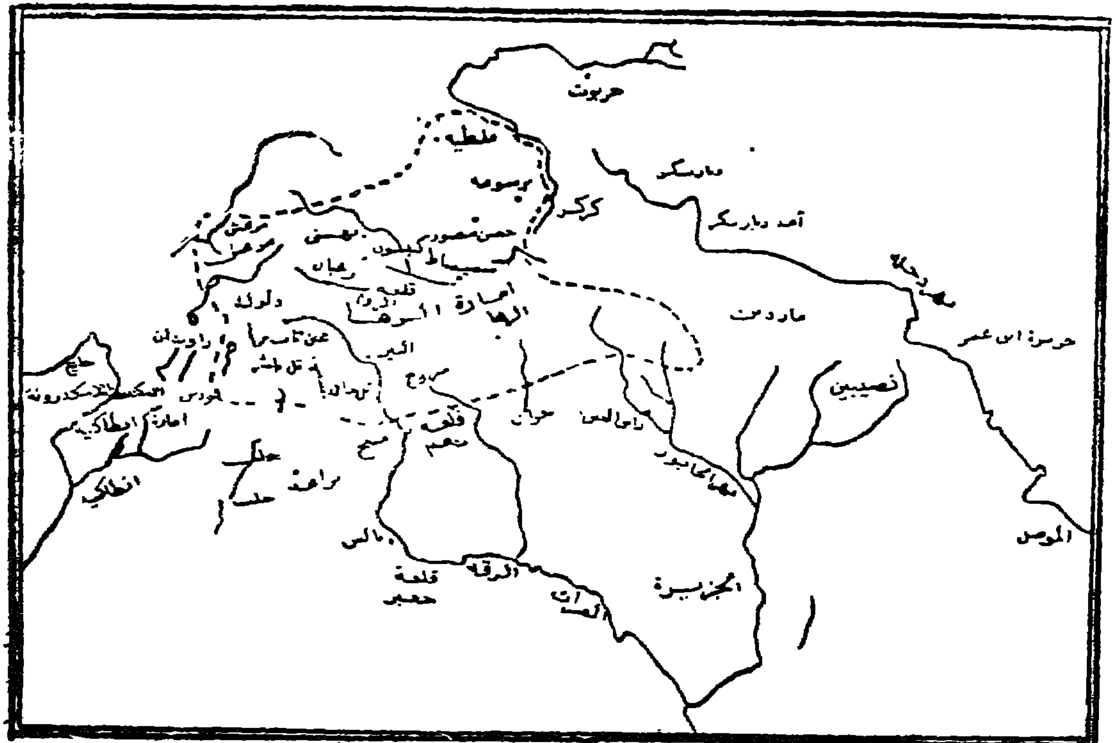


عن : سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، الجزء الأول ص ٤١٠



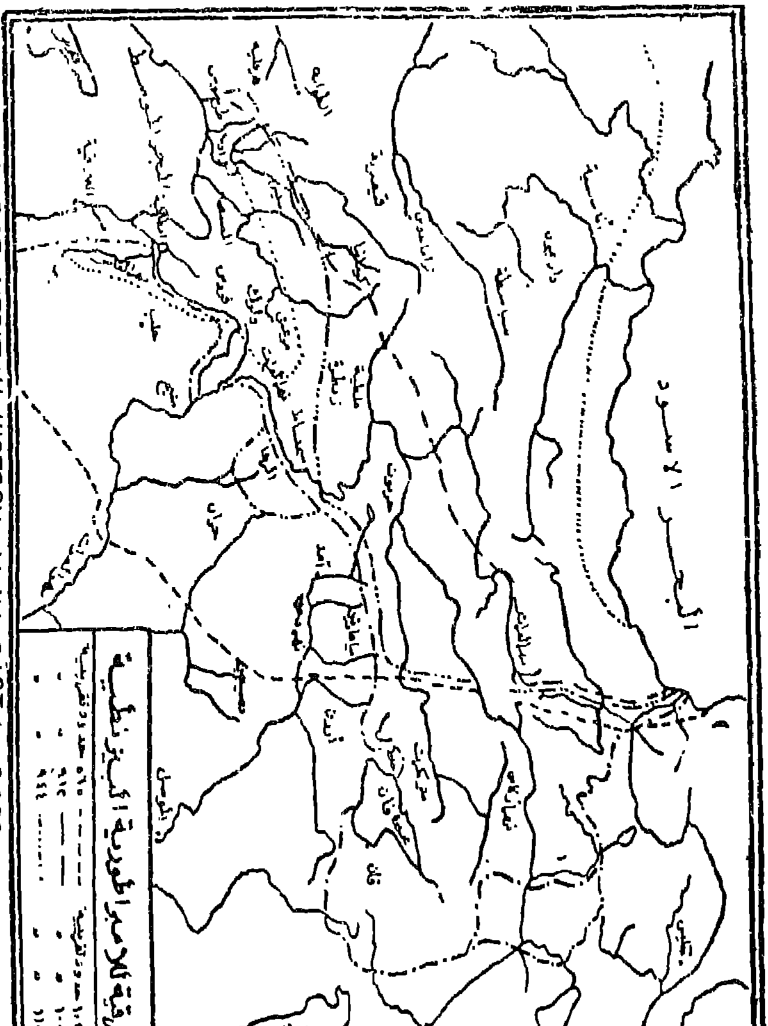
عن :

ZOÉ OLDENBOURG : LES CROISADES
P. 247



إمارة الرها في أقصى اتساعها

عن: R.GROUSSET: L'EMPIRE DU LEVANT, P.P: 200-201



THE CAMBRIDGE MEDIEVAL HISTORY V.IV, PART.1 P.699

فهرس

الموضوع | الصفحة

الباب الأول

قيام أمارة الرها الصليبية وأحوالها الداخلية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

صدر فى هذه السلسلة

٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر،
جمال بدوى، ١٩٨٨
٢٣ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ٢، إمام التصوف فى مصر: الشعرانى،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.
٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩-١٩٣٦)،
د. نجوى كامل، ١٩٨٩.
٢٥ - المجتمع الإسلامى والغرب،
تأليف: هاملتون جب وهارولد بووين،
ترجمة: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩.
٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة،
د. سعيد إسماعيل على، ١٩٨٩.
٢٧ - فتح العرب لمصر جـ١،
تأليف: ألفريد ج. بتلر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
٢٨ - فتح العرب لمصر جـ٢،
تأليف: ألفريد ج. بتلر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
٢٩ - مصر فى عهد الإخشيديين،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩.
٣٠ - الموظفون فى مصر فى عهد محمد على،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٠.
٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٩.
٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر جـ٢،
لمعى المطيعى، ١٩٨٩.
٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الافريقى: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية،
. خالد محمود الكومى، ١٩٨٩.
٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢،
د. يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠.
٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٠
٣٦ - المجتمع الإسلامى والغرب جـ ٢،
تأليف: هاملتون بووين، ترجمة. د. أحمد عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠.
٣٧ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن،
تأليف: د. سليمان صالح، ١٩٩٠
٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى،
د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠.
٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧)،
د. جميل عبيد، ١٩٩٠.
٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨،
د. عبدالمنعم الدسوقى الجميعى، ١٩٩٠
٤١ - محمد فريد: الموقف والمأساة، رؤية عصرية،
د. رفعت السعيد، ١٩٩١.
٤٢ - تكوين مصر عبر العصور،
محمد شفيق غربال، ط ٢، ١٩٩٠.
٤٣ - رحلة فى عقول مصرية،
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠
٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر، فى العصر العثمانى،
د. محمد عفيفى، ١٩٩١.
٤٥ - الحروب الصليبية جـ ١،
تأليف: وليم الصورى، ترجمة وتقديم: د. حسن حبشى، ١٩٩١.
٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧)،
ترجمة: د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩١.

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث،
د . لطيفة محمد سالم، ١٩٩١ .
٤٨ ـ الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى،
د . زبيدة عطا، ١٩٩١ .
٤٩ ـ العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨ـ١٩٧٩)،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .
٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ـ١٩٥٤)،
د . سهير إسكندر، ١٩٩٣ .
٥١ ـ تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، فى إبريل ١٩٩١)، أعدها للنشر: د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .
٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر،
د . إلهام محمد على دهلى، ١٩٩٢ .
٥٣ ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،
د . محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢ .
٥٤ ـ الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد عفيفى، ١٩٩٢ .
٥٥ ـ الحروب الصليبية جـ٢،
تأليف : وليم الصورى ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٢ .
٥٦ ـ المجتمع الريفى فى عصر محمد على: دراسة عن إقليم المنوفية،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٢ .
٥٧ ـ مصر الإسلامية وأهل الذمة،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢ .
٥٨ ـ أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة،
د . إبراهيم عبدالله المسلمى، ١٩٩٣ .
٥٩ ـ الرأسمالية الصناعية فى مصر، من التمصير إلى التأميم (١٩٥٧ـ١٩٦١)،
د . عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣ .
٦٠ ـ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،
عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٣ .
٦١ ـ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٣،
لمعى المطيعى، ١٩٩٣ .
٦٣ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية،
تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر: د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٤ ـ مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٩٣ .
٦٥ ـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ـ١٩١٧)،
د . سهام نصار، ١٩٩٣ .
٦٦ ـ المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى،
د . نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣ .
٦٧ ـ مساعى السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، فى إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٨ ـ الحروب الصليبية جـ٣،
تأليف : وليم الصورى
ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٣ .
٦٩ ـ نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ـ١٩٥١)،
د . محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤ .

٧٠ـ أهل الذمة فى الإسلام،
تأليف: أ. س. ترتون
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ط ٢، ١٩٩٤.
٧١ـ مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤-١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة: د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤.
٧٢ـ رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية فى العصر الفاطمى (٣٥٨-٥٦٧هـ)،
د. أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤.
٧٣ـ تاريخ جامعة القاهرة،
د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤.
٧٤ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية، جـ١، فى العصر الفرعونى،
د. سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤.
٧٥ـ أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى الأول،
د. سلام شافعى محمود، ١٩٩٥.
٧٦ـ دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الإحتلال البريطانى)،
د. سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥.
٧٧ـ الحروب الصليبية جـ٤،
تأليف: وليم الصورى، ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ١٩٩٤.
٧٨ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩)،
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥.
٧٩ـ تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى القرن التاسع عشر،
تأليف: فريد دى يونج، ترجمة: عبد الحميد فهمى الجمال، ١٩٩٥.
٨٠ـ قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢-١٩٠٤)،
د. السيد حسين جلال، ١٩٩٥.
٨١ـ تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،
د. رمزى ميخائيل، ١٩٩٥.
٨٢ـ مصر فى فجر الإسلام، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤
٨٣ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ١،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤.
٨٤ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ - القسم الأول،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥.
٨٥ـ تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية (١٩٣٤ـ ١٩٥٢)،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٥.
٨٦ـ تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤)،
د. أحمد الشربينى، ١٩٩٥.
٨٧ـ مذكرات اللورد كليرن، جـ ٢، (١٩٣٤ - ١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة وتحقيق. د. عبدالرؤوف أحمد عمرو ١٩٩٥.
٨٨ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٥.
٨٩ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى،
د. عبدالحميد حامد سليمان، ١٩٩٥
٩٠ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية،
د. نريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦.
٩١ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال، ١٩٩٦.
٩٢ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦)،
جـ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦.

٩٣ ـ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ،
د. نبيه بيومى عبدالله ، ١٩٩٦ .

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ،
د. سهير إسكندر، ١٩٩٦ .

٩٥ ـ مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)،
إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠)،
تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد عمرو.

٩٧ ـ العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر،
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.

٩٨ ـ هيكل والسياسة الأسبوعية ،
د. محمد سيد محمد.

٩٩ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ـ الرومانى) جـ ٢ ،
د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة ،
أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار، أ. د. محمد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحى، أ. د. فاروق القاضى ، أعدها للنشر: أ. د. عبدالعظيم رمضان

١٠١ ـ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،
اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير ، اللواء/ عبدالمجيد كفافى، اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ـ المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢
د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ ـ رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره
د. على بركـــات

١٠٤ ـ تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢)
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية فى مصر وقضية الديموقراطية ١٨٠٥ ـ ١٩٨٧ .
د. أحمد فارس عبدالمنعم

١٠٦ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن) .
د. سليمان صالح

١٠٧ ـ الأصولية الإسلامية .
تأليف: دليب هيرو: ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال.

١٠٨ ـ مصر للمصريين جـ ٤ .
سليم النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين جـ ٥ .
سليم النقاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ١ .
د. البيومى اسماعيل الشربينى.

١١١ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ٢ .
د. البيومى إسماعيل الشربينى.

١١٢ ـ إسماعيل باشا صدقى
د. محمد محمد الحوادى.

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)
د. عز الدين إسماعيل.

١١٤ ـ دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى
تأليف أحمد رشدى صالح

١١٥ ـ مذكراتى فى نصف قرن ـ
أحمد شفيق باشا.
١١٦ ـ أديب اسحق (عاشق الحرية)
علاء الدين وحيد
١١٧ ـ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية
(١٥١٧ ـ ١٧٩٨)
عبد الرزاق إبراهيم عيسى
١١٨ ـ النظم المالية فى مصر والشام
د. البيومى اسماعيل الشربينى
١١٩ ـ النقابات فى مصر الرومانية
حسين محمد أحمد يوسف
١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث
لويس جرجس
١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)
د. محمد عبد الحميد الحناوى
١٢٢ ـ مصر للمصريين جـ٦
سليم خليل النقاش
١٢٣ ـ السيد أحمد البدوى
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن
د. محمد نعمان جلال
١٢٥ ـ مصر للمصريين جـ٧
سليم خليل النقاش
١٢٦ ـ مصر للمصريين جـ ٨
سليم خليل النقاش
١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨)،
ابراهيم محمد محمد ابراهيم .
١٢٨ ـ معارك صحفية،
بقلم/ جمال بدوى.
١٢٩ ـ الدين العام (وأثره فى تطور الدين المصرى) (١٨٧٦-١٩٤٣)
د. يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧-١٩٩٧)
سمير فريد.
١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢م
ترجمة/ د. عبدالرءوف أحمد عمرو
١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ١
د. ماجدة محمد حمود.
١٣٣ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ٢
د. ماجدة محمد حمود
١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى للدارندلى
بقلم/ عزت حسن أفندى الدارندلى
ترجمة/ جمال سعيد عبد الغنى
١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكية
(فى ضوء وثائق الجنيزة)
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) د. محاسن محمد الوقاد
١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق
تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان
١٣٧ ـ تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى
د. محمد عبد الغنى الأشقر
١٣٨ ـ الإخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والإرهاب فى مصر
السيد يوسف
١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين
بقلم محمد قابيل
١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥هـ ١٨١١ ـ ١٨٤٨م
طارق عبد العاطى غنيم بيومى
١٤١ ـ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك
لطفى أحمد نصار
١٤٢ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٣
أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩.

١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق م
د. منيرة محمد الهمشرى
١٤٤ ـ كشوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل
د. عبدالعليم خلاف
١٤٥ ـ النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م)
د. منيرة محمد الهمشرى
١٤٦ ـ المرأة فى مصر المملوكية
د. أحمد عبدالرازق
١٤٧ ـ حسن البنا متى كيف ولماذا؟
د. رفعت السعيد
١٤٨ ـ القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د. سمير فوزى
ترجمة / نسيم مجلى
١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية
فى القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد المعطى
١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الجمال
١٥١ ـ جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة
السيد يوسف
١٥٢ـ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)
د. مجاسن محمد الوقاد
١٥٣ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د. علية عبد السميع الجنزورى
١٥٤ـ هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى
د. علية عبد السميع الجنزورى
١٥٥ـ عصر محمد على ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر
(١٨٠٥ - ١٨٨٣م)
د. عبد الحميد البطريق
١٥٦ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الثالث
فى العصر الإسلامى
د. سمير يحيى الجمال
١٥٧ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الرابع
فى العصر الإسلامى والحديث
د. سمير يحيى الجمال
١٥٨ـ نائب السلطنة المملوكية فى مصر
(٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)
د. محمد عبد الغنى الأشقر
١٥٩ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الأول
د. محمد فريد حشيش
١٦٠ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الثانى
د. محمد فريد حشيش
١٦١ـ السيف والنار فى السودان
تأليف / سلاطين باشا
١٦٢ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣م)
د. تمام همام تمام
١٦٣ـ مصر والحملة الفرنسية
المستشار/ محمد سعيد العشماوى
١٦٤ـ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ
(أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠ . ٢١ ديسمبر ١٩٩٧م.
إعداد / د. عبدالعظيم رمضان
١٦٥ـ التعليم والتغيير الاجتماعى فى مصر
(فى القرن التاسع عشر)
سامى سليمان محمد السهم
١٦٦ـ مذكرات معتقل سياسى (صفحة من تاريخ

مصر)
السيد يوسف
١٦٧ـ الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط منذ الفتح العربى إلى نهاية الدولة الأخشيدية
د. صفى على محمد عبدالله
١٦٨ـ مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات
يسرى عبد الغنى
١٦٩ـ مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
د. صفى على محمد عبد الله
١٧٠ـ القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
مجدى عبد الرشيد بحر
١٧١ـ تاريخ الجالية الأرمنية فى مصر
القرن التاسع عشر
تأليف / محمد رفعت
١٧٢ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية
(من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)
الجزء الأول
تأليف / فاطمة مصطفى عامر
١٧٣ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية
(من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)
الجزء الثانى
تأليف / فاطمة مصطفى عامر
١٧٤ـ مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق م
د. أحمد عبد الحليم دراز
١٧٥ ـ محمد توفيق نسيم باشا ودوره فى الحياة السياسية
عادل إبراهيم الطويل
١٧٦ ـ الملاحة النيلية فى مصر العثمانية
١٥١٧ ـ ١٧٩٨م
د. عبدالحميد حامد سليمان
١٧٧ ـ سياسة مصر العسكرية
اراء حروب الشرق الأوسط
لواء دكتور/ صلاح سالم
١٧٨ ـ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى فى القرن الثامن عشر
د. سحر على حنفى
١٧٩ ـ دور الحامية العثمانية فى تاريخ مصر
(١٥٦٤ ـ ١٦٠٩ م)
د. عفاف مسعد السيد العبد
١٨٠ ـ الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس
بقلم / د. عبدالعظيم رمضان
١٨١ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ١)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى
١٨٢ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ٢)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى
١٨٣ ـ شاهد على العصر
مذكرات محمد لطفى جمعة
١٨٤ ـ الموالية فى القرن الثامن عشر
ياسر عبد المنعم محاريق
١٨٥ ـ تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصرى
١٨٢٠ ـ ١٨٨٥م
د. أحمد أحمد سيد أحمد
١٨٦ ـ العقائد الدينية فى مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف
د. أحمد صبحى منصور

١٨٧ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) جـ١
د. عادل عبد الحافظ حمزة
١٨٨ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ) جـ٢
د. عادل عبدالحافظ حمزة.
١٨٩ ـ يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠م
عرفة عبده على
١٩٠ ـ العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١ ـ ١٩٦٣م)
د. عبدالحميد عبدالجليل أحمد شلبى
١٩١ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ١
د. محسن على شومان
١٩٢ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ٢
د. محسن على شومان.
١٩٣ ـ الامام محمد عبده بين المنهج الدينى الاجتماعى
د. عبدالله شحاته
١٩٤ ـ تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية المصرية
د. فتحى الصنفاوى
١٩٥ ـ مجتمع أفريقيا فى عصر الولاة
د. نريمان عبدالكريم أحمد
١٩٦ ـ تاريخ تطور الرى فى مصر (١٨٨٢ ـ ١٩١٤م)
عبدالعظيم محمد سعودى
١٩٧ ـ القدس الخالدة
د. عبدالحميد زايد
١٩٨ ـ العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية
د. عادل عبدالحافظ حمزة
١٩٩ ـ المعبد فى الدولة الحديثة فى مصر الفرعونية (تنظيمه الإدارى ودوره السياسى)
د. بهاء الدين ابراهيم محمود
٢٠٠ ـ تاريخ سواحل مصر الشماليةعبر العصور (أعمال الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب جامعة الإسكندرية فى يومى ٢٢ ، ٢٣ ابريل ١٩٩٨م).
اعداد/ د. عبدالعظيم رمضان

٢٠١ ـ إمارة الحج فى مصر العثمانية (٩٢٣ ـ ١٢١٣هـ / ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م)
سميرة فهمى على عمر
٢٠٢ ـ المندوبون الساميون فى مصر
د. ماجدة محمد حمود
٢٠٣ ـ الصراع الدولى على عدن والدور المصرى
فتحى أبو طالب
٢٠٤ ـ العلاقات الاقتصادية بين مصر وبريطانيا (١٩٣٥ ـ ١٩٤٥م)
مرفت صبحى غالى
٢٠٥ ـ تاريخ الغربية وأعمالها فى العصر الاسلامى (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
السيد محمد أحمد عطا
٢٠٦ ـ مصر للمصريين جـ٩
سليم خليل النقاش
٢٠٧ ـ الظاهر بيبرس
د. سعيد عبدالفتاح عاشور
٢٠٨ ـ الدور المصرى والعربى فى حرب تحرير الكويت جـ١
لواء/ د. كمال أحمد عامر
٢٠٩ ـ الدور المصرى والعربى فى حرب تحرير الكويت جـ٢
لواء/ د. كمال أحمد عامر
٢١٠ ـ قبرص والحروب الصليبية
د. سعيد عبدالفتاح عاشور
٢١١ ـ امارة الرها الصليبية
د. علية عبدالسميع الجنزورى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٤٧٨ / ٢٠٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 7632 - X